

تحقيق لجنة

مصطفى السقا — عبد الرحيم محمود

عبد السلام هارون — إبراهيم الإبياري

حامد عبد المجيد

بإشراف الأستاذ

الدكتور طه حسين

القسم الأول

الطبعة الرابعة

(١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)

شُرُوحُ سِقْطِ الزَّنْدِ





تحقيق الأساتذة

مصطفى السقا　　عبد الرحيم محمود

عبد السلام هارون　　إبراهيم الإبيارى

حامد عبد المجيد

بإشراف الأستاذ

الدكتور طه حسين

القسم الأول

الطبعة الرابعة

(١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة

د/ صلاح فضل

أبو العلاء المعرى ، 973 - 1057.

شروح سقط الزند / [لأبى العلاء المعرى]؛ تحقيق مصطفى السقا... [وآخ] : إشراف طه حسين . ط 4 .ـ القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية ، مركز تحقيق التراث، 2002 -

مج 1 ؛ 28 سم .

يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية.

تدمك x - 0216 - 18 - 977

٨١١و٠٠٩٠٤

إخراج وطباعة :

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٢/٨٤٢١

I.S.B.N. 977 - 18 - 0218 - x

تقديم

هذه هى الطبعة الرابعة من مجموعة آثار أبى العلاء :

تعريف القدماء بأبى العلاء .

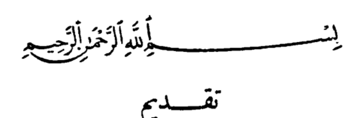
وشروح سقط الزند ــ للتبريزى والبطليوسى والخوارزمى.نقدمها إلى جمهور الباحثين بعد إعادة النظر فيها اقتضى النظر من النصوص والضبط .

ونأمل أن نكون بذلك قد سددنا فراغا فى مكتبتنا العربية بعد أن عزَّ وجود هذه المجموعة النفيسة مع جلال شأنها وعظيم نفعها .

ومن الله نستمد العون وبه تمام التوفيق .

المحققون

مايو ٢٠٠٢



تقــــديم

هذا هو القسم الأول من السفر الثانى من آثار شيخ المعرة أبى العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرى . وهو أحد أقسام أربعة ينقسم إليها هـذا السفر الذى يتضمن شروحا ثلاثة من شروح « سقط الزند » .

وسـقط الزند من أعرف كتب أبى العـلاء ، وأكثرها تداولا بين المتأدبين والباحثين . وقـد تولى تفسيره والقيام عليه فى سالف الدهر أئمة فاضلون ، بذلوا جهدهم فى بيـان معانيه، واكتناه أسراره ومراميه . ونحن نسـوق بعض هـذه الشروح بحسب ترتيبها فى التاريخ :

(١) شرح أبى العـلاء المعرى المسمى « ضـوء السقط[١] » وضعـه لتلميذه أبى عبـد الله محمد بن محمـد بن عبد الله الأصبهانى[٢] . وقـد جرت عادة أبى العلاء فى كثير من كتبه أن يضع لها تفسيرا يوضح مبهماتها . ومن هذا الشرح نسخة بمكتبة باريس برقم (٣١١١) .

وأبو العلاء لم يشرح جميع سقط الزند ، بل أملى شرحه على تلميذه أبى عبد الله إلى « الدرعيات[٣] » . وممـا هو جدير بالذكر أن التبريزى تلميذ المعرى قد التزم — كما ذكر فى خطبته — أن يضمّن تفسيره ما ورد فى ضوء السقط ، وقد نبّه فى كثير

---

(١) طبعت فى بيروت سنة ١٨٨٤ مجموعة من شعر سقط الزند ، هى المعروفة بالدرعيات . وقد وسمت هذه المجموعة بـ« ضوء السقط » وهو خطأ واضح .

(٢) انظر نص الإنصاف والتحرى فى تعريف القدماء ص ٥٣٥ .

(٣) انظر مقدمة التبريزى ص ٣ .

من مواضع الشرح على هـذا الاقتباس ، كما نجد فى أثنـاء شرحه بعضا من النقـد والتعقيب لضوء السقط . ونجـد أيضا فى زوايا شرحى البطليوسى والخوارزمى بعض النصوص المقتبسة من الضوء .

(٢) شرح التـبريزى[1] تلميذ أبى العلاء المتوفَّى سنة ٥٠٢ . وشرحه هذا يعد أقدم الشروح بعـد شرح أبى العلاء . وقد قرأ التبريزى على أستاذه سقط الزند . وفى ذلك يقول[2] : «وكان يغير الكلمة إذا قرأتُ عليه شعره فى صباه، الملقب بسقط الزند ، ويقول معتذرًا من تأبِّيه وامتناعه : مدحتُ فيـه نفسى فأنا أكره سماعه . وكان يحثّنى على الاشتغال بغيره من كتبه كلزوم ما لا يلزم، وجامع الأوزان، والسجع السلطانى، وغير ذلك . ثم اتّفق بعد مفارقتى إياه أن بعض أهل الأدب سأله أن يشرح له ما يُشكل عليه من سقط الزند فأملى عليه إلى الدرعيات » . فضوء السقط إنمـا صنعه أبو العلاء بعد مفارقة التبريزى له . والتبريزى لم يصنع تفسيره فى حياة أبى العلاء، وإنما صنعه بعده . ويؤيد ذلك قوله فى مقدمته[3] : « وأوردت ماذكر شيخنا أبو العلاء رحمه الله من ضوء السقط فى مواضعه » .

(٣) شرح ابن السِّيد البطليوسى[4] المتوفى سنة ٥٢١ . وليس هذا الشرح خاصا بسقط الزند، بل ضمّ مؤلفه إليه طائفة أُخرى من شعر أبى العلاء، بعضها من لزوم

(١) هو أبو زكرياء يحيى بن على بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن بسطام الشيبانى التبريزى ، كان إماما فى النحو واللغة والأدب . أخذ عن أبى العلاء ، وابن برهان ، وعبد القاهر الجرجانى وغيرهم ؛ وأخذ عنه الجواليق والسلفى . وله شروح على الحماسة وشعر المتنبى وأبى تمام . ومولده سنة ٤٢١ (انظر ياقوت وبغية الوعاة) .

(٢) انظر مقدمة التبريزى ص ٣ .

(٣) انظر مقدمة التبريزى .

(٤) هو أبو محمد عبـد الله بن محمد بن السيد البطليوسى النحوى . ولد بمدينة بطليوس سـنه ٤٤٤ وتوفى ببلنسية سـنة ٥٢١ . وبطليوس ، بفتح الباء والطاء والياء وسكون اللام . والسيد ، بكسر السين . قال ابن خلكان : «سكن بمدينة بلنسية ، وكان الناس يجتمعون إليه ويقرءون عليه ويقتبسون منه . وكان حسن التعليم ، جيد التفهيم ، ثقة ضابطا ، ألف كتبا ممتعة » .

ما لا يلزم ، و بعضها الآخر من سائر دواوين أبي العلاء ، كما يصرّح بذلك فى كثير من مواضع الشرح . وقد انفرد البطليوسي من بين الشرّاح بترتيب سقط الزند على حروف المعجم[1] . وفى ذلك يقول[2] : « ورأيت أن ترتيبه على نظم الحروف المعجمة أتم فى الوضع، وأجمل للتصنيف، فاحتجت لذلك أن أزيد فيه ما يفى بالغرض[3] » . ولكنه مع هذه الزيادات التى ضمها قد فاته بعض قصائد من سقط الزند[4] . و يعدّ هذا الشرح أقوى الشروح وأوفاها وأكثرها استيعابا؛ و يقول فيه ابن خلّكان : « وهو أجود من شرح أبى العلاء »

وشرح البطليوسى نادر الوجود . وأوّل نسـخة حفظتها دار الكتب المصرية منه، هى نسخة المغفور له العلامة أحمد تيمور باشا . وهى نسخة سقيمة لم نستطع أن نعتمد عليها فى التحقيق إلا نادرا . وقد استطاعت اللجنة أن تحصل على صور من نسخ ثلاث مجتلبة من تونس، تكرّم مشكوراً بتقديمها إلى اللجنة سعادة الأستاذ حسن حسنى باشا وزير القـلم فى الدولة التونسية . وعلى هـذه النسخ كان اعتمادنا فى نشر نص البطليوسى .

وهذا الشرح يمتاز بكثرة التعرّض للتحقيقات اللغوية والمسائل النحوية، وهو شديد الولوع بالموازنة والمقابلة بين معانى أبى الطيب المتنبي وأبى العلاء . وليس بدعا منـه أن يسرف فى ذلك ؛ فإن البطليوسى قد تصدّى لشرح ديوان المتنبى ،

(١) ترتيب حروف المعجم على طريقة المغاربة بهذا الوضع : أ ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، د ، ذ ، ر ، ز ، ط ، ظ ، ك ، ل ، م ، ن ، ص ، ض ، ع ، غ ، ف ، ق ، س ، ش ، هـ ، و ، ى .

(٢) انظر ص ١٥ من مقدمة البطليوسى .

(٣) وقد زاد فيــه من القوافى قافية الثاء ، والخاء ، والذال ، والشين ، والضاد ، والظاء ، والغين ، والهاء ، من غير سقط الزند ؛ وذلك ليستكمل بها القوافى التى لم ترد فى السـقط .

(٤) انظر القصيدة التاسعة ص ٣٩٠ — ٣٩١ .

فكان لذلك أثره فى استيعابه لشعره ومعانيه. وهو أيضا يلتزم التسجيع فى أكثر عباراته فلا يتنزل إلى التكلُّف ، وإنما يصطنع ذلك فى سهولة ويسر .

(٤) شرح أبى رشاد الأخسيكثى[1]، المتوفى سنة ٥٢٨ ، وقد سماه « الزوائد » . وأشار إلى هذا الشرح ياقوت فى معجم الأدباء، والحاجّ خليفة فى كشف الظنون . وقد ضاع ذلك الشرح فيما فقد من الشروح .

(٥) شرح التنوير، وهو لأبى يعقوب يوسف بن طاهر الخُوَيِّى[2] من علماء القرن السادس الهجرى . وقد فرغ من تأليفه فى المحرم من سنة ٥٤١ ، وذكر فى مقدّمته أنه اطّلع على ما نقله التبريزى من ضوء السقط، فوجده «غير واف بالمقصود، ولا دالّ على الغرض المطلوب». والناظر فى هذا الشرح يُلفى أن أبا يعقوب قد تناول شرح التبريزى نفســه لسقط الزند، بالتهذيب والتنقيح ، وسار معــه فى كثير من المواضع على نهج واحد ، حتى إنه لينقل كثيرا من عباراته كما هى . ولهذا التقارب والتشابه، ولأنه طبع قبل اليوم عدة طبعات، ضَرَبت اللجنة صَفْحًا عن نشره .

(١) هو أبو رشاد أحمد بن محمد بن القاسم بن أحمد بن خديو الأخسيكثى ، الملقب بذى الفضائل . والأخسيكثى : نسبة إلى مدينة « أخسيكث » من فرغانة ، تقال بالثاء و بالتاء . ذكر ياقوت أنه كان «شاعرا أديبا مصنفا كاتبا مترسلا فى دواوين السلاطين» . وذكره السمعانى فى مشيخته . وكانت ولادته فى حدود ٤٦٦ وتوفى بمرو سنة ٥٢٨ .

(٢) الخويى ، بضم الخاء المعجمة وفتح الواو وتشديد الياء : نسبة الى « خــوى » . احدى مدن أذربيجان . ذكره السمعانى فى الورقة ٢١٢ — وقال : «... من أهل خوى سكن طوس ، كان حسن السيرة فاضلا ، كتبت عنه أقطاعا من الشعر بنوقان ، وكان ينوب عن القاضى» . وقال ياقوت فى معجم البلدان : « يوسف بن طاهر بن يوسف بن الحسن الخويى الأديب أبو يعقوب ، من أهــل خوى ، أديب فاضل وفقيه بارع حسن الســيرة رقيق الطبع مليح الشعر مستحسن النظم ، كتب لأبى سعد بإجازة . وقد كان سكن نوقان طوس وولى نيابة القضاء بهــا وحسنت سيرته فى ذلك . وله تصانيف من جملتها رسالة تنزيه القرآن الشريف عن وصمة اللحن والتحريف » .

وقد طُبع هـذا الشرح لأول مرة فى مدينة تبريز سـنة ١٢٧٦ ؛ وعلى حواشيه شرح الخوارزمى المسـمى : « ضرام السقط » . وهـذه الطبعة ينقصها القسم الأول من مقدمة المؤلف ؛ وكذلك شرحه لخطبة سقط الزند . ثم طبع بعـد ذلك فى مطبعة بولاق سنة ١٢٧٦ ؛ ثم فى المطبعة الإعلامية[1] سنة ١٣٠٤ . وهذه الطبعات كلها يشيع فيها الخطأ والتحريف .

(٦) شرح الإمام فخر الدين محمد بن عمـر الرازى[2] صاحب التفسير المتوفى سنة ٦٠٦ ، وقد أشار إلى هذا الشرح صاحب كشف الظنون . وليس لهذا الشرح وجود فى مكتبات العالم العامة ، كما يتضح من مراجعة فهارس « بروكلمان » .

(٧) شرح صـدر الأفاضل قاسم بن الحسـين بن محمـد الخوارزمى[3] المتوفى سنة ٦١٧ . ذكر فى مقدمته أنه قرأ الديوان على ابن المطرزى ، وهذا قرأه على أبيه ، وأبوه قرأه على أبى المكارم الأبهرى الذى رواه عن أبى العلاء . وقـد سمّى شرحه هذا « ضرام السقط » ولم يذكر هذه التسمية ياقوت ولا السيوطى فيما نقله فى البغية عن إرشاد الأريب ، ولكن صاحب كشف الظنون قـد ذكرها ، وهى المثبتة على

(١) ورد اسمها خطأ فى معجم المطبوعات برسم : « الأعلام » .

(٢) كان أحد فقهاء الشافعية ، وتصانيفه تقرب من نحـو مائتى مصنف ، وكان معظما عند ملوك خوارزم ، وبنيت له مدارس كثيرة فى بلدان شتى . وكان مولده سنة ٥٤٣ . انظر ترجمته فى وفيات ٦٠٦ من البداية والنهاية وغيرها .

(٣) كان صدر الأفاضل شاعرا خطيبا جليل القدر . وقد لقيه ياقوت صاحب معجم الأدباء ، وكانت بينهما علاقة وثيقة ، وترجم له فى معجمه ، وذكر أنه ولد سنة ٥٥٥ . وروى صاحب كشف الظنون أنه قتل بيد التتار سنة ٦١٧ . ولم يسجل ياقوت هـذه الوفاة ؛ وذكر أنه أنشده لنفســه بخوارزم فى سلخ ذى القعدة سنة ٦١٦ :

يازمرة الشعراء دعوة ناصح * لا تأملوا عند الكرام سماحا
إن الكرام بأسرهم قد أغلقوا * باب السماح وضيعوا المفتاحا

نسخ الشرح المطبوعة والمخطوطة . وقد فرغ الخوارزمى من تسويده فى سنة ٥٨٧ كما نص على ذلك فى مقدمته .

وهذا الشرح يمتاز بعمق غوصه على أسرار معانى أبى العلاء ، حتى إنه ليغرق فى ذلك إغراقا[١] . كما أنه يمتاز بالتعرض للإشارات التاريخية والإسراف فى سردها ، وعرض كذلك « لقليل من فقه الشافعى وأحاديث النبي وفوائد التفسير[٢] » . وقد أولع بالموازنة بين شعر أبى العلاء وشعر جمال العرب الأبيوردى[٣] المتوفى بعد أبى العلاء سنة ٥٥٧ ، وقد وفق فى ذلك أيما توفيق ، كما أنه يكثر من الالتفات إلى بيان البديع فى شعر أبى العلاء : من التجنيس والمقابلة والإيهام ، وهو يلح فى بيان هذا الأخير إلحاحا عجيبا ، ويعتمد كثيرا فى بيان المعانى والمجازات اللغوية على أساس البلاغة للزمخشرى ، ويسوق كثيرا من عباراته على حال من السجع والازدواج ، حتى إنه ليجتلب ذلك اجتلابا[٤] .

(٨) شرح القاضى شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم البارزى[٥] المتوفى سنة ٧٣٨ ، وقد سمى كتابه « العمدة فى شرح سقط الزند » كما ذكره صاحب كشف الظنون . وهذا الشرح لم نعرف عنه شيئا أكثر من اسمه .

---

(١) انظر ص ٤٢٠ س ١١ . (٢) انظر مقدمة الخوارزمى ص ١٨ .

(٣) هو أبو المظفر محمد بن أحمد بن محمد القرشى الأموى المعاوى الأبيوردى . كان أديبا راوية نسابة شاعرا ظريفا ، قسم ديوانه إلى أقسام منها العراقيات ومنها النجديات والوجديات وغير ذلك ، وكان يستعمل فى شعره لزوم ما لا يلزم . وله تصانيف كثيرة منها تاريخ أبيورد ، والمختلف والمؤتلف . وكانت وفاته بأصبهان سنة ٥٥٧ ، (انظر وفيات الأعيان) .

(٤) انظر تعبيره بالسجع ، عن بعض ما قرأ فى الكتب ص ٤٣٦ — ٤٣٧ .

(٥) هو شرف الدين أبو القاسم هبة الله بن قاضى القضاة نجم الدين عبد الرحيم المعروف بابن البارزى ، قاضى القضاة بحماة . ولد فى سنة ٦٤٥ . أجاز له عز الدين بن عبد السلام ، وكمال الدين بن العديم . وله من التصانيف تفسيران ، وكتاب بديع القرآن ، ومختصر جامع الأصول ، وشرح الحاوى ، وغير ذلك . (انظر التواريخ فى وفيات ٧٣٨ ونكت الهميان ٣٠٢ — ٣٠٣) .

*
* *

هــذه نبذة تاريخية لبيان شروح سـقط الزند، وليست هى كل الشروح التى تصدّت لسقط الزند، ولكنها مبلغ ماوصل علمنا إليه، وأمكننا استخلاصه من التاريخ.

نسخ شروح سقط الزند

فكرت اللجنة مليًّا فى الشرح الذى تبدأ به من شروح سقط الزند، فاتّجه فكرها بادئ الرأى إلى « ضوء السقط » لأبى العـلاء ، ولكنها لم توفّق للحصول عليـه ، ومن ثَمَّ ارتضت نشر شرح التّبريزى مستقلًا، ولكنّها بعد دراسته وجدت أن من الخير أن تضمّ إليه شرحين آخرين عظيمين هما شرح البطليوسى والخوارزمى . وذلك ليجد القارئُ والباحثُ فى اجتماع هؤلاء الشّراح الثلاثة ما يَشفِى غُلّته فى فهم شـعر أبى العلاء، ويُعِينُه على النّظر إليه من مختلف الزوايا، بما يجلّى معانيَه أصدقَ تجلية، ويوضّح مراميَه أتمّ توضيح . وكان من التوفيق أنّ كُلًّا من هؤلاء الشّراح الثلاثة سلك منحًى غير الذى سلك مَنْ قبـله ، واستدرك على ما فاته، بحيث لا يستغنى القارئ بأحدها عن الآخرين، بل لا يجد بدًّا من أن ينظر فى مختلف الشروح، ليحصل على كمال النّفع وتمـام الفائدة .

وقـد اتّصلت اللجنة فى سـبيل ذلك بكثيرٍ من مكتبات أوربا وتركيا للحصول على مخطوطاتٍ أخرى غيرِ التى ظفرت بها ، ولكنّها أُجيبت بأنّ تلك المخطوطاتِ لاتزال فى مخابئها، التى اقتضت حال الحرب أن تُؤويَها إليها . ولكنّ ذلك لم يَثْنِ من عزيمتها فى معالجة ما حصلت عليه من المخطوطات، وتحقيق ما فيها من التحريف، وسدّ ما بها من النقص . وستحاول اللجنة بعد ذلك كرّةً أخرى أن تحصل على نسخ مخطوطة أكثر من تلك التى بين أيديها، بعد ما أذن الله به من انفراج تلك الحرب العاتيـــة .

وقد حصلنا إلى الآن على ثلاث مجموعات من تلك الشروح، وعلى نسخة جيدة من متن الديوان :

المجموعة الأولى ــ مجموعة التبريزى، وهى نسختان :

النسخة الأولى : مخطوطـة عتيقة بدار الكتب المصرية محفوظة برقم (٤٦٩٦ أدب) وبها نقص من أولهـا يبلغ إلى أول البيت ٦٩ من القصيدة الأولى فى ص ١٠٤ من الكتاب . وهـذه النسخة على ما بهـا من تحريف هى المعتمدة عنـدنا فى نشر الكتاب ، وإليها رمزنا برمز (ا من التبريزى) .

النسخة الثانية : مخطوطة ملفقة من عدّة شروح وحواش ، ولكنها وُسمت بأنها شرح التبريزى . وهذه النسخة هى المحفوظة بدار الكتب برقم(١٤٣٤ أدب).وقد اتّضح لنا من دراستها أنها أمشاج من شرح التبريزى ومن شرح التنوير ومن شرح الخوارزمى، إلى تعليقات بعض الناسخين والقارئين . وقد أفدْنا من هـذه النسخة مقدّمةَ التِّـبريزى وشرحه لمقدّمة السقط ، ولخطبة السقط ، كما نقلنا عنها تفسـير القصـيدة الأولى إلى أول البيت ٦٩ على ما فى ذلك من ريب وتخليط ، لنسُـدّ النقص الذى لحـق النسخة الأولى ، كما اسـتضأنا ببعض عبارات هـذه النسخة فى إصلاح بعض النُّصوص التى وردَتْ فيما بعد البيت ٦٩ من القصيدة الأولى . وقد رمزنا لهذه النسخة برمز (ب من التبريزى) .

المجموعة الثانية ــ مجموعة شرح البطليوسى، وهى أربع نسخ :

النسخة الأولى : نسخة كاملة مكتوبة بخط مغربى مائل عسر القراءة ،وهى مصورة مثـل تاليتيها من مخطوطة بالمكتبة التونسية ، وتقع فى أربعة مجلدات وحفظت بدار الكتب المصرية برقم (١٥٨٤٠ز) وقد رمزنا إليها بالرمز (ا من البطليوسى).

النسخة الثانية : نسخة ناقصة من أولها، مكتوبة بخط مغربى مستدير، تبتدئ من حرف الميم إلى آخر الحروف، على طريقة المغاربة فى ترتيب الهجاء . وهى نسخة جيّدة عتيقة، انطمس كثيرٌ من حروفها بتأثير القدم واختلاط مدادها. وتقع فى مجلدين، وقد حفظت بدار الكتب برقم (١٥٨٤٢ ز) وهذه قد رمزنا إليها برمز (ب من البطليوسى).

النسخة الثالثة : نسخة ناقصة من آخرها مكتوبة بخط فارسى، تبدأ من الهمزة وتنتهى بقافية اللام. ويبدو أنها حديثة الخط، وتقع فى مجلدين وقد حفظت بدار الكتب برقم (١٥٨٤٠ ز) وقد رمزنا إليها برمز (حـ من البطليوسى) .

النسخة الرابعة : نسخة المغفور له العلامة أحمد تيمور باشا ، وهى نسخة حديثة كتبت فى سنة ١٣٣١هـ وهى فى مجلدين محفوظين بمكتبة تيمور باشا برقم (٥٩٥ شعر). ولم نلجأ إلى هذه النسخة إلا للاستئناس .

المجموعة الثالثة — مجموعة شرح الخوارزمى . وهى نسختان :

النسخة الأولى : مخطوطة دار الكتب المحفوظة برقم (٦٣ أدب م). وهذه النسخة ذات جداول ذهبية ، ويبدو فيها تأنّق الكاتب، وبهامشها تقييدات مقتبسة من شرح التبريزى وبعض مراجع اللغة . وهى نسخة متوسطة الجودة ، ونرجح أن يكون تاريخ كتابتها فى حدود القرن الحادى عشر الهجرى .

النسخة الثانية : النسخة المطبوعة فى تبريز سنة ١٢٧٦ على هامش التنوير . وهذه النسخة إنما اصطنعناها للاستئناس بها فى بعض المواضع المشكلة .

نسخة الديوان — وهى مخطوطة مجدولة بالمداد الذهبى والأزرق محفوظة بدار الكتب برقم (٤٠٥٣ أدب) وبهامشها تعليقات متناثرة. بعضها مقتبس من شرح التبريزى . وكثيرا ما كنا نلجأ إلى هذه النسخة لتحقيق بعض العبارات المشتركة بينها وبين شرح التبريزى .

نظام التأليف فى شروح سقط الزند

إن ترتيب القصـائد لدى كلٍّ من هؤلاء الشُّرّاح يختلف عن ترتيب الآخر. وقد سبق أن أشرنا الى أنّ البطليوسى قد رتّب الديوان على حروف المعجم المغربية. أمّا التبريزى والخوارزمى فلم يلتزما هذا النظام المعجمىّ فى الترتيب ، وهما مع هذا مختلفان بعض الاختلاف فى ذلك ، كما سيتّضح من الجـدول الذى سننشره فى آخر الكتاب لبيان ترتيب القصائد . ولعل السبب فى ذلك اختلاف طريقِ الرواية عن أبى العلاء؛ إذ أنّ روايةَ الخوارزمى تنتهى إلى أبى المكارم الأبهرى عن أبى العلاء، على حينَ رواه التّبريزى مباشرةً عن أبى العلاء . فلم يكن لنا بُدٌّ أن نعتمِد فى ترتيب القصائد ترتيبَ أقدم الشروح لها وهو شرح التبريزى .

وقد آثرنا أن نستوعب لكلِّ بيت شروحه دَفعةً واحدة. وكان من نيّتنا أن نفصل الشِّعر عن الشرح بفاصل ، ونخالف فى ذلك نظام الأقدمين. ولكنّا رأينا بعد ذلك أنّ بيتًا من الشـعر قد يقتضى شرحُه صفحتين أو ثلاث صفحات ، فتخـلو بعض من الصفحات الشِّعر، وفى ذلك ما لا يقتضيه ذَوق النَّشر .

ووجدنا عند معارضة نصوص المتن بعضَ التخالف فى الروايات ، فعمَدْنا إلى تِبيان هذا الخلاف والنصِّ عليه فى الحواشى ، مُثْبتين فى أكثر الحالات روايةَ التبريزى .

وأحيانًا يهمل أحد الشرّاح أن يتكلّم فى بيت من أبيات الديوان ، فهـذا قد وضعنا له نِقاطًا تدلُّ على خلوّه من الشرح هكذا (... ...) . وقد يجمع بعضُ الشّرّاح البيتين والثلاثة فأكثر ثمّ يتحدّث فيها ، فهذا أيضا قد حافظنا على نهجه ، ولم نجزِّئ شرحَه ؛ لمـا يترتّب على ذلك من قطع ما أراد وصله ، وفَصْلِ ما أراد جمعه ؛ ووضعنا عند البيت الذى سيتناوله الشرح فيما بعد كلمة : «سيأتى» .

وقد اقتضانا تحقيق هـذه الشروح أن نعارض بعضها ببعض ، وأن نرجع إلى مصادر شتّى، لتحقيق النصوص ومسائل اللغة والاشتقاق والنسب والتاريخ والنحو والتصريف وسائر المعـارف ، كما عُنينا بتحرير شواهـد اللغة التى عبِثت بهـا يدُ التّحريف، فرددناها إلى نِصَابها، ونسبناها إلى قائليها .

فهارس الكتاب

قد وضعنا لهـذا الكتاب بأقسامه الأربعة أرقاما متسلسلة لصفحاته من أوّله إلى آخره ، وستتخذ الفهارس مكانَها فى آخر الكتاب، متناولةً القصائدَ والشواهد واللغة والأعلام والبلدان، ثم ما يعنّ لنا بعدُ من أنواع الفهارس .

***

وإنا لنكرِّر الدعوةَ إلى الهيئات الثقافية فى جميع أنحاء العالم على اختلاف لغاتها وأجناسها، أن تمدّنا بما تستطيع إمدادنا به من آثار أبى العلاء؛ لتشارك بذلك فى إحياء ذكراه وفى نشر الثقافة الإنسانية بَلْهَ الثقافة العربية؛ فليس أبو العلاء مهما اختلف الناس فيه، رَجُلَ العُروبة والشّرق فحسب، ولكنّه رجل الإنسانية جمعاء .

لجنة إحياء آثار أبى العلاء

القـاهرة فى { ٢٠ شوّال سـنة ١٣٦٤
٢٦ سبتمبر سـنة ١٩٤٥ }

نمـاذج من مخطوطات الشروح ومصوراتها

وقال [illegible] البسيط الاول والقافية من المتدارك

يا ساهر البرق ايقظ راقد السمر لعل بالجزع اعوانا على السهر

قال ابو العلا يقال برق ساهر اذا سهر عليه من راه وهو من جنس قولهم ليل نائم اي ينام فيه والساهر من البرق الذي لا يهدأ وراقد السمر اي راقد في السمر والمراد به اناس [illegible]

نموذج من نسخة (أ من التبريزى) . انظر ص ١١٤

علّلاني فان بيض الاماني فنيت والظلام ليس بفاني

ان تناسيتما وداد اناس فاجعلاني من بعض من تذكران

قوله علّلاني [illegible]

[illegible]

نموذج من نسخة (أ من البطليوسى) . أنظر ص ٤٢٥ ، ٤٢٦

علّلاني فان بيض الاماني فنيت والظلام ليس بفاني

ان تناسيتما وداد اناس فاجعلاني من بعض ما تذكران

قوله علّلاني [illegible]

يا خليلي ويا صاحبي وانما يفعلوا ذلك [illegible]

[illegible]

نموذج من نسخة (ب من البطليوسى) انظر ص ٤٢٥ ، ٤٢٦



لأبي زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن التبريزي (٤٢١ — ٥٠٢ هـ)

وأبي محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي (٤٤٤ — ٥٢١ هـ)

وأبي الفضل قاسم بن حسين بن محمد الخوارزمي (٥٥٥ — ٦١٧)

مقدّمة التبريزى لشرح سَقْط الزَّند

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

قال الشيخ الإمام أبو زكريا يحيى بن علىّ الخطيب التبريزى، رحمه الله ورضى عنه :

الحمد لله حمد الشاكرين، وصلواته على سيدنا محمد النبىّ وعلى آله الطاهرين .

وبعد، فإنى لمّا حضرت أبا العلاء أحمد بن سليمان (1) التنوخىّ المعرّىّ، رحمه الله، قرأتُ عليه كُتُبًا كثيرة من كتب اللغة ، وشيئا من تصانيفه، فرأيته يكره أن يُقْرَأ عليه شعرُه فى صباه، الملقّب بـ"سقط الزند". وكان يغيّر الكلمةَ إذا قرأتُ عليه شعره، ويقول معتذرا من تأبّيه وامتناعه من سماع هذا الديوان : « مدحت فيه نفسى، فأنا أكره سماعه » . وكان يحثّنى على الاشتغال بغيره من كتبه ، كلزوم مالا يلزم، وجامع الأوزان ، والسجع السلطانى ، وغير ذلك . ثم اتّفق بعد مفارقتى إيّاه أنّ بعض أهل الأدب سأله أن يشرح له ما يُشْكِل عليه من سقط الزّند ، فأملى عليه إلى الدِّرْعيّات .

وكان قد لَقّب هذا الديوان بـ"سَقْط الزَّنْد"؛ لأن السَّقْط أوّل ما يخرج من النار من الزند ، وهذا أوّل شعره وما سمح به خاطره ، فشبهه [به] (2)، وما أملاه فيه سمّاهُ "ضوء السقط". غير أنه وقع فيه تقصير من جهة المستملى؛ وذلك أنه استملى [معنى] بعض أبياتٍ منه، وأهمل أكثر المُشْكِلات، وإذا استملى معنى بيت

(1) كذا، بإدراج اسم والده . (2) تكملة يقتضيها السياق .

لم يَسْتَقْصِ به البحثَ عن إيضاحه، فجاء التفسير كأنه لُمَـعُ[1] شىّ، لم يَشْفِ الغليلَ، ولا يعرف من البرض إلا القليلَ[2].

وشعره كثير فى كل فنّ. وميلُ الناس على طبقاتهم: من شاعر مُفْلِق، وكاتب بليغ، إلى هـذا الفن أكثر، ورَغْبَتُهم فيه أصدق. وهو أشـبه بشعر أهل زمانه مما سـواه؛ لأنه سَلَك فيه طريقةَ حَبيبِ بن أَوْس الطائىّ، وأبى الطَّيِّب المتنبّى، وهما هما فى جزالة اللفظ، وحسن المعنى.

وأظهر المعجز فى دِرْعياته، غير أنه لم يتفق أن تعرّضَ بنفسه لِشىءٍ منها[3].

ورأيت جماعة من وُجوه الكتّاب والرؤساء من أهل الأدب وعيون النـاس، يرغبون فى شرح ما أهمل من أبياته، وإيضاح مشكلاته، فاستعنت الله عزّ وجلّ على شرحه، من أوّله إلى آخره. وأوردتُ ما ذكر شيخنا أبو العلاء، رحمه الله، من ضوء السقط فى مواضعه، ثم أوضحت مشكلاته، وذكرت معانيه، غيرَ سالكٍ طريقة أبى الفتح عثمان بن جِنّى، فى فَسْره شعرَ أبى الطيب: فى الإكثار من الاستشهادات، وذكر اللغة الغريبة[4]، دون إيراد المعانى، مما لا بد منـه، وما يفيد قاريه، إذا نظر فيه[5]. فخير الشروح ما قلّ ودلّ، ولم يَطُلْ فيُمَلّ. وعليه التُّكْلان.

المقدّمة التى قدّمها أَمامَ السقط

قال أبو العـــلاء:

قـد علم الله، جلّت عظمتـه، أنّ أحبَّ الكلام إلىّ ما ذُكر به الله، عزّ سلطانه، وأُثنى به عليه. وإذا تكلمتُ بكلمةٍ لغيره، عددتها من غَبْنٍ وغَبَن، تزيد

(١) اللمع: جمع لمعة (بالضم)، وهى قطعة من النبت أخذت فى اليبس.

(٢) البرض، بالتسكين: القليل من الماء. وفى الأصل: «لا يعرف من الفرض».

(٣) فى الأصل: «لم يتفق من يتعرض لنفسه شىء منها».

(٤) فى الأصل: «العربية». (٥) فى الأصل: «نظرت فيه».

الغُصْنَ الشائك من الأَبَن . وأنا شيخ مكذوب عليه ، يظنّ بعض العامة أنى من أهل العلم، وأنا من الجهالة نظير الحلْم؛ ويخالنى ديِّنا، ولم يزل تقصيرى مبيِّنا؛ ويحسبنى نفرُّذا يسار، وإن قضّيت الزمن بالإعسار . وأقلّ ما يلحقنى من ذلك أن يلتمس منّى الأضعف فَعال الغنىّ، وإذا ظهرت المَعْجَزة وصفنى بلئيم دنىّ . وإذا نطقتُ بألفاظ ليست لله فإنما أنا كما قيل فى المثل : «مكره أخوك لا بطل» . هذا أوانَ الشبيبة، فكيف إذا أخلقنى العصرُ إخلاق السبيبة ! و « ربّ كلمة تقول دعنى » ، و « السيل يضطرك إلى المَعْطَشة » .

ولزمت مسكنى منذ سنة أربعمائة ، مُعْمِلا أنى لا أرسل فيما يتصل بكلام العرب بنتَ شَفة ، وبُليت بنُوبٍ ليست بالمنكشفة . ومُدّ العمر فكأنما سِنُوه السُّمُر، ويُعدَم عنده الثمر، وإنما يجود بدَبّى ليس بطائل، لا يسمح بقوت العائل . وطرقنى رجلٌ بعد رجل، كلهم يلتمس منى أدبا، أو يحسب أنّى مِمعان[1] نشبا . فكان من آخر وارد علىّ، أبو عبد الله الأصفهانِىّ، غرّه أحاديث بعض العامة، فلقى من الأسفار كُلَفا[2]، فأصابنى قد راهقت تَلَفا؛ وعرّفته أنّ غيرى أولى بالقصد، والمُجدِب[3] يقنع من الناقة بالفصد، كما قال القائل :

وقد يترك العُذْرَ[4] الفتى وطعامُه ... إذا هو أمسى جُلُّه فى دم الفصد

واجتهدت فى النصيحة فلجّ ، والمثل السائر : " لجّ[5] صاحبُك فحُجّ " .

وأبو عبد الله لم يحجُج أم رُحْم، ولكنه اتصل بدماغٍ محجوج، كما قال أبو ذؤيب :

(١) المِمعان : مفعال، من أمعن فلان، إذا كثر ماله . وفى الأصل : «معان» .

(٢) فى الأصل : « نصبا » ، وصوابه ما أثبتنا من الشرح التالى .

(٣) المجدب : الذى أصابه الجدب . وفى الأصل : « المجذب » .

(٤) أى يدع الاعتذار لطالب معروفه؛ ولو كان هو من الحاجة والعوز بمكان .

(٥) أى نازعك فغلبك بالحجة ؛ وقيل معناه أن رجلا خرج يطوف فى البلاد فاتفق حصوله بمكة فحج من غير رغبة .

وصُبَّ عليها المِسكُ حتى كأنّها أسىٌّ على أمِّ الدماغ حَجيجُ [١]

ولم يمكّنى الزمن أن أُعينه على السفر . فلما رضِى بكدّ [٢] المُغفَر، استخرت [٣] الله عظُم سلطانه ، فى إقراء [٤] أشياء كثيرة . وسألنى أن أشرح له ما يستعجم عليه من الكتاب المعروف بسَقط الزَّند، فأجبته إلى ما سأل، وقد شهد الله — وكفى به — أنّى حسير طليح [٥] ، أُشفق من الأخطاء وأُلِيح .

ذكر ما فى المقدّمة من غريب

الغَبْن [٦]، فى الشراء والبيع، يقال: غبنته أَغبِنه غَبْنا . والغَبَن، فى الرأى. والغصن الشائك : الكثير الشوك . والأُبَن : جمع أُبْنة، وهى العُقدة . والحِلْم [٧] : الصديق. ومعنى قوله "من الجهالة نظير الحِلم [٧]"، أى الناس يظنون أنى من أهل العلم، حين كأنى خالمت الجهل، لاشتماله [٨] علىّ .

وقولهم فى المثل : " مكره أخوك لا بطل " أصله أن نعامةَ، واسمه بَيهس ، لمّا قُتل إخوتُه قال لخاله أبى حَنَش : اخرج بنا إلى موضع كذا وكذا، فإنى رأيت ظباءً، وكتمه ما يريدُه، وهو يريد الموضع الذى قتلةُ إخوته فى غار [فيه]. ثم مضى

(١) الرواية فى نسخة الشنقيطى من ديوانه : «عليها الطيب» . عليها ، أى على المرأة . والأسى، كغنى : المداوى، يقال: أساه يأسوه أسوا : إذا داواه. وأم الدماغ : الجليدة الرقيقة التى تجمع الدماغ . يقول : كأن الطيب الذى عليها دم هذا الأسىّ .

(٢) الكد : نزع الشىء باليد . والمغفر، سيأتى تفسيره . وفى الأصل : «بكل المستغفر» تحريف .

(٣) استخرت ، من الاستخارة ، وهى طلب الخيرة . وفى الأصل : « استغفرت » .

(٤) فى الأصل : « أن قراء » . (٥) فى الأصل : « الى خبير طريح » .

(٦) فى الأصل : « الداى » . (٧) الخلم ، بكسر الخاء المعجمة ، وقد وردت هنا فى المتن بالمهملة محرفة . (٨) فى الأصل : « لاستمالته » .

إلى الذين يطلبهم بذَحْلٍ[1] فهجم عليهم بجأة ، ثم قال : إيهًا أبا حنش ! فلما رأى أبو حنش أنه وقع فى بليّة جعل يذُبّ عن نفسه و يقاتلهم. فقال الناس: ما أشجعه حيث أقدم على هؤلاء ! [فقال] : "مكره أخوك لا بطل" .

والسِّبيبة : مثل السِّبّ، وهو الخمار، وقيل العمامة، ومنه قول الشاعر[2] :

فهم أَهَلاتٌ حولَ قيسِ بن عاصمٍ ... يَحُجُّون سِبَّ الزِّبرقانِ المزَعْفَرا[3]

يعنى عمامته . وكانت سادات العرب تصفِّر عمائمها. والسِّب، أيضا: الذى يسابّك . قال الشاعر[4] :

لا تَسُبَّنَّنِى فلسـتَ بِسِـبِّى ... إن سِبِّى من الرِّجال الكريمُ[5]

والسِّب . أيضا : الحبل ، بلغة هذيل . قال أبو ذؤيب ، يصف مُشتار العسل، وقد تدلّى على صخرةٍ بحبل قد شدّه على وتد ليأخذ العسل :

تدلّى عليها بين سِبٍّ وخَيطةٍ ... بجرداء مثلِ الوَكْفِ يكبو غرابها[6]

الخَيطة : الوَتِد . والسِّب : الحبـل . والوكف : النِّطع ، شبّه الصخرة به لملاستها .

---

(١) الذحل : الثأر . وفى الأصل : «بدجل» .

(٢) هو المخبل السعدى ، كما فى اللسان (سبب ، أهل) .

(٣) الأهلات : أحد جموع أهل ، وهم عشيرة الرجل وذوو قرباه . وقيل : «يحجون سب ... الخ» ، أى يطلبون الاختلاف اليه لينظروه . وهذا ملفق ؛ فإن عجز صدره هو : «إذا أدلجوا بالليل يدعون كوثرا» وصدر عجزه هو : « وأشهد من عوف حلولا كثيرة » . انظر اللسان وسمط اللآلى ص ١٩١ .

(٤) هو عبد الرحمن بن حسان ، يهجو مسكينا الدارمى .

(٥) فى الأصل : « فلا تسبينى ... إن سبى » محرف . وتصحيحه من اللسان .

(٦) أنشده صاحب اللسان فى (سبب ، خيط ، وكف) .

وقوله : "ورب كلمة تقول دعنى"[١] . ذكروا أن ملكا من ملوك حِمْيَر كان متصيّدا، ومعه نديم له كان يقرّبه ويُكرمه، فأشرف على صخرة ملساء ووقف عليها، فقال له النديم : لو أنّ إنسانا ذُبح على هذه الصخرة إلى أين كان يبلغ دمه ؟ فقال الملك : اذبحوه ليبصر دمه إلى أين يبلغ، فذبح عليها . فقال الملك : « رب [كلمة] تقول دعنى » .

والسَّمُر : شجر له شوك ولا ثمر له . وقوله : "يجود بدبّى"، من قولهم : أدبى الرِّمث، وأدبى الشجر يُدبى إدباء، إذا أظهر ورقه فى أول ما يُورق، وما يظهر منه فهو الدَّبَى، كما يقال : أجنى الشجر يُجنى إجناء، إذا ظهر ثمره . والمراد أنّ السمُر الذى ليس فيه غير الشوك والورق، لا منفعة فيه . والعائل : ذو العيال . والعائل : الفقير . والعائل : المتبختر . ومنه قول الشاعر[٢] :

* [كالمَرْزُبانِىّ][٣] عَيَّالٌ بآصالِ[٤] *

ويروى : "كالمَزْبَرانى"[٥] من قولهم : أسد مُزْبِر، أى عظيم الزُّبرة . والنشب : المال . والكُلَف : جمع كُلْفة .

---

(١) نص الميدانى : « رب كلمة تقول لصاحبها دعنى » .

(٢) هو أوس بن حجر من قصيدة فى ديوانه (ص ٢٣) . والبيت بتمامه :

ليث عليه من البردىّ هبرية ... كالمرزبانى عيال بأوصال

(٣) تكملة يقتضيها السياق . (٤) الآصال : جمع أصل، وهذه جمع أصيل . وهذه الرواية أيضا فى المعرب للجواليقى وتاج العروس (٨ : ٤١) . ويروى : «عيال بأوصال» . ويروى : «عيار بأوصال»، أى يذهب بأوصال الرجال إلى أجمه . قال ابن منظور : والمشهور فيمن رواه «عيال» أن يكون بعده بآصال؛ لأن العيال المتبختر، أى يخرج العشيات، وهى الأصائل، متبخترا . ومن رواه : «عيار» بالراء قال الذى بعده : بأوصال .

(٥) الزبرة، بالضم : شعر مجتمع على موضع الكاهل من الأسد وفى مرفقيه . وكلمة : « مزبر » كذا وردت فى الأصل والقاموس بالضبط الذى أثبتناه . وقال الزبيدى فى شرح القاموس : هو وهم والصواب « مزبرانى » .

وقوله : « راهقت تلفا »، من قولهم : رهقت الرجل وأرهقته . والمجدِب : الذى وقع فى الجدب . وكانوا يفصدون النُّوق فى الجدب و يستقبلون موضعَ الفصد برأس مِعًى، فإذا امتلأ شدُّوا رأسه وشَوَوه وأكلوه ضرورة .

وجاءت امرأة إلى حاتم الطائى[1] بناقة وقالت : افصد لى هــذه الناقة . فأخذ حاتم شفرةً ولَبَّها[2] فى نحرها، وقال : «هذا فَزْدى أَنَهْ»، أى هذا فصدى أنا، وكان حاتم أسيرا فيهم . فلما جاءه الفِداء أعطاها ناقتين بدل ناقتها .

وأمّ رُحْم: مكة . وأصل الحج: القصد . يقول: أبو عبد الله لم يحجج إلى مكة وإنما قصدنى، وكأنه يمارس منى جرحا محجوجا؛ لضعفى وانتهاء[3] سنى. ويقال: جرح محجوج، أى مُصلَح مداوًى . قال الشاعر[4] :

يحجّ مأمومــةً[5] فى قَعْــرِها لَجَــفٌ فاسْتُ الطّبيب قذاها كالمغاريدِ

اللجف والنجف : الغور . المغاريد : جمع مُغْرود، وهو ضرب من الكمأة .

وقوله : «فلما رضى بكدّ المِغفَر»، أى لمـّا رضى بما عندى من الأدب، كأنه استقل ماعنده، وكانت هذه طريقته . والمِغفر والمُغْفور[6]، مثل المِغثر والمُغْثور، وجمعه مغاثير ومغافير، وهو شيء من الصمغ يؤكل فى الجَدْب، ومنه المثل : « هذا الجَنَى لا ما يُكَدُّ المغفر »[7] . والحسير والطليح : المعيى[8] . وأُلِيح : أُشفق .

(١) وكذا جاءت نسبة المثل فى الحيوان (٤ : ٢٧٣) . ونسب إلى كعب بن مامة فى أمثال الميدانى .

(٢) اللب : الطعن . وفى الأصل : « كبها » محرفة . (٣) فى الأصل : «وانتهك» .

(٤) هو عذار بن درة الطائى، كما فى اللسان (حجج، غرد، لجف) .

(٥) المأمومة : الشجة تبلغ أم الدماغ . وفى الأصل : « ملومة » محرف .

(٦) فى الأصل : « والمغفر » .

(٧) انظر المثل فى اللسان (غفر) وأمثال الميدانى .

(٨) فى الأصل : « والحسير والمعى والطليح المعى » .

خطبة سقط الزند

أما بعد، فإنّ الشعراء كأفراسٍ تُتابعن [فى مدًى]، ما قصّر منها سُبِق، وما وقف لِيمَ ولُحِق[١] . وقد كنت فى رُبّان الحداثة وجِنّ النشاط مائلًا فى صَغْو القريض ، أعتدّه بعض مآثر الأديب ، ومن أشرف مراتب البليغ ؛ ثم رفضته رفضَ السَّقْبِ غِرْسه، والرَّأْلِ تَريكته، رغبةً عَنْ أدبٍ معظمُ جيِّده كذب، ورديئه ينقص ويجدب. وليس الرِّىّ عن التشافّ . وتُعْلِمك بجَنَى الشجرة الواحدةُ من ثمارها ، و يدلُّك على خُزَامَى الأرض النَّفحةُ من رائحتها . ولم أُطرُقْ مسامع الرؤساء بالنَّشيد، ولا مدحتُ طالبًا للثواب ، و إنّما كان ذلك على معنى الرياضة وامتحان السُّوس .

فالحمد لله الذى ستر بغُفّةٍ مِنْ قِوام العيش، ورزق شُعبةً من القناعة أوفَتْ [بى][٢] على جزيل الوَفْر . وما وُجد لى من غُلوٍّ عَلِق فى الظّاهر بآدمىّ، وكان ممّا يحتمله صفاتُ الله تعالى[٣]، فهو مصروفٌ إليه[٤]، وما يصلح لمخلوق[٥] سلَف [من قبلُ][٦] أو غَبَر، أو لم يُخْلَق بعد، فإنه مُلحَقٌ به . وما كان محضًا من المَيْن لا جهة له فأستقيل الله سبحانه وتعالى العَثْرَةَ فيه . والشِّعر للخلَد، مثل الصورة لليد، يمثّل الصانعُ مالا حقيقة له ، ويقول الخاطرُ مالو طُولِبَ به لأنكره . ومُطلَقٌ فى حكم النَّظم [دعوى][٦] الجبان أنه شجيع ، ولُبْس العِزهاةِ ثياب الزِّير، وتَحَلِّى العاجزِ بحِلية الشَّهم الزميع . والجيِّد من قِيلِ الرجُل و إن قلّ ، يغلب على رديئه و إنْ كثُر، مالم يكن الشِّعر له صناعة، ولفكره [مَرِنًا و][٧] عادة . وفى هذه الكلمات جُمَلٌ يدلُّلن على الغرض . والله أستغفر، و إياه أسأل التوفيق .

---

(١) فى الضرام : «ماقصر منها لحق وما وقف ليم وسبق» . وفى التنوير: « ... لحق، وما وقف ذيم وسبق » والذام : العيب . (٢) التكلة من الضرام . (٣) فى الضرام والتنوير : « الله عز سلطانه » . (٤) فى الضرام فقط : «فهو فى الحقيقة مصروف إليه» .

(٥) فى الضرام والتنوير : « وما صلح » . (٦) التكلة من الضرام والتنوير .

(٧) التكلة من الضرام والتنوير . والمرن، ككتف : العادة .

ذكر ما فيها من الغريب

المدى : الغاية . ورُبّان الحداثة : أوّل الشباب[1] . قال الشاعر[2] :

و إنمـا العيشُ بِرُبّانِـهِ   وأنت من أفنانه مفتقِرْ[3]

وكذلك عُنفُوانه وغَيْسانه . وجِنّ النشاط : هيجانه ؛ ومنه يقال : جُنّ النبات ، إذا هاج . وقال الشاعر[4] :

بهَجْلٍ من قَسًا ذَفِرِ الخزامَى   تداعَى الجِربِياء به الحنينا[5]

تَفَقَّأَ فوقـه القَلَعُ السَّوارِى   وجُنّ الخـازِبازِ به جُنـونا

هَجْل : مطمئنّ من الأرض . وقَسًا : موضع . وذَفِر : طيّب الرائحة . والذفَر من الأضـداد : الطِّيب ، والنَّتْن . والدَّفْر (بالدال وسكون الفاء)[6] : النتن لا غير ؛ ومنه قيل للأَمة : يادَفارِ ، وقيل للدنيا : أمُّ دَفْر . هذا الذى ذكره العلماء . وذكر أبوالعلاء فى كتابه [الموسوم][7] بـ"استغفر واستغفرى" أنّه لو قيل للدنيا : أمّ دفر ، للدَّفْع — وهى تدفِرُ أهلها ، أى تدفعهم — لكان وجها حسنا . والجِربِياء : الشَّمال . والقَلَع : السحاب العِظام . والخازباز ، هاهنا : نبت ، وقيل بل هو حكاية غناء الذباب .

وأمّا قوله :

رَعَيْتهـا أكْرَمَ عودٍ [عُودا][8]   الصِّلَّ والصِّفِصِلَّ واليعضيدا

والخازِبازِ السَّـنِمَ المَجُودا   بحيثُ يدعو عامرٌ مسـعودا

(١) فى الأصل : «أوله» . وأثبتنا ما فى التنوير .

(٢) هو ابن أحمر ، كما فى اللسان (ربب) والتنوير .

(٣) الافتقار : الاستخراج . ويروى : « معتصر » كما فى اللسان ، أى آخذ .

(٤) هو ابن أحمر ، كما فى اللسان (جنن) والحيوان (٣ : ١٠٨ — ١٠٩) .

(٥) فى الأصل : «به حنونا» محرف .   (٦) فى القاموس أنه بالتحريك ويسكن .

(٧) بمثل هذه الكلمة يتم الكلام .   (٨) التكملة من اللسان (صفصل) و (صلل) . والرجز أيضا فى اللسان مادة (خوز) وصدر أوله فى هذا الموضع فقط : « أرعيتها » .

فالخازِ باز : نبت ، وكذلك الصلّ ، والصفصلّ ، واليعضيد . والشيِّم : البارد ، ويروى : « السَّنِم » وهو العالى . والمَجُود : الذى أصابه الجَوْد من المطر . وقوله : « بحيث يدعو عامر مسعودا » ، عامر ومسعود : راعيان . يقول : كثر النبات فى هذا الموضع ، فإذا غاب أحد الراعيين عن صاحبه لا يعرف موضعَه إلّا أنْ يناديه ، فإذا سمع صوته عرف مكانه . والخازِ بازِ أيضا : داء يأخذ الإبل فى حلوقها . قال الراجز :

يا خازِ بازِ أرسل اللَّهـازِمَا إنِّى أخافُ أن تكون لازمَا

اللهازم : جمع لهزمة ، وهى تحت الأذن عند الحلق . وخاز باز مبنيّة على الكسر ، وفيها لغات أُخَرُ[1] ليس هذا موضعها . وصَغْو القريض : ميله ؛ يقال : صِغوه معك وصَغوه وصَغاه . والقريض : الشعر ، وهو فعيل بمعنى مفعول ؛ ويقال : قرضت الشعر أقرِضه قَرْضًا ، أى قطعته من الكلام . وأنشدنى الرَّقّ[2] :

أرجزًا تريدُ أمْ قريضَا أمْ هكذا بينهما تعريضَا

* كلاهُما أُجيدُ مستريضا[3] *

والسَّقب : ولد الناقة فى أوّل ما تضعه أُمّه إذا كان ذكرا ، فإذا كان أنثى فهو حائل ؛ والحُوار ، يجمعهما جميعا . والغِـرْس : الجلدة الرقيقـة التى تخرج على الولد إذا خرج من بطن أمه . قال الراجز[4] يصف إبلًا يجهضْن أولادَهنّ فى الطريق :

يَـتْرُكْنَ فى كلِّ مُنـاخٍ أَبْسِ كُلَّ جَنينٍ مُشْعَرٍ[5] فى الغِـرْسِ

---

(١) يقال أيضا : خزباز كقرطاس ، وخازباز بفتح الزاءين ، وبضم الثانية ، وبضم الأولى وكسر الثانية ، وبعكسه ، وخاز باء كقاصعاء ، مثلثة الزاى ، وخزباء كحرباء ، وخاز باز بضم الأولى وتنوين الثانية مضافة .

(٢) الرجز لحميد الأرقط ، كما فى اللسان (٩ : ٢٦) . ونسبه الجوهرى للأغلب العجلى .

(٣) مستريضا : واسعا ممكنا . وفى الأصل : «أجد» محرف .

(٤) هو منظور بن مرثد الأسدى ، كما فى اللسان (أبس) .

(٥) المشعر ، بصيغة اسم المفعول : الذى قد نبت عليه الشعر .

مُناخ أبس: شديد . ويروى « إبس »[1] . ويروى: « كلّ مُناخ إنِس» بالإضافة، أى فى كلّ مُناخ ناسٍ . والرَّأل : فرخ النعامة . والتريكة : البيضة التى تتفقأ عنه فيخرج منها . وتريكة، فى معنى متروكة، وهى التَّرْكة[2] أيضا . وبيضة الحديد سمِّيت تريكة وتركة . هذا الذى ذكره ابن دريد . ووجدت فيما أملاه أبو العلاء أن التريكة[3] موضع بيضها إذا خرجت الفراخ من البيض . ويَجدِب : يَعيب؛ ومنه: يقال عن عمر رضى الله عنه أنّه جَدَب السَّمَر[4]، أى عابه . والتشاقّ، وأصله التشافف، أى ليس الرىّ أن تشتفّ جميع ما فى الإناء . وجَنَى الشجرةِ : ما يظهر من ثمرها . والخزامى : نبتٌ له رائحة طيبة . والسوس : الطبيعة ، وكذلك التوس[5] . والغُفَّة والبُلْغة من العيش واحد . والعرب تسمى الفارة غُفَّة السّنّور، لأنّ السنّور يتبلّغ بها . قال الشاعر:

يُديرُ نَهارًا بِحَشْرٍ لَهُ[6] كَما عاجَ الغُفَّةَ الخَيْطَلُ

النهار : فرخ الحُبارَى . والحَشْر : سهم له قُذَذ، وقيل: عصا خفيفة . والخيطل : ذكر السنانير . يصف صبيًّا قد أخذ فرخ الحبارى وشدّه على حَشْر له يديره ويلعب به كما يلعب السنّور بالفارة .

والمين : الكذب . والخَلَد : القلب . والشجيع : ضدّ الجبان . ويقال: رجل عِزْهاةٌ وعِزْهاءة وعِزَهٌ وعِزْهوٌ وعِنْزَهوةٌ[7]، ويقال: عِزْهىً على فِعْلىً، وعِزهاء

(١) فى القاموس : « الأبس : الجدب والمكان الخشن ، ويكسر » . وفى الأصل : « أليس » محرّف . (٢) فى الأصل : « التريكة » محرّف .

(٣) فى الأصل : « التركة » وأثبتنا الصواب من هامش الضرام نقلا عن إملاء أبى العلاء . وزيد عليه هذا التعليق : « وهو راجع إلى هذا المعنى لأن النعامة تترك موضع بيضها » . وهذا التفسير لم نجده فى المعاجم . (٤) النص فى اللسان : « جدب لنا عمر السمر بعد عتمة » .

(٥) فى اللسان (مادة توس) : « التوس : الطبيعة والخلق » . وفيه : « ... جعل يعقوب تاء هذا بدلا من سين سوس » . (٦) فى الأصل : « يريد » صوابه فى اللسان . وفى رواية اللسان : « يجش له » . (٧) فى الأصل : « وعزه وعزهاة وعزه وعزهوة » ولعل الصواب فيما أثبتنا .

ممدود، وعِزْهَى مقصور، وعِزهاةٌ بالهاء الأصلية، وعُنْزُهانىّ (١)، إذا كان لا يحبّ ذِكْر النساء. ويقال فى ضدّه: رجل زِيرُ نساء، وطِلْب نساء، وخِلْب نساء، وخِدْن نساء، وخِلم نساء، [وتِبْع نساء] (٢)، إذا كان يزورهنّ ويطلبهنّ ويخلبهنّ [ويخادنهنّ] ويخالمهنّ ويتبعهنّ. والخِدن والخدين: الصديق، كذلك (٣). والشهم: الحديد الفؤاد. والزميع: المقدم على الأمور، والاسم الزَّماع.

(١) هذه الكلمة عن القاموس فقط، وبها تتم اللغات. وفى الأصل: «وعزه» وهو تكرار.
(٢) أثبتنا هذه الكلمة لتتم المقابلة.
(٣) فى الأصل: «وكذلك». والواو مقحمة.

مقدّمة البطليوسى لشرح سقط الزند

بسم الله الرحمن الرحيم

صلّى اللهُ على سيّدنا محمدٍ وآله وسلّمَ

قال الأستاذ الأجلّ أبو محمد عبد الله بن محمد بن السِّيد البَطَلْيَوْسيّ: سألتنى — وَاصَلَ الله لديك نَوامِيَ النِّعم، وبلّغك أقاصيَ الهِمم — أنْ أشرح لك سقط الزند من شِعر أبى العلاء المعروف بالمعرّى، وذكرتَ أنّك قرأتَ ضوءَ [سقْط] الزند الموضوع فيه، فلم تجده مستوفيًا لجميع معانيه، ورجوتَ أنْ تجد عندى ما يوافق مُرادَك، ويطابق اعتقادك. ولعمرى إنه لشعرٌ قويّ المبانى، خفيّ المعانى؛ لأنّ قائله سلك به غير مسلكِ الشُّعراء، وضمّنه نُكَتًا من النِّحل والآراء، وأراد أن يُرِيَ معرفَته بالأخبار والأنساب، وتَصرُّفَه فى جميع أنواع الآداب، فأكثر فيه من الغريب والبديع، ومَزَجَ المطبوع بالمصنوع، فتعقّدت ألفاظه، وبَعُدت أغراضه. وقد أجبتُك إلى ما سألت، وكتبتُ لك من شرحه ما رغبت.

ورأيتُ أنّ ترتيبه على نظم الحروف المعجمة أتمّ فى الوضع، وأجملُ للتصنيف، فاحتجت لذلك أن أزيد فيه ما يفى بالغَرض، وأن أستغفر الله من زُورٍ يعين على تحسين أمره، وساعاتٍ نقطعُها بغير ذكره[1]؛ إنه غافر السيئات، وساتر الهفوات، لا ربَّ غيره.

(١) كذا فى الأصل.

بسم الله الرحمن الرحيم

عليكم بحمد الله فإنه يسوقكم إلى التوفيق ، ويعلّق آمالكم بذيول التحقيق ؛ ويُفيض عليكم نعماً تُناغى البُغْية ، ويَشِف من طيّها درك المُنْية ؛ والصلاةِ على نبيّه أبى القاسم ، وعلى آله خيار بنى هاشم ؛ فإنّها ترحَضُ نفوسكم من الدَّرَن ، وتلفّكم والرِّضوانَ فى قَرَن .
٥

وبعد ، فإنّ طائفة من أهل العلم قد قَرَعوا مِسْمَعى غير مرة ، بالتماسهم إلىّ أنْ أشرح لهم "سقط الزند" ، المنسوبَ إلى السّلَف الفاضل أبى العلاء أحمد بن عبد الله ابن سليمان المعرّى رحمه الله ؛ لأنّ ماء الفصاحة هَمَى من مبانيه ، ورونقَ البلاغة مَشَى على معانيه ، وبهجةَ الصّنعة صافحت بعضَ قوافيه ؛ مع انطوائه على كلّ نكتةٍ من العلوم ، ولُمْعةٍ هى كالسرّ المكتوم . فشرحتُ فيه من مفردات اللّغة والأبنية والاشتقاق ، ومسائل الإعراب والتصريف ، وأوردتُ من التراكيب المستعملة فى كلامهم ، ومحاسن علمَي المعانى والبيان ، وألقاب العروض والقوافى ، ونُتَف التواريخ والحكايات ، وأنساب العرب ، والأنواء ، والرموز الحِكَميّة ، وشيءٍ قليل من فقه الشافعى ، وأحاديث النبىّ ، وفوائد التفسير ، ماعسى أن يُشكل عليهم ، ولم يُلْقَ حلُّ معقوده إليهم . ثمّ توخّيت أن أتكلّم فى كلّ مسألةٍ بأخصرِ كلام ، وأشكله بالتقريب والإفهام ، وأنْ أقتنع من كلّ حكاية طويلةٍ بالفِقْرة الصائبة حَدَقةَ المقصود ، واللمحة الدالّةِ على المعنى المنشود ، إلّا فى عدّة مواضع لغرض ، فأقول وبالله التوفيق :
١٠
١٥

فصـــــل — يقول الإمام العـلامة النحرير، مولانا مجد الملة والدين، صدر الأفاضل، عمدة الإسلام، أفضل الأنام، صاحب علمى المعانى والبيان، فخر الشرق والغرب، أبو الفضل قاسم بن حسين بن محمد الخوارزمى، وَسَمَ الله عزّ وجلّ مساعيه بالنجاح[(١)]: أنشأت هذا الكتاب وأنا أقتدح زَنْدًا غيرَ شحّاح، ووسمْته بـ"ضِرام السّقط فى شرح السقط". وقد هيّأ الله الفراغَ من تسويده، بعد ما تَمَصَّرتُ صِباىَ فى تفصيل فريده[(٢)]، فى أوائل المحرّم الواقع فى سنة سبعٍ وثمانين وخمسمائة، والشمس فى الدرجة الحادية والعشرين من الدّلو، وكان ذلك بسمرقند، أعادنا الله إليها .

فصـــــل — أخبرنا بمتن هذا الديوان الأستاذ البارع برهان الدين أبو المظفّر ناصر بن أبى المكارم المعروف بابن المطرِّزىّ[(٣)] قراءةً عليه، قال: أخبرنا الفاضل الكامل الوالد الزاهد شهاب الدين أبو المكارم عبد السيِّد بن علىّ المطرِّزىّ قراءةً عليـه، قال : أخبرنا الشيخ الرئيس أبو المكارم الأبهرىّ قراءةً عليه، قال : أخبرنا الفاضل أبو العلاء وهو المنشئ، رضوان الله عليهم أجمعين .

فصـــــل — فى شرح آسم هـذا الديوان . سمّاه بسقط الزّند، لأنّ السقط ما يسقط من الزند عنـد القَدْح، ولا يكاد يخرج من الزّند إلّا بتكلُّف شـديد . والزند، هاهنا، مجاز عن الطبع . وهـذا الديوان أوّل شعرٍ لفَظَه طبـعُه فى غُرّة عمره، وهو قليل متكلَّف بالإضافة إلى بقية شعره .

---

(١) واضح أن اصطناع هـذه الألقاب ليس من كلام الخـوارزمى ، وإنما هو من زيادة بعض تلاميذه أو ناسخى كتابه .

(٢) أى أنفقت صباى فى ذلك . وأصل التمصر : الحلب بأطراف الأصابع الثلاث . وفى الأصل : « تعصرت صباى » ولا وجه له .

(٣) هو أبو الفتح ناصر بن أبى المكارم عبد السيد بن على المطرزى، الفقيه الحنفى النحوى الأديب، وكان رأسا فى الاعتزال ، وله عدّة تصانيف، منها شرح المقامات . ولد سنة ٥٣٨ بخوارزم وتوفى بها سـنة ٦١٠، ورثى بأكثر من ثلثمائة قصيدة . والمطـرزى ، بضم الميم وفتح الطاء المهملة وتشـديد الراء وبعدها زاى، نسبة إلى من يطرز الثياب ويعلمها . الوفيات (٢ : ٢٢٣) .

شـــرح الخطبـــة

الحمد لله رب العالمين . والصلاة على رسوله محمد وآله أجمعين . قال أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى المعرّى : «أمّا بعد فإنّ الشعراء كأفراس تتابعْنَ فى مَدًى» . معناه : مهما يكن من شيءٍ بعدَ ما حصل من المعـرفة بالحقائق لك فإنّ الشـعراء كأفراس مستبقة . « ما قصّر منها لَحِق ، وما وقَف لِيم وسُـبِق» . هاهنا بحث : وذلك أنّهم قالوا بأنّ الأصـل فى خبر المبتدأ أن يكون صفة ، نحو زيد ضارب، وعمرو مضروب، وإذا وقع فعلا نُظِر، فإن كان أمرًا لم يَجُزْ، لعدمِ الملاءمة بينـه وبين الصفة . وإن كان مضارعا جاز جوازًا حسنا، لتمـام المناسبة بينه وبين الصفة . وإن كان ماضيًا جاز جوازًا مشوبا بشىء من القبح، لكون المناسبة بينهما فى درجة وسيطة . إذا عرفنا هذا جئنا إلى ما نحن بصـدده فقلنا : قوله « لحق » وقع خبرًا للمبتدأ الذى هو « ما قصّر»، وقد جاز جوازًا غير مشوب بشىء من القبح مع أنّه فعـل ماض . وإنّمـا كان ذلك فى ذاك لأنّ الخـبر هاهنا وإن بعد، لكونه فعلا ماضيا، عن الأصل الذى يجب أن يكون عليه خبر المبتدأ، فقد آستفاد لُحمةً شابكةً بينه وبين صلة المبتـدأ ، من حيث إنّ كلّ واحدٍ منهما فعـلٌ ماضٍ ، فانجبر جهةُ القبح بجهة الحسن .

«وقد كنت فى رُبّان الحداثة»[1] . العيش بربانه، أى بحداثته . وأتيته فى رُبّى شبابه . و « جنّ النشاط » كانَ ذلك فى جن صباه، ولقيته بجنّ نشاطه ، كأنّ ثَمّةَ جِنًّا تسوّل له النّزغات . ومدار التركيب على السّتر . « مائلًا فى صَغْو القريض » . الميل، يضمّن معنى الرغبة فيعدى بفى ، كما يضمّن الرغبة معنى الميل، فيعدى بإلى.

(١) كذا فى الأصل : وهذا جزء بيت لابن أحمر . وقد رواه التبريزى قبل فى ص ١١ .

قال الفرزدق :

* قالت وكيفَ يميلُ مثلُك فى الصِّبا *

صَغوه معك ، بالفتح والكسر ، وصغاه ، أى ميله ، هذا أصله ، ثم وُضع هاهنا موضع المصغُوّ إليه، وعبَّر[1] به عن الطريقة والجهة . ومثله قول الحماسىّ[2] :

* إذا همّ ألقى بين عينَيه عزمَه *

قال المرزوق : عنى به المعزوم عليه . و إقامة المصدر مقام الصفة بابٌ من العربية واسع . «أعتدُّه بعض مآثر الأديب» . المآثر : جمع مأثُرَة، وهى المكرمة التى يأثِرُها زمرة بعد زمرة، أى ينقلها ويتحدّث بها . « ومن أشرف مراتب البليغ » . رقى فى رُتَب الدَّرَج ومراتبها . واشتقاقها من الرتوب، وهو الثبوت . «ثم رفَضْته رفضَ السَّقْب غِرْسَه ، والرأْل تريكته» . التريكة والتَّرْكة : بيضة النعامة، وجمعها ترائك وتَرْك ،وهما من التَّرْك الذى هو مصدر تَرَك . و يشهد له قول ابن هَرْمة فى وصف نعامة :

كتاركةٍ بيضَها بالعَراءِ ومُلبِسةٍ بَيْضَ أُخْرَى جَناحَا

والذى يعضُد صحّة ما ذكرنا قولهم : "أذلّ من بيضة البلد"، و"أعزّ من بيضة البلد" . لأن أُمّها تتركها وتحضُنها أخرى، فلمّا تُركت من ناحية وحُضِنَتْ من أخرى، وُصفت بالذلّة والعزّة . ولذلك سُمّى ظليما[3]؛ لأنه يظالم غيره بأن يأخذ هذا بيضَ ذاك يحضنه كما يأخذ هذا بيض ذاك . ولذلك قيل : " أحمق من نعامة " . وأما قولهم للخُوذة[4] : تَركة وتَريكة، فعلى التشبيه ببيضة النعامة، ولذلك تسمى بيضة . و يشهد له قول جمال العرب الأبيوَرْدىّ :

(١) فى الأصل : «وعنى» . (٢) هو سعد بن ناشب . وتمام البيت :

* ونكب عن ذكر العواقب جانبا *

(٣) أى سمى الذكر من النعام . (٤) الخوذة، بالضم : المغفر . وفى الأصل : «للخود» محرفة .

باض النعام على هاماتهم وهـمُ أشباهه والوغى تَسْـترجِفُ اللِّمَا[1]

وكأنّ أبا العلاء لمح فيما ضَرب من المثل قولَهم : "تخلّصت قائبةٌ من قوب"، أى بيضة من فرخ . ويروى : "تبرأَتْ" . يقول : فى غرة عمرى كنت أتلبّس بالقريض، وأُنزله من سائر البلاغات منزلة الأوج من الحضيض، فلم يمض على ذلك زمان حتّى أسفرت لى الحقائق، وسفرتُ عن مُجتلاها، فاضطُررت إلى هجر القريض وتركه، وقـد صار من قَبِيل مالا يمكن أن أنتفع به، وذهبتُ عنـه إلى علوم هى أشرف قدرًا وأسنى منه منزلة، ولم أعُدْ إليه أبدا، فِعْلَ ولدَيِ الناقة والنعامة؛ فإنّ أحدهما يتبرقع بالمَشيمة والآخر يتحصّن بالبيضة، وهمـا من أسباب حياتهما، فكيف يستغنيان عنهما، على أنهما فى أشدّ ظلمةٍ منهما، ثم عن قليل يبرزان منهما على سبيل الاضطرار، إلى عالمٍ مشحون بالنور، ولا يسلم لهما شىء من الانتفاع بهما، ولا يرجعان إليهما يَدَ الدهر . فتأمّل هذا التشبيه؛ فإنه لغرابته ولمـا تضمّنه من جهات البلاغة، لو لم يكن فى كلامه من المحاسن إلا هو بانفراده، لكان له المزية على سائر الأشعار . فكيف وكلُّ بيتٍ من أشعاره فى الأعمّ الأكثر بما احتوى عليه من الدقائق عالمٌ على حِدة .

«رغبة عن أدب معظم جيِّده كذب» . عنى بالأدب الشعر . «ورديئه ينقص ويجدِب» الجدب هو العيب . «وليس الرى عن التشافّ» . هو شرب الشُّفافة، وهى بقية المـاء فى الإناء، سمِّيت بذلك لأنها لقلّتها ولطافتها شفّافة يظهر من قعرها قعـرُ الإناء . أى الرىّ قـد يحصل قبـل شربها . وهـذا مثَلٌ يُضرب فى النهى عن استقصاء الأمر والتمادى فيـه . « وتُعْلمك بجَنَى الشجرةِ الواحدةُ من ثمرها ،

(١) تسترجف : تحرك .

و يدلُّك على خُزامى الأرض النفحةُ من رائحتها» . أضاف الخُزامى إلى الأرض تنبيهًا على أن المراد بها الجِنس .

وتشهّى بعضهم على أبيه، وكان صاحب مستغَلّ، إجّاصًا ، فتقدّم إلى ساكنٍ له وقال : أعطنى إجّاصة . فناولها ٱبنَـه، وقال : يابنىَّ، إن أكلت مائة وِقْر من الإجّاص فطعمُها طعم هذه الواحدة، فٱقنَعْ ولا تطلب زيادة . ٥

« ولم أطرق مسامع الرؤساء بالنشيد » . طرق الباب، إذا قرعه . والنشيد : هـو الشِّعر المُنشَد . « ولا مدحت طالبـا للثواب » . عنى بالثواب الجـائزة . «وإنما كان ذلك على معنى الرياضة وٱمتحان السُّوس» . الكَرَم من سُوسه، أى من طبعه ، وكأنه من سُست الرعية ؛ لامتلاك الطبع الجسـد وتصرُّفه فيه . ألا ترى إلى ما أنشده العُتْبِىّ : ١٠

ومَن يَبتدِعْ ماليس مِن سُوسِ نَفْسِهِ يَدعْه ويَغلِبْـه على النَّفس خِيمُها[1]

« فالحمد لله الذى ستر بغُفّة من قِوام العيش» . أصاب غُفة من العيش، وهى البُلغـة . والفأرة غُفة الخيطل ، أى السـنَّوْر . واغتفّت الخيـل غُفَةً من الربيع ٱغتفافا : رعت ما يُتبلَّغ به ولم تَشبع. «ورَزق شُعبةً من القناعة أوفتْ بى على جزيل الوَفْر» . أوفى على شَرَف من الأرض ، أى أشرف . « فمـا وُجد لى من غُلُوّ عَلِقَ فى الظاهر بآدمىّ وكان مما يحتمله صفات الله عز سلطانه فهو فى الحقيقة مصروف إليه » . نظير ذلك قوله[2] : ١٥

ومُرْ بفِراق شِيمتهـا الليالى تُجِبْك إلى إرادتك ٱمتثالا

---

(١) البيت لحاتم الطائى، كما فى الحماسة ص ٧٤٧ طبع بن .

(٢) يعنى أبا العلاء، وهو آخر بيت فى أول قصيدة فى سقط الزند . ٢٠

وقوله أيضا[1] :

من قال إن النيرات عوامل فبضد ذلك فى علاك يقول
يعملن فيما دونهن بزعمه ولهن دونك مطلع وأفول[2]

لأن أمثال هذا مما لا يحتمله إلا صفات الله تعالى . « وما صلح لمخلوق سلف من قبلُ أو غبر أو لم يخلق بعدُ فإنه ملحق به » . مثال ذلك قوله :

له الجوهرُ السارى يؤمّ شخصه يجوب إليه مَحْتِدًا بعد مَحْتِدِ[3]

فإن ذلك لا يليق إلا بالنبيّ أو الوصيّ . « وما كان محضًا من المين لا جهة له فأستقيلُ اللهَ العثرةَ فيه » . هذا كقوله :

أرى جبينك هذى الشمسَ خالقها فقد أنارتْ بنور عنه مُنعكِسِ[4]

لأن ذلك مما لا يكون . « والشعر للخلَد ، مثل الصورة لليد » . وقع فى خلدى كذا أى بالى ، وهو من الإخلاد بمعنى الميل ، كما أن القلب من التقلب . « يمثّل الصانعُ ما لا حقيقة له ، ويقول الخاطر ما لو طُولب به لأنكره » . أجرى القول مجرى النطق حيث أخرج اللفظ من مسماه . « ومطلقٌ فى حكم النظم دعوى الجبان أنّه شجيع » . قوله : دعوى الجبان ، فى محل الرفع على أنه مبتدأ . ومطلق ، خبره ، ولم يؤنثه ، لأن معناه شىء مطلق ، ونظيره : الكلمة مفرد ، وقول الفقهاء : الخمر متموّل . « ولُبس العِزهاة ثياب الزِّير » . رجل عِزهًى وعِزهاء ، بالقصر والمد : لا يريد اللهو والنساء . وقد عزه يعزَهُ ، إذا صار كذلك . الزير : هو الكثير الزيارة للنساء . « وتحلّى العاجزِ بحلية الشهم الزميع » . رجل زميع : بين الزَّماع ، وهو الذى إذا ثبت

(١) انظر القصيدة ٣٨ (٢) أى بزعم هذا القائل . وفى الأصل : « برغمه » تحريف .
(٣) انظر القصيدة ٨ (٤) انظر القصيدة ٢٧ .

عزمه على إمضاء شيء لم يثنه شيء. « والجيِّدُ من قِيل الرَّجُل وإن قلّ، يغلب على رديئه وإن كَثُرَ » . عنى بالقِيل الشعر . «مالم يكن الشعر له صناعة، ولفكره مَرِنًا وعادة» . هم على مَرِنٍ واحد، بالكسر، أى على عادة؛ سميت بذلك لأنّه يمرن عليها، أى يُستمرّ. « وفى هذه الكلمات جملٌ يدللن على الغرض» . الكلمات وإن كانت جمع قلة لكونها جمع سلامة، إلا أنه عنى بها الكثرة هاهنا، لاستحالة أن يكون بين الكلم القليلة جمل كثيرة . ومثله قول حسان :

* لنا الجفناتُ الغُرّ يلمعن بالضُّحى[(١)] *

«واللهَ أستغفر وإياه أسألُ التوفيق» . فَرْقٌ بين قوله : أستغفر الله، واللهَ أستغفر؛ لأن الأوّل جواب : ما تفعل؟ والثانى جواب : من تستغفر ؟

(١) عجـــزه : * وأسيافنا يقطرن من نجدة دما *

[القصـــيدة الأولى]

التـــبريزى : قال أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان [بن محمد بن سليمان ابن أحمد بن سليمان][1] ابن داود بن المطهّر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة ابن أرقم بن أنور بن أسحم[2] بن النعمان — ويقال له الساطع — بن عدىّ بن عبد غطفان ابن عمرو بن بَرِيح بن جَذِيمة بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حُلوان بن عِمران بن الحافِ بن قُضاعة بن مالك بن حمير ، فى مذهب المديح ، ولم يكن من طلّاب الرفد ، والله يحمد على ذلك ، فى الأول من الوافر والقافية من المتواتر[3] :

(أَعَنْ وَخْدِ القِلَاصِ كَشَفْتِ حَالَا وَمِنْ عِنْدِ الظَّلَامِ طَلَبْتِ مَالَا)

التـــبريزى : المعنى : أكشفتِ الغطاء عن حالِ وخد القلاص ، وتكايفها متابعــة السير الحثيث ، وتعرّفتِ حقيقتها ؟ ولو تعرّفتِ لعرفتِ أنّ إدمان المسـير ١٠ لا يجلب الرزق ، ولا يسوق الغِنَى ، وأنّه لا يغيّر القضاء الفصل . ثم أعاد الإنكار عليهــا فى النصف الثانى من البيت فى طلبها المــال من عند الظلام ، بالمداومة على السُّرَى ، أى ليس الظلامُ موضعاً لطلب المــال ، ولا مَظِنّة للغنى ، فاضربى عن

(١) التكلة من القفطى والذهبى وسائر المصادر التى ترجمت لأبى العلاء .

(٢) وكذا فى ترجمة ياقوت والصفدى له . وفى سائر المصادر ما عدا ابن العديم : « ... بن ربيعة ١٥ ابن أنور ابن أرقم بن أسحم بن أرقم » .

(٣) جاءت هــذه العبارة بعد كلمة : « فغير منكرين » التاليــة ، فرددناها إلى موضعها . وديباجة البطليوسى : « وقال أيضا من ديوان ســقط الزند » . وديباجة الخوارزمى : « قال أبو العلاء المعرى فى مذهب المديح ولم يكن من طلاب الرفد والله يحمد على ذلك ، والوزن من الوافر والقافية من المتواتر » .

هـذه المكابدة صَفحا[1] . فالإنكار فى البيت توجَّه على وخد القلاص، وعلى الظلام، لا كشفِ الحال وطلب المـال . والغرض إنكار وخد القلاص أن يكون سببًا لكشف الحال ، لحقارته ؛ وكذلك إنكارُ الظلام أن يكون مطلوبًا من عنـدِهِ المـال، فأما كشف الحال ، وطلب المـال أنفُسهما فغير مُنْكَرَين[2] .

٥ قال أبو العلاء : المخاطبة للنفس، أى أتكشفين حال وخد القلاص، وتطلبين مالًا من عند الظلام ؟ وهـذا استفهام فى معنى الإنكار ، أى ليس ينبغى أن تفعلى فعلا منكرًا[3] ، بفعل مثل هذه الأشياء .

والقِلاص : جمع قلوص . والقلوص : [الفتيّة[4]] من الإبل . واستشهدوا على تأنيثها بقول الشاعر :

١٠ لا تَشربى ماءَ القَلُوص وعندنا ماءُ الزُّجاجة واكِفَ المِعْصارِ[5]

ولا يقال للذكر قَلوص . وتَبيين هـذا أن يقال : إنّ الجمـل بمنزلة الرجل ، والناقة بمنزلة المرأة . والبعير بمنزلة الإنسان، يقع على الذكر والأنثى . وفى كلامهم: صَرعتْنى بعيرٌ لى ، وحلبتُ بعيرًا لى[6] . والبَكْر، بمنزلة الفَتى، والقلوص، بمنزلة الفتاة، والجمع قِلاص . وقُلُص النعام : فراخها . وقَلوص الحُبَارَى : ولدها . والوخد :

١٥ ضرب من السير سريع ؛ يقال وخدت الناقةُ تخِـد وَخْدًا و وَخَدانا . وفى معناه : خَدَت تخدِى خَدْيا .

---

(١) النص من أول الكلام إلى هنا يطابقه ما فى التنوير . (٢) فى الأصل : « غير » .

(٣) فى الأصل : « أن تفعل ذلك فعلا منكرا » وكلمة : « ذلك » مقحمة .

(٤) استأنسنا ببقية الشروح فى إثبات هذه الكلمة ، والسياق يقتضيها .

٢٠ (٥) ماء القلوص، هاهنا : اللبن . وماء الزجاجة : الخمر .

(٦) فى الأصل : «حلبت بعيرا لى» . ونص اللسان : «شربت من لبن بعيرى وصرعتنى بعيرى» .

وفى معنى البيت يحتمل أن يكون الخطاب للماذلة، لأنّها حثّته على سُرَى الليل وتأويبه النهـارَ[1] طلبًا للغنى، وظنّا منها أنّ نجـوم الليل دُرّ، وشمسَ النهار ذهب. ويحتمل أن يكون الخطاب للناقة، بدليل قوله فيما بعد: «رماكِ الله من نوقٍ بُروق» لأنها أكثرت نقله من بلدٍ إلى بلد.

البطليـــوسى: الوخد: السير السريع، وهو الوخَدان أيضا. والقِلاص: جمـع قَلوص، وهى الفتيّـة من الإبل، وهى فى الإبل بمنزلة الجارية فى النســاء. وصَف تعذّر مآربه وأوطاره، وعنّف نفسه على كثرة حركاته وأسفاره، فقال يوبّخها على ما فعلت، ويُنكر عليها ما أوهمتها ظنونُها الكاذبة وسوّلت: أحاولتِ أن تكشفى عن حال وَخْد الإبل حتى تقفى عليــه، وتوهّمتِ أنّ السرى فى الظلام ينيل المـال ويوصل إليه؟ فكيف رأيتِ إخفاق أملك، وقلةَ إنجاح سعيك الذميم وعملك! وكأنه أراد أن يناقض بهذا قول أبى النَّشْناش[2]:

فلم أر مثل الهمّ ضاجَعَه الفَتَى ... ولا كسوادِ اللَّيل أَخفق طالبُهْ

وقول جابر بن الثعلب[3]:

فإنّ الفتى ذا الحزم رامٍ بنفسه ... حَواشىَ هذا اللَّيل كى يتموّلَا

الخـــوارزمى: القِلاص: جمـع قلوص، وهى من النّـوق كالجارية من النساء. سُمِّيت بذلك لأنّ شبابها فى ٱرتفاع؛ ومنه: قَلَص الظلُّ، اذا ٱرتفع. يُنكر على نفسه إيثاره فى طلب المـال ٱمتطاء المَهارى وٱجتياب البرارى. على ظنّ أن الجَهد والتعب يزيد فى الرزق أو يبدّل سابق التقـدير، بعد أن لم تكن تحرص

(١) فى الأصل: «وتأديبها النهار». (٢) أبو النشناش، أحد شعراء العرب اللصوص.
(٣) فى الأصل: «جرير بن الثعلب» وكلمة: «جرير» محرّفة، صوابها من الكامل ٢٩٩ ليبسك والحماسة ص ١٥٠ طبع بن.

على ذلك، فيقول : لِمَ أبديتِ آنفا مالم يكن يبدو منكِ سالفا ؟ « مِنْ » ، حالٌ . و « عن وخد القلاص » أى صادرة عن الوخد مسبَّبة عنه . و « عن » هاهنا كما فى قولِ أبى الطيِّب :

مِثْلَ الصَّبابة والكآبة والأَسَى فارقتُه فحَدَثْن عن ترحاله (١)

وقولِهم : « ليس النزىّ عن التشاف » . وقوله عليه السلام: «لا وضوء إلا عن صوت أو ريح » . فإن قلت : لم لا يجوز أن يكون "عن" هاهنا صلة الكشف، كما فى كشفت الثوب عنه؟ قلت : لأنها لو كانت كذلك لكان الكشف والرفع بمعنى، وحق (٢) عليه أن يختص الكشف بما يليق به من الألفاظ كالسَّجف والسِّتر وغيرهما. ألا تراك تقول : رفعت السجف عنه حتى ظهر ، وكشفت ، ولا تقول رفعت الحال عنه . « ومن عند الظلام طلبت مالا » . هذا يشبه بيت الحماسة (٣) :

فإنّ الفتى ذا الحزم رام بنفسه جواشِنَ هذا الليل كى يتموّلا (٤)

مع زيادة الإنكار عليه . أو يشبه البيت الثانى ، وهو أنك قد حسبت النجوم دررا تُحْرَز، وعِلقًا يختزن، فاقتحمتِ السفر لتحصيل هذا المال، والطمع فى ذاك المنال . والأوّل أوفق لأساليب الشعراء، والثانى أليق لفحوى كلام أبى العلاء .

(١) فى الديوان (٢ : ٥١) : « من » وقبل هذا البيت :

إنى لأبغض طيف من أحببته إذ كان يهجرنا زمان وصاله

مثل ، منصوب بفعل مضمر تقديره أبغضه ، و يجوز أن يكون معمولا للفعل « يهجرنا » فى البيت السابق ، أى يهجرنا مثل هذه الأشياء التى حدثت من ترحال الحبيب .

(٢) فى الأصل : « وح » ولعل الوجه ما أثبتنا .

(٣) انظر الحماسة ص ١٥٠ طبع بن .

(٤) جواشن الليل : صدوره وأوائله ، جمع جوشن .

٢ ﴿ ودُرًّا خِلتِ أَنْجُمَهُ عليه فهَلّا خِلتِهِنّ به ذُبَالا ﴾

التبريزى : أى لعلك حسبتِ النجوم الزُّهْر(١) التى تبدو جنح الظلام نفائس الدرر، فبتِّ تسيرين طول الليل ، وتحثّين قِلاص النـوق(٢) طمعًا فى حيازتها . وهذا منك طمعٌ كاذب، واغترار بلامع السراب . وإن كنتِ لابدّ ظانة فهلّا أبدلتِ هذا الظنّ فتخيلت النجوم التى على الظلام ، أى [التى] تبدو وتظهر فى الظلام، ذُبالا، وهى الفتائل المشعلة، جمع ذُبالة، بدل تخيُّلك إيّاها درّا ، وهى كِبار اللآلئ ، جمع درّة ، فتكُفّى عن الطلب وتستريحى ؛ لأن الذُّبال لا قـدْرَ لها ولا يُتجشّم الأسفار فى طلبها . والكناية فى «عليه» و «به» راجعة إلى الظلام، أى هلّا خِلتِ النجوم التى بالظلام، أى التى تظهر فيه، ذُبالًا، تخيّلَك إياها درّا(٣) . لم يتوجه الإنكار على نفس المخيلة، إنمـا يتوجّه على أنْ خال النجومَ درّا ولم يخل غير الدُّرّ .

قال أبو العـلاء : « درّا » داخل فى الاسـتفهام ، أى وخلتِ النجومَ درًّا ؛ وذلك طمعٌ وظنّ فاسد، فهلّا خلتهنّ ذبالا ! أى فُتلًا لامنفعةَ بها إلّا أن تضىء . والهاء فى « عليه » راجعة الى الظلام، أى أخِلْتِ النجوم(٤) على الظلام درّا ؟ فهلّا خِلتِهنّ ذبالا ، لأنّها كما تُشبه الدرّ تشبه الذُّبال أيضا . والذُّبال : جمع ذُبالة، وهى الفتيلة .

البطليوسى : هذا تتميم لمـا تقدّم من تعنيفه لنفسه على السفر، الذى لم يصل به إلى نيـل أمل ولا وطر . يقول : حملكِ الطمعُ الكاذب والظن الفاسـد على أن توهّمتِ نجوم الليل درّا، والشمسَ بالقفر تبرا، ينالها من أعْمل المطايا وسافر،

(١) فى الأصل : « الزهرة » .
(٢) فى الأصل : « تسير طول الليل وتحت قلاص النوق » .
(٣) النص من أول الكلام إلى هنا يطابقه ما فى التنوير .
(٤) فى الأصل : « النهار » . ولا يستقيم بها الكلام .

ويصل إليهما من دام على السُّرى وثابر ، فهلا توهمتِ النجوم ذُبالا ، فلم تتكلفى سفرا وآنتقالا ! فإن تشبيه النجوم بالدر ليس بأولى من تشبيهها بالذُّبال ، لأنها تُحاكى كلَّ صِنف منهما فى الأمثلة والأشكال . وقد أكثرت الشعراءُ من تشبيه النجوم بالذبال والمصابيح . قال آمرؤ القيس :

٥ نظرتُ إليها والنجومُ كأنها ... مصابيحُ رُهبانٍ تُشبّ لقُفَّالِ

وقال جرير :

سرى نحوَهم ليلٌ كأنّ نُجومَه ... قناديلُ فيهنّ الذُّبالُ المُفَتَّلُ

وقال علىّ بن محمد الكوفى فى تشبيه النجوم بالدرّ :

كأنّ آخضرار الفجر صَرْحٌ مُمَرَّدٌ ... وفيه لآلٍ لم تُشَنْ بثُقوبِ

١٠ وقال أبو الطيِّب :

تَجنى الكواكبُ مِن قلائدِ جِيدِه ... وتنالُ عينَ الشمسِ مِن خَلْخالِه

الخوارزمى : الضمير فى « أنجمه » للظلام . ويضاف الشىء إلى غيره بأدنى ملابسة بينهما . قال أبو العلاء المعرى :

ورُبَّ ظُهْرٍ وَصلناها على عَجَلٍ ... بعصرها فى بَعيد الوِرْد لَمّاعِ

١٥ وأنشد جارُ الله (١) :

* إذا كوكبُ الخَرقاء لاحَ بسُحْرةٍ (٢) *

أضاف إليها الكوكب ، وهو سهيل ، لجدّها فى عملها إذا طلع . وكذلك الضمير فى «عليه» و «به» للظلام أيضا . الجار فى "عليه" يتعلق "بدرا" . الذبال : جمع ذبالة ، كالجمان : جمع جمانة . وآشتقاقها من الذُّبول . يقول : النجوم كما تشبه

٢٠ (١) وأنشده صاحب الخزانة (١ : ٤٨٧) .

(٢) تمامه : * سهيل أذاعت غزلها فى القرائب *

اللآلئَ المُنتثرة، تُشبه الفتائل المُشتعلة . فكيف حسبتها لآلئَ ولم تحسبها فتائل لتستريحى من السَّير والسُّرى ؛ لأن الفتائل، لحقارة شأنها، وسهولة وجودها، مما لا يُتجشَّم فى طلبه الأسفار .

٣ ﴿ وقُلتِ الشَّمْسُ بالبيداءِ تِبْرٌ ومثلُكِ مَن تَخيَّل ثم خالاَ ﴾

التبريزى : يقول : كما خلتِ النجومَ دُرًّا فتكلّفت السُّرى بالليل، كذلك خلتِ الشمس شارقةً على البيداء ذهبًا، فتجشّمت التأويب بالنهار طمعًا فى حيازة الذى حكته الشَّمسُ بصفرتها، وحالُك فى الخيال الباطل، أنك تخيّلت ثم خلت، أى تكلفت الظنّ وتعرّضت له ، ومثّلت الخيال فى ذِهنك، ثم حقّقتِ ذلك الظنّ ، وصدّقتِ تلك الخَيْلة ، وأطعتِ الوهمَ الكاذب . وكذلك النفس خُلقت مُطيعةً للأوهام وإن كانت كاذبة ؛ لأنها ترى تشاكُلًا بين شيئين فى بعض الأوصاف، فتحكم بأنّه هو. ويقال: تخيَّل ثم خال، أى اجتلب الظن ثم أوقعه فى صدره وصدّق به، نحو تجرّأ بجرؤ[1]، أى تعرّض لذلك ثم وقع فيه . والمعنى أنَّها كما ظنَّت النجومَ بالليل درّا كذلك ظنَّت الشمس بالنهار تِبرا . والتبر : الذهب، [أو][2] هو المكسر منه ، وقيل : هو الذى يخرج من المعدن ولم يُصَغْ بعد .

وقيل : الرواية «وقلتِ الشمس بالبيداء تبر» برفع «الشمس» على الابتداء، ورفع «تبر» على أنه خبر المبتدأ . ولا ريب فى صحة هذه الرواية . وأنا أقول :

(١) بعد هذه الكلمة فى الأصل : « قال : تخيل اجتلب الظن ثم أوقعه فى صدره كما تقول تجرأ فلان ثم جرؤ » وهى عبارة مقحمة . والنص من أول الكلام إلى هنا يطابقه ما فى التنوير .

(٢) تكملة يقتضيها الصواب .

لو جعلت «قلت» بمعنى ظننت، ونصبت « الشمس » و « التبر» لكان وجها ؛ فإن العرب تُجرى القول مُجرى الظن فى الاستفهام ، أى كما ظننتِ النجوم درّا كذلك ظننتِ الشمس تبرا[1] .

البطليوسى : سيأتى .

٥ الخوارزمى : التخيُّل لا يخلو عن ضربٍ من التكلف، كالتكرُّم والتحلُّم . يقول : تخيُّل الشمس تبرًا شىءٌ ما يجول فى خلد، ولا يخطر ببال أحد؛ لكونه بيِّنَ البطلان، لكنّ فرط شغفك بالدرهم والدينار أوهمكِ ذلك فتوهمتِه ، وأنت مستيقنة خلافَ ذلك . ثم تدرّجتِ منه قليلا قليلا إلى أن جرى الوهم الباطل عندك مجرى الحقّ، ونزل الخيال الكاذب منزلة الصدق، فعلَ من استصعب الأمر فتكلّفه

١٠ مرّة ثم عاوده كرة بعد كرة، حتى عنا[2] له ما تعذّر، وسُهل عليه ما توعّر . ومن هذا الباب قول حاتم الطائىّ :

* ولن تستطيع الحِلْمَ حتى تَحَلَّمَا[3] *

٤ (وفى ذَوْبِ اللُّجَيْنِ طَمِعْتِ لمّا رَأَيْتِ سَرَابَهَا يَغْشَى الرِّمَالا)

التبريزى : أى لمّا رأيت بياض السراب يعلو الرِّمال فى البيداء و يغشاها ،

١٥ ظننتِه ذوبَ اللجين، أى الفضّة الذائبة، لمشابهته إيّاه بوصف البياض ، فطمعتِ فى حيازة الفضة، وأجمعت المسير لتناليها[4] .

(١) بعد هذه الكلمة فى الأصل : « تخيل اجتلب الظلام ثم أوقعه فى صدره كقولك تجرأ ثم جرؤ أى تعرض لك ثم وقع فيه كله تبر » وهى عبارة مقحمة محرفة .

(٢) فى الأصل : « عفا » صوابه ما أثبتنا . وعنا له ، أى خضع وذل .

٢٠ (٣) صدره كما فى الديوان ١٠٨ : * تحلم عن الأدنين واستبق ودهم *

(٤) فى الأصل : « لتناولها » . وما أثبتنا عن التنوير . والنص من أول الكلام إلى هنا يطابقه جزء مما فى التنوير .

قال : لا تخالى السراب ذوب اللجين، فإنما هو خدّاع يشبه الماء. واللجين: الفضة . أى وطمعت فى ذوب الفضة، لما رأيت لمعان السراب و بريقه .

البطليوسى : البيداء : الفلاة التى تُبيد من سلكها . والتخيل : التوهم لما لا حقيقة له . يقول لنفسه : كنتِ بمنزلة من توهم ما لا حقيقة له ، ثم ظنّ أن الأمر على ما توهم . وقال : فى ضوء [سقط] الزند : معنى «تخيل ثم خال»، اجتلب الظن ثم أوقعه [فى صدره](1)، كما تقول: تجرّأ فلان ثم جرؤ، أى تعرّض لذلك ثم وقع فيه . والتفسير الأوّل أحسن .

الخوارزمى : السراب ، من سرب الماءُ، أى جرى وسال . لمّا شبه السراب فى بياضه بالفضة لم يقتصر بذلك حتى جعلها دائبة ، اترقرق السراب وجريانه . وجعل السراب جاريا على الرمل، لأن كل واحد منهما بانفراده يشبه اللجين، فكيف إذا آلتحق أحدهما بالآخر وآمتزج به !.

٥ ﴿رَمَاكِ اللهُ مِن نُـوقٍ بِرُوقٍ ۞ مِنَ السَّنَوَاتِ تَشْكُلُكِ الإفَالَا﴾

التبريزى : قال : كان الخطاب للنفس، على ما ذكره أبو العلاء ، ثم ترك ذلك وخوطبت النوق .

قال أبو العلاء : الروق : جمع أروق و روقاء . وأصل الرَّوَق طول الأسنان . والرُّوق : السنوات التى كأنّ لها أسنانا رُوقا ، فهى تَعَضّ بها . والسَّنَة، عند العرب : الجَدْب ، ولذلك قالوا : أسنتوا(2)، إذا أجدبوا . وذهبت قوم إلى أنّ التاء فى «أسنتوا» بدل من الواو ، وكان الأصل : أسنووا . والأشبه بالقياس أن العرب لما قالوا هذه سنةٌ(3)، جعلوا الهاء فى الوصل تاء ، ورأوا الكلمة

(١) هذه التكلة من التبريزى . (٢) فى الأصل : «أسنقوا» بالقاف ، محرف .
(٣) فى الأصل : «وراء والكلمة» .

ثلاثية ، ظنوا أن التاء من الأصل ، فوزنُ أسنتوا على أفعتوا (١) ، وأفعلوا ، فى القول الأول . فإذا قالوا : أسْنَى الرجلُ ، انقلبت الواو ياء ، لوقوعها رابعة ؛ و إذا قالوا : أسنَوْا ، فأصله : أسْنَيُوا ، فإذا قالوا : أسنتوا فالتاء بدلٌ من ياءٍ بدلٍ من واو . فلما كانت التاء بدلا من بدل ، آختصّت بالسنة المُجْدِبة ؛ لأنه يقال : أسنوا ، إذا دخلوا فى السنة ، أىّ سنةٍ كانت ، وأسنتوا ، إذا دخلوا فى سنة الجدب لا غير . ومثله التاء فى القسم ، [لما] كانت بدلا من بدل ، اختصّت بالله تعالى ، فقالوا : تالله ، ولم تدخل على غيره من أسماء الله سبحانه .

والإفال : جمع أفيل ، وهى صِغار الإبل . وهـذا دعاء على الإبل بسنواتٍ تموت فيها فِصالها ؛ لقلة الخِصب وفقد المرعى . قال : و إنّما تستوجب ذلك لأنها تحمِلنا فى السفر ، وتنقلنا من مكان إلى مكان ، فجعلتْنا فى أينٍ ومشقّة ، وصيّرتْنا مثل صغار الشهب ؛ لأنها سريعة الآنتقال .

«رماك الله من نوق بروق» . من ، هاهنا ، للتبيين ، أى من بين النوق . والمعنى : ابتلاكِ الله بِسنينَ من القحط والجَدْبِ رُوقٍ . استعار لها أسنانا طوالا ، تشبيهاً لها بالسبع [حالة الافتراس ؛ فإنه عند ذلك إذا كشر عن أسنانه تقلّصت شفتاه و بدا رَوَق أسنانه . وأهول ما يكون السبع] (٢) عند ذلك . يقول : قيّض الله لك سنواتٍ شديدة كالحة كالسبع (٣) عند المساورة .

تثكلك ، أى تجعلك ثكلى ، أى فاقدة الأولاد . والمعنى : تموت فيها فِصالك بجدوبة الأرض وفقد المرعى ، فتصيرين ثكلى . ونصب «الإفال» على أنها المفعول

(١) أى على هذا القول الثانى . (٢) هذه التكملة من التنوير .

(٣) فى الأصل : « والسبع » صوابه من التنوير .

الثـانى « لتشكل » على تقـدير : تسلبك إفالك . والألف واللام قـد تنوب عن الإضافة ، كقوله :

وإنا نرى أقدامنا فى نِعالهـم(١) وآنُفَنا بين اللِّحَى والحواجِبِ

أى بين لحاهم وحواجبهم . وإنمـا دعا على الناقة لأنهـا عُدّة السـفر وسبب النُّقْلة ، وبها يتوصـل إلى الأسفار البعيـدة ، فكأنها المستدعية لكثرة الأسفار ٥
واجتياب القِفار . وقد بيَّنه بالبيت الذى يليه وهو قوله : « فقد ... ... »(٢) .

البطليـوسى : دعا على الإبل بأن تصيبها سِنون مجـدبة تُهلك أولادها ، لمـا أدركه من النزق والضجر، بطول مكابدته(٣) الرحيل والسفر ، وتعـذُّر ما حاوله من بلوغ الأمل والوطر . والرُّوق : الطوال الأسنان، واحدها أروق للذكر، وروقاء للؤنث . وإنمـا وصفها بالرَّوَق، لأنهـم يصفون السنين المجدبة بأنها تتعرق اللحوم ١٠
وتأكل الأموال؛ ولذلك(٤) سموا السنة المجدبة ضبعا . قال العباس بن مِرداس السُّلَمى :

أبا خُراشـةَ أَمَّا أنتَ ذا نفـرٍ فإنّ قومىَ لم تأكلهـم الضبعُ

وأنشد يعقوب :

وعامُنـا أعجبنـا مقـدَّمُهْ يُدْعَى أباالسمح وقِرضابٌ سِمُهْ(٥)

* مبتركًا لكل عظمٍ يلحَمه(٦) * ١٥

---

(١) فى الأصل : «فعالهم» بالفاء، والوجه ما أثبتناه من التنوير .

(٢) الكلام من : «رماك الله من نوق» الى هنا يطابقه ما فى التنوير .

(٣) فى ا : « مكايدة » بالمثناة التحتية .

(٤) فى ا : « ولأجل ذلك » .

(٥) قرضب الرجل ، إذا أكل شيئا يابسا ، فهو قرضاب . ٢٠

(٦) المبترك : المعتمد الملح على الشىء . ولحم العظم يلحمه : نزع عنه اللحم .

والسنوات : جمع سنة . وهذا الجمع على رأى من يعتقد أنّ الساقط من سنة واو . ومن اعتقد أن الساقط منها هاء قال فى الجمع : سنهات . وأما قولهم سنون، فيحتمل الأمرين جميعا . وتُثكلك : تفقدك وتسلبك . والإفال : صغار الإبل ، واحدها : أفيل . قال الراجز :

٥ * فإنما القَرْمُ من الأَفيلِ *

والإبل تهلك أولادها فى السنين المجدبة لوجهين : أحدهما عدم المرعى وجدب الزمان . والثانى أنّ أهلها ينحرون أولادها إبقاءً على قواها؛ لئلا تهلك جملتها بالجدب، وأن أولادها تَنهكها بالرّضاع . قال الرّاعى :

تَوَاكلها الأزمانُ حتّى أجاءَها (١) إلى جَلَدٍ منها قليلِ الأسافلِ

١٠ الخوارزمى : فى أساس البلاغة : سنة روقاء، وسنوات رُوق، مستعار من قولهم : رجل أروق بيّن الرَّوَق ، وهو إشراف ثناياه العلى على السُّفَل مع طول ، واشتقاقه من الرَّوْق ، وهو القرن ، كأن الأسنان شبّهت بالقرون فى الطول . وفى الحديث، على ما أملاه علىّ بعض إخوانى من الأفاضل : « أنه جرى فى مجلس النبىّ عليه السلام ذِكر الدجّال وأنه يُطعم الناس فى السنة الروقاء» . وهذه استعارة فصيحة.

١٥ «من نوق » بيان للضمير فى « رماك » ، وكذلك «من السنوات» بيان «لروق» . السنوات والسنون : جمعا سنة ، وهى الجدب . قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ ﴾ . وهى من الأسماء الغالبة، مثل المال، فقد غلب على الإبل؛ والكتاب، فقد غلب على كتاب سيبويه؛ والله ، فقد غلب على المعبود بحق . ويعتقب عليها لامان : واوٌ مرّة، لقولهم سنوات وسُنَيّة، واستأجرته مساناة؛ وهاءٌ

٢٠ (١) أجاءها : جاء بها واضطرها وألجأها . والجلد من الإبل : الكبار التى لا صغار فيها . وقيل هى التى لا أولاد لها . وأسافل الإبل : صغارها .

أُخرى، لقولهم سنيهة، وسَنَهت النخلةُ، أتت عليها السنون، واستأجرته مسانهة. ونظيرها عِضــة. الإفال والأفائل: صغار الإبل، الواحد: أفيــل وأفيلة، من المأفول، وهو الناقص العقل؛ لأن الصغير ناقص غير كامل. عدل عن خطاب النفس إلى عتاب النوق، داعيا عليها وقائلا لهــا: قيّض الله لك ســنواتٍ كالحة كسباع واثبة تثكلك الإفال، أى تميت أولادك، لجدوبة الأرض وفقد المرعى. ٥

٦ (فَقَدْأكْثَرْتِ رِحْلَتَنَاوَكانَتْ ـــ صِغَارُالشُّهْبِ أسْرَعَها انْتِقالا)[(١)]

التــبريزى: ثم بسط عذر الناقة فى إكثار النقلة بقوله: وكانت صغار الشهب أسرعها انتقالا. أى لا غرو فى أنّ هــذه الناقة تكثر النُّقــلة، وتسرع الانتقال؛ فإنها من القلاص — وهى الصغار من الإبل — تحكى فى سرعة الانتقال صــغار الشهب، وهى الزُّهَرة، وعُطارد، والقمر، وهى أسرع السيارات سيرا؛ إذ القمر يقطع فلكه بشهرٍ واحد، وزُحَل يقطع فلكه بثلاثين سنة، فلا لوم إذًا على صغار المطىّ بسرعة السير[(٢)]. ١٠

صغار الشهب، مثل القمر وعطارد؛ لأن سيرهما [فى] الفلك أسرع من سير سواهما[(٣)].

البطليــوسى: يقال: نِقْلة ونُقلة، بكسر النون وضمها. وأراد بالشهب: الكواكب السبعة الســيارة، وسميت شهبا لضيائها، وواحدها، على هــذا القول، أشهب. وقيــل: شبهت بالنار فى توقدها. فتكون على هــذا جمعَ شهاب، وهو القبس من النار، وأصل الهاء على هذا الضم، وتسكن تخفيفا. قال عنترة: ١٥

شُهُب بأيدى القابسين إذا بدتْ ـــ بأكفّهم بهــر الظلامَ ســناها

(١) فى أ من البطليوسى: «فقدأ كثرت نقلتنا». وفى ح: «نقلتنا وكانت * صغار الشهب أكثرها».
(٢) النص من أول الكلام إلى هنا يطابقه ما فى التنوير. ٢٠
(٣) كذا وردت هذه العبارة مع ما فيها من التكرار لما سبق.

أراد أنّ ما صغر من الكواكب السبعة أسرع حركة وآنتقالا ممّا عظم منها، ولذلك صار القمر يقطع الفلك بدورانه في شهر، وزحل، الذى هو أعظم الكواكب السبعة وأرفعها، يقطع الفلك فى كل ثلاثين سنة . يقول : من عظمت حالته قلّت حركته، ونَحُس[1] بخلاف ذلك .

٥ الخوارزمى : علّل فى هذا البيت ما قدّمه من الدعاء على النوق بأنها المعينة على آرتحالنا وكثرة آنتقالنا، وذالك دليل على نزول درجتنا وآنخفاض مرتبتنا . ألا ترى أنّ الكواكب كلما كانت أكثر حركة كانت أحقر جِرما وأدون منزلة؛ فإن الذى دون الشمس من الكواكب السبعة فهو أسرع دورا، وأحقر جِرما من الشمس وما فوقها من بقية السبعة . وهذا فى علم الهيئة يعرف .

١٠ ٧ ﴿تَذَكُّرُكِ الثَّوِيَّةَ من ثُدَيٍّ ضَلالٌ ما أردتِ بِهِ ضَلالَا﴾

التبريزى : أى تذكرك [و] اهتياج شوقك إلى العراق وأنت بالشام — والشقة بينهما بعيدة — ضلالة وغىّ؛ لأنك لاتقدرين على الوصول إليها فى حالك هذه . وأصل الضّلال غيبة العقل والرأى، يقال ضّل الماء فى اللبن أى غاب . ثمّ استدرك ونبّه على بهيميّتها ، وأن هذه الحال وإن كانت ضلالًا لعدم الجدوى

١٥ فيها، غير أنّ الضلال لا يصحّ منكِ، لأنّ المصحّح للرُّشد والضلال إنما هو غريزة العقل والفاقد للعقل بمعزِل أن يوصف بالرشد أو بالضلال[2] .

أى تذكرك الثوية من ثدىّ ضلال منك، وعندك أنه ليس كذلك .

والثوية : موضع بظهر الكوفة . وثدىّ : بالشام .

وإنما كان الضلال عندها غير ضلال ؛ لفقدها العقل ، يدلُّ عليه البيت

٢٠ الذى بعده، وهو :

(١) ب «ونحس» بالإهمال . (٢) النص من أوّل الكلام إلى هنا يطابقه ما فى التنوير .

ولو أنّ المطى لهـا عقول وجدِّك لم نشـدّ بها عقالا

البطليـــوسى : يقال : الثوية ، بفتح الثاء وكسر الواو على التكبير ، والثُّـوية ، بضم الثـاء وفتح الواو ، على لفظ التصغير ، وهو موضع بالكوفة . قال حارثة بن بدر الغُدَانى يرثى زياد بن أبى سفيان :

صـلى الإله على قبرٍ وطهّره عند الثوية يَسفِى فوقَه المورُ[1] ٥

وثديّ ، على لفظ التصغير : موضع بالشام . يريد أنّ إبله حنّت إلى الثوية ، وهى فى ثدى ، فقال : هـذا ضلال منك ، وإن كنت تظنين أنه ليس بضلال .

الخـــوارزمى : الثوية ، بفتح الثـاء وكسر الواو ، وعن الغورى بضمها وفتح الواو : موضع بالكوفة كان أهل البدو يأتونه أيام الربيع . قال الخارزنجى : وكأنها تصغير الثُّـوَّة والثاية ، وهى حجارة قدر قِعْـدة الرجل ، لا تكون أرفع من ذاك . ١٠
يقول : آهتياج شوقك وأنت بالشام إلى العراق ، مع أنّ الشقة بينهما بعيدة شاسعة ، من باب الغيّ والضلال ، لكنّك لم تقصدى الضلال .

٨ ﴿وَلَوْ أَنَّ المَطِىَّ لهـا عُقُولٌ وَجَدِّكَ لم نَشُـدَّ بِهَا عِقَالا﴾

التـــبريزى : المطىّ[2] جمع مطية ، وتجمع مطايا ، وسميت [مطية][3] لأنه يركب مطاها ، أى ظهرها . قال آبن دريد : المطا ، أصله الواو ، ويثنى مطوان . ومنه ١٥

---

(١) ح : « عنده المور » . (٢) ورد قبل هذه الكلمة فى الأصل عبارة مبلغ الظن أنها من تعليق بعض القارئين على قـوله فى شرح البيت رقم ٦ : « ثم بسط عذر النـاقة » وهـذا نص العبارة : « قوله فى الشرح أنه بسط عذر الناقة يتناقى (فى الأصل : يانى) عند السياق ، فإنه فى صدد اللوم لهـا ، والتشنيع عليها قبل ، ونسبة الضلال إليها وسلب العقل عنها بعد » ، فأنى يحمل هذا المصراع على بسط العذر لها (فى الأصل : لنا) . وليس الظاهر إلا أنه تشنيع عليها بالتنقل (فى الأصل : بالتعليل) والطيش والخفة فى الحركات الغير المعقولة ، مما يقتضيه الصغر . وأخرج ذلك مخرج المثل تدليلا مشتملا على تشبيهها بصغار الشهب فى ذلك . والله أعلم » . وقد أثبتنا هذه العبارة على ما بها من ضعف وركة ، مصححين منها القدر الذى يمكن به قراءتها فحسب . (٣) التكملة من التنوير . ٢٠

اشتقاق المطية . ويحتمل أن يكون من قولهم : مطا يمطو ، وهو امتداد السير وطوله ؛ يقال : مطا يمطو ، بمعنى مدّ يمد ، ومطّ بمعناه . قال امرؤ القيس بن حُجْر :

مطوتُ بهم حَتَّى تَكِلّ جِيادُهم (١) وحتَّى الجيادُ ما يُقَدْنَ بأرسان

والمطو : النظير والصديق . أنشدنا ابن بَرْهان النحويّ (٢) رحمه الله :

أرقتُ لبرقٍ لاحَ من جانبِ الحِمى (٣) يمانٍ ويهوَى القلبُ كلَّ يمانِ

فظلْتُ لدى البيتِ العتيقِ أُخيله (٤) ومِطواى مشتاقانِ لَهْ أرِقانِ

فليت لنا من ماء زمزمَ شَربةً مبرَّدة باتت على طَهَيانِ (٥)

وقال : هذه لغة سَرَوِيَّة (٦) .

والعِقال : قطعة من حبل يشدّ به يد الناقة . يقال : عقلت البعير ، إذا

١٠ شددته بعقال .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : المطيّ والمطايا : جمع مطية ؛ سميت بذلك لأنها تمطو بأهلها فى السير ، أى تمد ؛ أو لأنه يركب منها المطا ، وهو الظهر . الجدّ ، هو الدولة والبخت . والواو فيه للقسم . و " العقول " مع " العقال " تجنيس .

١٥ (١) كذا . ورواية الديوان والتنوير : « حتّى تكل مطيهم » .

(٢) هو عبد الواحد بن على بن عمر بن إسحاق بن إبراهيم بن برهان ، بفتح الباء ، أبو القاسم الأسدى العكبرى النحوى . توفى سنة ٤٥٦ . بغية الوعاة .

(٣) رواية اللسان مادة (مطا) : * أرقت لبرق دونه شروان *

وقد نسب الشعر فيه ليعلى بن الأحول . كما نسب فى مادة (طهى) ومعجم البلدان فى رسم (طهيان)

٢٠ للأحول الكندى .

(٤) أخيله ، أى أنظر إلى مخيلته . والبيت من شواهد العربية فى إسكان هاء الضمير فى نحو « له » . انظر خزانة الأدب (٢ : ٤٠١) . (٥) طهيان (بالتحريك) : جبل .

(٦) السروية : نسبة إلى السراة ، وهن ثلاث سروات . انظر ياقوت .

٩ ﴿مُوَاصَلَةً بِهَا رِحَلِي كَأَنِّي ... مِنَ الدُّنْيَا[1] أُرِيدُ بِهَا ٱنفِصَالَا﴾

التبريزى : أى كأنى أُريد أن أخرج بها من الدنيا ، فأنا أُدمن سيرها . ورِحَل : جمع رِحلة . يريد ٱتِّصال سيره عليها . ومواصلة ، نصب على الحال . أى لو كانت للطىّ عقول لم نشدّ بها عقالاً[2] فى هذه الحالة .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : مواصلة ، حال من الضمير فى "بها" من قوله "لم نشد بها". الرحل : جمع رحلة ، وهى الارتحال . يقال : دنت رِحلتنا . وأما الرحلة ، بالضم ، فهى الوجه الذى تريده . يقال : مكة رُحلتى . قوله "من الدنيا" يتعلق بقوله "انفصالا" وإن أبوا أن يتقدّم على المصدر معموله . ونظيره :

* والسير عن حَلَبٍ إليك رحيلُ[3] *

١٠ ﴿سَأَلْنَ فَقُلْتُ مَقْصِدُنَا سَعِيدٌ ... فَكَانَ ٱسْمُ الأَمِيرِ لَهُنَّ فَالَا﴾

التبريزى : إنما كان ٱسم الأمير لهنّ فالا ، لأنّ الاسم المستحسن يُتفاءل به ، مثل أن يسمع السامع قائلا يقول : سعيد ، أو مفرج ، أو نحو ذلك . [و] إذا سمعوا ما يكرهون تطيّروا به ؛ كما قال الشاعر :

سَمّتك أمك عَبدوسًا وقد صدقتْ ... وكيف يُفْلِحُ من نصفُ ٱسمه بوسُ

يعنى أن عبدوسا ٱسم فيه باء وواو وسين ، فيتألف من هذا الاسم قولهم « بوس » وهو مكروه .

---

(١) فى نسخ البطليوسى وكذا فى الديوان المخطوط : « عن الدنيا » .

(٢) فى الأصل : « لم تشد عقول » وهو تبديل من الناسخ .

(٣) هذا عجز بيت لأبى العلاء من القصيدة ٣٨ وهو مطلعها ، وصدره :

* ليت التحمل عن ذراك حلول *

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : قال عليه السلام : « لا طِيَرَةَ ، ويعجبنى الفأل » . قيل : يا رسول الله، وما الفأل ؟ قال : « الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم » . وروى أنه عليه السلام لما تلقاه بُرَيْدة الأسلمىّ[1] فى طريق المدينة قال له : من أنت ؟ قال : أنا بُريدة . فقال لأبى بكر رضى الله عنه : بَرَد أمرنا وصلح . ثمّ قال : ممن؟ قال : مِن أسلم . فقال لأبى بكر : سلِمنا . فهذا تطير صالح للفأل .

١١ ﴿مُكَلِّفُ خَيلِهِ قَنَصَ الأعادِى وَجَاعِلُ غابِهِ الأَسَلَ الطِّوالا﴾

التبريزى : والمعنى أن الممدوح شجّع خيله بكثرة ممارسةِ الحروب، فصارت فى الإقدام كالأسود ، فهى تقتنص[2] أعاديه وتفترسها . الأسل : الرماح . والأسل : نبت دقيق ينسج منه الحصر ، وسمّوا طرفَ اللسان أسلة ، لدقّته . والقَنْص : الصيد ؛ يقال : قنص الرجل يقنِص قنصا . والقَنَص : المقنوص ؛ كما يقال قبض يقبض قَبْضا ، والقَبَض المقبوض ؛ وكذلك نفض نَفْضا ، والنَّفَض : المنفوض . وجعل الرماح حواليه غاباً مثل غاب الأسد ، وهو عرينه .

البطليوسى : القَنَص والقنيص : الصيد . فمن سماه قنصا ، جعل حركة النون علامة للاسم، وتسكينها علامة للمصدر ؛ كما قالوا : هَدْمٌ للمصدر ، وهَدَمٌ ، بفتح الدال ، لما هُدِم . ومن قال : قنيص . جعله فعيلا بمعنى مفعول ، كقولهم : قتيل بمعنى مقتول . وقد حكى : قنص ، بفتح النون ، فى المصدر ،

---

(١) هو بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمى . غزا مع رسول الله ست عشرة غزوة . ومات فى خلافة يزيد بن معاوية . الإصابة ٦٢٩ .

(٢) فى الأصل : « مقنص » والتصويب عن التنوير .

فيكونون على هـذا قد سموا المقنوص بالمصدر ، كما قالوا : دِرهم ضرب الأمير .
قال عنترة :

يا شاةَ ما قَنَصٍ لمن حَلَّتْ له حَرُمَتْ علىّ وليتها لم تَحْـرُمِ

والغـاب : جمع غابة . وهى الأجمـة . والأسل : الرماح . وجعله كأسـد
لا أجمة له إلا الرماح .

الخـــوارزمى : كأنه ليث غابة ، وهو من ليوث الغاب ، واشتقاقه من الغَيْبة .

١٢ (تَكَادُ قِسِيُّهُ مِنْ غَيْرِ رامٍ تُمَكِّنُ مِنْ[1] قُلُوبِهِم النِّبالَا)

التـــبريزى : أى إنه مساعد الجـدّ محظوظ ، حتى إنّ قِسِـيه تكاد ترمى
أعداءه بالنبال وتصيب بهـا قلوبهم من غير رامٍ ينزع فيها ، وذلك لسعادة جَدّه
ومطاوعة الأقدار فيـه . الهاء فى " قلوبهم " عائد على الأعداء[2] . يعنى أنه مقبل
[الجـدّ[3]] سعيد ، تكاد قسيه تمكّن من قلوبهم النِّبال . والنِّبال : جمع نبل . قال
قوم : لا يقال لواحدة النَّبل نبلة ، ويقال : سهم . وقال بعضهم : يقال لواحدة
النبل : نبلة .

البطليـــوسى : سيأتى .

الخـــوارزمى : هو من قول أبى الطيب :

* يكاد يصيب الشىء من قبل رميه[4] *

(١) رواية التنوير والضرام والبطليوسى والمتن المخطوط : « فى » .

(٢) النص من أول الكلام إلى هنا يطابقه ما فى التنوير .

(٣) بمثل هذه الكلمة يتم الكلام .

(٤) صدر بيت له من قصيدة يمدح بها محمد بن سيار بن مكرم التيمى (١ : ٢٣٤) بشرح العكبرى .
وعجزه : * ويمكنه فى سهمه المرسل الرد *

١٣ ﴿تَكَادُ سُيوفُه من غَيْرِ سَلٍّ تُجِدُّ إلى رِقابِهِم انسِلَالا﴾

التبريزى : وانتصب "انسلالا" على أنه مفعول له . [لأنه][1] يحصل بالجد الحادث [فى][1] السيوف ، فكان الجد الحادث فيها ليحصل الانسلال ، فهو إذًا علة الإجداد . و "إلى" يتعلق بقوله "انسلالا" لأنّ انسلاله يتضمّن معنى الذهاب هاهنا . [أ] وانتصاب "انسلالا" على التميز ، أى كذلك سيوفه لمساعدة جدّه تكاد تنسل من أغمادها إلى رقاب أعدائه بجدِّها من غير معالجة سَلّ من سائف[2] . الضمير فى "رقابهم" عائد على "الأعداء" أيضا ، ومعناه معنى البيت الأوّل . ويقال : جدّ فى الأمر يَجِدّ ويَجُدّ جِدّا[3] ، وأجدّ يُجِدّ إجدادا ، بمعنى .

البطليوسى : معنى البيت الأوّل موجود فى قول أبى الطيّب[4] :

كأنّ القِسِىَّ العاصياتِ تُطيعه هوًى أو بها فى غير أنمله زهدُ

ويقال جدّ فى الأمر يَجِدّ ويُجُدّ ، وأجد يُجِدّ .

الخوارزمى : انسلالا ، منصوب على التميز . هذا مثل قول أبى العلاء[5] :

يكاد مِن قبل أن يجرِّدَها يعتنـق الدارِعينَ مُغمَدُها

١٤ ﴿تَكَادُ سَوابِقٌ حَمَلَتْهُ تُغْنِي عَنِ الأقدارِ صَوْنًا وابتِذالا﴾

التبريزى : المعنى أنّ سوابق الممدوح بلّغته مقاصده وأنالته مراده ، حتّى كأنّ أفعالها الأقدار أو قرُبَتْ أفعالُها من المقادير . ثم بيّن ماهية أفعالها بقوله :

(١) هذه التكملة عن التنوير . (٢) السائف : ذو السيف ، ومثله الرامح ذو الرمح . وفى الأصل : «سابق» . (٣) فى الأصل : «جدا وجدا» . وظاهر أن فى العبارة تكرارا . فلم تنص كتب اللغة على غير الجد ، بالكسر ، مصدرا لمكسور العين ومضمومها .
(٤) البيت فى ديوانه (١ : ٢٣٤) بشرح العكبرى . (٥) من القصيدة رقم ٣٥ من هذا الكتاب .

« صونا وآبتذالا » أى فى صيانة ما يريد صيانته وحفظه . وآبتـذال عدوّه ، أى إباحة دمه وآنتهاك حرمته[١] . أى تكاد سوابقه تغنى عن الأقدار فى صيانة ما يصون، وآبتذال ما يبتذل، كأنه يريد : فى حفظ الذِّمام[٢] و إباحة العدوّ .

البطليـوسى : يقول : تكاد خيله التى تحمله تفعل ما تفعله أقدار الله تعالى، من صونها لأوليائها وابتذالها لأعدائها؛ لأنّ مَنْ ركبها سعِد بها، أو لأنها تَسعَد بركوبه إياها . وهذا ينظر إلى قول أبى الطيب ، و إن خالفه فى بعض وجوهه :

كأنّ نوالك بعض القضاءِ ... فما تُعطَ منه تَجِده جدودا[٣]

وفيه إشارة أيضا إلى قوله :

يكاد مِن طاعة الحِمام له ... يقتـل من ما دنا له أجلُ

الخـوارزمى : صونا ، منصوب على التمييز من "تُغنى" . ١٠

١٥ (نَشأنَ معَ النَّعـامِ بكل دَوٍّ ... فقد أَلِفتْ نتائجُها الرِّئالا)

التـبريزى : النون فى "نشأن"، عائدة إلى السوابق، أى إنها خيل عربية جِياد، نُتِجت فى البوادى ونَشأن فيها مع النعام، لأنّ النعام إنما يكون فيها، فوقعت الأُلفة بين مِهارها وبين أولاد النعام لطول مصاحبتها إياها . ويحتمل أنّ الممدوح صاحبُ حروب وغزوات، فهو أبدًا مُصْحِر يجوب الفلا والبلاد، فوقع نَشَؤُها[٤] مع النعام . الدوّ : الأرض المقفرة . ونتائجها : ما تنتجه من المِهار ، أى هى خيل عربية نشأت مع النعام، فمِهارها تألف الرئال، أى فِراخ النعام[٥] . ١٥

---

(١) النص من أوّل الكلام إلى هنا يطابقه ما فى التنوير . (٢) فى الأصل : «الزمان» .

(٣) كذا وردت الرواية فى أ ، حـ . وتأويلها : ما أعطاك الله فهو عندك بمنزلة بخت تعطاه ورزقه . ونبه العكبرى على أن هذه الرواية وتأويلها باطلان . وصواب روايته : « فما تعط منه نجده جدودا » بكسر الطاء ، و بالنون فى « نجده » . (٤) النشأ ، بالتحريك : الصغار . ٢٠

(٥) النص من أوّل الكلام الى هنا يطابقه ما فى التنوير .

البطليوسى : نشأن : كبِرن ورَبَيْنَ . والدوّ : الفلاة التى لا أعلام بها ؛ ولذلك قال الحطيئة :

وأنّى اهتدتْ والدوّ بينى و بينها وما خِلت سارى الليل بالدوّ يهتدى

والرئال : فراخ النعام . ونتائجها : أولادها . يقول : نشأت خيله فى الفلوات مع النعام فتعلّمت سرعتها ، وألفتها النعام، فهى لا تنفِر منها .

الخوارزمى : فى أمثالهم : « أعدى من الظليم » ، لأنه إذا عدا مدّ جناحيه فكان حُضْره بين العدو والطيران، ولا سيما إذا نفر من شىء فإنه يسبق الريح . ويقال: « ركب جناحى نعامة » ، إذا أسرع . الدوّ : هى الصحراء التى لا نبات بها فى البوادى . يقول : هذه خيل نُتِجت فى البوادى مع أولاد النعام ونشأت حتى تعلّمت منها العدو ، وذلك إمّا لأنها عِراب ، و إما لأنّ الممدوح صاحب حروب وغزوات، فهو أبدا بها مُصحِر جوّاب فياف .

١٦ (ولمّا لم يُسابِقهنّ شىءٌ مِن الحَيَوانِ سابَقْنَ الظِّلالَا)

التبريزى : أى لمّا لم يتأتّ لشىء من الحيوان مسابقتُها، وما فيها من العتق والجودة أبدًا يتقاضى المسابقة طبعا، سابقن ظلالها ؛ لأنّ ظلالها تلازمها وتتبعها فى الجرى، فظلالُها نظائرها إذًا[(1)] .

قال : المراد منهنّ أنهنّ سبقن كل شىء من الحيوان فلم يبق لهنّ غرض فى مسابقته ، فأردن أن يسابقن ظلالهنّ ليسبقنها، فلم يصلن إلى ذلك ؛ ، لأنّ الظل للشىء لا يفارقه . و إنما يريد المبالغة فى شدّة عدوهنّ .

(١) النص من أوّل الكلام إلى هنا يطابقه ما فى التنوير .

البطليوسى : يقول : لما لم تجد شيئا من الحيوان يسابقها ولا يباريها ، ورأت ظلال أشخاصها تُناهضها حيثما نهضت ، وتُسرع معها إذا أسرعت، أنِفت من أن ترى شيئا يتعاطى مجاراتَها والسعى معها، وتوهمت أنها خيل تسابقها ، فهى تستفرغ أقصى جهدها فى الجرى لتسبقها، ولا يمكنها ذلك؛ لأنّ ظل الشىء ملازم له لا يفارقه . وإنما أراد المبالغة فى وصفها بالسرعة . وكأنه إنما تنبه على هذا المعنى بقول العرب : «أغرُّ من ظبيٍ مُقْمِر» . وقولهم : «تركته تَرْكَ ظبيٍ ظِلَّه» . وذلك أنّ الظبي يرى ظله فى القمر فيلعب معه ويتوهم أنه ظبي آخر يلاعبه؛ فإذا ملّ من ملاعبته وتبين له أنه ظله تركه . ولذلك قالوا لبعض الطير : مُلاعب ظِلّه(١)، لهذا المعنى .

الخوارزمى : اللام فى "ظلالا" ينصر مذهب الكوفيين من أنه عوض عن الإضافة؛ إذ لا يجوز أن يكون لتعريف العهد، ولا لتعريف الجنس. ألا ترى أنك لو قلت : سابقن تلك الظلالا، أو سابقن جنس الظلال، لم يحسن !

١٧ ﴿ترى أعْطَافَها تَرمِي حَمِيًّا كأجْنِحَةِ البُزاةِ رَمَت نَسَالا﴾

التبريزى : والمعنى أن هذه الخيل [فى](٢) سرعة الجرى كالطير، فما ينتفض عن أعطافها من العرق وهو أبيض — وعرق الخيل كأنه اللبن من البياض — يُشبِه ما يتناثر من ريش البزاة عند الطيران . شبّه عرقها بريش البزاة عند التناثر لبياضه، سيما حالة الطيران(٣) .

المعنى أن عرق الخيل أبيض، فكأنه ما ينسل من ريش البزاة، وهى فى السرعة كأنها طير . والحميم : العرق . والعِطْف : كل موضع ينعطف فى خَلْق الإنسان

(١) فى الأصل : « يلاعب ظله » تحريف . (٢) هذه الكلمة عن التنوير .
(٣) الكلام من أول النص الى هنا يطابقه ما فى التنوير .

وخلق الفرس، كالعنق والخاصرة . والنسيل، والنُّسال : ما ينتثر من ريش الطائر . شبَّهَ انتفاض العرق عن أعطافها عند الحُضْر بذلك .

البطليوسى : الأعطاف : النواحى والجوانب . والحميم : العرق ؛ يقال : استحمّ، إذا عرق . قال امرؤ القيس :

إذا ما استحمّت كان رَشْحُ حميمها ... على متنتيها كالجُمان لدى الحالِ[1]

والنُّسال والنسيل : ما سقط من الريش والشعر . شبّه ماترميه الخيل من عرقها بما يتساقط من ريش البزاة، لأنّ عرق الخيل أبيض . ولذلك قال طفيل الغنوى :

كأنّ يبيسَ الماءِ فوق مُتونِها ... أشاريرُ مِلحٍ فى مَباءةِ مُجْرِبِ

والأشارير : القطع . والماء : العرق . والمجرب : الرجل الذى جربت إبله فطلاها بالملح . والمباءة : المكان الذى يتبوؤه الإنسان . وقد قال السليك بن السُّلَكة[2] يصف الخيل :

تراها من يَبيس الماءِ شُهْبًا[3] ... مُخالِطَ دِرّة منها غِرارُ

وقال أبو العلاء فى موضع آخر :

كأن الرّكض أبدى المحضَ منه ... فمجّ لَبانُه لَبَنًا صريحا[4]

(١) المتنتان : لحمتان معصوبتان بينهما صلب الظهر . والحال ، بالحاء المهملة : طرائق ظهر الفرس ، وقيل : متنه .

(٢) كذا . والبيت منسوب لبشر بن أبى خازم من قصيدة له فى المفضلية رقم ٩٨ طبع المعارف . وقد ذكر الأنبارى أن هذا البيت يروى أيضا لرجل من بنى تميم .

(٣) شهبا ، أى أن العرق يجف عليها فتبيض . والدرة : كثرة العرق . والغرار : قلته . يقول : لا ينقطع عرقها فتتقطع ولا يكثر فيضعفها ذلك .

(٤) اللبان : موضع اللبب . والصريح من اللبن : الذى لم يخالطه الماء ، وكذلك المحض . أى كأن ركض الفرس قد استخرج اللبن الذى سقيه فنفض صدره لبنا خالصا ، أى عرقا . والبيت من القصيدة رقم ٥ .

الخوارزمى : الحميم هو العرق . ومنه أستحم . وهو من الأسماء الغالبة ؛ لأن أصله الماء الحار ؛ يقال : توضأ بالحميم . وهو فعيل بمعنى مفعول ، من حممت الماء أحُمّ ، بالضم : سخّنته ، أو بمعنى فاعل ، من حمّ الماءُ بنفسه . وأما إطلاقه على البارد فعلى القلب ؛ كقولهم للحبشىّ : أبو البيضاء ، وللسكّيت : المكْثار[1] . نسل الريشُ والشعر ، أى سقط . وهذا نُسال الطائرِ . ومنه : نَسِل الولد ينسل : وُلد ؛ وذلك لسقوطه من بطن أمه إلى الأرض . شبّه أعطاف الخيل وهى تعدو فيترشّش منها العرق ، بأجنحة البزاة وهى تطير فيتساقط منها الريش .

١٨ ﴿وقد ذابَتْ بِنارِ الحِقْدِ منْها شَكائِمُها فَما زَجَتِ الرُّوَالا﴾

التبريزى : أى هذه الخيل كأنها حاقدة على الأعداء ، فتكاد نار حقدها تذيب شكائمها ، فتُمازِج رُوَالها[2] . والرُّوال للخيل ، مثل اللُّعاب للإنسان . والشكم : جمع شكيمة ، وهى الحديدة التى تكون فى فم الفرس .

البطليوسى : الشكائم : جمع شكيم ، وهو فأس اللجام الذى يدخل فى فم الفرس . والروال : لعاب الخيل . يقول : شدّةُ ما تجده من الحقد على الأعداء يحملها على أن تعض على شكائم لجُمها ، فقد أذابها نار حقدها حتى آنحلّت وتميعت وصارت لُعابا مازج لعابها . وإنما قال ذلك لأن تقليبها للشكائم فى أفواهها وعضّها عليها يكثر اللعاب فى أفواهها ، فجعل ذلك كأنه شىء يتحال من لُجُمها فى أفواهها ، وإن لم يكن كذلك . ولا أحفظ هذا لغيره .

---

(١) السكيت : الكثير السكوت . والمكثار : الكثير الكلام . وإطلاقه على السكيت لم نجد له نصا غير هذا .

(٢) كذا فى الأصل . ولعل العبارة : « والشكائم والشكيم والشكم » .

الخــوارزمى : عضّت الخيل على الشكائم والشكيم فلاَنَ . يسيل رواله ، أى لعابه . والفرس يروّل فى مِخلاته ترويلا ، يسيل فيها رواله . ومنـه ترويل الرجل ، وهو إنزاله دون الوصول إلى المرأة .

١٩ (يُذِقْنَ بَنِى العُصاةِ اليُتْمَ صِرْفًا ويَتْرُكْنَ الجآذِرَ والسِّخالا)

التـبريزى : يقول : إنّ هذا المـ ح ليس همّته[(١)] صيد الوحش كسائر الملوك ، وإنّما همّته صيد الأعداء وقتلها وإبادتها ، بحيث لا يُبقِى منهم على أحد ، حتى يذيق أولادَهم اليتم صِرفا ، أى بحتًا خالصا ، بأن يقتل الآباء والأقارب ، حتى لا يُبقِى للولد كافلا أصلا . المراد أنّ هذه الخيل يُذقن بنى العصاة اليتم خالصًا كالرّاح الصِّرف ، وهى التى لا مِزاج[(٢)] لها ، وتترك الجآذر ، وهى أولاد بقر الوحش . يقال : جوذُر وجوذَر[(٣)] ، وهى فارسية معرّبة . والسخال : جمع سخلة . أى هـذا الأمير لا يرغب فى الصيد كغيره من الملوك ، وإنما يَذعَر الأبطال . وهذا كقول الأوّل :

صَـيْدُ الملوكِ أرانبٌ وثعـالبٌ وإذا رَكِبتَ فصَيدُكَ الأبطالُ

البطليـوسى : سيأتى .

الخـوارزمى : صِرفا . أى خالصا غير ممـزوج بشىء من المنافع ، أو بليغا ذا قوة بأن يكون يتما بقتل آبائهم وأمهاتهم وسائر أقاربهم ، حتى لا يبقى للوِلدان من يكفلهم ويؤويهم ؛ لأنّ الشراب متى كان صِرفا كان أقوى . السخال : جمع سخل ، وهو ولد الضائنة[(٤)] ، والأنثى سخلة . ومـدار التركيب على الضعف والرذالة . ومعنى البيت من قوله :

---

(١) فى التنوير : «ليس من همه» . (٢) فى الأصل : «لانزاج» وظاهر أنها محرفة عما أثبتنا .
(٣) هذان بالتسهيل ، ويقالان أيضا بالهمز وفيها لغات أخرى . (انظر اللسان والقاموس مادة جذر) .
(٤) الضائنة : أنثى الضأن ، وفى الأصل : «الضأنة» محرفة .

صيد الملوكِ أرانب وثعالب   وإذا ركبت فصيدك الأبطالُ

ولقد أصاب حيث كنى عن قتل العصاة بيتم أولادهم دون أن يصرِّح بقتلهم؛ لأنّ ذلك أدلُّ على تضاعف المضرة وتفاقُم الخطب عليهم؛ لدلالته على قتلهم وترك أولادهم يتامى . يقول : خيل الممدوح تقتل المستوجب للقتل، ولا تتعرض لغير المستوجب له .

٢٠ ﴿فَمَا يَرمِينَ بالآجَال إجْلًا   ويَرْمِينَ المَقَانِبَ والرِّعَالا﴾

التبريزى : الآجال : جمع أجَل ، وهو مدّة العمر، ومنتهاه أيضا ، وهو الموت . والمراد به هاهنا الموت . أى إنّهم لا يصيبون الوحش، وإنما يصيبون الأعداء . فى "يرمين" ضمير عائد على "الخيل" . والآجال : جمع أجَل ، من قولهم بلغ الإنسان أجله . والإجْل : القطيع من بقر الوحش . أى هذه الخيل لا ترمى الإجل بآجاله ، وإنما ترمى بالآجال المقانب . والمقانب : جمع مِقْنَب ، وهو مقدار الثلاثين والأربعين من الفرسان . والرعال : جمع رَعْلة ورَعِيل ، وهى خيل فى عدد المقنب . وهذا البيت تفسير لما قبله .

البطليوسى : الصِّرف : الخالص . والجآذر: أولاد البقر . وأراد بالسخال: أولاد الظباء . وأصل السخال، أنْ يكون للضأن والمعز، ولكنّ العرب تجعل الظباء كالمعز، ولذلك قال آمرؤ القيس :

كأنّها عَنْزُ بطنِ وادٍ   تعدُو وقد أُفرِدَ الغزالُ

والإجل : جماعة البقر، وجمعه آجال . وأراد بالآجال المنايا . وهذا كما قال الراجز:

* زُرنا بها الآجالَ بالآجال *

والمقانب : قطع الخيل للغارة . والرعال : جماعات الخيل، واحدها رَعْلة . وواحد المقانب مِقْنَب . يريد أنّ همّ هذا الممدوح ليس فى صيد الوحش، وإنما هو فى غزو الأعـــداء .

الخـــوارزمى : الآجال : جمع أَجَل ، وهو مدة الشىء ؛ تقـول ضربت له أجلًا ؛ ثمّ تعبّر به عن وقت الحَتْف خاصة . وهو من الأسماء الغالبة . وهاهنا عنى الحتوفَ . الإجْل : هو القطيع من بقر الوحش . وفى شعر جمال العرب الأبِيوَرْدى :

وطِرْفٍ إذا الآجالُ قفّيتَها به فهنّ لآجالٍ قُضِينَ فرائسُ[1]

الرَّعْلة والرَّعيـل ، هى الجمـاعة المتقدّمة من الخيل . وأقبلت الخيـل رِعالا وأراعيل . واسترعل : خرج فى أول الرعيل . يقول : خيـله تُعرض عن أسراب الظباء، وترمى بالحتوف صفوف الأعداء .

٢١ ﴿يُغادِرْنَ الكَواعِبَ حَاسِراتٍ يُنِلْنَ مِنَ العُداةِ مَنِ اسْتَنالَا﴾

التـــبريزى : أى إنّ هذه الخيل تصيب الرجال، وتفجع بهم النساء، فيندبنهم ويقمن النياحة عليهم حاسرات، أى باديات الوجوه ؛ لأنّ من شأن المرأة المخدّرة [أنّها] إذا أصيب زوجها أو قريبها برزت عن الحجاب، تندبه سافرة الوجه، كقوله :

قد كنّ يخبأن الوجوهَ تَســتُّرًا فاليــومَ حيـن بدونَ للنُّظّارِ[2]

وقوله : « ينلن من العــداة من آستنالا » أى إنهنّ صرن من الذلّ والضعف وعدم المَنَعة بحيث لايُدافِعن عن[3] أنفسهنّ، فمن طاب منهنّ شيئًا أنلنه، أى أعطينه.[4]

(١) البيت من قصيدة له فى ديوانه ص د ١٧ . والفرائس : جمع فريسة . وفى الديوان : «فوارس» تحريف . وقبل البيت :

حباه أمير المؤمنين بصارم كناظرتيه دونه القرن ناكس

(٢) فى التنوير . «برزن لنظار» . وللبيت قصة متداولة فى كتب الأدب . انظر المزهر (٢ : ٢٢٨) .

(٣) فى الأصل : « فى » . (٤) الكلام من أوّل النص إلى هنا يطابقه ما فى التنوير .

قال : الكواعب : جمع كاعب، وهى التى كعَب ثديها، أى صار مثل الكعب؛ يقال : كَعَب وتكعَّب ثديها . ويسار الكواعب، مذكور فى الشعر، ذكره الفرزدق فى قوله :

فهل أنت إن ماتت أتانُك راكبٌ إلى آل بِسْطامِ بن قيس لخاطبُ[1]

ولو مثلُك آختار الدنوَّ إليهمُ للَاقَى[الذى لاقى] يسارُ الكواعبِ[2]

وكان الفرزدق خطب آمرأة من ولد بسطام بن قيس ، وهى "حدراء" التى ذكرها فى قوله :

عَزفتَ بأعشاشٍ وما كِدتَ تَعزِفُ[3] وأنكرتَ من حدراء ما كنت تعرفُ

وهى حدراء بنـة زِيق بن بسطام بن قيس الشيبانى أحدِ فرسان العرب الثلاثة ، وهم عامر بن الطُّفَيْل الكِلابىّ، وعُتَيْبة بن الحارث بن شِهاب أحد بنى يربوع بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم، وبسطام بن قيس بن مسعود بن خالد . فلما طالبهم الفرزدق بدفع حدراء إليه دفعوه عنها، وخبَّروه أنها قد ماتت ، ويقال إنهم كَذَبوه فى ذلك مخافةَ أن يهجوهم جرير .

---

(١) وبمثل هذه الرواية ورد هذا البيت فى كتاب ما يعوّل عليه . وعلى هذه الرواية يكون فى الشعر إقواء، وسيعرض لذلك الشارح . وفى النقائض :

ألست إذا القعساء أنسل ظهرها إلى آل بسطام بن قيس بخاطب

القعساء من النساء : الداخلة الصلب العظيمة البطن . وإنما عنى هنا أتانا .

(٢) رواية البيت فى النقائض وما يعوّل عليه :

وإنى لأخشى إن خطبت إليهم عليك الذى لاقى يسار الكواعب

والتكلة من هذين المرجعين .

(٣) أعشاش : موضع فى بلاد بنى تميم لبنى يربوع بن حنظلة.

وكان من حديث يسارِ الكواعب أنّه كان عبـدًا[1] لرجلٍ من العرب ، ولذلك الرجل بناتٌ حِسان، بجعل يتعرّض لهنّ، فقلن: إنا نريد أن نبخِّرك بمِجْمَر[2]، أى عود، فأمكنّا من ذلك . فأعدَدْن له موسَى ليخصِينه . فلما كشف لهنّ عن سوأته عدون عليه فخصَينه .وفى الحديث أنهنّ قلن له : «يايسار، اشرب لبن العِشار، ولاتعرِض لبنات الأحرار» ، فلم ينتهِ لمـا قلن له .

وقوله «نخاطب» يحمله[3] بعض النـاس ؛ لأن الخفض بعيـد . وقال قوم : أراد : فهل أنت راكبٌ إلى آل بسطام وآل قيس يصلحُ[4] أن يخطب إليهم .

قال أبو العلاء رحمه الله : والذى أذهب إليه أنّ قوله : «نخاطِب» أمر لجرير، من قولهم : خاطبهم يخاطبهم خِطابًا[5]؛ كما تقول للرجل إذا لمته على الشئ فسكت : تكلّم : أى هات حجتك على ما فعلت .

و"يغادرن الكواعب"، أى يتركن. وحاسرات : جمع حاسرة أى قد كشفت وجهها . قال الربيع بن زياد فى مالك بن زُهَيْر :

من كان مسرورًا بمقتـلِ مالك   فليـأتِ مَاتَمنـا بوجــهِ نهـارِ
يجــدِ النســاء حواسرًا يبكينــه   ينــدُبْن قبــل تبلُّج الأسحـارِ

(١) فى الأصل : «أنه عبد» .

(٢) المجمر كنبر : الذى يوضع فيه الجمر بالدخنة ، ويؤنث ، والعود نفسه .

(٣) يحمله ، يريد رفعه على الحمل ، أى الإخبار .

(٤) الضمير فى : «يصلح» عائد إلى : «راكب» والجملة وصفية .

(٥) فى الأصل : «لجرير من قولهم نخاطب ، أى خاطبهم وخاطبهم» ، وهو ظاهر الاضطراب ؛ ولعل الصواب فيما أثبتنا .

وقال آخر، أنشده الأُشناندانىّ :

سألتْ خُليدةُ عن أبيها غدوةً بالسِّىّ هل ركبَ [الأغرّ] الأشقَرا
فـرأتْ أمارَ حِذارِها فسرَتْ لهم[1] حمراءَ عن خَضِل الجوانبِ أحمَرَا

السىّ : موضع ، وقيل : كل مكان مستوٍ فهو سِىّ . والأغرّ الأشقر : الدم ، أى هو أشقر فى لونه ، وأغرّ بالزبد الذى يعلوه ، لأنه أبيض[2] . وأمار حِذارها : علامته . فسرت لهم ، من قولهم سرى[3] ثوبه ، إذا نزعه . وسرت المرأة خمارها عن وجهها ، إذا كشفته . وحمراء ، يعنى مقنعة حمراء . ويعنى بخضل الجوانب : وجهها ؛ لأنه قد خَضِل بالدمع ، أى ابتلّ . وأحمر ، من صفة الوجه ، أى هى امرأة جميلة وجهها فيه حمرة[4] .

وقوله : « يُنِلن من العداة من استنالا »

يعنى من طلب منهنّ شيئا أنلنه ، أى قد ذَلّلن .

البطليوسى : يغادرن : يتركن . والكواعب : الجوارى اللواتى كعبت نهودهنّ ، أى ارتفعت للبلوغ . والحاسرات : المتكشفات . وقوله : «ينلن من العداة من استنالا » أى يعطين من أنفسهنّ ما يُسألن ، ولا يقدِرن على الامتناع . وهذا كقول النابغة :

خلْفَ العَضَاريط لا يُوقَيْنَ فاحشةً مستمسكاتٍ بأقتابٍ وأكوارِ

---

(١) فى الأصل : « له » . وتصحيحه من معانى الشعر للأشناندانى ص ٢٧ .

(٢) قال الأشناندانى : « يريد هل قتل فركب الدم ، أى كان على الدم فكأنه ركبه » .

(٣) يقال : سروت وسريت .

(٤) فى معانى الشعر : « عن خضل الجوانب ، أى عن وجه قد ابتل بالدموع ولطم حتى احمار » .

الخوارزمى : الكواعب : جمع كاعب ، وهى الجارية التى صار ثديها فى النتوء والنهوض مثل الكعب . يقول : خيلُه تشنّ الغارة على القبائل فتُبرِز العذارى منهم سافرة الوجوه ، بادية الأطراف ، قد وضعت فى طَرَف الثُّمام[1] أنفسَها ، وجعلتها عرضة لمن شاء أن يتناولها ، صُنْعَ الإماء المواهن[2] ، ليُرْغَب عنهنّ فلا يُسبين . ومن هذا القبيل بيت الحماسة[3] :

ونسوتكم فى الرَّوْع بادٍ وجوهُها يُخَلْنَ إماءً والإماء حرائرُ

ولقد أصاب حيث جعل الكواعب ، دون مُطْلَقات النساء ، كواشف عن وجوهها ورءوسها ؛ لأنه يريد أنّ الحيِيَّات المكرماتِ من النساء ، وهنّ الكواعب ، تستعجل عليهنّ البلية من جانب الممدوح وخيله إلى أن يفعلن أفعال ذوات الوقاحة المتبذلات . «ينلن من العداة من استنالا» . استناله : طلب منه أن ينيله ، كاستثابه واستعانه . وهذا مما لم أظفر به فيما وقع إلىّ من قوانين اللغة . الضمير فى «يُنلن» للكواعب . يريد : ينلن أنفسهنّ من العداة ، من طلب منهنّ أن يُمَكِّنَّه من أنفسهنّ .

٢٢ (يَبِعْنَ تُراثَ آباءٍ كِرامٍ ويَشْرِينَ الحُجُولَ أو الحِجَالا)[4]

التبريزى : يعنى أنّ النساء وَرِثن أسلحة آبائهنّ ، وليست هى من شأنهنّ ؛ لأنهنّ لا يقدِرن على استعمالها ، فصِرن يَبِعن الأسلحة ويشرين الحلى[5] ، أى يبعن السيوف والدروع ويشرين الحجول ، وهو جمع حِجْل ، وهو الخلخال ، والحِجال : جمع حَجَلة . ويشرين هاهنا بمعنى يشترين . وشَرَيت ، عندهم ، من الأضداد : يكون بمعنى بعت ، وبمعنى اشتريت . قال الراجز :

---

(١) يقال : هو لك على طرف الثمام ، إذا كان هين المتناول . (٢) المواهن : جمع ماهنة ، وهى الخادم . (٣) البيت لسبرة بن عمرو الفقعسى فى الحماسة . (٤) رواية هذا البيت عند الخوارزمى بعد تاليه . (٥) النص من أول الكلام الى هنا يطابقه ما فى التنوير .

شريتُ باللِّمَّـةِ رأسًا أزعرا   وبالثَّنايا الواضحـاتِ الدُّردُرا
وبطويلِ العمر عُمرًا جَيـدرا   كما آشترى المسـلمُ إذ تنصَّرا

وتراث، بمعنى ميراث، وأصـله الواو، من ورث، فأبدلوا من الواو التاء، وكثيرا ما يفعلون ذلك، نحو تُجاه، وتُكأة، وما أشبههما، أصلهما الواو.

البطليـــوسى : التراث : ما ورثنه عن آبائهنّ من السلاح والدروع. والحجول : الخلاخيل، واحدها حجل. والحجال : الستور. أراد أن آباءهنّ قُتلوا وأزواجهنّ، فلم يبق لهنّ منهم أحد يستعمل السلاح، فهنّ يبعنه ويشترين من ثمنه الخلاخيل والستور وما يحتاج إليه النساء؛ ليُنكحن ويَرغب فيهنّ الخُطّاب.

الخـــوارزمى : الحجول: جمع حجل، وهو الخلخال، فى قول البصريين بالكسر لا غير، وفى قول غيرهم بالكسر والفتح جميعا. والحجال : جمع حَجَلة، وهى الستر فى جوف البيت.

٢٣ ﴿يُغَالِينَ المَـدَارِعَ والمَدَارِى   ويُرخِصنَ المَنَاصِلَ والنِّصَالَا﴾

التـــبريزى : أى إنهنّ يكثرن شرى اللبـاس والحلى فيغلو أسعارها، ويكثرن بيع الأسلحة فترخص[1].

والمدارع : جمع مِدرعة، وهى دِرْع المرأة، أى قميصها. والمدارى : جمع مِدرًى، وهى الحـديدة التى تفرُق بها المرأة شعرَها. والمناصـل : جمع مُنْصُل، وهـو السيف بعينه. والنصال : جمع نَصْل، وهـو نصل السهم ونصل الرمح، والسيف نصل بلا قائم ولا جفن، والجميع : نِصال ونصول[2]. يقال نَصَلتُ الرمح،

(١) الكلام من أول النص إلى هنا يطابقه ما فى التنوير.

(٢) ويجمع النصل أيضا على الأنصل والنصل بضمتين. انظر لسان العرب والقاموس.

إذا جعلت له نصلا ، وأنصلته، إذا نزعت نصله . وكان أهل الجاهلية يسمّون رجبًا مُنْصِل الألّ — والألّ : جمع ألّة ، وهى الحربة — فكانوا ينزعون أسنّتها فلا يقاتلون فيه . وسِنان الرمح نصل ، وزُجّه نصل . ومعنى البيت واضح .

البطليوسى : المدارع : جمع مِدْرَعة ، وهى ثياب قصار للخدمة والتبذل[1] .
٥ والمدارى : الأمشاط ، بفتح الراء وكسرها ، واحدها مِدرى . والمناصل : السيوف . وأراد بالنصال السهام . والنصل ، اسم يقع على شَفْرة الرمح والسيف والسهم .

الخوارزمى : غالى اللحم وبه ، أى اشتراه بثمن غالٍ . المدارى : جمع مِدرى ، وهو السِّرخارة[2] ، وأصله من مدرى الثور ، وهو قرنه . عنى بالمناصل : السيوف . والنصال : السهام . ومنه : « لا سَبَق[3] إلّا فى خُفّ أو حافر أو نصل » . والمدارع
١٠ مع المدارى تجنيس المضارعة .

٢٤ (يَمَلُّ بِها السَّباسِبَ والمَوامِي فَتًى لَمْ تَخْشَ هِمَّتُهُ مَلالَا)

التبريزى : المعنى : بكثرة جرى العساكر وركض الخيل يَمَلّ البرارى ، وله همة لا تَمَلّ أبدا ؛ لأنها لا تزال تطمح [إلى] عظائم الأمور . فالبرارى تَمَلّ وتشكو من ركْض خيله فيها ، وهو لا يملّ . يقال : [أرض] سبسب و بسبس ،
١٥ أى لاشىء فيها ، وهو عندهم من المقلوب . ومن أمثالهم :

* لقد طَرَّحتْك التُّرَّهاتُ البسابسُ *

والترهات : جمع تُرّهة ، وهى طريق تنشعب من الطريق الأعظم فيضلّ فيها الإنسان ، ثمّ سميت الدواهى تُرّهات . والموامى : جمع مَوماة . وينتزعها

(١) فى أ ، حـ : « والتنزل » تحريف . (٢) السرخارة : المشط . وهو لفظ فارسى ،
٢٠ كما فى معجم استينجاس ٦٧٢ . (٣) السبق ، بالتحريك : ما يجعل من المال رهنا على المسابقة .

أصلان : أحدهما أن يكون أصلها مَوْمَوَة ، فقلبت الواو الأخيرة ألفا ، لتحركها وانفتاح ما قبلها ، ولم يحتسب بالهاء لأنها دخلت بعد تمام الاسم ، كما دخلت فى مَنجاة ومَغزاة ، ويكون اشتقاقها من المُوم وهو البِرْسام[1] ؛ كأن هذه المفازة يأخذ مَن سلكها البرسامُ من صعوبتها . والأصل الثانى أن تكون مأخوذة[2] من ومأت الى الرجل ، فى معنى أومأت ، وخففت الهمزة كما خففت[3] فى بَرِيّة ، وبقى[4] تخفيفا لازما ، أى إن الذين يسلكونها يومئ بعضهم الى بعض لأنهم يخشون أن يرفعوا أصواتهم بالحديث . وسكّن ياء الموامى للضرورة . ويقال أومأت إليه ، إذا كان قدّامَك ، وأوبأت ووَبأت[5] ، إذا كان المشار إليه خلفك . والدليل عليه بيت الفرزدق :

تَرى النّاسَ إن سِرْنا يسيرون خَلْفَنا ... وإن نحنُ أوبأنا إلى النّاس وقّفوا

وحُكى أنّ الفرزدق لقى كثيِّرا فقال : يا كثيِّر ، أنت أغزل الناس حيث تقول :

أُريد لأنسَى ذِكرَها فكأنما ... تَمثَّـلُ لى ليلَى بكلِّ سبيلِ

فقال له كثير : وأنت يا أبا فِراس أفخر الناس حيث تقول :

* ترى الناسَ ما سِرنا يسيرون خلفنا * البيت

وإذا البيتان لجميل ، سرق أحدهما الفرزدق ، وسرق الآخر كثير .

ومعنى البيت أنه تُمِلّ الخيلُ البرارىَ لكثرة سيرها ولم تملّ همّته . والبرارى تَمَلّ من كثرة سير خيله .

البطليوسى : السباسب والموامى : الفلوات والقفار ، واحدها سبسب وموماة . يقول : تَملُّ القفار من كثرة غَزَواته ووطئه إياها بحوافر جياده ، وهو لا يَملّ ذلك لبعد همته . ونحوٌ منه قول أبى الطيب :

(١) البرسام ، بالكسر : علة يهذى فيها .
(٢) فى الأصل : « تكون مأخوذا » .
(٣) فى الأصل : « النرة » تحريف .
(٤) فى الأصل : « وبقى » .
(٥) يقال بتخفيف الباء وتشديدها .

فقد ملّ ضوءُ الصبح مما تُغيره ومَلَّ سوادُ الليل مما تُزاحمُهْ

ومَلَّ القنا مما تَدُقُّ صدورَهُ وملّ حديدُ الهند مما يلاطمُهْ

الخوارزمى : السباسب : جمع سبسب، كالبسابس جمع بَسبَس ، وهما المفازة . الموامى : جمع مَوماة ، وهى المفازة . وهى تحتمل أن تكونَ فعللةً، وهو الظاهر، لأنها أكثر من فوعلة وفعلاة . وأصلها مَوْمَوَة ، فقلبت منها الواو ألفا لتحرّكها وانفتاح ماقبلها. وكأنها من المُوم وهو البِرسام، مضموما إليها الواو . يراد كأنها لصعوبتها ومهابتها يأخذ سالِكَها البرسامُ . ونظيرها : دَوْداة، لبعض أراجيح الصبيان، وشَوشاة للسريعة . قال السِّيرافى : « أصلهما دَودوة، وشَوشوة » . وأن تكون مَفْعَلةً من ومأت إليه، بمعنى أومأت ، مخفف فيها الهمزة تخفيفا لازما كما فى البَرِيّة، كأنّها لِمَا فيها من المخاوف يومئ بعض سالكيها إلى بعض بألا يرفع بالحديث صوتَه فيلحقَهم الهلاك؛ ومثله : « لقيتُه بوحْشِ إصمتَ »(١)، أى بأرض خالية ، واشتقاقها من الصموت . « فتى لم تخش همته ملالا » ، يقول : يُمِلّ المفاوزَ لكثرة سيره فيها، وهمّته لا تملّ ذلك .

٢٥ ﴿ذَكِىُّ القَلبِ يَخْضِبُها نَجِيعاً بِمَا جَعَلَ الحَرِيرَ لَهَا جِلَالا﴾

التبريزى : الباء فى " بما جعل " باء البدل والمجازاة، كما تقول : هذا بذاك ، أى بدله . أى إنّ الممدوح لما أكرم خيله بأن جعل جلالَها حريرًا أبدلها فى الحرب جِلالًا من دم ، بأن خضبها بالدماء، فكان خضابُها بالدم فى الحرب بدلَ إلباسه الحريرَ إيّاها فى غير الحرب . فوصفه بذكاء القلب حيث تفطّن لهذا

(١) الألف مقطوعة مكسورة والتاء مفتوحة ، كما فى اللسان .

الوجه من المجازاةِ ، ولا يُهتدَى لذلك إلاّ بغريزة العقل[1] . الهاء ، فى " يخضبها " راجعة إلى الخيل . والنجيع : الدم الخالص، ويقال هو دم الجوف . وهذه الباء فى قوله " بما جعل " تدخل على معنى المجازاة، مثل ما يقول الرجل للرجل : هذا الذى أفعل بك بما تقدّم من فعالك . أى إنه لما أكرمها بأن صيرّ لها جِلالا حريراً استجاز أن يُتعبها[2] فى الحرب حتى يخضبها بالدّم .

البطليوسى : الذكى : المتوقد الذهن ، كما تذكو النار . والنجيع : الدم الطرى . والجلال ، يكون واحدا و جمعا ، فإذا كان واحدا فجمعه أجِلّة ، و إذا كان جمعا فواحده جُلّ . وقوله : « بما جعل » ، هذه الباء تسمى باء الجزاء وباء البدل والعوض، كقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ ﴾ ، وقول طرفة :

بما قد أرى الحىَّ الجميعَ بِغِبْطةٍ ... إذِ الحىُّ حىٌّ والحلولُ حلولُ

وقال آخر :

فلئن كنتَ لا تُحِير جوابًا ... لَبِما قد تُرَى وأنتَ خطيبُ

ومثل هذا كثير .

الخوارزمى : الباء، فى " بما جعل " للبدل، يقال : هذا بذاك، أى هو عوضٌ منه . وفى المثل : « أَمَلِكًا بسوقة » . وأنشدنى بعض إخوانى من الأفاضل للأعشى :

على أنها إذ رأتنى أُقا ... د قالت بما قد أراه بصيرا[3]

(١) الكلام من أوّل النص إلى هنا يطابقه ما فى التنوير .

(٢) فى الأصل : « يتبعها » .

(٣) فى الأصل : « إذ قد رأتنى أقاد » . والصواب من ديوانه ص ١٢ .

وفى عِراقيات الأبيوردىّ :

محا آيَها صَرْفُ الليالِى وقلّمــا ... يُرَجَّى لمــا يَطْوِيه[1] أيدِى البِلَى نَشْرُ

بمــا قد تُرَى مُخْضَرَّةً جَنَباتُهــا ... يُجِيبُ صهِيلَ الأعوجىّ بها الهَدْرُ[2]

وما ، مصدرية . لمّـا وصفه بشيئين متضادّين، وهما ابتذاله الخيل مرّةً حتى يخضبَها بالدم ، وصيانته [إياها[3]] أخرى حتى يُلبسها جِلالًا من الإبْرِيسَم ، وهذا فى الظاهر شىء عليه سِمــةُ الحمق والخرق ، وصــفه بالذكاء والدهاء . يعنى هــو عالم باصطناع الخيل ومعالجــة القتال ، فيصونها فى الســلم كلَّ الصون ، و يبتذلها فى الحرب كلَّ الابتذال .

٢٦ ﴿ مَتَى يُذْمِمْ عَلَى بَلَدٍ بِسَوطٍ ... فَقَدْ أمِنَ المُثَقَّفَةَ النِّهَــالا[4] ﴾

التــبريزى : أذمّه ، أى أجاره، وأذمّه، إذا أعطاه [الذمــة] . والذمّة : العهد . والمراد بالذمة فى البيت الأمان ، كما فى قوله عليه [الســلام] : « و يسعى بذمّتهم أدناهم » ، أى بأمانهــم . والمعنى أنه إذا بذل الأمان لأجل بلدٍ بسوط ، وهو أضعفُ آلات الحــرب وأقلُّها ، أمِنوا عادية الرماح ، وهى أقوى الأسلحة وأطولُها . النِّهــال : العطاش ، وقد تكون فى معنى الرِّواء ، وهو من الأضداد . والمراد أنه إذا أذمّ بسوطٍ على بلد فقد أمِن ذلك البلدُ الرِّماح ، وهى أطول آلات الحرب ؛ والسّوط أقلها شأنا . وأذمّ : أعطاهم الذِّمام . والمثقّفة : الرماح؛ لأنها تقوّم بعودٍ يقال له الثِّقاف .

---

(١) وكذا فى الديوان ص ١٣٣ بالياء . (٢) الصهيل ، للخيل . والهدر ، للابل .

(٣) بمثل هذه الكلمة يلتئم الكلام .

(٤) رواية البطليوسى : « الطوالا » .

البطليـــوسى : يقال أذممت الخائف : إذا أعطيته ذمّة وعهدا مما يخافه . فيقول : إنّ هــذا الممدوح إذا أمّن أهل بلدٍ أمِنوا من أن يُغار عليهــم ويُتَعرّض لهم . والمثقّفة : الرماح المقوّمة بالثِّقاف ، وهى خشبة تقوّم بها الرماح . وذَكَر السوط ، لأنّ المجير من العرب كان إذا أجار أحدًا أعطاه ســوطه فيحتمى به حيثما ذهب ، أو أعطاه سهمًا من سهامه يكتب عليه : « فلان جار فلان » . ٥

الخـــوارزمى : يقال : أذمّه ، إذا أعطاه الذمّة ، وهى الأمان . وفى الحديث : « ويسعى بذمّتهــم أدناهم » . ثمّ تضمن معـنى العطف والترحم فتعدّى بعَـلَى . النهال : جمع ناهل ، كصِحاب جمع صاحب ، وهو من الأضداد . وكان حقيقة النهل أول السّقى ، والاكتفاء به قـد يقع وقد لا يقع ؛ فلذلك استعمل فى الرّىّ والعطش . وقيــل أصل النَّهَل الرِّىّ . وإنمـا قيل للعطشان ناهل على التفاؤل ، ١٠ كما قيــل للّديغ سَليم . الإشارة بالسوط من دأْب الملوك وكذلك بالمِخْصَرة ، وهى ما اختصره الملك أو الخطيب بيده فأمسكه من شِبه عصا أو عنَزة[1] أو عُكّازةٍ يشيربها وقتَ الخطاب ، ويصلُ بتحريكها كلامَه . قال :

يكاد يُزيل الأرضَ وقعُ خطابِهم إذا وصــلوا أيمانَهــم بالمخـاصر

ولعل إشارتهم بالســياط راكبين ، وبالمخاصر نازلين . وبيت أبى العلاء قد ١٥ اشتمل على مَدْحٍ تنفح منه روائحُ السّلطنة ؛ لأن تعميم مدينة بالمرحمة لا يُتصوّر إلا من الملوك ، لا سيما إذا كان من غير ترديد ســؤالٍ وإطالة قِيلٍ وقال . وكذلك عقد الذمّة لأهل ولايةٍ بتحريك السوط لا يكاد يكون إلا من أشرف الملوك . يريد أنّ تلك المكرمة العظيمة الشأن أحقر عنــده من أن يفتقر فيها إلى إعمال اللسان . وكذلك أَمْن تلك الولاية ، بعــد ميثاقه ، جيوشَ الأعداء ، ممـا لا يقوى عليه غير ٢٠ السلاطين العظماء . يريد أنه لا ينقض ميثاقه وإن انعقد بالتلويح ، من غير أن ينعقد

(١) العنزة ، بالتحريك : رميح بين العصا والرمح فيه زج .

بألفاظ التصريح . ويريد أنه مهيب لا يتجاسر على التعرّض لولايته الأعداء . وقد اشتمل على إغرابٍ أيضا لأنّه جعل ما هو مولَعٌ بالتعذيب ، وهو السوط ، سببَ الترويح . وهـذا لأنّ الأداة المهيّأة للفعل تنزل منزلة ما هو مُولَع بذلك الفعـل . ألا ترى إلى قول جمال العرب الأبيوردىّ :

وليلةَ رفّهنا عن العِيس بعدَ ما قَضَتْ وطرًا منهن مَلْوِيّةٌ جُرْدُ

حيث جعل إيلام العِيس من وطر السياط . ولقد أصاب حيث قابل السوط بالرماح لأنّ له شبها بها .

٢٧ ﴿إذا سَقَتِ السَّماءُ الأرضَ سَجْلًا سَقَاهَا مِن صَوارِمِهِ سِجَالَا﴾

التـــبريزى : أصل السجل : الدلو التى فيها [ماء] . ويقال : ساجله ، إذا آستقى كل واحدٍ منهما لينظر أيُّهما أكثر مستقًى . قيل : إنهم كانوا يفعلون ذلك عند المفاخرة ، ويرتجز كلُّ واحدٍ منهما بذكر مفاخره ، وإذا قلّ مفاخر أحدهمـا انقطع عن المساجلة ، وكان مغلوبًا ؛ فاســتعير السجل للمطر . ومعناه : أنّ الذى يسفِك من الدماءِ على الأرضِ أضعافُ ما يمطر السحاب عليها .

البطليـــوسى : السجل : الدلو إذا كانت مملوءة ماء ؛ ولا يقال لهـا دون ماء سجل . والصوارم : الســيوف القاطعة . يريد أنه يسقى الأرض من الدماء، أكثر ممـا تسقيها السماء من المـاء . وفيه شبهٌ من قول أبى الطيِّب :

هل الحَدَثُ الحمراءُ تعرِف لونَها وتعلم أىُّ الساقيين الغمائمُ(1)

سقتها الغَمامُ الغـرُّ قبلَ نزوله فلما دنا منها سقتها الجمـاجمُ

الخـــوارزمى : السجال : جمع سجل ، وهو الدلو العظيمة .

(1) الحدث : قلعة بناها سيف الدولة فى بلاد الروم . و بناها بحجارة حمراء . ج : « الحرب » محرفة . انظر العكبرى (٢ : ٢٦٦) .

٢٨ (وَيُضْحِى والحَديدُ عَليهِ شَاكٍ وتَكْفِيه مَهابَتُهُ النِّزالا)

التبريزى : والمعنى أنه لا يزال لا بسا للسلاح شائكه ، لا ليدافع عن نفسه بالسلاح ، لأنّ مهابته ووقعه فى النفوس قد أغنته عن أن يقاتل أحدا وينازله ، ولكن إنما يلبس السلاح لأنّ لُبْسَه أحزم فى الحرب وأحسن ؛ أو لأنّه لفرط محبته للحرب يحبُّ السلاح الذى هو من أداتها ، فيحبّ ألّا يفارق السلاحَ أبدا ، وإن كان مستغنيا عنه مهابة . شاك ، فيه لغات ، يقال : شاكٍ وشائك وشاكٌّ . والأصل من الشوك ، فقيل شاكٌ ، وهذا اللفظ يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون شاكٌ على فَعَلٍ أو فَعِلٍ ؛ وفعِل بالكسر أولى ؛ لأنّه يشارك فاعلا كثيرا ، فيقال : حاذِر وحَذِر ، ووارم وورِم ، وآسِف وأسِف ، فقلبت الواو ألفا لتحركها وآنفتاح ما قبلها . والآخر أن يكون شاكٌ المراد به شائك ، وقد حذفت منه عين الكلمة التى هى همزة فاعل ، فبقى على فال . ونظير قولهم شاكٌ ، فى أنهم نقلوه من قولهم شوِكٌ ، وهو فعِل ، إلى فاعل ، [أوْ][1] من قولهم شائك ، ثم قالوا شاكٌ ، قولهم : شجر لاثٌ بموضع كذا وكذا ، بمعنى لائث ، أى محيط به . فهذا على قولهم شائك . قال العجاج :

* لاثٍ به الأَشاءُ والعُبْرِىُّ[2] *

وقال الشاعر[3] :

فتعرَّفونى إننى أنا ذاكُم شاكٍ سِلاحِى فى الحوادِثِ مُعْلَمُ

وقال حُميد بن ثور :

فلما آشتكى فى شِكّةِ الحرب وآستوى على ظهر شَيحانِ القَرى عَتِدٍ عَبْلِ

أراد اشتاك ، فقلب ؛ كما قالوا : آنتاق الشيء ، إذا هو انتقاه .

(١) فى الأصل : « مثل قولهم » وكلمة « مثل » مقحمة .

(٢) الأشاء ، كسحاب : صغار النخل أو عامته . والعبرى ، بالضم : السدر النهرى .

(٣) هو طريف بن تميم العنبرى ، من قصيدة فى الأصمعيات ص ٦٧ .

والمراد أن مهابة هذا المذكور قد كفته أن ينازل [فى] الحرب، وإنما يلبس السلاح لأنّ لبسه أحزم. ويقال: شاكّ فى السلاح، بمعناه، إذا كان تامّ السلاح.

البطليوسى: يقال رجل شاكٍ فى السلاح، منقوص على وزن قاضٍ، وشاكٌ بضم الكاف والتخفيف، وشاكٌّ بضم الكاف والتشديد. فمن كسر الكاف وجعله منقوصا مثل قاض ففيه وجهان: أحدهما أن يكون مقلوبا من شائك كما قالوا جُرُف هارٍ، وأصله هائر. والثانى أن يراد به شاكِك، وهو فاعل من الشِّكّة، فأبدلت الكاف الثانية ياء، ثم أُعلّ كما أعلّ قاض. ونظيره قول الشاعر:

نَزورُ امرأً أمّا الإلهَ فيتّـــقى وأمّا بِفعلِ الصّالحين فيأتَمى

أراد يأتمّ. ومَنْ ضمّ الكاف وخفف ففيه أيضا وجهان: أحدهما أن يريد شائك ولكنه حذف عين الفعل، كما قالوا سهٌ، للآست، والأصل سَتَهٌ. والثانى أن يريد شوِك على مثال حَذِر، فانقلبت الواو ألفا لتحرّكها وانفتاح ماقبلها. ومعناه أنّ سلاحه حادّ كالشوك. ومن ضمّ الكاف وشدّد، جعله فاعلا من الشِّكّة، وهى السلاح. والنزال فى الحرب على ضربين: أحدهما فى أوّل الحرب، وهو أن ينزلوا عن خيلهم ويقاتلوا على أقدامهم، إذا عُقرت الخيل، أو كان موضعاً لاتتصرّف فيه الخيل. وهذا هو الذى أراد مُهَلْهِل بقوله:

لم يُطيقُوا أن ينزلوا ونزلْنـا وأخو الحرب مَنْ أطاقَ النزولا (١)

الخوارزمى: سيأتى.

---

(١) فى الأصل: «النزالا» تحريف. والبيت من أبيات فى الأغانى (٤: ١٤٩ بولاق). وقد ذكر البطليوسى أحد ضربى النزال ولم يذكر الضرب الآخر. وقد نقلهما عنه صاحب الخزانة فى (٢: ٣٠٥ بولاق) بتصرف. ويفهم منه أن الضرب الثانى من النزول هو أن ينزل الفريقان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربوا. والنزال والنزول بمعنى.

٢٩ ﴿ فَيُفْنِي الدِّرْعَ لُبْسًا واليَمانِي صِحَابًا والرُّدَيْنِيَّ اعْتِقَالَا ﴾

التبريزى : أى لشغفه بالحرب وآلاتها لا يزال يلبس الدرع ، و يعتقل الرمح ، و يتقلّد السيف إلى أن يُفنيها؛ لطول مصاحبته إياها . وانتصب "لبسا"(١) و"صحابا" و"اعتقالا" على أنه مصدر سدّ مسدّ الحال ، على تقدير: لابسا ، ومصاحبا، ومعتقلا(٢) . وصفه بحبه آلاتِ الحرب وإن كان غير محتاج إلى ذلك، ولكنه قد صارت له كالآلات ،فيعتقل الرمح إلى أن يُفنيه، وكذلك يلبس الدرع، و يحمل السيف .

وصحابا، منصوب على المصدر. وقد يجوز أن يقال هو مصدر فى معنى الحال . فإذا قالوا: جاء فلان مشيًا، فسيبويه يرى أنه حال، وإن كان مصدرا . وكان محمد ابن يزيد يجعله مصدرًا، والقولان متقاربان .

البطليوسى : وصف كثرة ملازمته الحرب ، وأنّ سلاحه يفنى فيها بكثرة استعماله له(٣) ،وليس كمن يُخلد إلى الراحات، و يتشاغل باللذات،حتّى يبلى سلاحه بقلّة استعماله إياه، وتعاقُبِ الليل والنهار عليه . وقد ذكرنا هذا المعنى فى تفسير قوله :

تموت الدرعُ دونك حتفَ أنفٍ ويبلى فوقَ عاتقِك النجادُ

والصِّحاب : المصاحبة ، وكلاهما مصدر صاحبته . والرديني : الرمح . والاعتقال : أن يضع الفارس رمحه بين رِكابه وساقه .

الخوارزمى : رجل شاكى السلاح، إذا كان فى سلاحه شوكة وحدّ ، وهو مقلوب شائك . المنسوب إلى اليمن يمنيٌّ، على ما هو القياس المنقاد ، لكنه

(١) هذه الكلمة من التنوير . (٢) فى الأصل : « مصاحبا ومعتقلا وملابسا » .

(٣) فى الأصل : « يفنيها بكثرة استعماله لها » .

يحذف إحدى ياءى النسب و يؤتى بألف عوضا منها ، فيقال يمانٍ، ومثله شآمٍ .
الردينىّ : منسوب إلى رُدَيْنَةَ امرأة سَمْهَر، وكانا بخط هَجَر[1] يثقّفان الرماح . فإن
قلتَ : إذا كانت له هيبة تكفيه المحاربة فلِمَ استصحابُ الأسلحة ؟ قلت : هو
لا يتيقن فى كلِّ زمانٍ أنه يُكْفَى فيه المحاربة إلّا بعد أن ينقضى. والممدوح فى كلّ حينٍ
قبل مضيّه شاكى السلاح مخافة أن يهجم عليه العدو من حيث لا يتوقّع ، فيُعَجّل
عن تهيئة الأسلحة وهو عنها خالٍ[2] . والحازم من يستعدّ للأمر عسى أن يقع .
ومنه قول صريع الغوانى :

تراه فى الأمْن ذا دِرْعٍ مُضاعَفةٍ لا يأمَنُ الدَّهرَ أن يؤتَى على عَجَلِ

وأما قول إياس بن مالك :

* يضارب قِرْنًا دارعًا وهو حاسر[3] *

فليس من قبيل ما ذكرناه ؛ لأنّ إياسا يصف جرأة الممدوح وشجاعته ، وهما
يصفان حَزامته . وقد صرّح بكلا المعنيين أبو سعيد الرُّسْتمىّ فى قوله :

يناجِى الكَرَى من حزمه وهو دارعٌ و يغشَى الوغَى مِنْ بأسه وهو حاسرُ

على أنّ بيت أبى العلاء يحتمل معنى آخر، وهو أن الممدوح لمحبته الكفاحَ، لا يفارق
السلاح .

٣٠ ﴿يَبِيتُ مُسَهَّدًا والليلُ يَدْعُو بضَوءِ الصُّبْحِ خالقَهُ ابْتِهَالَا﴾

التبريزى : أى إنّ الليل يفزع من خيله ، كما أنّ السباسب تملّ منها ،
كما سبق . فالليل يدعو الله ليفرّج عنه بالصباح . وهذا من دعاوى الشعراء .
و" ابتهالا " منصوب على الحال ، وذو الحال الضمير فى " يدعو "، وهو ضمير

(١) هجر : قاعدة البحرين . وفى الأصل : « صحر » . وصوابه من اللسان مادة (ردن) .
(٢) موضع كلمة « وهو عنها خال » هاهنا ، وقد وردت فى الأصل بعد كلمة « ينقضى » السابقة .
(٣) صدره كما فى الحماسة : « وأكثرنا يافعا يبتغى العلا » .

الليل ، والعامل فى الحال " يدعو " فكأنه قال : يدعو الليل مبتهلا ، ويجوز أن يكون انتصاب "ابتهالا" على المصدر، لِما فى الدعاء من معنى الابتهال، والأول أوضح.

الابتهال : الاجتهاد فى الدعاء وغيره . والمراد أنّ الليل قد أدركه الفزع فهو يدعو الله سبحانه بالصبح ليخلُص ممّا هو فيه، وهذه دعوى الشعراء، يبالغون فى الأشياء حتى يخرج الكلام إلى المحال. كما أملّ السباسب بالخيل أملّ بها الليل؛ فهو يبتهل إلى الله سبحانه من الفزع بالصباح ليفرّج عنه .

البطليوسى : الابتهال : الاجتهاد فى الدعاء، وهذا معنى ظريف ولّده من قول أبى الطيّب :

أعَزْمِى طَالَ هذا الليلُ فانظُرْ أمِنك الصبحُ يَفْرَق أن يئوبَا

وأبو الطيب أوّل من أثار هذا المعنى ، فأخذه أبو العلاء وخالف به ما ذهب إليه أبو الطيّب، لأنّ أبا الطيّب ذكر أنه بات عازمًا على أمرٍ ينويه، وحدثٍ يريد أن يُوقِعه بأعاديه ، فكأنّ الصبح يخاف من عزيمته ، ويتوقّع أن يناله شرٌّ من طويّته، فلذلك يتأخّر عن الإقبال على عادته . وذكر أبو العلاء أنّ الليل يخاف أن يناله شرٌّ من عزيمة الممدوح التى يسهر من أجلها ، فهو يتمنّى أن يجىء الصباح ليتخلّص من شرّها .

الخوارزمى : يقال : دعا الله بالعافية ، ودعا الله بالمغفرة . يقول : يبيت يقظانَ ليكفى المسلمينَ ما يهمّهم من الذبِّ عن حوزتهم ، والمحاماة دون بَيضتهم، وذلك فى ليلٍ قد تكاثرت[1] فيه الأهوال حتّى هاب الليل، فدعا الله تعالى أن يُعيد عليه الصبحَ لينجو ممّا فيه من المخاوف .

(١) فى الأصل : « قد يكاد ترت » محرفة .

٣١ ﴿إذا سَئِمَتْ مُهَنَّدَهُ يَمِينٌ لِطُولِ الحَمْلِ بَدَّلَهُ شِمَالا﴾

التبريزى : يمين وشمال ، نكرة . ولكنّ النكرة هاهنا أفادت فائدة المعرفة ؛ لأنه فُهم منها يمين الممدوح وشماله ، لما تقدّم من قوله : «ويضحى» و «يفنى» ، فنزل يمين بمنزلة يمينه . يقول : إنه لا ينفكّ سيفه بيمينه حتى تملّ يمينه لطول حمله . وإذا سئمت يمينه السيف نقله (١) إلى شماله شغفا به ولم يترك حمله . مهنده : سيفه ، وهذا تنويه لإلفه آلات الحرب ؛ لأنه إذا سئمت يمينه نقله إلى الشمال .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : «شمالا» منصوب على أنه المفعول الثانى لبدّل ؛ يقال بدّله بخوفه أمنا . نكّر يمينًا وشمالا لنيابة التعريف فى مهنده عن التعريف فيهما ، واحتواء التنكير فيهما على حسن أدب ؛ وذلك لأنّ فيه تفاديا عن التصريح بإسناد السآمة إلى يمينه وشماله .

٣٢ ﴿أَفَادَ المُرْهَفَاتِ ضِيَاءَ عَزْمٍ فَصَارَ عَلَى جَوَاهِرِهَا صِقَالَا﴾

التبريزى : وصفه بنفاذ العزم ومضاء الهمّ ، وأنه لا يجارَى فيه ، حتى إنّ صحة عزمه أورث السيوف مضاء ، وأفادها نفوذا وتصميمًا فى الضّريبة ، فصار فِرند السيف دليلَ صحةِ جوهره ، وصار بريقه وصفاؤه الذى يشبه الصِّقال دليل ما أَثَرُهُ . واستفادةُ قوّة التصميم والمضاء ، من عزمه النافذ وهمه الماضى ، فكأنما عزيمته القضاء النافذ . المرهفات : جمع مُرهَف ، وهو السيف . وإرهافه : رقّته وحدّته . وقد استعير المرهف للخصر . وجوهر السيف : فِرنده . أى عزمه له ضياء ، فكأنه قد أعاره السيوفَ فصار فى جواهرها كالصقل . أى

(١) فى الأصل : «السيف الحادث» . وأثبتنا ما فى التنوير .

نفاذ عزمه ومضاؤه أفاد سيوفه مضاءها وصفاء جوهرها، فصارت سيوفه كعزماته رونقًا ومضاء. وما أحسن ما وصف المتأخر العزماتِ بالمضاء فقال :

* عَزَماتٌ كأنها أقدارُ *

البطليوسى : السأم : الملل . والمرهفات : السيوف المحدّدة . واستعار للعزم ضياءً لمعنيين : أحدهما أنّ العزم معناه إنفاذ الأمور، وترك التردُّد فيها؛ وذلك يهيّج نار الحرب ويُذْكيها . ولذلك قالوا : «فلان لا يُصْطَلَى بناره» . وقال الربيع بن زياد :

حَرَّقَ قيسٌ علىَّ البــلا دَ حَتَّى إذا اضطرمت أجْذَما

والمعنى الثانى أنّ العزم إنما هو إنفاذ الأمر بعد ظهورِ وجهِ الصواب فيه . وأمّا معنى بيت أبى العلاء فإنه أراد أنّ سيوف الممدوح علمت أنّ صاحبها شديد الشكيمة، ماضى العزيمة، فاستفادت من عَزْمه ضياءً أحدث ذلك تصميمًا ومضاء، فما يُرى عليها من فِرِندها وصِقالها فإنّمــا هو مستفاد من توقُّد عزائمه واشتعالها . وهذا المعنى موجود فى بيت أبى الطيب :

كفِرِنْدِى فِرِنْدُ سيفِى الجُرازِ لذّةُ العَــينِ عُــدّةٌ للــبِرازِ (١)

وفى قوله :

تلقى الحُســامَ على جراءةِ حَدّهِ مِثْلَ الجبانِ بِكفِّ كلِّ جبانِ

الخــوارزمى : الضمير فى : « فصار » للضياء .

٣٣ (وَأَبْصَرتِ الذَّوابلُ منه عَدْلاً فأصْبَحَ فى عَوامِلِها اعْتِدالا)

التــبريزى : المعنى : أنّ مِن ســيرته العدلَ والاســتقامةَ فى جميع أحواله وأفعاله، وأنّ سجيّته تقتضى العــدلَ حتّى من الذوابل، فأطاعته الذوابلُ فى قضية

(١) يقول : كجوهرى جوهر سيفى، وهو يحكينى فى المضاء، وهو حسن فى العين وعدّة للقاء الأعداء . انظر العكبرى (١ : ٣٤٥) .

العـدل ، فاستوت عواملُها معتدلةً امتثالاً لاقتضاءِ سـيرته . الذوابل : الرماح ؛ [واحدها ذابل ، ويجمع] ذبلا أيضـا[1] [2] . وعامل الرمح : مادون السنان بقدر ذراع أو أكثر . والمعنى أنّ الاعتدال الذى فى عوامل الرماح إنما هو له كالطاعة ؛ لأنها علمتْ أنّه يريد العدل، فصارت معتدلة لذلك .

٥ البطليـوسى : يقـول : علمت الرّماح أنه يحبُّ العـدل فاعتدلت ، فلذلك يُرى لرماحه من الاعتدال ما لا يرى لغيرها . وعوامل الرماح : صدورها . وخصّها بالذكر لأنّ معوّل الرمح إنما هو على عامله . وقال: «فأصبح» ،ولم يقل : فأمسى لأنّ الصباح إقبال، والمساء إدبار .

الخـوارزمى : خصّ الذوابل لأنها لاتكاد تعتدل .

١٠ ٣٤ ﴿وجُنْحٍ يَمْلأُ الفَوْدَينِ شَيْباً ولَكِنْ يَجْعَلُ الصَّحْراءَ خَالا﴾

التـبريزى : أى وربَّ ليل شديدٍ هائلٍ يُشيب الرأس بطوله وشدّة الخطب فيه ، ولكن يسوّد الارضَ بشدّة ظلمته . أى يفعل فعلين متضادّين، يورث الرأس بياضا، والجوّ سوادا .

الجِنح والجُنح : القطعة العظيمة من الليل . ويسمى الليل جنحا . والفودان : ما عن يمين الرأس وشماله . أى إنّ هذا [الليل] يشيب الرءوس لطوله فينقل السواد ١٥ إلى البياض، على أنه يسوّد الأرض فيجعلها كالخال ، أى كالشامة السوداء ، فهو يفعل فعلين متضادّين . وإنما يصف اللّيل بطوله وظلمته .

البطليـوسى : الجِنْح من الليل والجُنْح سواء، بكسر الجيم وضمها . والفودان : جانبا الرأس . والصحراء : الفلاة . يريد أنّ هذا الجنح يملأ فودَي السارى فيه شيباً

٢٠ (١) هذه التكلة من التنوير . (٢) ذبل ، ككتب وركع ، كما فى القاموس .

لطوله وهوله ، و إن كان يسوِّد الصحراء فيجعلها كالخال بلونه ، فهو يفعل فعلين متضادّين . وكأنه مأخوذ من قول القائل :

رُبَّ ليلٍ كأنه خالُ حُسْنٍ بوَجنتيكْ

الخوارزمى : يقول : ربَّ ظلمةٍ لشدّة سوادها ولما فيها من الفزع تهيّبها من يخوضها حتّى يشتعل رأسه شيبا . وهذا مقتبس من قوله تعالى : ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ الوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ . وقوله يجعل الصحراء خالا ، يعنى يسترها بمحض من السواد غيرِ مشوبٍ بشىء من البياض، فيجعلها كالخال . ولقد أغرب حيث جعل السواد، أعنى الجنح، يتولّد عنه البياض ، أعنى الشيب؛ ثمّ جعله يستوعب الفودين شيبا و يملؤهما . وهذا يدلّ على أنّ الشّيب قد غلب وتكاثف حتى صار كالأجسام المالئة للمكان، والشخوص الشاغلة للحيِّز، ثمّ جعله مصدر أثرين متضادّين ، وهما بياض الفودين وسواد الصحراء ، ثم جعل سواد الصحراء مع تعاظمه خالًا بالإضافة إلى ما امتلأ به الفودانِ من بياض الشيب .

٣٥ ﴿أَرَدْنَا أَنْ نَصِيدَ بِهِ مَهَاةً فَقَطَّعَتِ الحَبَائِلَ والحِبَالَا﴾

التبريزى : المعنى أنه نام فى تلك الليلة فزاره فيها خيالُ حبيبته الذى فيه شبه المهاة ، فانتبه بصهيل فرسه ولم يتمّ له التمتُّع بوصال الخيال . نزّل نومه منزلة الحبالة التى يصاد بها الوحش، وجعل خيالَ المحبوبة كالمهاة التى تُصاد بالحبائل، وجعل زوالَ نومه القاطع للحلم كنفرة المهاة وتقطيعها الحِبالة .(١)

أصل المهاة بقرة الوحش ، ثمّ شبهت المرأة بالمهاة؛ أى كأنها وحشية . أى أردنا أن نصيدها فقطعت الحبائل . [والحبائل] : جمع حِبالة ، وهى المَصْيَدَةُ .

(١) النص من أول الكلام إلى هنا يطابقه ما فى التنوير .

والحبال، يحتمل وجهين : أحدهما أن يراد به حِبال المودة، وهو الأجود، والآخر يعنى بهـا الحِبال المتَّصلة بالحبالة . والهـاء فى " به " راجعة إلى الجنح . ومعنى البيت أنه لمـا نام فى هذا الليل المظلم جاءه خيالٌ من يهواه، فأنبهه الفرس بصهيله ولم يتمّتع بالخيال .

البطليـــوسى : المهاة : البقرة . والحبائل : الشَّبَك التى يُصطاد بها الوحش ، واحدها حِبالة . ومن أمثال العرب « خَشٍّ ذُؤالةَ بالحِبالة »[1] . وذؤالة : الذئب . وهذا البيت عكس قولِ أبى تمّـام :

ظَبيٌ تقنَّصْـتُه لمـَّا نصبتُ له ... فى آخر الليلِ أشراكًا من الحُلُمُ

الخـــوارزمى : سياتى .

٣٦ ﴿وَنَمّ بِطَيْفِهَا السَّارِى جَوَادٌ ... فَجَنَّبَـا الزِّيارَةَ والوِصَالاَ﴾

التـــبريزى : والمعنى أنّ الجواد بصهيله جنَّب الخيال عن الزيارة ، أى منعه ومنع المحبَّ عن وِصال خيال المحبـوب . وهذا مبالغةٌ فى وصـف الفرس بِصدْق حِسّ السـمع ، حيث أحسَّ بإلمـام الخيال . نمّ من النميمة[2] . وفى هـذا البيت مبالغة فى صفة هذا الجواد بالسمع ،لأنه يحسُّ بالخيال الزائر، فإذا علم الخيال بذلك امتنع من الزيارة، فكانَ الجواد بين خلّتين : سمع لم يؤت مثله سواه، وغيرة مفرطة .

البطليـــوسى : سياتى .

الخـــوارزمى : لاحظ جانب المســتعار حيث وصف المهاة بتقطيعها الحبائل والحبال، والمستعارِ له حيث أثبت له طيفا . ونظيره قول طَرَفَةَ :

---

(١) خش : من التخشية ، وهى التخويف . والمثل يضرب لمن لا يبالى تهدده . أى توعد غيرى فإنى أعرفك . انظر الميدانى .

(٢) النص من أوّل الكلام إلى هنا يطابقه ما فى التنوير .

وفى الحىِّ أحوَى ينفُض المَرْدَ شادنٌ مُظاهِرُ سِمطَىْ لؤلؤٍ وزبرجدِ

فقوله : « ينفض المرد »، رعاية لجانب المستعار ؛ وقوله : « مظاهر سمطى لؤلؤ وزبرجد » رعاية لجانب المستعار له .

٣٧ ﴿وأَيْقَظَ بالصَّهِيلِ الرَّكْبَ حَتَّى ظَنَنْتُ صَهِيلَهُ قِيلًا وقَالَا﴾

التبريزى : المعنى أنّ الجواد لما أحسّ بطيف الخيال صهل وأيقظ الركبَ بصهيله، حتّى ظننت ذلك قالةَ الناس يتحدّثون بحالنا (١) . القيل والقال اسمان . وهذا البيت إيضاح لما قبله .

البطليوسى : الطيف هاهنا : الخيال الذى يُرى فى النوم. والسارى : الماشى ليلا . والركب : جمع راكب . وصف أن خيال محبوبته زاره فى النوم، فلما همّ بنيل وطره منه صهل الفرس، فاستيقظ من نومه وذهب الخيال .

الخوارزمى : القال : السؤال . والقيل : الجواب . ونهى عليه السلام عن قيلَ وقالَ : مبنيين على الفتح ومعربين أيضا . وهو من قِيلَ كذا، وقال فلانٌ كذا . وبناؤهما على كونهما فعلين محكيين متضمنين للضمير . ونحوه :

نُبِّئْتُ أخوالى بنى يزيدُ (٢) البيت ... ...

والإعراب على إجرائهما مجرى الأسماء خِلْوين عن الضمير .

٣٨ ﴿ولَوْلَا غَيْرَةٌ مِنْ أعْوَجِىٍّ لَبَاتَ يَرَى الغَزَالَةَ والغَزَالَا﴾

التبريزى : المعنى أن الفرس [حين] (٣) أحسّ بإلمام الخيال بنا غار على ما حصل لنا من وِصال الخيال، فأغار على طِيب وِصالنا بالصّهيل وإيقاظ الركب .

(١) فى الأصل : «ظننت قال الناس يتحدثون بحالنا» . والنص إلى هنا يطابقه ما فى التنوير .

(٢) انظر خزانة الأدب (١ : ١٣٠) . (٣) التكملة من التنوير .

ولو لم يعجِّل بالصهيل لبات الجواد يُشاهِد من الخيال بهاءَ الشمس وشبه الغزال لتحقُّقهما فيه[1] . الغزالة : الشمس . والغزال : ولد الظبية . أى هذه الزائرة قد جمعت شبهين : أحدهما من الغزالة، والآخر من الغزال . والأعوجى : فرس منسوب إلى أعوج . والمعنى أنه لولا أنه عجّل بالصهيل لبات ينظر مِنْ هذه الزائرة

٥ إلى الشمس و إلى الظبي؛ لأنها قد أخذت شبها من الشمس وشبها من الظبي .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الأعوجى : منسوب إلى أعوج، قال أبو عبيدة هو فرس لكندة. وقال الأصمعى: هما أعوجان، فالأكبر لغنيّ، والأصغر لبنى هلال. الغزالة هى الشمس عند طلوعها، كما أنّ الجونة هى هى عند غروبها . يروى «يَرَى» من

١٠ الرؤية، و« يُرِى » من الإراءة؛ والوجه هو الأول؛ لأنه يريد أنّ غَيْرته سبّبت أن حُرِم جمالَ حبيبٍ هو كالشمس وجهًا، وكالظبي جِيدًا وطرفا . وفيه أدنى رائحة من المثل السائر : « يداك أوْكَتَا وفُوكَ نَفَخ » . ورؤية الشمس ليلًا إغراب مليح .

٣٩ ﴿يُحِسُّ إذَا الخَيَالُ سَرَى إلَيْنَا فَيَمْنَعُ مِنْ تَعَهُّدِنَا الخَيَالَا﴾

التبريزى : التعهد : التحفظ بالشيء . وتعهّدت فلانا ، أى تفقّدته .

١٥ وأصله من العهد، وهو المطر بعد المطر يصيب الأرض، و جمعه عِهاد. أى هكذا عادة الفَرس مهما يَسْرِ الخيال و يدنُ منّا يحسّ بزيارته فينبِّهنا من النوم و يمنعنا عن تفقد الحبيب . و يجوز أن يريد بالتعهُّد اللقاء[1]، من قولهم عهِدته، أى لقيته . هذه الأبيات يوضح بعضها بعضا؛ لأنه يذكر البيت وتفسيره فيما يليه .

---

(١) النص من أول الكلام إلى هنا يطابقه ما فى التنوير

البطليوسى : الأعوجى : فرس من نسلِ أعوج ، وهو فرسٌ عتيق تنسب إليه الخيل العتيقة. وقد ذكرناه فى موضع آخر . والغزالة : الشمس . يقول : لولا أنّ هذا الفرس الأعوجى أحسَّ بمجىء الخيال فأدركته غيرةٌ لذلك ونمَّ بمجيئه وصهَل حتّى أيقظ الركب ، لبات هذا العاشق يرى من محبوبه غزالة وغزالا . وفى هذا وصفُ للفرس بجودة الحس وصدق السمع ، كما وصفه بذلك فى موضع آخر فقال : ٥

يُحِسُّ وطء الرزايا وهى نائبة[1] فيُنْهب الجرىَ نفسَ الحادثِ المكِرِ

وهذا أبلغ فى معناه من قول أبى الطيّب :

وتَنصب للجرى الخفىِّ مسامعًا يَخَلْنَ مناجاةَ الضمير تناديا

الخيال منصوب بيمنع ، كأنه قال : فيمنع الخيال من تعهُّدنا .

الخوارزمى : تعهَّدت فلانا ، وتعهّدت ضيعتى[2] . واشتقاقها من العهدة وهى المطر بعد المطر يصيب الأرض . وقوله « تعهُّدنا » من باب إضافة المصدر إلى المفعول . وقوله «الخيالا» منصوب على أنه مفعول يمنع . يريد يمنع الخيال من أن يتعهدنا . يقول : هذا الفرس لحدّة سمعه وبصره يسمع نَبأة الخيال و يُثبت شخصَه إذا طَرَقنا ليلا . ومثله قوله فى وصف فرس أيضا : ١٠

كأنّ أذنيه أعطَتْ قلبه خبرًا عن السَّماء بما يَلْقَى من الغِيَرِ ١٥
يُحِسُّ وطءَ الرّزايا وهى نازلةٌ فيُنْهب الجرىَ نفسَ الحادثِ المكِرِ

وفى أمثالهم : «أَسْمَعُ من فرسٍ، بيَهْمَاء فى غَلَس» . و يروى «أبصر» مكان «أسمع» . والفرس ، فيما يقال ، يسقط منه الشَّعر فيسمع وقعَه على الأرض . وتقول

(١) كذا فى حـ . وفى ا : « نائمة » . لكن رواية البطليوسى نفسه فى القصيدة الثانية : « وهى نازلة » . ٢٠
(٢) تقال بالفتح و بالكسر .

الفُرْس : ليس فى الدوابّ أبصر من الفَرَس؛ فإنه لو أُجرى فى الضّباب الكثيف ومُدّ فى طريقه شعرةٌ لوقف عند انتهائه إليها .

٤٠ (سَرى بَرْقُ المَعَرّةِ بَعْدَ وَهْنٍ فبَاتَ بِرَامَةٍ يَصِفُ الكَلَالا)

التبريزى : يقول : لمّا حللتُ برامة مغترِبا، نظرتُ إلى برقٍ سرى من جانب الشام من صَوب المعرّة، حتّى إذا بلغ رامة بات يصف الكلال . بعد وهن، أى طائفة من الليل . والمراد أنّ البرق ضعف ، فكأنه يصف كلاله . ورامة : موضع .

البطليوسى : وصف أن برق المعرّة لمع بعد وهنٍ من الليل، وهو مقدار ثلثه، فحَنّ هو وأصحابه إلى أوطانهم، وأنّ البرق لمّا وصل إلى رامة كَلّ وأعيا لبعد المسافة التى قطعها . والبرق لا يُعيِي، ولكنّها مبالغة فى البعد؛ كما قال أبو الطيب :

وَأَمَقَّ لوخَدَتِ الشّمالُ براكِبٍ فى عُرْضِهِ لَأناخَ وهو طليحُ

الخوارزمى : معرّة النعمان من قرى الشام ، إليها ينسب أبو العلاء صاحب السقط . معنى وَهْنٍ من الليل أى طائفة منه، قال الخارزنجى : سمّى بذلك لأنه يوهن الناس . رامة : موضع . يصف الكلالا، من قبيل قولهم : وجهها يصف الجمال، وعينها تصف السحر، و(تَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الكَذِبَ)[1]. وهذا من فصيح الكلام وبديعه . ولقد أوهم حيث قرن الوهْن بالسُّرَى لكونه مناسباً لها من حيث دلالته على الضعف وسقوط القوة، وحيث جعَل البرق واصفًا للكلال بعد السُّرى؛ لأنّ من شأن المسافر إذا بلغ المنزل أن يصف ما لحقه من الكَلال فى الطريق .

(١) انظر الآية ٦٢ من سورة النحل .

٤١ (شجا رَكْبًا وأفراسًا وإبْلًا ... وزادَ فكادَ أن يَشْجُو الرِّحالا)

التبريزى : وزاد ، أى وزاد البرق فى الشجو والتشويق حتى كاد أن يحزن الرحال، مع أنها جماد لا تشعر بالشوق والحزن . وهذا مبالغة فى وصف حنينهم إلى الأوطان[1] . شجاه يشجوه : إذا حزنه . والمعنى أن هذا البرق شجا الركب والأفراس والإبل ؛ وذلك أنه حزنهم لما ذكّرهم أوطانهم، وزاد فكاد أن يشجو الرحال، أى قارب ولم يفعل؛ لأن الرحال لا تحسّ ولا توصَف بأنها مشجوّة .

البطليوسى : يقال : شجوته أشجوه، وأشجيته، إذا حزنتَه . والركب : جمع راكب . والرحال للإبل ، بمنزلة السروج للخيل ، واحدها رحل . يقول : لمّا لمع البرق شجا الركبَ والخيل والإبل، فحنّ كلّ صنف إلى موضعه الذى ألِفه، حتى كادت الرحال تحنّ إلى مواضعها التى كانت تُحَطّ فيها . وقد قال ما هو أبلغ من هذا فى موضِع آخر، وهو :

إذا أطّ نِسعٌ قلتُ والنومُ كارِبى ... أجِدَّكُم لم تفهموا طَرَبَ النِّسعِ

الخوارزمى : الضمير فى «شجا» و «زاد» و «يشجو» للبرق .

٤٢ (بِها كانَتْ جِيادُهُم مِهارًا ... وَهُمْ مُرْدًا وبُزْلُهُمُ فِصالَا)

التبريزى : يقول: لاغرو أن يخطَف البرق أبصارَهم ويهيج شوقهم وحنينهم وقد سرى من نحو الوطن ، وبه كان المولد والمنشأ؛ فقد كان الرجال به مُردا ، وأفراسهم مهارا، و إبلهم فِصالا[1]. فذكّرهم عهود الصبا وأيّام الشباب فحنوا لذلك .

بهـا، أى بالمعرّة . والبزل : جمع بازل، وهو الذى دخل فى السنة التاسعة . والفصال : جمع فصيل . أى ذكّر هـذا البرق الركبَ أنهم كانوا فى تلك الأرض

(١) النص من أوله إلى هنا يطابقه ما فى التنوير .

مُرْدا، وكانت جيادُهم مِهارا، و إبلهم فِصالا . و إنما حنُّوا وحنّت إبلهم وخيلهم إليها لتذكّر أيّام الصبا .

البطليوسى : بها، يريد المعرّة. والجياد : الخيل العتيقة . والبزل : المُسنّة من الإبل ، واحدها بازل ، وهو فى الإبل بمنزلة القارح فى الخيل . ذكر السببَ الذى أوجب حنينَ كلِّ صنفٍ من هذه الأصناف إلى المعرّة ؛ كما قال بعض الأعراب :

بلادٌ بها عَقَّ الشَّبابُ تمائمى ... وأوّلُ أرضٍ مسّ جِلْدِى ترابُها

وقال ابن الرُّومىّ :

وحَبَّب أوطانَ الرجالِ إليهمُ ... مآرِبُ قضّاها الشبابُ هنالِكا

إذا ذَكَروا أوطانَهم ذكّرتهم ... عهودَ الصبا فيها فحنُّوا لذلكا

الخوارزمى : الضمير فى «بها» للمعرّة . و «هم مردا» ، كأنه نوع من إقامة الضمير المنفصل مقام المتّصل ؛ لأنّ تقدير الكلام كان هم مردا ، والأصل كانوا مردا . ولا يجوز عند سيبويه أن يقع « هم » موقع الواو من ضربوا، ولا الواو والنون من يضربون . وأجازه المبرّد فى ضرورة الشعر، وأنشد :

أصَرَمْتَ حَبلَ الحىِّ أم صَرَموا ... يا صاح بل صَرَم الحبالَ هُمُ

وأنشد أيضا :

فما أُصاحِبُ من قومٍ فأَذْكُرَهم ... إلّا يزيدُهم حبًّا إلىَّ هُمُ

ألا ترى أنّ « هم » الأخير قد ارتفع بيزيد على أنه فاعله ، وكان الوجه إلّا يزيدونهم . وهذا كما يُوضَع الظاهر موضعَ المضمر والمضمر موضع الظاهر إذا أُمِن الالتباس . ومثل هذا ، و إن أجازه المبرد فى ضرورة الشعر، غير مستحسن . إلا أنّ الذى حسّن منه فى كلام أبى العلاء أنّ عامل المعطوف عليه مستهجن

فى المعطوف، فلا يكاد يقال : ضرب زيد وضرب عمرو، بل ضرب زيد وعمرو .
وها هنا لو أتى بالضمير المتصل لزم عليه أن يُعيد ما ذكر من العامل فى جانب
المعطوف عليه، و[هو] «كان»؛ إذ لا يجوز أن يُوى بالضمير المتصل منفردا من
غير شيء يتّصل به . ولقد أصاب حيث نوّع اسم «كان» موزّعا على كلٍّ من تلك
الأنواع ما يليق به من الخبر .

٤٣ ﴿وَمَنْ صَحِبَ اللَّيالِى عَلَّمَتْهُ   خِدَاعَ الإِلْفِ والقِيلَ المُحَالَا﴾

التبريزى : ولعل المراد بالبيت [أنّ] من طالت صحبته مع الأيام رأى أمورا
غريبةً وأحوالا عجيبة لم يعهدها، وخادعته الأيام عمّا ألِفه واعتاده فى مجارى الأمور
ومستقرّ العادات، وعكست عليه الأحوال المألوفة، وأخرجته إلى المحال من القول.
أى من طال عمره جرّب الناس وعرف الأمور .(1)

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : هذا البيت يتعلق بقوله : «وأيقظ بالصهيل الركب»، وإنما
لم يعقّبه به حيث حجز بينهما بطائفة من الأبيات ليذكر(2) من قِدم الصحبة بينه
وبين فرسه ما ذكر فى قوله :

بها كانت جيادُهم مِهارًا   وهُم مردًا وبزلهم فِصالا

مع أنّ مثل ذلك قَمِنٌ بتردّد(3) الوفاء بين المتصاحبين . ثم إنه قد نكث العهد
بما ارتكب من خِداع الإلف والقِيل المحال ، حيث صَرَفَنا عن وِصال الحبيبة
بالتصهال، فيبين على فَعلته مِيسم القبح .

(١) هذا السطر الأخير جاء فى التنوير منسوبا إلى التبريزى مملى عن أبى العلاء . وما قبله من الكلام
هو فى التنوير بمثابة اعتراض على ما فيه من التقصير . وقد بدأ الاعتراض بقوله : «ولا مقنع فى هذا
إذ لا يناسب سياق الكلام» .   (٢) فى الأصل : «ليتذكر» .
(٣) كذا فى الأصل . ولعله : «بتراد الوفاء» أى بتبادل الوفاء .

٤٤ (وغيّرتِ الخطوبُ عليه حتّى   تُرِيهِ الذّرّ يحملن الجبالا)

التبريزى : [أى] إنّ تطاول الزمان وتقلب الأحوال بالإنسان يغيّر عليه الأمور، ويسومه خطوبًا وشدائد لا يستقلّ بها . متى قايستَ عرفتَ أنّ ضعفَ الإنسان وعجزه عن تحمّل أعباء تلك الخطوب كضعف الذرّ عن تحمّل الجبال .[1]
٥ فى " غيرت " ضمير يرجع إلى الليالى ، أى إنها تنقل الأشياء عن عاداتها ، على أنها مع ذلك لا تحس .

البطليوسى : الإلف : الصاحب الذى تألفه ويألفك . يقول : من صحب الليالى والأيام واحتاج إلى مصاحبة الكرام واللئام ، آضطرّ إلى المخادعة فى المقال ، وآستعمال الكذب والمحال . ونحوٌ من هذا قول أبى الدرداء : « إذا لقيتَ المؤمن
١٠ فخالِصْه، وإذا لقيت الفاجر فخالِقْه » . وقال بعض الشعراء :

إن جئتَ أرضًا أهلُها كلُّهم   عُورٌ فغمِّض عينَك الواحدَه

وهذا نحوٌ من قول أبى العلاء فى موضع آخر :

سَفاهٌ ذاد عنك الناس حِلمٌ   وغَىٌّ فيه منفعةٌ رَشادُ

وشبّه أهل الحقارة والذلّة بالذرّ، وأهلَ الجلالة والعزّ بالجبال، فقال : خطوب
١٥ الدهر تُغيِّر الأمور والأحوال، حتّى يغلب الذليلُ العزيزَ، والحقيرُ العظيمَ . وهو مثل قولِ أبى الطيّب :

فلا تَنِلْكَ الليالى إنّ أيديَها   إذا ضَرَبْنَ كسرن النَّبعَ بالغَرَبِ[2]
ولا يُعِنَّ عدوًّا أنتَ قاهرُه   فإنهنّ يَصِدْن الصَّقْرَ بالخَرَبِ[3]

(١) النص من أول الكلام إلى ما هنا يطابقه ما فى التنوير .
٢٠ (٢) الغرب، بالتحريك : نبت ضعيف ينبت على الأنهار .
(٣) الخرب، هو ذكر الحبارى، وجمعه خربان .

الخـــوارزمى : يقول: طول الحياة يغرى على المرء الحوادث، ويسومه أمورا كوارث، يضعُف عن حملها ضَعْفَ صغار النمال، عن حمل شوامخ الجبال. ويحتمل أن يكون معناه أن امتداد العمر يقلِب فى عينيه الأشياء، فيريه ما كان يعتقده من جملة المحال ممكنا، وما كان يعتقده من جملة الممكن محالًا. ومثله قول أبى الطيب :

ومَن صَحِبَ الدنيا طويلًا تقلّبتْ   على عينه حتّى يرى صِدْقَها كِذْبا

وفى كلام أبى النضر العُتْبى : «ومَنْ صَبَر على الأيام رأى الرفيع وضيعا، والضليع ضريعا، وصادف عن سموم القيظ صِرًّا كالحا وصقيعا» .

٤٥ (فَلَيْتَ شبابَ قَوْمٍ كانَ شَيْبًا   ولَيْتَ صِبَاهُمُ كانَ اكْتِهالَا)

التـــبريزى : هذا القائل تمنّى لقـــوم أن يتدرّجوا من حال الشباب إلى حال الشّيب، ومن طَور الصِّبا إلى طور الكهولة؛ ليحصل لهم التجارب ويتيقظوا لأمورٍ بهـم غباوة عنها[1] . إنما تمنّى ذلك لأنه كلما زادت أيامه وعلتْ سِنُّه كثرت تَجارِبه .

البطليـــوسى : يقول : ليت قومًا لا منفعة فى حياتهم نفِدت أعمارهم وعُوجلوا بمماتهم؛ لِيُستراح من شرِّهم، ويؤمن ما يتوالى من ضررهم . وهذا عكس ما يُدْعَى به للكريم الأفعال، المرجوّ الفضل والنّوال؛ فإنّه يُدعَى له بطول العُمُـــر، ويُفَـــدّى بأعمـــار البشر؛ كما قال :

ولو أنّ عمرِى كان طوعَ مشيئتى   وساعدنِى المِقدارُ قاسمْتُك العُمْرا

وقد قال أبو العلاء للفقيه عبد الوهاب المـــالكى مثل هذا[2] ، وهو قوله :

فياليتنى أهـــديتُ خمسين حِجّةً   مضتْ لِىَ فيهـــا صحّتى وشبـــابِى

(١) الكلام من أوّل النص الى هنا يطابقه ما فى التنوير .

(٢) فى الأصل : « ضد هذا » .

الخــوارزمى : تمنّى أن يكون له مكانَ الشبيبة الشيبُ؛ لأن الهموم القـادمة عند إعراض الشباب مُرْبِيةٌ على المَسَارّ المقبلة وقتَ إقباله . وهذا يقرب فى المعنى من قول أبى العلاء :

إنّ حزنًا فى ساعة الفــوت[1] أضعا ... فُ سُرورٍ فى سـاعة الميــلادِ

٥ ولأنّ الشيب والكبر ممـا يُفيـد صاحبهُما تجربةً تُطلعـه على عواقب الأمر فى مبَاديه .

٤٦ ﴿صَحِبْنَا بالبُــدَيَّةِ فى شِـتَاءٍ ... ومَحْلٍ شَرَّ مَنْ صَحِب الرِّجَالَا﴾[2]

التــبريزى : كان فى النسخة التى قرأت عليه : « صحبنا بالبــدية فى شتاء * ومحل » . والبُدَيّة : موضع بالشام . والشتاء عند العرب : السنة المجدبة .

١٠ البطليــوسى : سيأتى .

الخــوارزمى : ويروى : « صحبنا بالبُدَيّة من حصين * وحصن » . البدية : موضع بالشام . وحصين وحصن : قبيلتان .

٤٧ ﴿إذا سُقِيَتْ ضُيوفُ النّاسِ مَحْضًا ... سَـقَوْا أضيافَهُـمْ شَبِمًا زُلَالا﴾

التــبريزى : المحض : اللبن الخالص . والشَبِم : المـاء البـارد . يصفهما

١٥ بالشُّح ولؤم الحسب؛ أى إنهم لا يسمحون لأضيافهم باللبن ، فإذا [افتقروا إلى اللبن شربوا المـاء بدله][3] .

محضا أى خالصا . أى [إنهم بخلوا باللبن المحض][4] ، فافتقرت ضيوفهــم إلى شرب المـاء . والشم : البـارد . ووُصِف [الشَبِم بالقراح، كما قال جرير][4] :

---

(١) ويروى : « الموت » . ولكن « الفوت » هى رواية البطليوسى والخوارزمى .

٢٠ (٢) رواية البطليوسى والتنوير : « من حصين * وحصن » . وعبـارة التبريزى تدل على أن نسخته كانت كذلك . (٣) التكلة من التنوير . (٤) بمثل هذا الكلام تلتئم العبارة .

تعلَّل وهى ساغبةٌ بَنيها بأنفاسٍ من الشَّبِمِ القَرَاحِ

وقال آخر :

بِتْنا عزُوبًا و بات البَقُّ يَلْسِبُنا نشوِى القَراحَ كأنْ لا حىَّ بالوادِى

نَشوِى القراح ، أى نُسخن المـاء لنشربه .

البطليوسى : البُدَيّة : موضع بالشام كان جاور فيه قومًا فلم يحمدهم . وفى بعضهم يقول شعرَه الذى فى أوّله : ٥

* ألا فى سبيل المجد ما أنا فاعلُ *

وحِصْن وحُصَين قبيلتان . والمحض : اللبن الخالص . والشبم : البارد . والزلال : العذب .

الخوارزمى : محضا، أى لبنا خالصا . وفى أبيات السقط . ١٠

* كأنَّ الركضَ أبدى المحضَ منه * (١)

زلّ المـاء فى الحلق، وماءٌ زُلالٌ : صافٍ يزلّ فى الحلق . بالغَ فى صفتهم بالبخل حيث جعلَهم يسقُون أضيافَهم فى الشِّتاء والمحْل ماءً باردا، لأنَّه أغنى ما يكون المرء عن شرب المـاء حينئذٍ، إذ هو وقتُ البرد والمجاعة . وكأنَّ أبا العلاء لمح فيه قولهم : « يوم فلان كيوم جارِ القَصّار ، إن جاع شرب ، وإن عطِش شرب » . ١٥

وعليه قول جرير :

تعـلَّل وهى ساغبةٌ بنيها بأنفاسٍ من الشَّبِمِ القَراحِ

٤٨ ﴿ولٰكنْ بالعَوَاصِمِ منْ عَدىٍّ أميرٌ لا يُكَلِّفُنا السُّؤالَا﴾

التبريزى : العواصم : حصون بين حلب إلى حماة ؛ سميت عواصم ، لاعتصام الناس بها والالتجاء إليها . استدرك ماذكر من الشكوى بذكر هذا الأمير ٢٠

---

(١) تمامه : * فمج لبانه لبنا صريحا *

ووَصْفه إيّاه بالسّماحة وكرم النفس، وأنّه لا يُحْوِج مستميحه إلى السؤال، بل يعطى قبل السؤال[1] .

سألتُه عن العواصم وقت القراءة عليه فقال: العواصم من حلب إلى حماة؛ لأنها حصون وجبالٌ يعتصم بها الناس .

٥ البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : العواصم : بلاد بالشام ، وقصبتها أنْطاكِيَةُ ؛ سُمِّيت بذلك لأنها حصون تعصم من يفزع إليها من الناس .

٤٩ (إذَا خَفَقَتْ لِمَغْرِبِهَا الثُّرَيَّا تَوقَّتْ مِنْ أَسِنَّتِهِ اغْتِيَالَا)

التبريزى : خفق النجم، إذا غرب. والاغتيال : الإهلاك . [واغتاله]:

١٠ أهلكه . ادّعى دعوى الشعراء بأنّ هـذا المذكور من الهيبة والقدرة وكثرة نكايته فى الأعداء بحيث يهابه ويتوقّاه كلُّ أحد حتّى النجوم ، وأنَّ الثريا إذا غربت كأنها توقّت وهابت منه أن يغتالها بأسنّته فاتّقت بالغروب . ويحكى أنه كان بين الممدوح وبين عساكر مصر والمغرب وقعةٌ، فلما قصد جانبَ المغرب للحرب توقّت الثريا أسنّته لكونها فى جانب عدوه، حذرًا أن يحل بها ما بأعدائه[2] .

١٥ اغتيالا ، من قولهم اغتال الرجل صاحبه ، إذا أهلكه . كأنّ الثريا تخاف أن تكون قد أحدثَتْ أمرًا فيأخذَها به . وإنّما يصف قدرته على كلِّ شيء وطاعةَ النّاس له . وذُكر أنه كان قد نازله عسكرٌ من جانب المغرب فرجعوا عنه غير ظافرين، فجعل الثريّا لما مالت إلى الغرب تهابه كأعدائه الخائفين منه، لأنّها فى جانبهم .

ووجدت ملحقا بضوء السقط : « لأنّ الممدوح كان عدوّ المغاربة، يعنى

٢٠ الشيعى وذويه » .

(١) هذا النص يطابقه ما فى التنوير . (٢) النص إلى هنا يطابقه ما فى التنوير .

البطليوسى : العواصم : من بلاد الشأم فى شِقّ حلب . وعدىّ : قبيلة . ويقال : خفق النجم ، إذا غاب . وأخفق ، إذا تهيأ للغيب . والاغتيال : المكر بالإنسان حتّى يقتل . وإنما قال هذا لأنّ الممدوح بهذا الشعر يحارب الشيعىّ صاحبَ بلاد المغرب . فقال : إنما تَغيب الثريا إذا صارت فى المغرب ، فهى تتوقّع أن يدركها منه ما يدركُهم . وهذه مبالغة فى وصف هذا الممدوح بالقدرة ، ٥
وأنّ كلَّ شىء يهابه . وقد قال أبو الطيِّب نحوًا من هذا ، وهو :

كأنَّ نجومَ اللَّيل خافت مُغارَهُ فمدَّتْ عليه من عَجاجته حُجُبَا

وقد قال أبو العلاء فى موضع آخر :

أوَ ما رأيتَ الليلَ يلمع شُهْبُه حتَّى يُجاوِزَها بحلية عاطِل

وهذا المعنى كثير فى شعره . ١٠

الخوارزمى : هو مقلوب ؛ لأن أصل الكلام : إذا توقّت الثريا من أسنته آغتيالا خفقت لمغربها . وعلى ذلك قول الحماسى[1] :

* يمشى فيقعَسُ أو يُكِبُّ فيعثُرُ *

وإمّا لأنها لمَّا مالت إلى الغرب فقد حكم بأنَّها توقَّتْ أسنّة الممدوح . ومثله : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا ﴾ . وخصَّ خفوقها للغرب ، لأنّه طلع منه ١٥
عسكر ونازَلَ الممدوحَ ، ثم رجع ملتحفا بالخيبة غير ظافر . فكأنّه يقول : الثريّا تهابه فتميل كأعدائه إلى الغرب .

٥٠ ﴿ ولَوْ شَمْسُ الضُّحَى قَدَرَتْ لَعادَتْ مُشَرِّقَةً إذا رَأَتِ الزَّوالَا ﴾

التبريزى : ادّعى أنّه مَهيب محبوب ، موقَّى الجانب مرغوب ، حتَّى إن الشمس ، لفَرْط محبّتها إيّاه ، مهما زالت عن كبد السماء مغرِّبة تمنَّت أنَّها قدرتْ على ٢٠

(١) هو المساور بن هند بن زهير كما فى الحماسة (١ : ١٧٦) . وصدره :
* ورأين شيخا قد تحنى ظهره *

الرجوع إلى أُفق الشرق ، وتكون مشرِّقةً أبدًا حتّى لا تفارقه ، محبة له . ويحتمل أن يتنزّل المعنى على السبب المحكىّ ، وهو أنّ الشمس إذا زالت ومالت إلى جانب الغرب،ودّت أن تقدر على العود إلى جانب الشرق، لئلا تكون فى جانب العدوّ .[1]

أى لو قدرت الشّمس على ألّا تفارقَه أبداً لمـا غابت عنه محبّةً له ، ولأنها إذا

٥ زالت تصير فى جانب أعدائه .

البطليــــوسى : ... ...

الخــــوارزمى : يقول : كلمّا أشرفت على الزّوال الشمسُ ودّت أن تعودَ إلى المشرق، إمّا لتستأنف إلى طلعة الممدوح النّظرَ ، وهذا كقول أبى الطيب :

* عفيف يروق الشمس صورةُ وجهه *[2]

١٠ وإمّا لئلا تكون فى جانب أعاديه .

٥١ (فَقُلْ لِمُجِيلِهَا فَوْقَ الأَعَادِى إِذَا مالَمْ يَجِـدْ فَرَسٌ مَجَالَا)

التــــبريزى : الهاء فى "مجيلها" عائدة إلى "الخيل"، وهو إضمارٌ قبل الذكر، إذ لم يجرِ ذكْرُ الخيل قبل، فهو كقوله تعالى : ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ ، كنى عن الشمس ولم يُجر ذكرها . وصفه بالحذق فى الفروسية وأنّه مارقٌ فى الحرب،[3] حتّى إنه

١٥ [إذا] لم يجد فرسٌ مذهبا ومجالًا فى الأرض أجال هو فرسه على الأعداء، بأن يجدّل أعاديه ويَكُبّهم ، فيوطئهم فرسه فيجرى فوقهم .[4]

الهاء فى «مجيلها» عائدة على الخيل . أى هذا الممدوح يقدر أن يفعل ما لا يفعله سواه، فيجيل الخيل فوق الأعادى[5] إذا الفرسُ لم يجدْ مجالًا فوق الأرض .

---

(١) النص من أوله إلى هنا يطابقه ما فى التنوير . (٢) عجزه، كما فى الديوان (٢ : ٢١١) :

٢٠ * ولو نزلت شوقا لحاد إلى الظل *

(٣) المروق : سرعة الخروج من الشىء . وفى الأصل : «مارق الحرب» . وفى التنوير : «فى مارق الحرب متى» الخ . ووجه هذه الأخيرة : «فى مأزق الحرب» .

(٤) الكلام من أول النص إلى هنا يشابهه ما فى التنوير . (٥) فى الأصل : «على فوق الأعادى» .

البطليـــوسى : سيأتى .

الخـــوارزمى : الضمير فى «لمجيلها» للخيل وإن لم يجر لها ذكر .

٥٢ (لَقَدْ جَشَّمْتَ طِرْفَكَ مُثْقِلاتٍ ... فَجَشَّمَهُنَّ أربعةً عِجَالاَ)

التـــبريزى : أى إنك لا تزال تسمو بهمتك إلى جسيمات الأمور ، وتجشِّم طِرْفَك ، أى تكلفه بعضَ ما يعرض لك من مُثقِلات الأمور ، ليبلغها [بجريه] ويُبلغك إيّاها ، فيكلّف الطِّرف قوائمَه الأربع ما كلَّفتَه إيّاه امتثالاً لأمرك ، فيبلِّغك بجريه إلى مقاصدك . أى تسوم فرسَك ما يهمُّك من الأمور ، فيسومُ فرسُك ذلك قوائمَه الأربعة العِجال السّريعة ، فتنالُ بذلك مرادَك (١) .

طِرفك ، أى فرسك الكريم ، كلَّفته مثقلات الأمور ، فجشمهن قوائمَه السِّراع .

البطليـــوسى : الهاء فى "مجيلها" ضمير الخيل ، ولم يتقدّم لها ذكر ، ولكنّه أضمرها لذكره حربَ هذا الممدوح لأمير المغرب ، فكان ذلك كتقدّم ذِكْر الخيل . والإجالة : الإرسال والحركة . والمجال : الموضع الذى تجول فيه الخيل . يريد أنهُ يقحم خيلَه فى المواضع الضيّقة التى لا مجال فيها للخيل ؛ كما قال أبو الطيِّب :

وَلَتَمْضِنَّ حيث لا يجـد الرُّ ... مح مَداراً ولا الجـوادُ مجالا (٢)

ومعنى جشّمت : كلّفت . والطِّرف : الفرس الكريم الطرفين . والمثقِلات : الأمور الصعبة . وأراد بالأربعة : قوائمه . وكان ينبغى أن يقول "أربعاً" ولكنه ذكّر على معنى العضو ، أو على معنى الجمع . ويجوز فتح العين من " عِجالا " وضمُّها

(١) الكلام من أوّل النص إلى هنا يطابقه ما فى التنوير .

(٢) انظر الديوان بشرح العكبرى (٢ : ١٠٦) .

وكسرها . فمن ضمّ أو فتح جعله مقصوراً كسَكَارَى وسُكَارَى ، ومن كسر العين لم يجعله مقصورا ، ولكنه جمع عَجْلان على عِجال، كقولهم عَطْشان وعِطاش، وظمآن وظِماء .

الخوارزمى : هذا على التقديم والتأخير[1] وعلى حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه. يريد: كلّف قوائمه الأربع كفايةَ هذه الأمور المُثقِلة .

٥٣ ﴿أذَالَ الجَرْىَ منه زَبَرْجَدِيًّا وما حَقُّ المُكَرَّمِ أنْ يُذَالاَ[2]﴾

التبريزى : أى إن الفرس يُهين بجريه بلوغًا إلى مرادك حافرًا زبرجديًّا، أى محاكيًا الزبرجد بخُضرته وصلابته ، وحقُّ الجوهر النفيس أن يكرم ويصان، لا أن يبتذل ويهان[3] .

أذال : أى أهان . وزبرجديا : منسوب إلى الزبرجد، وهو ضربٌ من الجوهر أخضر . والحوافر توصف بالخضرة لأنّها أشدُّ وأصلب .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : حوافر الخيل إذا وُصفت بالخضرة أوشبِّهت بالزبرجد فهودليلٌ على صلابتها . وفى شعر جار الله :

خاض اللُّجَينَ وبالعقيق تسربَلَتْ أعطافُه ومشى على فَيروزَجِ

٥٤ ﴿وقَدْ يُلْفَى[4] زَبَرْجَدُهُ عَقِيقًا إذا شَهِدَ الأَميرُ بِه القِتَالاَ﴾

التبريزى : أى إذا حضر القتالَ بهذا الفرس خاض فى الدِّماء فاختضبت حوافره، فصار الأخضر أحمر ؛ فكأنَّ الزبرجد صار عقيقًا .

(١) أى تقديم المفعول الثانى فى « يجشمهن » على الأول وهو « أربعة » .

(٢) رواية التنوير : « وما حق الزبرجد » . (٣) النص إلى هنا يطابقه ما فى التنوير .

(٤) فى الخوارزمى : « وقد يضحى » .

البطليوسى : الإذالة : الامتهان . وإنما قال "زبرجديا" لأنّ حوافر الفرس يُستحبّ أن تكون خُضْرًا ، فشبّهها بالزبرجد لذلك . وجعلها كالعقيق لاختضابها بالدم فى الحرب . وقد قال أبو الطيب المتنبّي نحوَ هذا فى صفة الناقة :

فأتتكَ داميةَ الأَظَلِّ كأنما حُذِيتْ قوائمُها العقيقَ الأحمرا (١)

الخوارزمى : يريد أنّه يختضب فى الحروب حوافِرُه بدماء الأعادى .

٥

٥٥ ﴿أخَفَّ مِنَ الوَجِيهِ يَدًا ورِجْلًا وأكْرَمَ فى الجِيادِ أبًا وخَالَا﴾

التبريزى : أى هذا الفرس فى الجرى أسرعُ من ذلك الفحل المعروف بالنَّجاء والسرعة ، وأكرم عِتْقًا من غيره من الجياد بالأب والأم . وأخف ، منصوبا ، نُصب على الحال من قوله "لقد جشَّمتَ طِرْفَك" أى كلّفت فرسَك مثقلات الأمور [و] حاله أنه أسرع من الوجيه . وكذلك "أكرم" نصب على الحال (٢) . الوجيه : فرس من فحول الخيل ، ويقال إنه كان لغنيّ . ويروى : أخفُّ وأخفَّ ، وأكرمُ وأكرمَ .

١٠

البطليوسى : الوجيه : فرس عتيق نُسبت إليه الخيل العتاق . وأبوه أعوج ابن سَبَل . وإخوته : لاحق والمُذْهَب ومكتوم ، وكلّ لغنيّ بن أعْصُر . وفيه يقول النابغة :

١٥

قُعودًا على آلِ الوجيهِ ولاحقٍ يُقيمون حَوليّاتها بالمَقارِعِ

الخوارزمى : الوجيه : فرس لغنيّ بن أعْصُر .

---

(١) الأظل : باطن الخف الذى يلى الأرض .

(٢) النص إلى هنا يطابقه ما فى التنوير .

٥٦ ﴿وَكُلُّ ذُؤَابَةٍ فِي رَأْسِ خَوْدٍ تَمَنَّى أَنْ تَكُونَ لَهُ شِكَالَا﴾

التبريزى : أى قد شرّف هذا الفرسَ كونُه مَرْكَبًا لصاحبه ، فلذلك تمنّى ذوائبُ كرائم النساء أن تُفْتَل شكالاً [له](١) لتشرُف بذلك وتكرم .

الخود : المرأة الحسناء ، وقيل : الحيِيّة الناعمة . وفى هذا البيت مبالغة ، أى ٥ ذوائب كرائم النساء تمنّى أن تُفتَل شكالًا لهذا الفرس ، لأنّ الشُّكُل من الشعر تُتَّخَذ .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : فى عراقيات الأبيوردى رحمه الله :

وكاد يُفتَلُ إكرامًا لزائره عِذارَها من أثيث النبت غِربيبِ

وروى أنّ منصور بن عمّار — وهو واعظ العراق — حثّ يومًا على الجهاد، ١٠ فطرحت ٱمرأةٌ رقعةً فيها : حثثتَ على الجهاد، وقد ألقيتُ إليك ذؤابتى، فلستُ أملك واللهِ غيرَها . فبالله إلّا جعلتَها قَيد فرسِ غازٍ فى سبيل الله ، فعسى الله عزّ وجلّ أن يرحمنى . فارتجّ المجلسُ بالبكاء . ولعلّ أبا العلاء لمح هذه الحكاية .

٥٧ ﴿يَوَدُّ التِّبْرُ لو أمسَى حَديدًا إذا حُذِىَ الحديدُ له نِعَالَا﴾

التبريزى : أى كما أنّ كلّ ذُؤابة تمنّى أن تكون شِكالا ، كذلك التِّبر يودّ أن ١٥ يكون له نعالا .

البطليوسى : الذؤابة : الناصية . والخود : الشابة الناعمة من النساء . يقول : لجلالة هذا الفرس ونفاسته تمنّى نَواصِى العذارَى أن تكون كلُّ واحدةٍ منها له شكالا ، ويحسد التِّبرُ الحديدَ أن كان له نِعالا .

الخوارزمى : قوله "نعالا" منصوب على التمييز . ومثله قولك : قُطِع ٢٠ الثوبُ قميصًا .

(١) النص من أوّله إلى هنا يطابقه ما فى التنوير .

٥٨ ﴿إذَا مَا الغَيْمُ لم يُمْطِرْ بِلادًا فإنَّ لَهُ عَلَى يَدِكَ ٱتِّكَالَا﴾

التـــبريزى : عاد إلى الممدوح ، أى إنك عممت البلادَ والعبادَ بجودك عمومَ المطر الجَوْدِ، واستغنَوا بسببك عن المطر ، فإنّمـا يُمسك السحابُ القَطْرَ لأنه واثقٌ بفيض يدك، وقد كفيتَهم [ذلك] (١) بنائلك .

أى إذا ما منع السحابُ القطر كفيتَهم بنائلك .

البطليـــوسى : سيأتى .

الخـــوارزمى : توكّل على الله، ولا تتّكل على غيره . وأصله الواو .

٥٩ ﴿ولَوْ أنَّ الرِّياحَ تَهُبُّ غَرْبًا وقُلْتَ لها هَلَا هَبَّتْ شَمالَا﴾

التـــبريزى : هَلَا : زجر وحثّ . يقول: كل شىء تحت طاعتك، حتّى الرياحُ لا تَحيد عمّا تأمرها .

البطليـــوسى : كان أبو عبيدة يقول فى الرحمة: مُطِروا، وأُمْطِروا فى العذاب. ويحتجّ بقول الله تعالى : ﴿ أَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ . وحكى غيرُه أنّه يقال : أمطر، فى الرحمة . وهو الصحيح، بدليل قوله تعالى : ﴿ هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا ﴾ . وقولِ رؤبة :

أمسَى بِلالٌ كالرَّبيعِ المُدْجِنِ أمطـرَ فى أكنافِ غَيْمٍ مُغْيِنِ

* على أخِلّاء الصفاءِ الوُتَّنِ *

ويجوز أن يريد باليد : الجارحة، وهو الوجه . ويجوز أن يريد النعمة .

وهلا : زجر تزجر به الخيل . قال الأخطل :

تجولُ بناتُ حَلّابٍ عليهم (٢) وتزجرهنّ بين هَلَا وهابِ

---

(١) الكلام من أوّل النص إلى هنا يطابقه ما فى التنوير .

(٢) فى الأصل : « علينا » وما أثبتنا عن الديوان (طبع بيروت) .

وخصّ الريح الغربيّة دون غيرها من الرياح لأنّه كان يحارب رئيس المغرب ، فأراد أن هذا الممدوح قد أخاف كلّ شيء في الغرب، فلو أمرَ الريح الغربيّة ألّا تهبّ من قِبَله لم تهُبّ طاعةً له .

الخوارزمى : قوله : "غربا" و"شمالا"، منصوب على الظرف . وقابل الغرب بالشمال، لأن الممدوح كانَ شماليًا، لأنه من الشام كان، بدليل قوله :

ولكن بالعواصم من عَدِيٍّ أميرٌ لايكلّفنا السؤالا

والشام شمالىّ ؛ ولذلك تسمى العرب ريح الشّمال شآمية . ألا ترى إلى قول جمال العرب الأبيوَرْدىّ :

وَتَقرُون والآفاقُ يمرِى نجيعَها شآمِيَةٌ تستجمع الشَّوْلَ حَرْجَفُ

وعدوّه كان مغربيًّا، بدليل قوله :

إذا خفقت لِمغربِها الثريّا توقّت مِن أسِنّته اغتيالا

ولأنّ جهتَى المشرق والمغرب ممّا يقلّ فيه الرياح ؛ لأنّ الشمس كلّ يوم تخترقهما فيتلاشى فيهما الأبخرة، بخلاف الشّمال والجنوب، فإنّ الرياحَ لقلّة مسير الشمس فيهما تكثر . وعنى بالرياح التى تهبّ غربًا الرّياحَ التى لهبوبها تعلّق بالغرب، وذلك بأن تهبّ من الغرب إلى الشرق ، أو على العكس . يريد : لو أنّ الرياح هبّت هبوبًا غير طبيعى ثمّ زجرتَها لتحوّل الهبوبُ طبيعيا .

٦٠ ﴿وَأُقْسِمُ لَوْ غَضِبْتَ عَلَى ثَبِيرٍ لَأَزْمَعَ عَنْ مَحَلّتِه ارْتِحَالَا﴾

التبريزى : أى لو غَضِبتَ على هذا الجبل وأمرتَه بالانقلاع عن موضعه، انقلع عن موضعه ممتثلًا أمرَك وارتحل عن مكانه .(١)

(٢) الكلام من أول النص إلى هنا يطابقه ما فى التنوير .

يقال : أزمع الشىءَ، إذا عزم عليه ؛ قال عنترة :

إنْ كنتِ أزمعتِ الفِـراقَ فإنّمـا   زُمّتْ رِكابـــكُمُ بليـلٍ مُظلِمِ

أى عزمتِ عليه . ومعنى هذا البيت بمعنى الأوّل الذى قبله .

البطليـــوسى : سيأتى .

الخـــوارزمى : ثَبِير : جبل . والأثبِرة أربعة[1] . يقال : لا أفعـل ذلك وربِّ الأَثبِرة الغُبْر . ومدار هذا التركيب فيما أظن على القرار .

٦١ (فإنْ عَشِقَتْ صَوارِمُكَ الهَوَادِى   فَمَا عَدِمَتْ بمَنْ تَهْوَى اتِّصَالا[2])

التـــبريزى : أى إن عشقت سيوفُك الرقابَ فهى أبدًا فى وِصال مَنْ تعشقه ؛ لأنّ سيوفك لا تُغِبّ رقاب الأعداء، فهى لا تفقِد الاتّصال بمن تحبّه ، فكأنما أغمادها الرقاب . ويقرُب منه قول حسّان :

ونحن إذا ما عصبنا السيوفَ[3]   جعلنا الجماجمَ أغمادَها

وقول الحماسىّ :

مَنابِرهنّ بطونُ الأكفِّ   وأغمادهنّ رِقابُ الملوكِ[4]

الهوادى : الأعناق ، أى إن عشِقتْ سيوفُك الرقابَ فقد وصلتَ بينها وبين الرقاب ؛ لأنك تُغمدها كلَّ يوم فيها .

البطليـــوسى : ثَبِير : جبل بمكة ، كانوا لا يُفيضون فى الجاهلية من عرفة حتّى تطلع الشمس عليه ؛ ولذلك كانوا يقولون : "أشرِقْ ثَبِير، كيما نُغير" . والإغارة :

(١) قال ياقوت : «قال الجمحى ، وليس بابن سلام : الأثبرة أربعة : ثبير غينى — الغين معجمة مقصورة — وثبير الأعرج ، وثبير آخر ذهب عنى اسمه ، وثبير منى» . والذى ذهب عنه اسمه هو ثبير الأثبرة ، كما فى معجم ما استعجم . (٢) فى التنوير : «فلا عدمت» . (٣) عصبنا السيوف : قبضنا عليها . (٤) النص من أول الكلام إلى هنا يطابقه ما فى التنوير . ورواية الحماسة ١٣٧ بن : « رموض الملوك » .

العَدْو الشديد . يريدون بذلك الإفاضة . وخصَّه بالذكر لأنّه فى الحرم، وكلُّ شىء فى الحرم آمن . فيقول : لو غضِبت على هذا الجبل، مع كونه فى الحرم الذى يأمن كلُّ من حلّه، لزال عن مكانه هيبةً لك ولم يبق بحرمة مكة . والصوارم : السيوف . والهوادى : الأعناق . يقول : إنْ كانت سيوفك تعشق رقاب الأعداء، فقد بلّغتها

٥ أملها ممـا عَشِقَت ، وأمكنْتَها من الذى أحبّت وعلِقت . وهذا أحسن من قول أبى الطيّب :

رقّتْ مَضـارِبُه فهنَّ كأنمـا يُبـدِين من عِشْق الرقاب نُحولا

لأنّ أبا الطيب لم يذكر أنها بلغت من معشوقها بُغية، وأدركت من وِصاله أمنية .

الخـــوارزمى : السـيوف توصَف بأنّهـا تعشق الرقاب؛ لأنها أبدًا تطلبها ،

١٠ وإذا وجدتْها اعتنقتْها .

٦٢ (ولَوْلا ما بسَيْفِكَ من نُحُولٍ لَقُلْنَا أَظْهَرَ الكَمَدَ انْتِحالَا)

التـبريزى : لمـّا ادّعى أن سيوفَه عشِقت الرقاب طلب دليـلًا على هـذه الدعوى، فقال : نحول السيف وكمده دليل العِشق . ثم قال محقِّقا للدليل : لولا ظهور النحول — وهو دقة السيف ورِقّة الشفرة — ووجودُه فى سيفك، لقلنـا

١٥ إنه غير صـادق فى دعوى العشـق، وإنه منتحل كاذب فى إظهار الكمـد ، وهو الحزن مع تغير الوجه . يريد أن أثر الدم على السيف قد غيَّر لونه كما يغيِّر [الكمد] لونَ الحزين . فوجود النحول والكمد دالٌّ على صدق دعوى العشق للسّيف[1] .

يقول : لولا نحول سيفك الذى يدلّ على أنه عاشق للرقاب لقلنا هو يظهر من الكمد غير ما يُجنّ . وهـذا كلُّه من دعوى الشُّعراء . والكمد : حزن مع تغيّر وجه .

٢٠ أى آثار الدماء على سيفك قد غيَّرت لونَه كما يغيِّر الكمد وجهَ صاحبه .

(١) النص من أوله إلى هنا يطابقه ما فى التنوير .

البطليوسى : الكمد : الحزن مع تغيُّر الوجه . فجعل السيفَ لما عليه من أثر الدم المغيِّر للونه، المذهِب لرونقه وصقله، كأنه ذو كمد. والدم يُحيل رونقَ السيف، كما قال الآخر :

لها لونٌ من الهامات كابٍ   وإنْ كانتْ تُحادَثُ بالصِّقالِ

يقول : لولا أنَّ نحول سيفك قد دلَّنا على أنَّه عاشقٌ للرِّقاب لحسبنا أنَّه يُظهر من الكمد غيرَ ما يُجِنّ، ويُبدى من الأسف خلافَ ما يُبطن . فإن قيل: كان يجب ألا يصفه بنحولٍ ولا اكتئاب، حينَ وصفَه بمواصلته للرِّقاب، لأنّ العاشق إنّما يُنحِله حبُّ من يهواه، إذا تعذَّر عليه أن ينال منه أملَه ومناه . وقد بيَّن ذلك أبو الطيِّب بقوله :

تَعَلَّقها هَـوَى قيسٍ لِلُبْـنَى   وواصَلها وليس بهِ سَـقَامُ

فالجواب أنّه ليس كلُّ عاشقٍ واصلَ محبوبه، ونال منـه مراده ومطلوبه، يذهب غرامه، ويبين سَقامه، بل قد يكون عند ذلك أحرصَ عليه، وأشدَّ صبابةً إليه . ألا ترى الى قول أبى تمّام :

وقالتْ نِكاحُ الحُبِّ يُفسِد شَكْلَه   وكم نكحوا حُبًّا وليس بفاسِـدِ

وقال ابنُ الرُّومىّ :

أُعانقهـا والنَّفسُ بعـدُ مشوقةٌ   إليها وهل بعدَ العِناقِ تـدانى
وألـثِمُ فاها كى تموتَ صَـبابتى   فيشـتدُّ ما ألـقَى من الهيَمانِ
ولم يكُ مقدارُ الذى بى من الجوَى   ليشـفِيَهُ ما ترشُـف الشـفتانِ
كأنّ فؤادى ليس يَشْـفِى غليلَه   سـوى أن يُرَى الرُّوحان يمتزجانِ

ومع هـذا فإنّ الرَّقَبة التى يعشقها السيف ويحبُّ مواصلتها إنّما يلقاها مرّةً واحدة فقط، وإنما يواصل مرة ثانية رقبة أخرى، فعشقه أبدًا متَّصل لكثرة معشوقاته،

وليس يعشَق رقبةً واحدة يقضى منها لذّته ،فيُذْهِب ذلك وجدَه ولوعتَه . ومع هذا فقد ذكر أبو العلاء بعد هـذا البيت سبباً آخر يوجب له النُّحول والسُّلال ، غير ما قدّمه من عشقه رقاب الأبطال .

الخوارزمى : النحول مع الانتحال تجنيس .

٦٣ ﴿سَلِيلُ النَّارِ دَقَّ ورَقَّ حَتَّى   كَأَنَّ أَبَاهُ أَورَثَهُ السُّلَالَا﴾

التبريزى : السليل : الولد . والسُّلال والسِّل داء يَدنَف الإنسان منه . أى إنّ هذا السيف وَلَدُ النار،لأنه نشأ فى النار حين أُخرج من المعدِن وعند الطبع، فتراه دقيقًا رقيق الشفرتين، حتّى كأنه ورث داء السل من أبيه فدنِف[1] .

المعنى أنه طُبِع بالنار فهو سليل لها، أى ولد . وهو رقيق الشفرتين، فكأنّ أباه أورثه الداء الذى يقال له السُّلال، وهو السِّل .

البطليوسى : جعله كما ترى سليلاً للنار التى طُبِع بها . وذكر أنه ورث السُّلال والسُّقم عنها . ولا أحفظ هذا المعنى لغيره . والسليل : الولد ، سمّى بذلك لأنه يُسَلّ من الرَّحِم .

الخوارزمى : يعنى أنه صُنِع فى النار . عنى بأبيه: القَين . السُّلال، بالضم، هو السِّل . وأسلّه الله، فهو مسلول . وهذا من الشواذّ . وأصله من سلّ السيف، إذا جرده من غِمده . وهذا لأن المسلول كالمجرَّد من اللحم . ألا ترى إلى قوله :

* إذا راح نحـلُ الثَّوْلِ أحدَبَ عارِيا *

حيث جعل الهزيل عاريا .

---

(١) النص من أوّله إلى هنا يطابقه مافى التنوير .

٦٤ ﴿مُحَلَّى البُرْدِ تَحْسَبُهُ تَرَدَّى نُجُومَ اللَّيْلِ وَانْتَعَلَ الهِلَالَا﴾

التبريزى : أراد بالبرد غِمده . [أى] إذا رأيت هذا السيف مُغْمَدًا وقد حُلِّىَ غمده بحلية من فضة ، وجُعل فى أسفله نعلٌ من فضة ، حسِبته تردَّى بالنجوم ، أى لبس رداءً من نجوم السماء، ولبس نعلًا من هلالها (١) .

المراد بالبُرْد هاهنا الغِمد . والظانّ يظنُّه متردِّيا بالنجوم، أى جعلها مكان الرداء . وانتعل الهلال ، أى لمّا تحلَّى بالنُّجوم فى مكان الرداء ، جعل الهلال فى موضع النعل من غمد السيف .

البطليوسى : البُرد : الثوب ، وأراد به ها هنا الغِمد . فشبّه ما عليه من الحِلية بالنجوم والهلال . وهو نحوٌ من قول أبى الطيِّب فى وصف سيف وهبه له ابنُ العميد :

مُنْعَلٌ لا مِنَ الحفا ذَهبًا يحـ ـمِل بحـرًا فِرِنْدُه أَزْبادُهْ

مَثَّلوه فى جَفْنِه خشيةَ الفقـ ـدِ ففى مثل أَثْرِه إغمادُهْ

الخوارزمى : عنى بالبُرد الغمد . نعل السيف، هى الحديدة أو الفضة فى أسفل الجَفْن . أنشد الأزهرىّ :

ترى سيفَه لا ينصُف السَّاقَ نعلُه

وهو مستعار من نَعْل الرجل . وشبَّه لبريقه وانعطافه بالهلال . ولقد أصابَ حيثُ جعله يتردَّى نجوم الليل و ينتعل بالهلال ؛ لأنّ ذلك ممّا يشتمل على ضربٍ من المطابقة .

(١) النص من أوله إلى هنا يطابقه ما فى التنوير .

٦٥ (مُقيمُ النَّصْلِ فى طَرَفَىْ نَقِيضٍ يَكُونُ تَبايُنٌ منه ٱشْتِكَالَا)

التبريزى : والمعنى أنه اجتمع فى هذا السَّيف شبه الماء وشبه النار . يريد شُطُب السيف وطرائقه التى تتراءى فيه ، فترى كأنّ الماء يترقرق فيه ، وأن النار تتلهّب . والماء والنار متباينان لما بينهما من المضادّة طبعا ، ولكنّ التباين فى هذا ٥ السيف اشتكال ، أى تشاكل [وتشا]به ؛ لاجتماعهما وائتلافهما[1] .

يقال : هذا الأمر فى طرفَىْ نقيض ، إذا كان يجمع الشىء وضدّه ، أى يدلّ على حبّ وبِغْضة ، وكثرة مال وقلّته . والمعنى أنّ نصل سيفك يشبَّه تارةً بالماء وتارة بالنار ، وهما نقيضان ، وتباينهما تشابه فى الحقيقة .

البطليوسى : النقيض والضدّ سواء فى المشهور من اللغة ، فأمّا أهل المنطق ١٠ فإنهم يجعلون النقيض فى صناعتهم غير الضدّ ، ويرون أن النقيض أشدّ فى الخلاف من الضدّ ، فيجعلون النقيضين من القضايا : الشيئين اللذين يقتسمان الصدق والكذب أبدا ، ولا يجتمعان على صدق ولا على كذب . ويجعلون الضدّين الشيئين اللذين يقتسمان الصدق والكذب فى الأمور الممكنة . ومعنى بيت أبى العلاء أنه أراد أنّ نَصْل السيف الذى وصف قد اجتمع فيه شيئان متناقضان ؛ لأنه يحكى الماء بما فيه من ١٥ اللمعان وصفاء الصَّقْل ، ويحكى النار بما فيه من التوقُّد والتوهُّج . وقوله : «يكون تباين منه اشتكالا» ، يقول : مابين النار والماء من التبايُن والتنافر قد صار تشاكُلًا وتوافُقا فى هذا السيف ؛ فأحدُ النقيضين فيه لا ينافى الثانى ولا يعدو عليه ، ولكنّهما قد تآلفا فيه كما تتآلف الأشياء التى لا تناقُضَ بينها ولا تنافر . وهذا المعنى موجود فى قول أبى الطيِّب :

٢٠ (١) النص من أوله إلى هنا يطابقه ما فى التنوير .

تحسبُ المـاَءَ خُطَّ فى لَهَبِ النّا ... رِ أدقَّ الخطوطِ فى الأحْـرازِ [1]

فقد ذكر أبو الطيِّب النقيضين اللذين أشـار إليهما أبو العـلاء، وزاد عليه زيادة مليحة، لأنّه شـبه فِرِند السيف ووشيَه بالخطّ الذي يكتب فى الأحراز. وخصّ الأحراز بالذكر لمعنيين: أحدهما أن خَطّ الحِرز مختلط لا يُقْـدَر على قراءته، فهو أليق بأن يشبَّه به فرند السيف. والثانى أنّه جعل السيف كأنه حِرز يق من تقلّده كما يق الحرزُ. فأخذ ذلك أبو العلاء وقصّر عنه كلّ التقصير.

الخـــوارزمى: عنى بطرفى النقيض: المـاء والنار. ومعنى المصراع الأوّل أنّ نصل هذا السيف يحكى هذين العنصرين. عنى بالاشتكال التشاكل. والافتعال والتفاعل كثيرا ما يشـتركان، كالاشتباه والتشابه، والاستواء والتساوى. ومعنى المصراع الأخير أنّ هذا التباين، وهو مشابهة المـاء مرة والنّـار أخرى، تشاكلٌ فى الحقيقة، لأنّ كلتا المشاكلتين حاصلةٌ بانجلاء السيف.

٦٦ (تَبَيَّنُ فَوْقَهُ ضَحْضَاحَ ماءٍ ... وتُبْصِرُ فيه لِلنّارِ اشْتِعَالَا)

التـــبريزى: هـذا البيت شرح البيت الذى قبـله. والضحضاح: المـاء الرقيق يجرى على الأرض.

البطليـــوسى: بهذا البيت تمَّم أبو العـلاء البيتَ الذى قبله، وشَرح النقيض الذى ذكره فى البيت الأوّل وأبهمه، فجاء هذان البيتان جميعًا يعدلان بيتَ أبى الطيب فى النقيض، مع ما لأبى الطيِّب من الزيادة التى وصفناها. ولم يزد أبو العلاء شيئا أكثر من أنّه ذكر أنّ التباين الذى بين النار والمـاء صار تشاكلًا فى هذا السيف. وهذا مفهومٌ من بيت أبى الطيِّب، وإن كان لم يذكره. والضحضاح: المـاء القليل.

الخـــوارزمى: تبيَّنت الشىء واستبنته، إذا عرفتَه بيِّنا.

(١) حـ: «أدق الحروف». وما فى أ يطابق ما فى الديوان (١: ٣٤٥).

٦٧ (غِراراهُ لِسـانَا مَشْرَفِيٍّ يَقُولُ غَرائبَ المَوْتِ ارْتجالَا)

التــبريزى : جَعل غِرارى السيف لسانين يتكلّم بهما . يقول : فعلَ غرائب الموت من غير استعداد له ولا فكرٍ فيه . أى يفعل أفعالا يحـدث منها غرائب الموت طبعا من غير تصنُّع . لمّـا جعل له لسانًا استعار [له القول] من فِعل القتل ليطابق ذكر اللسان ؛ كأ[نه] جعل حكاية صوت السيف عند الضَّرب به غرائب يرتجلهـا[1] .

غراراه : حدّاه . والمشرفى : منسوب إلى المشارف، وهى قرى تُشرف على اليمن . لمّـا جعل حدّه لسانَه، جعل حكايةَ صوته عند الضَّرب به غرائبَ يرتجلها .

البطليـوسى : الغرار : حدّ السيف . شـبّه غرارى السيف إذا ضَرب به فصوّت، بلسانين ينطقان بغرائب الموت ٱرتجالا من غير رويّة ولا نظر . وهـذا مأخوذ من قول أبى الطيِّب :

وَلّى صـوارمَه إكذابَ قولِـهمُ فهنَّ ألسِـنةٌ أفواهها القِمَمُ
نَواطِـقٌ مخـبِرات فى جماجمهـم عنه بمـا جهِلوا منه وما عَلِموا

الخــوارزمى : المشرفى : منسوب إلى مشارف ، وهى قرّى بالشـام كانت تتّخذ السيوف، منقولة من قولهم : حَلُّوا مشارف الأرض، أى أعاليها ؛ لأن القرى فى الغالب توضع فوق التلال . وفى النقائض: « المشرفى : منسوب إلى مَشْرَف، وهوقين كان يعمل السيوف » . وقوله : «ارتجالا» منصوب على المصدر. والمصراع الثانى بأجمعه فى محل الجر على أنّه صفة « مَشْرَفىّ » .

---

(١) الكلام من أوله إلى هنا يطابقه ما فى التنوير .

٦٨ ﴿إذا بَصُرَ الأميرُ[1] وقَدْ نَضاهُ بِأَعْلَى الجَوِّ ظَنَّ عَلَيْهِ آلَا﴾

التبريزى : الآل : السراب . أى إذا سل سيفه ونظر إليه ظنّ أن بين السماء والأرض سرابًا ؛ لأن السراب يشبه الماء ، والسيف برونقه يحاكى الماء . وإنّما قال " بأعلى الجوّ " ، لأنّ الآل يرفع الشّخوص ، فيوهم المُسْتَفِل مستعليا[2] .

المعنى أنه إذا سّل السيف ظنّ بأعلى الجوّ آلا ؛ لأن الآل يرفع الشخوص . ٥
فهذا معنى قوله « بأعلى الجوّ » . والجوّ : ما بين السماء والأرض .

البطليوسى : يقال : نضيتُ[3] السيف وأنتضيته ، إذا سللته . والجوّ : ما بين السماء والأرض . والآل : السراب ، شبّه به ماء السيف الذى يرى عليه . وهو من التشبيه البديع ؛ لأن السراب شىء لا يتحصّل ، كما أنّ ما يرى على السيف من الماء شىء لا حقيقة له . وقد أنكر قوم من اللغويين أن يكون الآل السراب ، ١٠
منهم ابن قتيبة ، وذلك غلط ؛ والدليل على أنه السراب قول العُدَيْل بن الفَرْخ :

فكنتُ كَمُهْرِيقِ الذى فى سِقائه ... لِرَقْراقِ آلٍ فوقَ رابيةٍ صَلْدِ

وقال الأحوص لكثيّر عزّة :

فأصبحتَ كالمُهريقِ فضلةَ مائه ... لِضَحْضاحِ آلٍ بالمَلَا يترقرقُ

الخوارزمى : وجّه الفعلين ، وهما بَصُر ونضاه ، إلى مفعول واحد ، وهو ١٥
بأعلى الجوّ . وخصّ أعلى الجوّ لأنه عنى بالآل السراب . وجريان السراب فى الهواء إغراب ، فكيف فى أعلاه .

---

(١) فى الخوارزمى : « الكمى » .

(٢) النص من أوله إلى هنا يطابقه ما فى التنوير .

(٣) كذا فى ا . وفى ب : « نضوت » وهما بمعنى .

٦٩ (وَدَبَّتْ فوقَــهُ حُمْرُ المَنَايَا ولٰكِنْ بَعْدَ ما مُسِخَتْ نِمَالَا)[1]

التـــبريزى : أى المنايا التى تسفك الدماء؛ لأنّ الدماء حمر، فالمنايا التى تحدُثُ بها حمر . كأنّمــا كانت فوق هــذا السيف المنايا حمر بعد ما [مسخت] نمالًا؛ لأن السيف يُوصف فرندُه كأنّ النمل فوقه دبّت . قال امرؤ القيس :

٥ ومُهَنَّدٍ عَضْبٍ مضـاربُه فى مَتْنِــه كَـمَدَبَّةِ النَّمْــلِ

البطليـــوسى : العرب تشبِّه فِرند السيف وما عليــه من الوشى بآثار النَّمل والدَّبَى . بجعل أبو العلاء تلك الآثار آثار المنايا، ووصف أنّها دبّت فيها لتصل إلى الأرواح . وقد استوفينا الكلام فى هذا المعنى فى شرح قوله :

كأنّ المنــايا جيشُ ذَرٍّ عرمرمٌ تَخِــذن إلى الأرواحِ فيه مَسَارا

١٠ الخـــوارزمى : هذا إشارة إلى فرند السيف . ولقد أحسن حيث جعل الفرند أثرًا باقيا من دبيب المنايا، ليدلّ على روعته . ثم جعل المنايا قد أُعطيت صور النِّمال ليبيِّن هيئة الفرند، كما بيّن هيئتها[2]، وليتهيّأ للخاطب إدراكُ دبيبها؛ لأنّ دبيب المنايا غيرَ ممسوخة نملًا شىء رُوحانىّ غير متجوهر لا يمكن إبصاره . ولقــد أوهم حيث أسند الدبيب إلى حمر المنايا، وحيث قرن بهــا المسخ والنِّمال . وهــذا من أحسن

١٥ ما قيل فى الفرند .

٧٠ (يُذِيبُ الرُّعْبُ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ فَلَوْلَا الغِمْــدُ يُمْسِكُهُ لَسَالَا)

التـــبريزى : المعنى أن سيفك تهابه السيوف كما تهابك الرجال، [وأشدّ ما][3] يجوز على السيف أن يسيل حديده، ولولا الغمد يمسكه لظهر سيلانه .

(١) ما سيأتى من الشرح للتبريزى فهو من النسخة الصحيحة التى اعتمدناها للنشر .

٢٠ (٢) أى هيئة المنايا . وفى الأصل : «هيئته» . (٣) التكملة من النسخة المنسوبة إلى التبريزى .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الضمير فى منه، للسيف . حسنٌ وصف السيف بأنه يذوب ويتحوّل ماء، لأنه يشبّه بالماء .

٧١ (وَمَنْ يَكُ ذَا خَلِيلٍ غَيْرِ سَيْفٍ يُصَادِفْ فِي مَوَدَّتِهِ ٱخْتِلَالَا)

التبريزى : السيف يوصف بأنّه خليل الإنسان . قال[1] :

خَليلاَىَ هوجاءُ النجاءِ شِمِلَّةٌ وذو شُطَبٍ لا يجتويه المُضاربُ

يجتويه : يبغضه . والشُّطب : طرائق السيف . والمعنى أنّ الأخلاء من بنى آدم يوجد فى مودّتهم ٱختلال، والسيف لا تَجد منه ذلك .

البطليوسى : العضب : السيف القاطع . وقد سمّى أبو الطيّب السيف خليلا فى قوله[2] :

فقاسمك العينين منه ولحظَه سميُّك والخِلُّ الذى لا يُزايِلُ

وذكر الاختلال فى مودّة غير السيف فى قوله :

مَنِ ٱقتضى بسوى الهندىّ حاجتَه أجاب كلّ سؤالٍ عن هَلٍ بِلَم

الخوارزمى : للاختلال مع ذكر السيف سابقا موقعٌ من البلاغة . وكان لى صديق صدوقٌ ملقّب بالسيف، فكنت إذا رأيته تذكّرت هذا البيت، وربما أنشدته .

٧٢ (وَذِى ظَمَأٍ وَلَيْسَ بِهِ حَيَاةٌ تَيَقَّنَ طُولَ حَامِلِهِ فَطَالَا)

التبريزى : [كنت قرأت عليه][3] : «تيقّن طُول حامله» بضم الطاء، فقال «طَول حامله» [بفتحها][3] . وربّ ذى ظمأ، يعنى الرمح . والرماح توصف بالظّماء .

(١) هو الأخنس بن شهاب التغلبى . انظر المفضليات (٢ : ٤ طبع المعارف) .

(٢) يخاطب سيف الدولة . انظر الديوان بشرح العكبرى (٢ : ٩٠) . (٣) التكملة من ب .

وهذا الرمح مع أنْ لا حياة به هو رمح طويل ، لأنّ حامله ذو طَول، أى فضل على الناس ، فطال هو فى الجو . والعرب تفتخر بطول الرماح ، وتنفى عنها القِصَر . قال الشاعر :

لَعَمْرُكَ ما رماحُ بنى قُشَيْرٍ بطائشةِ الصدورِ ولا قِصارِ

٥ البطليوسى : الظمأ : العطش . وأراد بقوله "ذى ظمأ" الرمح . والرماح توصف بالعطش لمعنيين : احدهما يراد به يُبسها وذَهابُ الرّطوبة عنها؛ لأن القناة ساعة تُقطع من منبتها تكون كثيرةَ الرطوبة ، وذلك مما يُحدث فيها خوراً ؛ ولذلك وصفوها باليُبس والذبول، فى نحو قول ربيعة بن مِكدَّم :

أمَا تَرى الفارسَ بعد الفارسِ أرداهما عامــلُ رمحٍ يابسِ

١٠ ولذلك قال أبو الطيِّب :

إنْ تَرَينى أدِمْتُ بعــد بياضٍ فحميدٌ من القنـاةِ الذبولُ

فهذا أحد المعنيين . والمعنى الثانى يريدون به أنّهـا محتاجة إلى سَفْك الدّم ، فكأن بها عطشًا إلى الرىّ منه؛ كما قال[1] :

يُنهِـلُ الصَّـعدةَ حتى إذا ما نَهِلتْ كان لهـا مِنْــهُ عَلُّ

١٥ وقوله : « تيقن طَول حامله فطالا » . الطول ، بفتح الطاء : الفضل، وهو مصدر طالت يده بالعَطاء؛ لأنهم يصفون الكريم بسبوطة البنان وطولها، ويصفون اللئيم بجعودة البنان وقصرها، ويقولون : فلان أطول يدًا من فلان . ويقولون : هو أكزّ البنان، وكزّ البنان، إذا وصف بالشحّ . وفى الحديث : أن النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال لأزواجه : «أسرَعُكنّ لحَاقًا بى أطولُكنّ يدا» . فقِسن أيديهنّ

٢٠ (١) البيت لتأبط شرا من قصيدة له فى الحماسة .

فى الطُّول فكانت يد سودةَ أطول من أيديهن ، فظنّت سودة أنّها المرادة فلما ماتت زينب قبلَها علمن حينئذ أنّه إنما أراد الطُّوْل الذى هو الفضل . وكانت زينب أكثرهنّ صدقة . وقال الشاعر[1] :

ولم يكُ أكثرَ الفِتْيانِ مالاَ ولكن كان أطولَهم ذِراعا

وقد ذكرنا فيما تقدّم أن العرب تَمدح بطول الرمح تارة وتذمّ به تارة ، وذكرنا غرضهم فى ذلك فأغنانا عن إعادته ها هنا .

الخوارزمى : عنى بذى ظمأ ، ذابلًا من الرماح ؛ لأنّ الذبول يتبع الظَّماء . وصف الرمح بالطول لأنهم بِطول الرمح يفتخرون . وفى أبيات السقط :

دَعِ اليَرَاعَ لقومٍ يفخَرون به وبالطِّوال الرُّدَينيّاتِ فافتخرِ

وقال :

لعمرُك ما رماح بنى قشيرٍ بطائشة الصدور ولا قِصارِ

وهذا لأنّ كون الرجل طويلَ الرمح كنايةٌ عن قوته وآمتداده، كما أنّ كونه طويل النجاد كناية عن طوله وآمتداد قامته .

٧٣ ﴿تَوَهَّمَ كُلَّ سَابِغَةٍ غَدِيرًا فَرَنَّقَ يَطْلُبُ الحَلَقَ الدِّخَالَا﴾

التبريزى : السابغة : الدرع . ومعناه أنّ هذا الرمح الذى ادّعى ظَماه توهّم أن الدرع غديرٌ، فرنّق ليرد فيشرب حَلقَها المداخَل بعضُها فى بعض ؛ لأنّه حسِب أنّه ماء . ورنّق، من قولهم : رنّق الطائر على المـاء، إذا حام حوله .

البطليوسى : يقول : اشتدّة عطش هذا الرمح وحرصه على الرِّىّ يتوهّم الدروعَ أنّها غدران ماء ، فهو يحوم حولَها ليشفى بورودها عطشَه . والدُّروع تشبّه

(١) هو أبو زياد الأعرابى الكلابى . انظر الحماسة (٢ : ٢٦٨) .

بالغُدُر تشبيهاً فاشيا كثيرا . والسابغة من الدروع : الكاملة . ويقال : رنّق الطائر على المـاء ترنيقا، إذا حام عليـه ليشرب منـه . والدِّخال، على معنيين : أحدهما مداخلة بعض حلق الدروع فى بعض ، وكذلك المفاصـل والأعضاء . قال الراجز يصف فرسا :

٥ * وطِرْفَةٌ لُزّتْ دِخالاً مدمجا[1] *

والمعنى الثـانى : أن تُسْقَى الإبل قطيعًا قطيعا، حتى إذا شربتْ كلُّها عُرِضت على المـاء مرّة ثانية ليستوفى الشّربَ منها مَن لم يكن ٱستوفى. وقيل هو أن يُدخَل بعير قـد شرب بين بعيرين لم يشربا ليزداد من الشرب ؛ لأنّه إذا رأى غيره يشرب نَشِط للشُّرب . وهذا نحوقولهم فى المَثل: «العاشية تَهِيجُ الآبية». و إنما يفعل هذا ١٠ عند كثرة المـاء . وهذا أشبه بغرض أبى العلاء . قال لبيد :

فأرسلَها العِــراكَ ولم يَذُدْها ولم يُشفِقْ على نَغَص الدِّخال

فأما إعراب بيت أبى العلاء، فإن كان أراد مداخلة الحلَق بعضها فى بعض، فالدِّخال صـفة للحَلَق، على وجهين : أحدهما أن يكون التقدير : الحلق ذا الدِّخال، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . والثانى : أن تجعل المصدر فى تأويل ١٥ ٱسم مفعول ؛ كأنه قال : الحَـلَق المداخل . فيكون بمنزلة قولهم : رجلٌ رِضًا . و إن كان أراد بالدخال الدِّخالَ الذى يكون فى الوِرْد ، وهو أشبه بمـراده ، لذكره الغـدير والشُّرب، فيجب أن يكون الدخال صفةً لمصدر محذوف، كأنه قال الشُّرب الدخال، فيكون من باب قولهم رجَع القهقرى، أى الرجعة القهقرى .

---

(١) الطرفة : مؤنث الطرف، وهوالفرس الكريم الأطراف، أى الآباء والأمهات . وفى اللسان : ٢٠ « وقال الكسائى : فرس طرفة بالهـاء للأنثى » . وأنشد البيت برواية أخرى .

الخـــوارزمى : رنّق الطائر : خفق بجناحيه . ورنّقت الراية : ترقرقت فوق الرءوس . عنى بالدِّخال المداخَل ، وهـــو ما أُدمج ودُوخِل بعضه فى بعض . ولقد أوهم حيث قرنَ الدِّخال بالشُّرب ، لأنه يقال سقى إبله دِخالًا ، وهو أن يُدخل بعيرا قد شرب بين بعيرين ناهلين ليزداد شُربا .

٧٤ (مَلأْتَ بهِ صُدورًا من أُناسٍ فَلاقَتْ عن ضَغَائنِها اشْتِغَالَا)[1] ٥

التـــبريزى : الهـــاء فى « به » راجعـــة إلى الرمح . والمعـــنى أنّك ملأْتَ به صدورًا من أعداء فلم تَسَعْ غيرَه ، وخلتْ من الأضغان لأنّها قد اشتغلت به .

البطليـــوسى : الضغائن والأضغان : الأحقاد . يقول : إذا علمتَ أن إنسانا يعاديك ملأْتَ صـــدرَه بالرمح ولم تتركه حتَّى يمتلئ صـــدرُه من عداوتك ، ولكنَّك تُعاجـــله[2] . ١٠

الخـــوارزمى : يقول : قد شققت برمحك قلوب أعدائك حتى ماتوا فلم يبق فى قلوبهم حقـــد . وكأنّه يوهم أنّ قلوب أعدائه لـــا امتلأتْ بسـنان ذلك الرمح لم يبق فيهـــا للضغن موضع ، فخرج منهـــا وفارقها ضرورة . وقيل لبعض العارفين : هل تُبغض إبليس؟ فقال : إنّ محبة الله تعالى فى قلبى غلبَتْ وأخذت بحيث لم يبق لأحد فيه حبٌّ ولا بغض . ١٥

٧٥ (لِيَهنِكَ فى المَكَارِمِ والمَعَالِى كَمَالٌ عَلَّمَ القَمَـــرَ الكَمَالَا)

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : سيأتى .

الخـــوارزمى : ... ...

(١) هذا البيت ساقط من ب من التبريزى . (٢) أ : « تعاجله » . ٢٠

٧٦ (وَأَنَّكَ لَوْ تَعَلَّقَتِ الرَّزَايَا   بِنَعْلِكَ مَا قَطَعْنَ لَهَا قِبَالَا)

التبريزى : معناه أنّ الرزايا لو تعلّقت بنعلك ما قطعن قِبالها . والقبال : أن يكون للنعل شِراكان فى إصبعين، وذلك [فى] النّعال العربيّة .

البطليوسى : أراد ليهنئك ، بالهمز ، فخفف الهمزة بأن أبدلها ياء محضة لانكسار ما قبلها، ولذلك حذفها للجزم، كما تحذف حروف اللّين. ومثله قول زهير :

جَرىءٍ مَتَى يُظْلَمْ يُعاقِبْ بظلمه   سَريعًا وإلا يُبْدَ بالظُّلم يَظلِمِ

وقوله : « علم القمر الكمالا »، يخو نحو قوله فى موضع آخر :

أنت شمسُ الضحى فمنك يُفيد الـ   ـصُّبح ما فيه من ضياءٍ ونُورِ

وقبال النعال (١) : شِسْعها الذى يدخل بين الإصبع الوسطى والإصبع التى تليها .

الخوارزمى : «أنّ» فى قوله « وأنك » مفتوحة، عطفا على قوله « كمال » . قِبال النعل : مثل الزمام ، يكون بين الإصبع الوسطى والتى تليها . كذا ذكره الغورى .

٧٧ (حَفِظْتَ المُسْلِمِينَ وَقَدْ تَوَالَتْ   سَحَائِبُ تَحْمِلُ النُّوَبَ الثِّقَالَا)

٧٨ (وَصُنْتَ عِيَالَهُمْ إِذْ كُلُّ عَيْنٍ   تَعُدُّ سَوَادَ نَاظِرِهَا عِيَالَا)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : النوب : حوادث الدهر، واحدها : نوبة، مفتوحة النون. وناظر العين : السواد الأصغر الذى يَرى فيه الإنسان شخصَه إذا استقبله، ويسمّى إنسانَ العين . يقول : صُنت عيال المسلمين وعُلتهم فى السنين المجدبة ذات الجوع حين

(١) حـ : « النعل » .

يضجَر كُلُّ رجل بمن معه من العيال، حتّى يتوهم أنّ الشخص الذى يَرى ناظِرُه عيالُه ويلزمه قوته . وسواد كلِّ شيء: شخصه؛ يقال : رأيت سواد الرجل .

الخوارزمى : النُّوب : جمع نوبة ، عن الغورى وصاحب الديوان . ونظير هـذا الجمع : جُوَب فى جمع جَوْبة ، وهى قطعـة فى الفضاء ، وسَهلةٌ بين أرَضين غلاظٍ . والسواد مع العيال إيهام .

٥

٧٩ (بِوَقْتٍ لا يُطِيقُ اللَّيْثُ فيه مُسَاوَرَةً ولَا السِّيدُ اخْتِتَالَا)[١]

التبريزى : كنت قرأت عليه : « ولا الأَيْمُ اختتالا » ، والأيم : الحيّة وكذلك الأين، فغيّر علىّ فقال : « ولا السِّيد اختتالا » وهو الذِّيب ؛ لأنّ الاختتال [به] أليَقُ ليكون بإزاء مساورة اللّيث وهو مواثبته. يقال : ساوره يساوره مساورةً إذا واثبَه .

١٠

البطليوسى : ويروى : «اختيالا» . والمساورة : المواثبة . والليث : الأسد. والأيم : الحية ، ويقال لها أينٌ . والأصل أيِّم ، على مثال سيِّد، نخفّف . ويدلّ على ذلك قول الهُذَلىّ[٢] :

ولقد وردتُ المـاءَ لم يَشْرَبْ به بين الرَّبيـع إلى شهورِ الصَّيِّـف
إلّا عواسِرُ كالمِـراطِ مُعيـدةٌ باللّيـل مَـوردَ أيِّمٍ متغضِّـف

١٥

وكذلك أصل ليث لَيِّث ؛ لأنه فَيْعِل، من اللَّوثة، وهى القوة . والاختيال : التبختر . ومن رواه « اختتالا » ، فهو افتعال من الختل، وهو المكر والخديعة .

الخوارزمى : فى أمثالهم : « أختل من ذئب » ، و « أغدر من ذئب » .

(١) فى ب من التبريزى : « ولا الليث » وفى الخوارزمى : « ولا الذئب » وفى التنوير : « ولا السيد » وهو الذئب . وفى البطليوسى : « ولا الأيم اختيالا » .

٢٠

(٢) هو أبو كبير الهذلى . انظر الحيوان (٤ : ٢٥٤) .

٨٠ ﴿وأنْتَ أجَلُّ مِنْ عِيدٍ تُهَنَّا بِعَوْدَتِهِ فَهُنِّيتَ الجَــلَالَا﴾

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : ... ...

الخـــوارزمى : يقال هنّأته بالولاية ، والقيـاس هنّأته الولايةَ . وبالقياس

٥ والاستحسان أخذ هاهنا أبو العلاء .

٨١ ﴿وَمُرْ بِفِرَاقِ شِيمَتِهَا اللَّيَــالِى تُجِبْكَ إلَى إرَادَتِك امْتِثَالَا﴾

التـــبريزى : يقـول : مر الليـالى بفراق شيمتها تمتثـل أمرك طاعةً لك واتّباعا لهواك .

البطليـــوسى : ... ...

١٠ الخـــوارزمى : الضمير فى "شيمتها" لِلّيالى، وإن تقدّمها؛ لأن مرتبة الجار مع المجرور وما يحتضنه من المعمول أنْ يتأخّر عن المفعول به . قال المبرّد فى باب (من مسائل كان وأخواته) من كتابه الموسوم " بالمقتضب " : « حدّ الظرف أن يكون بعد المفعول به ، ومن ثمة جاز : لقيت فى داره زيدا» . وفى أبيات السقط :

* نلوم على تَبَــلُّدها[1] قلوبا *

١٥ وفى عراقيات الأبيوردى :

فلم أَسَــلِ المعاصمَ عن سِــوارٍ ولا عن حِجْلها القَصَبَ الخِدَالا

وفى سيفيّات أبى الطيب :

* يقود بلا أزمّتها[2] النياقا *

(١) فى الأصل : « تلوم » محرف . وتمـام البيت :

٢٠ * تكابد من معيشتها جهـادا *

(٢) صدره كما فى ديوانه بشرح العكبرى (١ : ٢٢٤) :

* وبين الفرع والقدمين نور *

فى الأصل : « بلا رزيتها » صوابه فى الديوان .

وقال ذو الرُّمّة :

ولم أمــدح لأُرضيه بشعرىَ   لئيمًا أنْ يكــون أصابَ مالا

وفى الحماسة[1] :

* ... وألقى باســته مَنْ أُفاخِرُ *

وقوله : «امتثالا» ، منصوب على التمييز . والله أعلم .

(١) البيت لموسى بن جابر الحنفى ، كما فى الحماسة ص ١٨٠ طبع بن . وهو بتمامه :

إذا ذكر ابنا العنبرية لم تضق   ذراعى وألقى باسته من أفاخر

[القصيدة الثانية]

وقال أيضا من البسيط الأول والقافية من المتراكب :

١ (يَاسَاهِرَ البَرْقِ أيقِظْ رَاقِدَ السَّمُرِ لَعَلَّ بالجِزْعِ أعْوَانًا عَلَى السَّهَرِ)

التبريزى : قال أبو العلاء: يقال برقٌ ساهر، أى يَسهَر عليه من رآه. وهو من حيِّز قولهم : ليلٌ نائمٌ، أى يُنام فيه . والساهر من البرق : الذى لا يهدأ . وراقد السمر ، أى راقد فى السمر، والمراد به إنسان[1] . وإنّما رَغب فى إيقاظه ليُعينه على السهر .

البطليوسى : العرب تجعل حركةَ البرق ولمعانَه يقظةً وسهرًا وهُبوبا، وتجعل سكونَه وخفاءه نُعاسًا ونوما . وقد تقدّم ذكر ذلك فى قوله :

* تَنَاعَسَ البرقُ أى لا أستطيع سُرًى[2] *

ولذلك قال الهذلى[3] :

حَتَّى شآها كليلٌ موهنًا عَمِلٌ باتَتْ طِرابًا وباتَ اللّيلَ لم يَنَمِ

وقال امرؤ القيس :

* أحارِ تَرَى بُرَيقًا هبَّ وَهْنًا[4] *

والسمر : ضرب من العضاه يعظم ويطول ، وليس فى العضاه شىء أجود خشبًا منه . والجِزْع : منعطف الوادى، وقيل منقطعه. والمعنى الذى قصده، أنّ صاحبه

---

(١) سيأتى فى تفسيره للبيت التالى ما يخالف هذا التفسير .

(٢) عجزه : * فنام صحبى وأمسى بقطع البيدا *

(٣) هو ساعدة بن جؤية الهذلى ، كما فى اللسان (عمل) .

(٤) عجزه : * كنار مجوس تستعر استعارا * . انظر ديوانه ص ١٤٩ .

نام فى السمر وترك مساعدته على شَيْم البرق، لسُوء أدبه وقلّة رعايته لحقّ صاحبه، فقال: يأيها البرق الساهر أكثِرْ من لمعانك ودَوِىِّ رعدِك، لتوقظه من نومه، حتّى يساعدنى على السّهر اضطرارًا، إذْ لم يساعدنى اختيارًا . ونظيره قول الآخر:

وما شِمْتَ برقَ الغَورِ إذْ لاح مَوهِنًا لِتُسْعِدَنى لكنْ نفى نومَك الرّعدُ

الخوارزمى : عنى بساهر البرق البرقَ الساهر، وهو اللَّوع . وهذا لأن البرق متى وُصف بالتناعس أُريد به ضعفُ لمعانه، فإذا وُصف بالسّهر أُريد خلافُ ذلك . ونظيره بيت السقط فى صفة نار :

* رقدَتْ فأيقظها لحولةَ معشرٌ[1] *

أو عنى به ذا السهر، على معنى أنّ يسهر الناس به . وهذا من باب عيشة راضية . ونظير "ساهر البرق" من حيث الإضافة: سَحْقُ عمامةٍ. «أيقظْ راقد السمر»: أمطر على السمر الذابل حتى يخضرّ . «لعل بالجزع أعوانا على السهر»: فلعل بمنعطف الوادى مَن مسّه الجدب وشظَف الحال فاشتدّ إلى الماء افتقاره، وقد رآك تلوح فبيت يُعاونك على السهر، أى يساهرك مترقّبا أن يُمْطَرَ بك . ورابطة المعاونة فى السهر، توجب الإعانة بالمطر .

٢ (وإنْ بَخِلْتَ عَنِ الأَحْياءِ كُلِّهِمُ فَاسْقِ المَواطِرَ حَيًّا مِنْ بَنِي مَطَرِ)

التبريزى : هذا البيت يدلّ على أنّه فى البيت الأوّل آستسق السحاب، وهذا السحاب المسئول كان برقُه وَلّاقًا لا يهدأ[2]، فهو ساهر، فلذلك خاطبه، وقال: «يا ساهر البرق أيقظ راقد السمر» . والسمر : شجر . ورقوده : يبسه . فسأله أن يوقظه بالاخضرار والإيراق . وقوله : «لعل بالجزع أعوانا»، يقول :

---

(١) صدره : * النار فى طرف تبالة أنؤر * . (٢) فى أ : «ولاقا فعدى شىء» صوابه من ب .

بالجزع قوم يُعينونه على السهر، أى يترقّبون مطره لما هم فيه من الجدب وشَظَف العيش، ثم قال : «وإن بخلت عن الأحياء كلهم» البيت. والمواطر، هى السحاب التى فيها المطر. «وعن» هاهنا بمعنى «على». قال الله : ﴿فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ .

البطليوسى : الأحياء : القبائل ، واحدها حىّ . ويحتمل أن يريد بالمواطر السحاب، ويحتمل أن يريد الأمطار بعينها، وهو أجود .

الخوارزمى : بخِلت عليه وعنه، كما يقال: ضننت عليه وعنه، وفى الدِّرعيات:

* بدونها ضنّ عن أقاربه[1] *

وقال[2] :

* وأنتِ بخيلة بالوصل عنّى *

وفى التنزيل ﴿فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾. مطر بن زيد: بطن من مازن. وفى البيت إيماء إلى أنّ بنى مطرٍ هم الأعوان على السهر، ومساهرتهم البرقَ للطر. وخصّ بنى مطر لما بينهم وبين المطر من المناسبة اللفظيّة، كأنه يقول : لا تبخل عليهم بالمطر، فإنهم أولاد سَميِّه .

٣ (وَيَا أَسِيرَةَ حِجْلَيْهَا أَرَى سَفَهًا   حَمْلَ الحُلِيِّ بِمَنْ أَعْيَا عَنِ النَّظَرِ)

التبريزى : الحِجل : الخلخال . وإنما جعلها أسيرة حجليها إذ كانا يثقُلان عليها، أو لامتلاء ساقها وعَبالتها . ومن السَّفه أن يحمل الحلىّ من يُعيِى عن النظر إليه . ومعناه أن من بلغت النهايةَ فى الحسن إذا تزيّنت بالتحلى كان ذلك منها سفهًا، أى نزقا وخفة .

(١) عجزه : * كامل عبس إذا الضراب فأى *

(٢) البيت فى الخزانة (١ : ٣٥٨)، وصدره : * من أجلك يا التى تيمت قلبى *

البطليوسى : الحجل : الخلخال . والسفه : الجهل . والحلىّ : جمع حَلْى ، كما يقال وَحْىٌ ووُحِىٌّ . وجعلها أسيرةَ لحجليها لأنها لا تستطيع المشى بهما . يقول : من السفه البيّن أن يتعاطى حملَ الحلى والاستقلالَ به من لا يحتمل وقوعَ الأنظار عليه لنَعْمته . وأوّل من أثار هذا المعنى طَرَفةُ فى قوله :

تحسَب الطَّرْفَ عليها نَجدةً   يا لَقَوْمِى للشَّبابِ المسبكرْ[1]

وقال آخر فيما هو أشدّ إفراطًا من هذا :

ومرّ بفكرى خاطرًا فجرحتُه   ولم أر شيئًا قطُّ يجرحه الفكرُ

فإن قيل : فهلّا قال : بمن يعيِي عن النظر، فيجعله فعلَ حالٍ دائماً غير منقطع، فيكونَ أبلغ من أن يكون ماضيا؟ فالجواب عن هذا من وجهين : أحدهما أنّ الماضى قد يذكر ولا يراد أنّ[2] المخبر عنه فى الحال والاستقبال، على خلاف ما سلف منه، ١٠ كقولك أصبح زيد عالما، وقولِ سَلامةَ بن جَنْدَلٍ :

كنّا إذا ما أتانا صارخٌ فَـزِعٌ   كان الصُّراخُ له قَرْعَ الظنابيب

ولم يرد أنهم كانوا فيما مضى على هذه الصفة وهم اليوم على خلافها، وإنما أراد أنّ ما شوهد فى تلك الحال من إصراخهم لمن استصرخهم[3] لم يزل خُلقا منهم . وعلى هذا يتأوّل قوله تعالى : ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ، إنما المراد أن ما عُلم الآن من ١٥ علمه وحكمته لم يزل موصوفًا به . فهذا وجه . والوجه الثانى أنّ ذكر الفعل الماضى هاهنا أليَقُ بما ذكره من السَّفه . يريد أنّ أهلها ألبسوها الخلاخيلَ مع ما قد سلف من علمهم بأنها لا تقدر على حمل نَظَر العيون، فكان ذلك أبلغ فى وصفهم بالسفه .

(١) النجدة، هاهنا : الشدّة . أى إنها يشق عليها النظر لنعمتها، فهى ساجية الطرف . انظر اللسان (نجد) .

٢٠ (٢) حـ : « أن الماضى قد يراد أن » ، تحريف .

(٣) حـ : « من إضرابهم ولمن استصرخهم » محرّف .

الخوارزمى : الإعياء عن النظر : فتور اللحظ ؛ كأنه أراد أن يقول : أنتِ بجمالك مستغنية عن تجمُّلك . لكنه قد ألبس كلامَه صورةَ المجادلة والاحتجاج عليها بأنّكِ عن حمل النظر عاجزة، فكيف عن حَمل الحلىِ! وفى إضافة الأسيرة إلى الحجل إيهام؛ لأن الحجل، كما هو الخلخال، فهو أيضا القَيْد .

٥ ٤ ﴿مَاسِرْتُ إلّاوَطَيْفٌ مِنْكِ يَصْحَبُنِي سُرًى أَمَامِي وتَأوِيبًا على أَثَرِى﴾

التبريزى : السُّرى : سير الليل . والتأويب : سير النهار كله إلى الليل . ويقال : تأوّب الرجل أهله ، إذا سار النهار كلَّه حتّى يطرُقهم مع الليل . ثم جعلوا قدوم الغائب إيابًا، وإن جاء بالنَّهار . ومن ذلك قول عَبِيدٍ :

وكُلُّ ذِى غيبةٍ يؤوبُ وغائبُ الموتِ لا يؤوبُ

١٠ يعنى أنَّ الغائب قد يؤوب فى نهارٍ أو ليل . أى حيثُ حللتُ ورحلتُ فطيفها لا يفارقنى .

البطليوسى : السرى : سير الليل . والتأويب : سير النهار ؛ هذا هو الأشهر فيه . وقد يكون التأويب سير الليل والنهار معا ؛ حكى ذلك ابن الأعرابى . ويشهد له قول النابغة :

١٥ حتَّى استغاثَتْ بأهل المِلح، ما طَعِمتْ فى منزلٍ طَعْمَ نَومٍ غيرَ تأويبِ

ويكون التأويب أيضا الرجوعَ من السفر؛ يقال آب يؤوب وأوّب يؤوِّب .

فأمّا تخصيصه السرى بالأمام والتأويبَ بالخلف فإنه يحتمل تأويلين : إن كان أراد بالتأويب سير النهار خاصّة فإنّه وصف به الطيف، كما قال أبو ذَرٍّ حين قيل له : مابلغ من بِرّ ابنك بك؟ فقال : «ما مشيت بليلٍ قطُّ إلا مشى أمامى، ولا بنَهارٍ إلّا مشى خلفى» . وإن كان أراد بالتأويب الرجوع من السفر إلى أهله كان معناه أنِّى إذا

٢٠

سافرتُ وسريتُ إلى ناحيتك تلقانى كما يُتلقّى الضيف الوارد ، وإذا رجعتُ من ناحيتك أريد أهلى شيّعنى كما يُشيَّع الضيف الظاعن[١] .

الخوارزمى : يقول : كلّما سرتُ فطيفُك صحابةَ اليوم يقرَع ظنابيب السّير فى أثرى حتّى يدركنى من الليل، فيسرى بحيث أُعاينُه أمامى. وهذا البيت وقوله :

وعذرتُ طيفَك فى الجفاء لأنّه يسرِى فيصبح دوننا بمراحلِ

يتلاقيان فى أحد شطرى المعنى . ٥

٥ (لَوْ حَطَّ رَحْلِى فَوْقَ النَّجْمِ رَافِعُهُ أَلْفَيْتُ ثَمَّ خَيَالًا مِنْكِ مُنْتَظِرِى)[٢]

التبريزى : الهاء فى " رافعه " يجوز أن تكون عائدة على النجم، ويكون الرافعُ الله عز وجل . ويجوز أن تكون الهاء عائدة على الرَّحْل ، ويكون الرافعُ له إنسانًا رفَعَ الرَّحلَ على ظهر البعير . ١٠

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : الضمير فى « رافعه » للرحل أو النجم . وعلى الأوّل الرافع هو الجمّال، وعلى الثانى هو الله تعالى . وقوله : « منتظرى » فى محل النصب على أنه صفة « خيالا » . والإضافة فيه مجازية .

٦ (يَوَدُّ أَنَّ ظَلَامَ اللَّيْلِ دَامَ لَهُ وَزِيدَ فيه سَوَادُ القَلْبِ والبَصَرِ)[٣] ١٥

التبريزى : إنما يودّ الخيال أن يدوم له الظلام ويزاد فيه سواد القلب والبصر ليكون سببا لئلا يفارقه .

(١) الظاعن : المرتحل . وفى حـ : « الوارد » محرف .

(٢) فى التنوير فقط : « وجدت ثم » .

(٣) فى الضرام : «أن سواد الليل» . وفى ب من التبريزى : « وزاد فيه » . ٢٠

البطليوسى : النجم يكون واحد النجوم، ويكون أيضا اسما مفردا يراد به الجميع من النجوم، ويكون أيضا اسما للثريّا خاصّة ؛ وهو الذى عَناه طُفيل بقوله :

أمّا ابنُ طَوْقٍ فقد أوْفَى بذمّته كما وفَى بقِلاص النَّجم حادِيها

وأما قول الراعى :

٥ فباتت تعدّ النجمَ فى مُسْتَحِيرةٍ[1] سريعٍ بأيدى الآكلينَ جُمودُها

فالوجه أن يكون أراد النجوم لا الثريّا خاصة . وقوله : « يودّ أن ظلام الليل دام له » ، يقول : من محبته فى طول الليل والزيادة فيه يتمنّى أن يزاد فى سواده، ولو كانت الزيادة من سواد قلبه و بصره .

الخوارزمى : كان ثعلب رحمه الله يقول : «وددت أنّ الليل نهار حتّى

١٠ لاينقطع عنى أصحابى» . والمصراع الثانى يناسب هذا الكلام . يقول : طيفك لفرط شغفه بى يتمنّى أن يضمّ سواد قلبه و بصره، أو ماضاع من سواد قلبى و بصرى إذ أنا عاشق ضرير، إلى سواد الليل ليمتدّ فيمتدّ علىّ لُبْثه .

٧ (لَوِ اخْتَصَرْتُمْ مِنَ الإِحْسَانِ زُرْتُكُمُ والعَذْبُ يُهْجَرُ لِلإِفْرَاطِ فِى الخَصَرِ)

التبريزى : المعنى أنكم تسرفون فى الإحسان فيُسْتَحْيا منكم ، كما أن المـاءَ

١٥ الذى ينفع الشارب إذا زاد برده امتنع الظمآن من شُربه ؛ ولذلك قيل لشهرَىْ كانون: شَهْرَا قِمَاح[2]؛ لأن الإبل ترفع رأسها [فيهما] عن المـاء لبرده . قال الهذلىّ[3] :

فتى ما ابنُ الأغرّ إذا شَتَوْنا وحُبَّ الزّادُ فى شَهْرَىْ قِمَـاحِ

أى كثرة إحسانكم إلىّ تمنعنى الزيارة والمواصلة .

(١) المستحيرة : المتحيرة فى امتلائها ، عنى بها القصعة .

٢٠ (٢) يقال شهرا قماح ، ككتاب وغراب . قمحت الإبل : رفعت رءوسها عند الحوض وامتنعت من الشرب . (٣) هو مالك بن خالد الهذلى ، كما فى اللسان (قمح) .

البطليوسى : الخَصَرُ : البرد ؛ يقال رجل خَصِر ، إذا كان يجد مَسَّ البرد وحدَه . فإن كان مع البرد جوع قيل رجل خَرِصٌ . يقول : إقلالى من زيارتكم ليس عن بِغضةٍ فيكم ، وإنّما هو لأنكم تتكلّفون من مبرّتى مايُخجلنى ، كما أنّ الماء العذب يهجره الظمآنُ ، وإن كان مَحْيَاه فيه ، لإفراط برده . يريد أنّ خير الأمور أوساطها ، والإفراط والتقصير مكروهان .

الخوارزمى : مثال هذا أنّ الإبل ترفع الرءوس عن الماء فى شهرى كانون ، ومن ثم قيل لهما شهرا قِماح . وروى أن دِعْبِلًا خرج إلى خُراسان ، فنادم عبد الله ابن طاهر ، فكان فى كلّ يومٍ ينادمه يصله ابن طاهر بعشرة آلاف درهم ، وكان ينادمه فى الشهر خمسةَ عشر يوما ، فكان يصله فى كل شهر بمائة وخمسين ألفا . فلما كثُرت صِلاته توارى عنه دِعبل ، فشقّ ذلك عليه . فلما كان من الغد كتب إليه :

هجرتُكَ لم أهجُرْكَ من كُفرِ نعمةٍ وهل يُرتجَى نيلُ الزيادةِ بالكفرِ

ولكنّنى لمّا أتيتُك زائرًا فأفرطتَ فى بِرّى عجزتُ عن الشكرِ

فَمِ الآنَ[1] لا آتيكَ إلّا معذّرًا أزورُك فى الشهرين يومًا وفى الشهرِ

فإن زدتَ فى بِرّى تزيّدتُ جفوةً ولم تَلقَنى حتّى القيامةِ فى الحَشْرِ

٨ ﴿أَبَعْدَ حَوْلٍ تُنَاجِى الشَّوْقَ نَاجِيَةٌ هَلَّا وَنَحْنُ عَلَى عَشْرٍ مِنَ الْعُشَرِ﴾

التبريزى : ناجية : ناقة تنجو بصاحبها . وقوله : تناجى ، تفاعل ، من المناجاة . أى أبعد أنْ مضى حولٌ تناجى الشوقَ هذه الناقة ! هلّا ناجت ونحن على عشرِ ليالٍ من العُشَر ! أى موضع العُشَر . وعُشَرٌ : شجرٌ رُبّما بُنيت عليه الخيام . قال امرؤ القيس :

أَمَرَخٌ خِيامُهُم أم عُشَرٌ أمِ القَلْبُ فى إثرهم مُنْحدِرْ

(١) يريد : «فمن الآن» ؛ فحذف نون «من» الجارة .

والمعنى أنّ هـذه الإبل كان ينبغى لهـا أن تحنّ إلى الوطن وهى قريبة منه ، فأمّا بعد الحول فينبغى أن تنساه . قال الشاعر :

إذا ما شِئتَ أن تَسْلَى حبيبًا   فأكثِرْ دونَه عددَ اللّيالِى
فما أنْسَى حبيبَك مثلُ نأيٍ   ولا أبلَى جديدَك كابتذال

٥ لأنّ عدد ليالى السّنة كثير، و إذا كثر العدد بينك و بين من تهواه نسيته .

البطليوسى : الناجية : السريعة من الإبل وغيرها . ومعنى مناجاتها الشوق، إسرارها إيّاه ومنازعتها الحنينَ إلى أوطانها . والعُشَر: نوع من العضاه ينبت فى المواضع السهلة والأودية . ولم تُرَ عُشَرةٌ قطُّ فى رأس جبل، فيما ذكروا . فكأنه أراد موضعا يُنبت هذا الشجر؛ لأنّى لا أحفظ فى المواضع موضعًا يقال له العُشَر، إنّما أحفظ

١٠ «ذا عُشَر» . وقد ذكره عمر بن أبى ربيعة فى قوله :

يا ليتَنى قد أجزتُ الحبـلَ نحوكمُ   حَبْلَ المعرَّف أو جاوزتُ ذا عُشَرِ

ومعنى البيت أنّه أنكر على الناقة حنينَها إلى وطنها بعد سنة، فقال : هلّا حنّت إليه ونحن على عشر منه ؛ لأن قِدَم العهد من شأنه أن يُسلِى المحبَّ عن محبوبه ؛ كما قال الشاعر :

١٥ إذا ما شئتَ أن تَسلَى حبيبًا   فأكثر دونَه عددَ اللّيالى

على أن عبد الله بن الدُّمَيْنة قد ناقَضَ هذا فقال :

وقد زَعَموا أنّ المحبَّ إذا دنا   يَمَلُّ وأنّ النّأىَ يُسْلِى عَن الوَجْدِ
بِكُلٍّ تداوَيْنَا فلم يشف ما بِنَا   على أنّ قُربَ الدّارِ خيرٌ من البُعْدِ

الخوارزمى : العُشَر : من العضاه، يقال لصمغه سُكَّر العُشَر . يقول : هلّا

٢٠ اشتاقتْ هذه الناقة إلى هذا الشجر ونحن منه قريبون، لم نُمْعِن فى السفر، ليتهيأ لنا

إليه الذّهاب، ولايتعسّر علينا الإياب! ولقد أصابَ حيث جعل الناجية من النّياق، هى المخصوصة بشدّة الاشتياق، لأنّها متى كانت أسرعَ، كانت المسافةُ المقطوعة بها أوسع، فيكون مطالبُها بالرُّجوع أشنع؛ وحيث خص الشجر دون الربوع والديار، لأن شوقَ الإبل إلى أوطانها لا يكون إلا للنبات والأشجار. ومن أشعار السقط فى صفة الإبل :

لعلَّ كَرَاها قد أراها جِذابَها ... ذوائبَ طَلحٍ بالعقيقِ وضالِ

ومَسْرَحَها فى ظلِّ أحوَى كأنّها ... إذا ظهرتْ فيه ذواتُ حِجالِ

وحيث حذف ما يقتضيه التحضيض من الفعل لكونه معلوما ؛ ونظيره قول جرير :

تَعُدُّونَ عَقْرَ النِّيبِ أفضلَ مجدِكم ... بنى ضَوْطَرَى لولا الكَمِىَّ المقنّعا

وحيث جانس بين تناجى والناجية، وبين العَشْر والعُشَر .

٩ (كَمْ بَاتَ حَوْلَكِ مِن رِيمٍ وجَازِيَةٍ ... يَسْتَجْدِيَانِكِ حُسْنَ الدَّلِّ والحَوَرِ)

التبريزى : الرئم : الظبي الأبيض الخالص البياض . والجازية : البقرة الوحشية التى تجزأ بنبات الربيع عن الماء . والحَوَر : نقاء بياض العين وشدّة سوادها، وأكثر مايكون ذلك فى الظِّباء[1] . وقال الأصمعىّ : ليس فى الناس حور، وإنّما الحَوَر فى الظباء. وهذه من أمثال الشعراء؛ لأن بقر الوحش توصف بالحَوَر، وقد جعلت تستجدى هذه المذكورة .

البطليوسى : سياتى .

الخوارزمى : جزأت الماشية بالرُّطْب عن الماء واجتزأت ، وظبية جازئة وهنّ جوازئ . قال :

* خدودُ جوازئٍ بالرّمل عِينِ *[2]

(١) فى الأصل : « الصبيان » .

(٢) البيت للشماخ، كما فى اللسان (جزأ) وصدره :

* إذا الأرطى توسد أبرديه *

هى حسنة الدّل والدلال ، وذلك أن تُرِيه جراءةً عليه فى تغنُّج وتشكُّل، كأنّها تخالفه وليس بها خلاف . الحور : نقاء بياض العين وصفاء سوادها، عن الغورى. وكان الأصمعى يقول : ليس فى الناس حَوَرٌ، إنما ذلك فى الظباء .

١٠ (فَمَا وَهَبْتِ الَّذِي يَعْرِفْنَ مِنْ خِلَقٍ ‏ لَكِنْ سَمَحْتِ بِمَا يُنْكِرْنَ مِنْ دُرَرِ)

٥ التبريزى : خِلَق : جمع خِلْقة. ويقال دُرّة ودُرَرٌ ودرّ. والدرّ أكثر فى كلامهم من الدُّرَر؛ لأنّ الدرّ من الجمع الذى بينه وبين واحده الهاء، فإذا استعملوه آثروه على غيره من الجموع لأنّه أخفّ . وقد قالوا دُرَرٌ، قال الشاعر[1] :

كأنّها دُرّةٌ مُنعّمةٌ ‏ فى نِسوةٍ كُنّ قبلَها دُرَرا

والمعنى أنكِ لم تسمحى بدَلِّك وحَوَرِك؛ لأنّهما خِلْقتان من خلق الله تعالى لا يقدِر ١٠ على هبتهما سواه . والدُّرّ إذا كان فى ملك الإنسان قدر أن يهبه .

البطليوسى : الريم : الأبيض من الظباء . والجازية : البقرة الوحشية، سمّيت بذلك لأنها تجزأ بأكل النبت الأخضر الذى تكتفى به وتستغنى عن شُرب الماء، فإذا جفّ النبت احتاجت إلى شرب الماء . ويستجديانك : يستوهبانك ويستعطيانك . والحور : أن يشتد صفاء سواد العين وصفاء بياضها .

١٥ وكان الأصمعى يقول : الحور : أن ترى العين كلّها سوداء كعيون البقر والظباء، وليس فى بنى آدم حَوَر . فقيل له : فكيف قيل للنساء حُور؟ فقال: إنما قيل ذلك على التشبيه لهنّ بالبقر والظِّباء لا على الحقيقة . وروى أبو عبيد فى الغريب هذا القول عن أبى عمرو . ورُوى عن الأصمعى أنه قال : ما أدرى ما الحَوَر فى العين . والذى بنَى عليه أبو العلاء هذا الشِّعْرَ هو قولُ من قال إنّ الحوَر للظِّباء والبقر، وإنما

٢٠ (١) هو الربيع بن ضبع الفزارى، كما فى اللسان (درر) .

يقال فى بنى آدم على الاستعارة والتمثيل ، فقال : إن البقر والظباء، التى أصلُ الحَوَر لها، عَجِبتْ من حَوَرك فجاءتْ تستوهبك إياه، فلم تُمكِنْك هبتُه، لأنه خِلقةٌ لا يمكنك أن تهبها ، فوهبتِ لهنّ دُرَّك وكسوتك، لأنّهما مما يمكن أن يُوهَب. وهذا معنى لا أحفظ مثله لغيره .

الخــوارزمى : يقــول : ما وهبتِ لها الدلّ والحور ، لأنّهما من الأشــياء الخَلقية، لكن أعطيتهما الدُّرَر، لأنّ لها مدخلاً فى العطية . ٥

١١ (وَمَا تَرَكْتِ بِذَاتِ الضَّالِ عَاطِلَةً مِنَ الظِّبَاءِ وَلَا عَارٍ مِنَ الْبَقَرِ)[1]

التــبريزى : الضال : شجر . وذات الضال : موضــع . والعاطلة : التى لا حَلْى عليها . والمعــنى أنك وهبتِ لهن حليك ، وكسوتِهنّ لباسَــك . وعارٍ هاهنا فاعل، وفيه ضرورة تجوز فى الشعر، كما قال القائل[2] : ١٠

ولــو أنّ واشٍ باليمــامة دارُه وكنتُ بأعلى حَضرَموتَ اهتدى لِيا[3]

فهذا على أن موضع « عار » نصب. ويجوز فيه وجهٌ آخر وهوأن يكون «عارٍ» ، فى موضع الرفع ، ويكون الكلام قد تمّ عند قوله : « من الظباء» ثم يبتدئ الكلام. فيكون المعنى : ولا عار من البقر فى هذا الموضع، ويكونُ « لا » بمعنى « ليس » .

البطليــوسى : ذات الضــال : أرض تُنبت الضال، وهو السِّــدْر البرّىّ . ١٥ والعاطلة : التى لا حلى عليها . وكان يجب أن يقول«ولا عاريا» ، فيثبت الياء، فأجرى المنصوب مجــرى المرفوع والمخفوض ضرورة، كما قال بشرٌ :

كفى بالنأيِ مِنْ أسماءَ كافِ وليس لحبِّها ما عشتَ شافِ

(١) رواية البطليوسى : «فما تركت» . (٢) هو المجنون، كما فى الخزانة (٤ : ٣٩٥) .

(٣) الرواية المعروفة : « ودارى بأعلى حضرموت » .

٢٠

وفى هذا الموضع شىء يُسأل عنه، وهو أن يقال: لم قال: «ولا عار من البقر»، وقال: «وربَّ ساحب وشى من جآذرها»، فنسب إلى البقر سَحْبَ الوشى ونفى عنها العُرْىَ منه، ولم يقل ذلك فى الظباء؟ فالجواب أن بقر الوحش أَخْلَقُ بأن توصف بلباس الوشى من الظباء؛ لأنها بِيض الألوان يُخالط بياضَها شياتُ سوادٍ، بعضها[1] فى وجوهها، و بعضها فى أكفالها، وبعضها فى قوائمها؛ ولذلك قال آمرؤ القيس:

ذَعَرتُ بها سِرْباً نقيًّا جلودُه وأكرُعُه وَشْىُ البُرودِ من الخالِ

وقال النابغة:

* مِنْ وحشِ وَجْرَةَ مَوْشِىٍّ أكارِعُه[2] *

الخوارزمى: عنى بالعاطلة من الظباء والعارى من البقر، جاريتين. فإن قلت: فهل يجوز أن يريد بهذه الأبيات الظباءَ الحقيقية ويكون قوله: "فما تركت بذات الضال عاطلة من الظباء" محمولًا على بكاء الحبيبة عند هذه الظباء، ونحوه قول أبى العلاء:

تقول ظباءُ الحزمِ والدمعُ ناظمٌ على عَقَدِ الوعْثاءِ عِقْدَ صِلالِ

لقد حَرَمتنا أثقلَ الحلى أُختُنا فما وَهَبَتْ إلَّا سموطَ لآلِى

قلت: لا يجوز؛ لأن بكاء الحَبيبة غير لائق بهذا المقام، ولأنّ قوله «فما تركت بذات الضال عاطلة» وإن كان يؤوَّل ببكائها عند تلك الظباء فما معنى التأويل فى قوله «ولا عار من البقر»! وفى قوله: «ورب ساحب وشى من جآذرها»! وكان الواجب أن يقال «ولا عاريا من البقر» لكن حُمِل هاهنا على الجر النصبُ، كما حُمل عليه فى التثنية وجمع السلامة. قال:

* ولو أن واشٍ باليمامة دارُه *

(١) فى الأصل: « بعضها بياضها » والكلمة الثانية مقحمة.

(٢) عجزه: * طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد *

ويحتمل أن يكون من باب الميل مع المعنى والإعراض عن اللفظ جانبا ، كأنه قيل : لم تبق عاطلةٌ من الظباء ولا عار من البقر . ومثله قول الفرزدق :

وَعَضُّ زَمانٍ يابنَ مَرْوانَ لم يَدَعْ من المـال إلّا مُسحَتًا أو مُجَلَّفُ[1]

وقول ابن أحمر :

أبو حَنَشٍ يؤرِّقنا وطَلْقٌ وعَبّـادٌ وآونةً أُثـالا ٥

قال السيرافى : لمـا دل التأريق على التذكر حمله عليه ، كأنه قال : يتـذكر أبا حنش وطلقًا وعَبّادًا وآونةً أثالا .

١٢ (قَلَّدْتِ كُلَّ مَهاةٍ عِقْدَ غانيةٍ وَفُزْتِ بالشُّكْرِ فى الآرامِ والعُفْرِ)

التبريزى : المهاة : البقرة الوحشية . وقوله : غانية ، قالوا : هى التى غَنِيتْ فى أهلها ، أى أقامت . وقيل : التى غنيت بجمالها . والعفر : الظباء يعلوها سمرة . ١٠ ويقال : أعفر وعُفْر ، وعَفراء وعُفْر ، فيتساوى جمع المذكر والمؤنث فى تسكين الفاء . وكذلك ما كان من الصفات على أفعل وفعلاء ، فتسكينها أحسن من ضمها ، وقد تُضَمُّ فى الشِّعر ؛ قال الأعشى :

نحنُ الفوارسُ يوم الحِنْوِ ضاحيةً[2] جَنْبَىْ فُطَيمةَ لا مِيلٌ ولا عُزُلُ

البطليوسى : المهاة : البقرة الوحشية ، شبِّهت بالمهاة ، وهى البلّورة . ١٥ والغانية من النساء : التى غنيتْ بجمالها عن الزينة . وقيل : هى التى غنيت بزوجها عن غيره . والآرام : الظباء البيض الخوالص البياض . والعُفر : التى فى ألوانها حمرة ، شبِّهت بالعَفَر وهو التراب . ولو اتّفق له أن يذكر فى هذا البيت البقر مع

(١) انظر الخزانة (٢ : ٣٤٧) .

(٢) فى الديوان ٤٨ : « صاحبة » . وانظر الخزانة (٣ : ٥٥٠) .

الآرام لكان أكمل للمعنى؛ لأنه أفرد الظباءَ بالشُّكر، فكان إخلالا بالصنعة. وسنذكر تمام معنى هذا البيت فى البيت الذى بعده .

الخوارزمى : سيأتى .

١٣ (وَرُبَّ سَاحِبِ وَشْيٍ مِنْ جَآذِرِها وكَانَ يَرْفُلُ فِى ثَوْبٍ من الوَبَرِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : السّاحب : الذى يجرّ ثوبه على الأرض ، وأكثر ما يكون ذلك من الخُيَلاء . والجآذر : أولاد البقر، واحدها جؤذُر، وجؤذَر . ومعنى يرفل : يتبختر . وتحت هذا الشعر معنًى مليح، أخرجه مخرج الإيماء والتلويح؛ وذلك أنّ النساء الحسانَ لمّا كُنّ يُسَمَّين ظباءً و بقرًا على التّمثيل والاستعارة جعلهنّ منهنّ على الحقيقة ؛ لأنّ مِنْ شأنه أن يخرج المجازات مُخرَج الحقائق ويُجرى الكاذب من الأقوال مُجرَى الصّادق، مبالغةً فى المعانى التى يغوص إليها ، ويبنى شعرَه عليها . فجعل النساء الحسانَ والظّباء والبقر كالجنس الواحد، وجعله يتنوّع نوعين : إنسىّ عاقل ، ووحشىّ غير عاقل. وقال : إنّما شَرُفَ النوعُ الإنسىُّ منهنّ ، فصار يلبس الوشىَ ويتقلّد الدرّ، لشبهه بك وقربه من نوعك، ولولا ذلك لكان فى الفلوات يلبس الوبَر، ويرعى الشَّجَر . وإلى هذا أشار بما ذكره قبلَ هذا من أنّها وَهبت لهنّ الدُّرَر؛ لأنّ ذلك إذا كان بسببها ، فكأنها هى التى وهبته . وقد أشار إلى هذا المعنى بعضَ الإشارة فى موضع آخر فقال :

هل أنتِ إلّا بعضُهنّ وإنّما خيرُ الحياة وشرُّها أرزاقُ

وأوّل من نبّه على هذا المعنى أوسُ بنُ حَجَرٍ بقوله :

يَلبسن رَيْطًا ودِيباجًا وأكسيةً شتّى بها اللّونُ إلا أنّها فُورُ

والفُور : الظباء . يقول: لُبسهنّ الرَّيْطَ والديباجَ وأكسيةَ الخزّ، لا يُخرجهنّ عن أن يكنّ ظباء. فأخذ هذا المعنى وزادَ عليه ماهو من تمامه على عادته فى كثير من معانيه.

الخوارزمى : العُفْرة : بياض تعلوه حمرة ؛ وظبى أعفر . راعى جانب المستعار له حيث جعله ساحبَ وشيٍ ، والمستعارِ حيث جعله فى ثوب من الوبر رافلا . ونظير هذه الأبيات الأربعة قوله — وهو من أبيات السقط — : ٥

تُقَلِّد أعناقَ الحواطبِ فى الدُّجَى   فريدًا فما فى عُنْق ماهنةٍ لَطُّ

١٤ (حَسُنْتِ نَظْمَ كَلامٍ تُوصَفِينَ بِه   وَمَنْزِلًا بِكِ مَعْمورًا من الخَفَرِ)

١٥ (فَالحُسْنُ يَظْهَرُ فى شَيْئَيْنِ رَوْنَقُهُ[(١)]   بَيْتٍ مِنَ الشِّعْرِ أَوْ بَيْتٍ مِنَ الشَّعَرِ)

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : الخفر : شدّة الحياء؛ يقال امرأة خفرة، وقد خفرت خَفَرًا وخَفارة . ورونق كلّ شيء : بهجته وإشراقه . يقول : الشعر الذى يُصنَع فيك يحسُن بأن تُذْكَرِى فيه ، والبيت الذى تعمرينه يحسن بأن تسكنيه، فصار الحسن فى ذلك لا يوجَد إلّا فى شيئين : بيتٍ من الشِّعْر نُظِم فى وصفك، أو بيت من الشَّعر يشتمل على شخصك . وإنّما ذكر بيتَ الشَّعَر للتجنيس، وإشارة إلى أنّها أعرابية ليست بحضَريّة . ومساكن العرب أربعة أصناف : فما كان من مَدَر أو شَعَرٍ فهو بيت ، وما كان من صُوف أو وبر فهو خِباء، وما كان من جُلود فهو طِراف، وما كان من حجارة فهو أُقْنة . ١٠ ١٥

الخوارزمى : خفِر خَفَرًا، إذا استحيا. يقول : وُصفتِ فى بيتٍ من الشِّعر فحسّنته ، كما نزلتِ فى بيت من الشَّعر فزيّنتِه .

(١) التبريزى : «والحسن» . ٢٠

١٦ (أَقُولُ والوَحْشُ تَرمِينِي بأَعْيُنِها والطَّيرُ تَعجَبُ مِنِّي كَيْفَ لَمْ أَطِرِ)

التبريزى : أى رونق الحسن يظهر فى بيتٍ من الشَّعر لأنك موصوفة فيه، أو بيت من الشِّعر لأنك ساكنة فيه . الواو فى قوله : "والوحش" و "والطير" واو الحال .

البطليوسى : وصف أنه سلك فلاةً لا يسلُكها الإنس، فالوحش ترميه بأعينها مُنكِرة له، وأنّه لشدّة سرعته تتعجّب منه الطّير كيف لم يكن له جناحان فيطير معها.

الخوارزمى : "ترمينى بأعينها" أى تنظر إلىّ نظر تعجُّب . قال :

* وترمِيننى بالطرفِ أى أنت مذنبٌ[1] *

وفى الحماسة :

* أحِمى الذِّمَارَ وترمينى به الحَدَقُ[2] *

الضمير فى « به » من بيت الحماسةِ لموقفٍ قد تقدّم .

١٧ (لِمُشمَعِلَّيْنِ كالسَّيفين تَحتَهُمَا مِثْلُ القَناتَيْنِ مِنْ أَينٍ ومِنْ ضُمُرِ)[3]

التبريزى : اللام فى « لمشمعلين » تتعلق بـ« أقول » . والمشمعل : السريع الخفيف . قال الراجز[4] :

رُبَّ ابنِ عَمٍّ لسُليمى مشمعِلّْ فى السَّفْر وَشواشٌ وفى الحىِّ رِفَلّْ

وشواش، أى سريع فيما أخذ فيه من الخدمة وغيرها فى السفر. ورِفَلّ، من قولهم رفل يرفل رَفَلًا، إذا سحب ذيله، ومنه فرسٌ رِفَلّ: طويل الذنب . والأين: الإعياء والتعب . وأراد ناقتين مثل القناتين لضمرهما ودقّتهما .

(١) تمامه كما فى الخزانة (٤ : ٤٩٠) : * وتقلينى لكن إياك لا أقلى *

(٢) البيت لسالم بن وابصة . وصدره : * وموقف مثل حد السيف قمت به *

(٣) روى هذا البيت فى البطليوسى متأخرا عن البيت التالى .

(٤) انظر الخزانة (٢ : ١٧٢ — ١٧٥) .

البطليوسى : المشمعل : الجادّ المشمِّر فى أمره . وشبّههما بالسّيفين فى مَضائهما، وشبّه ناقتيهما بالقناتين، لما ذكره من الأين والضُّمر اللذين صيّراهما إلى تلك الحال . والأين : الإعياء . وأراد "ضُمْر" بسكون الميم، فحرّكها ضرورة، كما قال طَرَفةُ :

* جرِّدوا منها وِرادًا وشُقُرْ (١) *

وإنما قال «لمشمعلّين» فثنّى، لأنّ العرب جرت عادتُهم أن يخاطبوا آثنين، كقوله : (٢)

* خليلَىّ مُرّا بى على أُمّ جُنْدُبِ *

وإنما كان ذلك لأنّ الرفقة أقلُّ ما تكون ثلاثة نفر، ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الواحد شيطان، والاثنان شيطانان، والثلاثة ركب» .

الخوارزمى : اشمعلّ القومُ فى الطلب، إذا خفُّوا فيه، من اشتعال النار مضموما إليه الميم، أو من الشُّموع، وهو الطرب، مضموما إليه اللام . عنى «بمشمعلّين» حادِيين خفيفين، و«بمثل القناتين» بعيرين شبيهين بالرمحين . وَجَفَتِ (٣) الإبل على الأين : أى على الإعياء . و[تقول] (٤) أين منها الأين !

١٨ (فى بَلْدَةٍ مِثْلِ ظَهْرِ الظَّبْىِ بِتُّ بها كأنّنِى فوقَ رَوْقِ الظَّبْىِ مِنْ حَذَرِ)

التبريزى : يقال : بلدة مثل ظهر الظبى، إذا وصفت بأنها مستوية سهلة، يطيب بها الاضطجاع . وهذا ضدّ لقول القائل : "كأنى فوق روق الظبى" لأن الإنسان إنما يصف نفسه بذلك إذا كان قلقًا من همّ أو فزَع؛ قال امرؤ القيس :

ويومٍ طويلٍ فى قُذارانَ (٥) ظَلْتُه كأنّى وأصحابى على قَرْنِ أَعْفَرَا

(١) صدره : * أيها الفتيان فى مجلسنا * (٢) عجز البيت : * لنقضى لبانات الفؤاد المعذب *
(٣) وجفت، من الوجيف، وهو ضرب من سير الإبل والخيل . (٤) التكملة من أساس البلاغة (مادة أين) حيث نقل الخوارزمى ولم يصرح . (٥) قذاران، بضم القاف بعدها ذال معجمة : قرية ببلاد الروم . وفى الأصل والديوان بالدال المهملة .

وقال المرّار الفقعسيّ :

كأنّ قلوبَ أدِلّائها مُعلّقةٌ بقرون الظِّبَاء

البطليوسي : الرّوق : القرن . يقول : هى فى سهولتها واستوائها وطيب الاضطجاع بها كظَهر الظبي ، ولكنّى كنتُ فيها كأنّى على قرن الظّبي، لما كنت ٥ عليه من القلَق وقلّة الطّمأنينة . وهذا من قول آمرئ القيس :

* كأنّى وأصحابى على قرنِ أعفرا *

ومثله فى المعنى لا فى اللفظ قول أبى تمّام :

وركبٍ كأطرافِ الأسنّةِ عَرَّسوا على مثلها والليلُ تَسطو غياهبُه

الخوارزمى : شبّه المفازة بظهر الظّبي ، لأنها كانت مستويةً ليس فيها حزن ١٠ ولا ارتفاع ولا انخفاض . يقال للقَلِق الفزِع : كأنه على قرن أعفر . قال آمرؤ القيس :

* كأنّى وأصحابى على قرن أعفرا *

وقال المرّار الفقعسى :

كأنّ قلوب أدِلّائها معلقة بقرون الظباء

ولقد بالغ فى وصف تلك المفازة بكونها مَخُوفة، حيث جعل المبيتَ فيها مع ١٥ سهولتها واستوائها كالمبيت على قرن الظّبي .

١٩ ﴿ لا تَطْوِيَا السِّرَّ عَنِّى يومَ نائبةٍ فإنَّ ذٰلكَ ذَنْبٌ غيرُ مُغْتَفَرِ ﴾

٢٠ ﴿ والخِلُّ كالماءِ يُبْدِى لِى ضَمائرَهُ مَعَ الصَّفَاءِ ويُخْفِيها مَعَ الكَدَرِ ﴾

التبريزى : لا تطويا السر، فى موضع نصب، أى أقول لصاحبيَّ: لا تخفيا السر عنّى فى النوائب . أى إذا صافاك خليلك أظهر ما عنده، وإذا داجاك أخفاه، ٢٠ كالماء إذا صفا رُئى ما تحته ، وإذا كدر خَفِى .

البطليوسى : إنّما خص يوم النائبة — وطيّهما السرَّ عنه فى كلّ وقتٍ قبيح فى المعاملة، غيرُ لائق بأهل المصادقة — لأنّ النائبة يحتاج الإنسان أن يستعدّ لها ويُعمِل وجوهَ الرأى فيما يتلقّاها به ويقابلها ، فإذا كذّباه عند ذلك ولم يصدُقاه، صار تدبيره بخلاف الصّواب فأهلكاه . ولذلك قالوا فى المثل : « لايدْرِى المكذوبُ كيف يأتَمر » . وطيّهما السر عنه فى حال الرفاهية والدّعة لايبلغ هذا المبلغَ من الضّرر، وإن كان غيرَ جميلٍ فى حقّ الصحبة؛ فلذلك اغتفره ولم يغتفر هذا .

الخوارزمى : فى أساس البلاغة : هو مغتفر الذنوب . والمعنى من قول التّهامى :

لمّا صفا قلبُه شَفّتْ سرائِره   والسرّ فى كل صافٍ غيرُمُكْتَتِمِ

٢١ ﴿ يارَوَّعَ اللهُ سَوْطِى كَمْ أُرَوِّعُ بِهِ   فُؤادَوَجْناءَ مِثْلِ الطَّائِرِ الحَذِرِ ﴾

التبريزى : يا ، واقعة على اسم محذوف . والناقة توصف بفزعها من السوط . قال الأعشى :

أتَارت بِعَينيها القطيعَ وشَمّرتْ[1]   لتَقْطَعَ عنِّى مهمهًا متباعِدا

أراد أتارت، فخفف ضرورة . يقال : أتارته النظر، إذا أتبعته إيّاه[2] . والقطيع : السوط . والوجناء : الناقة العظيمة الغليظة الوجنتين، وقيل هى التى تشبه الوَجين من الأرض ، وهو الغليظ منها ، وقيل هى المذلّلة، مأخوذ من قولهم : وجّنت الجلد إذا ليّنته .

البطليوسى : الترويع : الإفزاع ، والروع : الفزع . والفؤاد : القلب . والوجناء : الناقة العظيمة الوجنتين، وقيل هى الغليظة . وقوله : « يا روّع الله

(١) فى الأصل : « أثارت » صوابه بالتاء المثناة ، كما فى الديوان ص ٥٠ .

(٢) فى الأصل : « يقال أثارته النظر إذا اتبعته » والصواب بالتاء ، كما أثبتناه .

سوطى» يحتمل وجهين من الإعراب: أحدهما أن تكون "يا" حرف نداء ولم يذكر المنادى اختصارا، كأنه قال: ياقوم روّع الله. والآخر أن يكون استفتاح كلام. وعلى هذين الوجهين تأوّلوا قول الراجز:

يا لعنةَ اللهِ على أهْلِ الرَّقَمْ أهلِ الوَقيرِ والحميرِ والجِذَمْ[1]

الخوارزمى: ناقة وجناء: عظيمة الوجنتين، أو صُلْبة، من الوجين، وهى الأرض الغليظة. وقيل: الوجناء هى المذللة، من وجَّنت الجلد.

٢٢ (بَاهَتْ بِمَهْرَةَ عَدْنَانًا فقلتُ لها لولا الفُصَيصِىُّ كانَ المَجْدُ فى مُضَرِ)

التبريزى: وهذا الموضع أحد المواضع التى كان يغيِّرها أبو العلاء وقتَ القراءة عليه، ويقول: «لولا الفلانى». ومَهْرة من قُضَاعة. والفصيصىّ من تَنُوخ. أى لولا هذا المذكور لكان المجدُ كلُّه فى مضر. وفى «باهت» ضمير يعود على الوجناء. والمراد أنه لم يكن لأحدٍ مجدٌ إلّا لهم.

البطليوسى: باهت: فاخرت. ومَهرة: قبيلة من قبائل اليمن. وعدنان: أبو المضرية الذى ينتمون إليه[2]. وبين اليمنية والمضريّة مُفاخرات طويلة. وأعظم مفاخرات المضريّة ظهور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيهم، وكونُه منهم. فقال أبو العلاء: إن ناقته هذه الوجناءَ فاخرت عدنان بمَهْرة، فقال لها: لولا الفصيصى لكان المجد كلُّه لمضر؛ لكون النبوّة والخلافة فيهم دون اليمنيّة، ولكن من أجل كون هذا الممدوح من اليمنيّة صار لهم حظٌّ من الشرف، ولم يكن خالصًا لمضر.

الخوارزمى: مَهرة بن حَيْدان: بطن من قضاعة، وقضاعة من قَحْطان، وفصيص من تنوخ[3]. ذكره التبريزى. وتنوخ من قضاعة. يقول: مضر فازوا

(١) الوقير: الغنم بكلبها وحمارها وراعيها. والجذم: جمع جذمة، بالكسر، وهى السوط.
(٢) خـ: «ينتهون إليه».
(٣) وكان بنو الفصيص ولاة قنسرين. انظر تعريف القدماء ٤٨٩.

بالمجد الضخم؛ لأنّ فيهم الخلافة والنبوّة، ولولا الفصيصى كان المجد كله فى مضر، ولم يكن لمهرة ولا لغيرها من بنى قحطان شىءٌ من المجد . وفى أبيات السقط :

لولا مَسَاعيك لم نَعْـدُدْ مساعِيَنا ولم نُسامِ بأحكام العُلاَ مُضَرا

لقـد أصاب حيثُ جعل النّاقةَ مباهيةً لمهرة؛ لأنّ الإبل إليهم تنسب، وفيهم نجائب تسبِق الخيل . ٥

٢٣ (وقد تَبَيَّنَ قَدْرِى أنَّ مَعْرِفَتِي مَنْ تَعلَمِينَ سَتُرْضِينِي عَنِ القَدَرِ)[1]

التبريزى : أى من تعلمينه، يعنى الممدوح. وقوله «وقد تبين قدرى» أى بيّن قدرى أن معرفتى إياه ترضينى عن القـدر، فلا ينالنى من القـدر إلا ما يسرُّ دون ما يُكره، تجنابه . ويقال: بان الشىءُ، وأبان واستبان وبيّن وتبيّن، وبِنْت الشىء وأبنته واستبنته و بيّنته وتبيّنه. هذه الأفعال تكون لازمة ومتعدّية. وقوله فى البيت «تبين» أى بيّن، بمعنى أظهر . ١٠

البطليوسى : القَدَرُ والقَدْر بفتح الدال وتسكينها لغتان، سواء أُريد به قدر الله تعالى، أو قدر الإنسان، أو القدر الذى هو المقدار. وأبو الرضا: كنية الفصيصى الممدوح . يقول : لا يجرى علىّ قدر الله تعالى إلا بما يرضينى، لمعرفتى به، وسعادتى بكونى من شيعته . ١٥

الخوارزمى : قَدَرُ الله وقَدْرُه بمعنى . يخاطب الناقة قائلا لها : قد علم القدر الذى لم يزل مسيئا إلىّ أنّ الممدوح سيرضينى عنه، أى عن القـدر . يعنى أن القدر لمّا علم أنّ بينى و بين الممدوح معرفة ساذجةً، وأنْ لم يستحصف بيننا من أسباب المودّة ما يُوجب اهتمامَه بأمرى واعتناءَه بشأنى، كفانى ذلك حاميا

(١) رواية البطليوسى : * أبا الرضا سوف ترضينى عن القدر * ٢٠

عنه[١] . وهذا على وجهين : إما لأن القدر يخاف الممدوح ، وإما لأن الممدوح ميمون النقيبة مبارك الصحبة . وعلى الأوّل قول طلحة النعمانى :

لا ترهبِ الأقدارَ إن لاقيتَها مستعصِمًا منه بحبلِ ولائِهِ

و«القدر» فى القافية من إقامة المُظهَر مقام المضمر . ومثله : ﴿مَنْ جَاءَ بالسَّيِّئة فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ﴾ .

٢٤ ﴿القاتلُ المَحْلَ إذ تَبْدُو السَّمَاءُ لَنَا كَأَنَّهَا مِنْ نَجِيعِ الجَدْبِ فى أُزُرِ﴾

التبريزى : فى هذا البيت صنعة ، وذلك أنّ السماء تحمرّ آفاقها فى الجدب ، وكذلك قالوا : سنة حمراء كأنّها دم . ومن ذلك قول الشاعر :

وشَوَّذتْ شمسُهُمْ إذا طلعتْ بالجُلْبِ هِفًّا كأنَّهُ الكَتَمُ[٢]

يريد أنّ الغيم أحمر لا ماء فيه . والمعنى أنه يقتل المَحْلَ ، فكأنّ دمه قد أصاب السماء ، فهى مِن نجيع الجدب فى أُزُر . وهذا كما قال آخر :

همُ المطعمون سديفَ السَّنا مِ والقاتلو الليلةَ البارده

البطليوسى : المحل : الجدب . والنجيع : الدم . وإنما قال هذا لأن الآفاق تحمرّ فى السِّنين المجدبة ، ولذلك قالوا : سنة حمراء ، ولذلك قال أمية بن أبى الصلت :

وشَوَّذت شمسُهم إذا طلعَتْ بالجُلبِ هِفًّا كأنّه كَتَمُ

فأراد أن الممدوح يقتل المحل ، وأن ذلك الذى يبدو فى الآفاق من الحمرة إنّما هو دمه . وقد جعل أبو الطيب اللَّيلَ قتيلًا لِما يبدو فى الآفاق من الحمرة عند ورود الصباح ، فقال :

---

(١) كفانى ذلك ، أى المعرفة الساذجة ، حاميا لى عن القدر .

(٢) فى الأصل : « هقا » . وصواب الرواية من اللسان (شوذ ، هفف ، كتم) . والجلب ، بضم الجيم وكسرها : السحاب الرقيق .

لَقِيتُ بدرب القُلَّةِ الفجرَ لُقْيَةً شَفَتْ كَمَدِى والليلُ فيـه قتيلُ[1]

والعـرب تسمّى إبطال الشىء قتلا ، وإن لم يكن هناك قتـلٌ ولا حمـرة . قال الشاعر :

هم المطعمون سَـديفَ السـنا م والقـاتلو الليـلة البـارده

الخـوارزمى : ابن السِّكِّيت : هو قاتل السنوات ، أى يُطعم فيهـا ويدفئ ٥ الناس . نقله عن الأزهرى . طعنةٌ تمجّ النجيع، وهو دم الجوف . وتمجّع بالدم[2] : تلطّخ به . قالوا : من أمارات الجدب أن تعترض فى الأفق بالغداة والعشى من الشتاء حمرة من غير سحاب ، أو مع شىء من السحاب رقيق . ولذلك قيـل : ليلةٌ وَرْدَةٌ حمراء الطرفين، عند غروب الشمس وطلوعها . وفى عراقيات الأبيوردى :

وإن كان يوما غادر المحلُ أُفْقَه[3] يمـجُّ نجيعًا وهو فى حُلَلٍ حُمْـرِ ١٠

وقال عمرو بن قَمِيئة يذكر زمان جدب :

وغاب شعاعُ الشمس من غير جُلْبةٍ ولا حمرةٍ إلّا وشيكًا مُصُوحُها[4]

وقال الكُمَيْت :

إذا أمستِ الآفاقُ حُمْرًا جُنُوبُها بِمِلْحانَ أو شِيبانَ[5] واليومُ أشهبُ

ومنه : سنة حمراء . وأمّا حمرة الغيث فشديدة عند الطـلوع والغروب وفى سحاب ١٥ متكاثف مُخِيل[6] . وقوله : « فى أُزُر » دليل على أن حمرة الجدب فى أطراف السماء لا على كبدها؛ لأن الإزار إنمـا يكون فى النصف الأسفل من البدن .

---

(١) درب القلة : موضع ببلاد الروم ، كما فى شرح العكبرى (٢ : ٧٩) .

(٢) لم نجد هذا الفعل بهذا المعنى فيما لدينا من كتب اللغة .

(٣) أى إن كان اليوم يوما ... الخ ورواية الديوان : « يوم » بالرفع . ٢٠

(٤) مصح يمصح مصوحا : ذهب وانقطع . (٥) ملحان وشيبان ، بكسر أولهما : شهرا قماح .

(٦) يقال : أخيلت السحابة وخيلت وتخيلت ، إذا تهيأت للمطر .

٢٥ (وقاسِمُ الجُودِ فى عَالٍ ومُنْخَفِضٍ كقِسْمَةِ الغَيْثِ بين النَّجْمِ والشَّجَرِ)(١)

التبريزى : أى يقسم نائله فى الغنىّ والفقير، كقسمة المطر فى النجم والشجر. والنجم من النبات : ما لم يكن له ساق. والشجر ماله ساق. أى ينال [خيره](٢) كلّ أحد : من غنىّ وفقير، وشريف ووضيع .

البطليوسى : كذا وقع هـذا البيت فى نسخ السقط، وكذا رويناه . وليس بصحيح عند التأمّل؛ لأن النبت اسم يعمّ الشجر وغيره مما تخرجه الأرض، وإن كان قد ورد عن أحدٍ من اللغويين أنّ النبت غير الشجر فليس بصحيح . والصواب : « بين النجم والشجر »؛ لأن النجم ما لا يستقلّ على ساق، والشجر المشهور فيه ما استقلّ على ساق . وقد جاء فى كتاب الله تعالى : ﴿ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴾ فسمّى اليقطين شجرا، وهو لا يقوم على ساق .

الخوارزمى : هذا من قول التهامى :

مُفَرَّق الجـودِ مقسوم مواهبُـه فى عِلْية النّاسِ والأوساطِ والحَشَمِ
والغيثُ إن جاد بالمعروف وزّعه بين الشّناخيب والغيطان والأَكَمِ

٢٦ (إذا تَفَكَّرَ أهلُ الرّأى واجْتَهَدُوا فضَـلّ كلُّ هـداهُ غيرَ مفتكرِ)(٣)

٢٧ (ولَوْ تَقَدّمَ فِى عَصْرٍ مَضَى نَزَلَتْ فى وَصْفِهِ مُعْجِزاتُ الآيِ والسُّوَرِ)

التبريزى : أى لولا تأخُّرهُ، وأنّه جاء بعد النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وهو خاتم النبيين، لكان من الأنبياء، وأُنزلت عليه السور .

البطليوسى : سيأتى .

(١) رواية البطليوسى : « بين النبت » . (٢) التكلة من نسخة ب من التبريزى .
(٣) هذا البيت لم يروه الخوارزمى . وأثبتناه من البطليوسى وهامش أ من التبريزى . وفيهما : "هداهم".

الخـــوارزمى : الإضافة فى « معجزات الآى والسور » كالتى فى قولهم : سَحْقُ عِمامةٍ ، وجَرْدُ قطيفةٍ .

٢٨ ﴿يبِينُ بالبِشْرِ عَنْ إحْسَانِ مُصْطَنِعٍ كالسَّيْفِ دَلَّ عَلَى التَّأْثِيرِ بالأُثُرِ﴾

التـــبريزى : أى بشره يُنبيك عما وراءه من الخير ، كالسيف إذا رأيت أُثره و [فرنده](1)، دلَّك حسنه على جودة أَثره .

٥

البطليـــوسى : البشر : طلاقة الوجه والتبسم . والأثر ، بضم الهمزة وفتحها وسكون الثاء : فرند السيف ورونقه . وحرّك الثاء بالضم ضرورة . يقول : إذا رأيت بِشْره علمت أنّ وراءه إحسانا وعطاء ، كما أنّك إذا رأيت فرند السيف علمتَ أنّ له تأثيرا ومضاء .

الخـــوارزمى : سيأتى .

١٠

٢٩ ﴿فَلَا يَغُرَّنْكَ بِشْرٌ(2) مِنْ سِوَاهُ بَدَا وَلَوْ أَنَارَ فَكَمْ نَوْرٍ بِلَا ثَمَرِ﴾

التـــبريزى : يقول : ليس كل بشر وراءه خير ، كما أنه ليس كل زهر وراءه ثمر . وأنار الشجرُ ، إذا ظهر نَوْرُه .

البطليـــوسى : ...

الخـــوارزمى : التأثـير مع الأثر تجنيس . معنى البيت الأوّل مثـل قول ابن المبّاريّة :

١٥

مَلِكٌ إذا لمعتْ بوارقُ بِشْرِهِ للضّيف فهى بمـا يروم بَشيرُ

ومعنى البيت الثانى على خلاف قولهم : البشرُ دالّ على السخاء ، كما يدلّ النّوْر على الثمر . وأنار مع النّوْر تجنيس .

---

(١) التكملة من ب . (٢) التبريزى : « ولا يغرك » .

٣٠ ﴿يَابْنَ الأُلَى غَيْرَ زَجْرِ الخَيْلِ مَا عَرَفُوا   إِذْ تَعْرِفُ العُرْبُ زَجْرَ الشَّاءِ والعَكَرِ﴾

التبريزى : العَكَر : جمع عَكَرة ، وهى القطعة من الإبل العظيمة ، وقيل : من الستين إلى المائة عكرة . والألى : بمعنى الذين ، وكذلك «أولو» ، واحدهم ذو . والمعنى أنهم قومٌ ملوك ، فهم يزجرون الخيل ، إذ كانت الإبل والشاء إنما يزجرها العبيد والصعاليك . أى هؤلاء أصحاب حروب ومغاورات .

البطليوسى : الألى : بمعنى الذين ، وهو جمع الذى من غير لفظه ، كما تقول رجل وقوم ، وامرأة ونسوة . ويقال عَرَبٌ وعُرْبٌ ، كما يقال عَجَمٌ وعُجْمٌ . والعكَر : جمع عكرة ، وهى ما بين الخمسين إلى المائة(١) من الإبل . هذا قول أبى عبيدة . وقال الأصمعىّ : ما بين الخمسين إلى السبعين . يقول : كانوا فرسانًا أصحابَ خيل ، ولم يكونوا رِعاء أصحاب شاءٍ و إبل .

الخوارزمى : سيأتى .

٣١ ﴿والقَائِدِيهَا مَعَ الأَضْيَافِ يَتْبَعُهَا   أُلَّافُهَا وأُلُوفُ اللَّامِ والبِدَرِ(٢)﴾

التبريزى : الهاء فى « قائديها » راجعة إلى الخيل . أى إنهم يحملون عليها [الأضياف يتبعها](٣) أُلّافها ، جمع آلِف ، [ما يألف](٤) من مهارها . واللام : جمع لامة ، وهى الدرع ، وتجمع على لُؤَم . والبِدَر : جمع بَدْرة . ويحتمل أن يريد باللام الشَّخص ، أى يهبون الخيل والعبيد .

البطليوسى : سيأتى .

---

(١) حـ : « المائتين » .   (٢) التبريزى : «تتبعها» .

(٣) التكملة من ب من التبريزى .   (٤) هذه من ب .

الخـوارزمى : العَكَر من الإبل : ما بين الخمسين إلى الستين، عن أبى عبيدة، وقيل ما بين الخمسين إلى المائة . وأصل التركيب(١) رجوع الشيء إلى الشيء حتى يكثر أو يخثر . عنى بألافها مهارَها، لأنها تألفها . لبس لأمته، أى درعه المحكمة الملتئمة، ولبسوا اللُّؤَم . فإن قلت : اسم الفاعل متى قُصد به المضىّ وأُضيف كانت الإضافة حقيقية، كقولك هو مالك عبيده أمس، وفى «القائديها» قُصد ذلك، لانعطافها على «يابن الألى غير زجر الطير ماعرفوا»، فكيف جاز دخول اللام المعرِّفة عليه ؟ قلت : لم يقصد به المضىّ بل حكاية الحال الماضية، وهى بمعنى الحال . ونظيره قول أبى الطيب(٢) :

* أسائلُها عن المتديِّريها *

وقوله : «يتبعها ألافها»، فى محل النصب على الحال من الضمير فى «القائديها» . وألاف مع الألوف تجنيس .

٣٢ (جَمَالَ ذِى الأَرْضِ كَانُوا فِى الحَيَاةِ وَهُمْ   بَعْدَ المَمَاتِ جَمَالُ الكُتْبِ وَالسِّيَرِ)

التبريزى : أى كما كانت الأرض مُزَيَّنة بهم فى حياتهم صارت الكتب مُزَيَّنة بسيرهم بعد مماتهم .

البطليوسى : الألاف : جمع آلف، وهو الصاحب، كما يقال : ضارب وضُرّاب؛ ويقال فى معناه إِلْف على مثال إِبْط، وجمعه آلاف على مثال آباط . واللام : جمع لامة، وهى الدرع، وأصلها الهمز ثم تخفف . والبِدَر : جمع بَدْرة، وهى عشرة آلاف درهم .

الخـوارزمى : يقول : كما كانت الأرض مزَيَّنة بهم فى حياتهم صارت الكتب مزينة بسيرتهم بعد مماتهم .

(١) يعنى ما ركب منه مادة عكر .   (٢) من قصيدة له فى ديوانه (١ : ٣٩٣) . وعجزه :

* فلا تدرى ولا تذرى دموعا *

٣٣ (وَافَقْتَهُمْ فِى اخْتِلافٍ مِنْ زَمَانِكُمُ   وَالبَدْرُ فِى الوَهْنِ مِثْلُ البَدْرِ فِى السَّحَرِ)

التبريزى : الوهن : قطعة من أوّل الليل ، يقال مضى وَهْنٌ من الليل، كما يقال مضى قِطْعٌ من الليل . والمعنى أنَّ هذا المذكور وإن كان فى زمانٍ غير زمان أوائله فإنّه مثلهم فى الكرم والشّرف، كما أن البدر الذى يطلع فى أوّل الليل ، وهو الوهن، مثلُ الذى يطلُع فى آخره، وهو السَّحَر .

البطليوسى : يقول : أنت مثلُ آبائك فى الكرم والشّرف، وإن كانوا قد تقدّموا وتأخرتَ بعدهم، كما أنّ البدرَ فى أوّل الليل وآخره سواء. والوَهْن والمَوْهِن: مقدار ثلث الليل .

الخوارزمى : الوهن، فى : « أعن وخد القلاص »[1] .

٣٤ (المُوقِدُونَ بِنَجْدٍ نَارَ بَادِيَةٍ   لَايَحْضُرُونَ وَفَقْدُ العِزِّ فِى الحَضَرِ)

التبريزى : وصفهم بأنهم يألفون البدو ويكرهون الحضر، لأنّ العزّ فى البدو وفَقْدَه فى الحضَر . والنجد، أصله العلو والارتفاع . والنجد من بلاد العرب، سمى نجدًا لارتفاعه عن انخفاض تِهامة .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : بادية، أى جماعة يسكنون البدو . وقوله : لا يحضرون، فى محل الجر على أنّها صفة بادية .

٣٥ (إِذَا هَمَى القَطْرُ شَبَّتْهَا عَبِيدُهُمُ   تَحْتَ الغَمَائِمِ لِلسَّارِينَ بِالقُطُرِ)

التبريزى : الهاء فى «شبتها» عائدة على النار. والقُطر : العُود الذى يتبخّر به. أى نارهم لا تمنعهم السحائبُ من أن تشبّ ليهتدى بها السّارون . من تمام الصنعة

(١) أى فسره فى قصيدة : « أعن وخد القلاص » . فى قول أبى العلاء :

سرى برق المعرّة بعد وهن   فبات برامة يصف الكلالا

فى هذا البيت أنّه ذكر القَطْر الذى هو المطر فى أوّله ، وذكر القُطر الذى هو العود فى آخره للتجنيس ، ثمّ جعل النار التى تشبُّها العبيد بالقُطر لا تُخمدها الغمائم بالقَطر . يصفهم بأنّهم ملوكٌ يقدِرون على ما لا يقدِر غيرهم . والغمائم : جمع غمامة .

البطليوسى : يقول: كانوا مُصْحِرين فى البادية يوقدون النيران بالليل ليراها الضِّيفان على البعد فيقصدوها، وكانوا يتمدّحون بذلك . وهَمَى القطر، أى سال . وشبّتها : أوقدتها . والغمائم : السحاب . والسّارون : الذين يمشون بالليل . والقُطُر : عود البَخُور . وهذا كقول أبى الطيّب :

يَلَنْجُوجىٌّ ما رُفِعتْ لضيف(1) به النّيرانُ نَدِّىُّ الدُّخانِ

الخوارزمى : القطر: العود الذى يُتبَخَّر به . ولقد أحسن ماشاء حيث جانس بين القَطر والقُطُر . وحيث أثبت الهَمْى، وهو السّيلان للقَطْر، يريد أنّه ولو اشتد المطر حتّى صار سيلًا فإنّ نارهم لا تطفأ بل تُوقَد . وحيثُ لم يُسند إيقاد النار إليهم بل الى عبيدهم . يريد أنّهم عظماء يأنفون أن يتولّوا بأنفسهم إيقاد النار . وحيث أضاف العبيد إليهم ، يريد أنهم متمولون أصحاب عبيد . وحيث جمع العبيد جمع كثرة، يريد أنهم أغنياء ذوو عبيد كثيرة، ويريد أيضا أنّ تلك النار الموقدة عظيمة، بحيث لا يتمكّن من إيقادها إلّا الفئة المتوافرة . وحيث جعل الإيقاد تحت الغمائم، يريد أنّهم حالَ اندفاق المطر لا يمتنعون عن الإيقاد . وحيث جمع الغمائم، يريد أنّه وإن تراكم الغيمُ حتّى قوِى السَّيلُ وطغَى المطر، فإنّ ذلك ممّا لا يصدّهم عن الإيقاد . وحيث جعل الإيقاد للسارين، يريد أنّ تلك النارَ للضِّيافة لا للاصطلاء والاشتواء . وحيث جعل حطب النار التى لا يُطفئها السَّيلُ العودَ المتبخَّر به ، يريد أنّهم ملوك يُحرِقون العود بغير ضِنّة مكانَ الحطب . ويريد أيضًا أنّهم يوقدون النار على وجه هو أجلبُ

(١) أى يلنجوجى النار التى ترفع للأضياف .

للضيف؛ لأنّه ربّما يسرى أرَجُ العود، ولا سيّما فى الليلة المطيرة، إلى حيث لا يسرى إليه ضوءُ النار، فيكون إيقاد النار بالعُود أجلبَ للأضياف من وجهين .

٣٦ (مِنْ كُلِّ أزْهَرَ لَمْ تَأْشَرْ ضَمَائِرُهُ ... لِلَثْمِ خَدٍّ وَلَا تَقْبِيلِ ذِى أُشُرِ)

التبريزى : لم تأشَر : لم تُفرِط فى النشاط للثم الخدّ ولا تقبيل أُشر الأسنان، وهو تحزيزٌ فى أطرافها يدلّ على الشباب؛ لأنه لا يكون فى ذوى الأسنان أى الشيوخ . يقال أَشُرٌ وأُشَرٌ . [وثغرٌ مؤشَّرٌ(1)] إذا كان فيه تحزيزٌ [قال الشاعر :

بذى أُشُرٍ كالأُقحوان اجتليتَه ... غداةَ الشُّروق و(1)] السحائبُ تمطرُ

أى لم تسمُ همّته إلا إلى معالى الأمور .

البطليوسى : الأزهر : المُشرق الجميل . والأَشَر : البطر . والأُشُر، بضم الشين وفتحها : تحدّدٌ فى أطراف الأسنان، وذلك يكون من فتوّة السنّ . يقول : ليست همته فى النّساء، وإنما همّته فى طلب معالى الأمور؛ كما قال أبو فِراس الحَمْدانىّ :

لقد ضلّ من تَحوِى هواهُ خريدةٌ ... وقد ذلّ من تَقضى عليه كَعَابُ

الخوارزمى : قوله : "لم تأشر" مع "أُشر"، تجنيس .

٣٧ (لٰكِنْ يُقَبِّلُ فُوهُ سَامِعَىْ فَرَسٍ ... مُقَابَلِ الخَلْقِ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ)

التبريزى : أى إن هذا الفارس لا يقبّل الخدّ ولا الأشر، وهو إذا علم أنّ الفرس جوادٌ قبّل سامعَيْه، أى أذنيه . وقوله : مُقابَل الخلق، يقول : كأنه مقابَل بين الشمس والقمر؛ لأنّ لونه كلون الشمس فى الحسن، فقد أخذ منها شبهًا، وحجوله وغُرّته بيض، فقد أخذ من القمر شبهًا آخر، فكأنه مُقابَل بينهما، لأنه أشقرُ محجّل .

(1) التكملة من ب .

البطليوسى : جعل الفرسَ، لصفاء لونه وإشراقه وما عليه من غُرّته وحجوله، كأنّه قد تخلَّق بين الشمس والقمر، فتكسَّب منهما الأنوار . وهذا نحو قولُ محمد ابن هانئ فى الخيل :

وما تلك أوضاحٌ عليها وإن بَدَتْ ولكنّها حيّتكَ منها المباسمُ
تمسَّتْ شموسٌ طَلْقةٌ فى جلودِها وضُمّت على هُوجِ الرِّياح الشَّكائمُ ٥

وقال أيضا :

صَقيلات أجسامِ البُروق كأنّما أُمِرَّتْ عليها بالشُّموسِ المَدَاوِكُ[(١)]

وأوّل من أثار هذا المعنى امرؤ القيس فى قوله :

كأنَّ نُجوماً عُلِّقتْ فى مَصَامِها بأمراسِ كَتّانٍ إلى صُمّ جَنْدَلِ

كذا رواه أبو عبيدة فى صفة الفرس ، وقال فى تفسيره : شبّه غُرّته وأوضاحَه بالنجوم . ١٠

الخوارزمى : عنى بسامعىْ فرسٍ أُذنيه، وذكّرهما ذهاباً بهما إلى العضوين. وإنما يقبّلهما مجازاةً له على ما يُحسن إليه من إحساسه بالرّزايا الملمّة ونجاته به قبل أن تنزل . مُقَابَلُ الخلق بين الشمس والقمر، أى متقابل بين الشُّقْرة والحجول ؛ لأن الشمس توصف بالشُّقْرة ، والقمر بالبياض . ألا ترى الى قول أبى الطيِّب : ١٥

وما قلت للبدرِ أنت اللُّجَيْنُ وَمَا قلتُ للشَّمس أنت الذهبْ

ومن ثَمّة سمى القمر قمرًا لبياضه، من الأَقمر، وهو الأبيض .

---

(١) المداوك : جمع مدوك، كمنبر، وهو مسحق الطيب . وفى الأصل : « المداول » تحريف . انظر ديوانه ص ٩١ . وفى الديوان : « أمرت عليها بالسحاب » . ٢٠

٣٨ ﴿كَأَنَّ أُذْنَيْهِ أَعْطَتْ قَلْبَهُ خَبَرًا عَنِ السَّمَاءِ بِمَا يَلْقَى مِنَ الغِيَرِ[(١)]﴾

التبريزى : قال أبو العلاء : الاثنان عندهم جمع؛ فلذلك جاز أن يخبر عنهما بإخبار الجمع . وفى الكتاب العزيز : ﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ﴾ . وقال الفرزدق :

فلو بَخِلَتْ يداىَ بها وضَنَّتْ لكان لها على القَدَرِ الخِيارُ

والمراد أن هذا الفرس أعطته أُذنه الأخبار المَقْضِيّة فى السماء . وهذه مبالغةٌ فى وصفه بجودة السمع . والبيت الذى يليه شرح لهذا البيت ، وهو قوله : « يحُسّ وطء الرزايا ... » .

البطليوسى : سيأتى .

١٠ الخوارزمى : الدهر ذو غِيَر . فإن قلت : كيف لم يبرز الضمير فى «أعطت» مع إسناده إلى ضمير الاثنين ؟ قلت : إما لأنه قد نزّل العضوين منزلة عضو ؛ لأن المقصود بهما منفعة واحدة، وعليه قول امرئ القيس :

وعَيْنٌ لها حَدْرَةٌ بَدْرَةٌ شُقَّتْ مآقيهما عن أُخُرْ[(٢)]

ألا ترى أنّه عنى بالعين العينين ، حتّى صرف إليهما ضمير الاثنين . وقول ١٥ أبى الطيب :

وتكرّمتْ رُكُبَاتُها[(٣)] عن مَبرِكٍ تقعان فيه وليس مِسْكًا أذفرا

لأنه قد جعل كلّ ركبتين كركبةٍ واحدة حتى قال «تقعان» . و إمّا لأنه قد عامل المثنى معاملة الجمع؛ ومنه قول عنترة :

---

(١) فى ب من التبريزى : «من السماء» . (٢) فى الديوان : «فشقت مآقيهما من أخر» .

٢٠ (٣) ركباتها : جمع ركبة ، وهى ركبة الرجل . انظر العكبرى (١ : ٣٥٢) . وفى الأصل : « ركابها » تحريف .

مَتَى ما تَلقَنى فَرْدَينِ تَرْجُفْ رَوانِفُ أَلْيَتيكَ وتُستطارا

وقول الآخر[1] :

* أقرابُ أبلقَ تنفِى الخيلَ رمّاح *

ألَا ترى أنه قد سمى الرَّانِفتين والقُرْبين روانف وأقرابًا . ومثله فى احتمال الوجهين قوله[2] :

وكأَن فى العينين حَبَّ قَرَنْفُلٍ أو سُنْبُلًا كُحِلَتْ به فانهَلَّتِ

وقول الفرزدق :

* فلو بخلتْ يداى بها وضنَّت *

هذا، وقول أبى الطيّب :

* وعَيناى فى رَوْضٍ من الحسن تَرتَعُ[3] *

مع تمكّنه من أن يقول وعَيْنِيَ، دليلٌ على أنه يرتكب ذلك لا فى مقام الضرورة .

٣٩ (يُحِسُّ وَطْءَ الرَّزَايَا وَهِى نَازِلَةٌ فَيُنْهِبُ الجَرْىَ نَفسَ الحَادِثِ المَكِرِ)

التبريزى : يصف الفرس بالذكاء والحدّة ، وأنه يحسّ بالحادث عند نزوله ، فيُنهب جريَه نفس ذلك الحادث الذى يمكر به ، أى يجعلها نهبًا لجريه .

البطليوسى : الغيَر : التغير . والمكِر : الكثير المكر . وصفَ هذا الفرسَ بجودة الحس ، فقال : هو لصدق حسه يحسّ حوادث الدهر حين تنزل ، فيُنهب جريه

(١) هو أوس بن حجر من قصيدة له فى ديوانه ص ٤ ، وصدره :

* كأن ريقه لما علا شطبا *

(٢) هو سلمى بن ربيعة . انظر الحماسة ٢٧٤ بن . وفى الأصمعيات ص ١٨ نسب إلى علباء بن أرقم .

(٣) صدره كما فى الديوان (١ : ٣٨٤) .

* حشاى على جمر ذكى من الهوى *

نفسَ الحادث الذى يريد أن ينكر به ، أى يجعله نهبًا له[1] . ويقال : نهبتُ الشىء ، إذا فرّقته[2] ، وأنهبته ، إذا عرّضته لأن يُنْهَب .

الخوارزمى : عنى بأنكر ذا المكر ، وإنى [لم] أسمعه إلّا هاهنا . قوله : « فينهب الجرى نفسَ الحادث » ، معناه يجعل الجرى ناهبا للحادث ، أى متلفًا له .

٥ يقول : هـذا الفرس يفرّ متى يحسّ بنزول الرزايا ، فتعدو خلفَه الشديدةُ من البلايا طَلَقًا بعد طَلَق ، إلى أن يُهلكها فى إثره العدْوُ المتتابع . فلمّا كان جريُه سببًا لإهلاكه أسنده إليه .

٤٠ (مِنَ الجِيَادِ اللَّوَاتِي كَانَ عَوَّدَهَا بَنُو الفُصَيصِ لِقَاءَ الطَّعْنِ بِالثُّغَرِ)[3]

التبريزى : أى كانوا عوّدوها الإقدام فى الحرب . والثُّغَر : جمع ثُغرة النَّحر ، ١٠ وهى الهَزْمة فيه .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : هـذه كناية عن إقدامها فى الحرب . وهذا معنًى بالت عليه ثعالبُ الابتذال .

٤١ (تَغْنَى عَنِ الوِرْدِ إِنْ سَلُّوا صَوارِمَهُمْ أَمَامَهَا لِاشْتِبَاهِ البِيضِ بِالغُدُرِ)

١٥ التبريزى : أى تشبه سيوفهم الغُدُر ، وهى جمع غدير ، من الماء ، فإذا رأت الخيلُ تلك السيوفَ أغنتها عن الورود لشبهها بالماء .

البطليوسى : الجياد : الخيل العتاق . والثُّغَر : جمع ثُغرة ، وهى النُّقرة التى بين التَّرقُوتين . ويقال : غَنِيت عن الشىء أغنَى ، إذا استغنيت عنه . والوِرْد ، يستعمل

(١) تأنيث ضمير « يجعله » : فى عبارة التبريزى لمح لكلمة « نفس » ، وتذكيره هنا لمح للمضاف إليه ٢٠ وهو الحادث . (٢) كـ فى الأصل . والذى فى المعاجم أن النهب الأخذ والسلب .
(٣) فى ب من التبريزى فقط : « فى الثغر » .

على ثلاثة معانٍ: يكون ورودَ الماء، ويكون الماءَ نفسَه، ويكون القوم الواردين للماء، جمع وارد، سُمُّوا بالمصدر. قال الله تعالى: ﴿ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾. وقال زهير:

كأنّها من قطَا الأجباب حَلَّأَهَا ... وِرْدٌ وأَفْرَدَ عنها أُخْتَهَا الشَّرَكُ[1]

أراد القوم الواردين. والصوارم: السيوف القاطعة.

الخوارزمى: الغُدُر: جمع غدير، وهو ما يغادره السيل؛ وقيل هو من الغَدْر؛ لأنه أشدّ ما يكون الحاجة إليه ينقطع، فكأنه يغدر. ويشهد له المثل: "أَغْدَرُ من غدير"، وقولُ الكُمَيْت:

ومِنْ غَدْرِهِ نَبَزَ الأوّلُون ... بأنْ لَقّبوه الغَدِيرَ الغَدِيرا

يعنى لقّب الأوّلون الغدير من غدره بالغدير. وفى شعر صربعر[2]:

لى فى بُطون اليَعْمِلاتِ مَزادةٌ ... تُروى إذا غَدَرَ الغديرُ الطامِى

عنى الانتظاظ[3]. وأما قول أبى الطيِّب:

* فإنّ دموع العينِ غُدْرٌ بربِّها[4] *

فجمع غَدُور، وهو مبالغة فى غادر، فاعل من الغدر. السيف يشبَّه بالماء لبصيصه وكثرة مائه. وفى أبيات السقط:

(١) انظر ديوان زهير ص ١٧١، طبع دار الكتب.

(٢) صربعر، هو والد صردر الشاعر. وصردر، هو على بن الحسن بن على بن الفضل الكاتب. توفى سنة ٤٦٥. قال ابن خلكان: «وإنما قيل له صردر لأن أباه كان يلقب صربعر، لشحه، فلما نبغ ولده المذكور وأجاد فى الشعر قيل له صردر». على أن الخوارزمى لم يقصد والد صردر، وإنما عنى صردر نفسه، ولقبه بهذا اللقب تهكما. والبيت من قصيدة لصردر فى ديوانه طبع دار الكتب المصرية ص ٢٠٧

(٣) الانتظاظ: اعتصار ماء الكرش.

(٤) تمامه كما فى الديوان (٢: ٤٦٤): * إذا كنّ إثر الظاعنين جواريا *

أقبلوا حامِلِي الحداولِ فى الأغ ـــ حادِ مستلئمين بالغُــدْرانِ

ومعنى البيت من قول أبى الطيّب :

وخيلًا تغتذى رِيحَ الموامِى ... ويكفيهامن المـاءالسرابُ

٤٢ (أَعَاذَ مَجْــدَكَ عَبْدَ اللهِ خَالِقُه ... مِنْ أَعيُنِ الشُّهْبِ لَا مِنْ أَعْيُنِ البَشَرِ)

٥ التـــبريزى : ...

البطليـــوسى : سيأتى .

الخـــوارزمى : الشهب تستعار لها العيون . وفى عراقيات الأبيوردىّ :

هلّا اتّقيتِ الشُّهبَ حين تخاوصت ... فرَنَتْ إليــك بأعيُنِ الرقبـاءِ

وأصل المعنى فى بيت أبى العلاء من قول الأمير أبى فِرَاس :

١٠ رَمتنى عيونُ النـاس حتّى ظننتُها ... ستحسدنى فى الحاسدين الكواكبُ

ولقد أصاب فى استعارته العيون للشُّهب، حين قابل بها بين عيونٍ وعيون .

٤٣ (فَالعينُ يَسْلَمُ مِنْهَا مارَأَتْ فَنَبَتْ ... عَنْهُ وتَلْحَقُ ماتَهْوَى مِنَ الصُّوَرِ)

التـــبريزى : المراد أن العــين تلحق ما تعجب منه ، ولا تلحق منظراً غير جميل . ولذلك قال القائل :

١٥ أُعيــذُك بالمُقَشْقِشَتَيْنِ، إنى ... أخاف عليــك من شَرِّ العيــونِ

المقشقشتان : (قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ) و (قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ)[1] . و إنمـا تعلّق التمائم على مَن يُكرَّم من الأولاد، وعلى ما يستحسن من الخيل .

(١) وكذا فى القاموس واللسان . و روى صاحب اللسان أيضا سورة الإخلاص والناس . و إنمـا سميتا مقشقشتين لأنهما يبرئان من الشرك والنفاق إبراء المريض من علته ، أو كما يقشقش الهناء الجرب، أى يبرئه . انظر اللسان والقاموس (قشش) .

البطليوسي : الشهب : النجوم، واحدها شهاب. وأصل الشّهاب النـار[1]، فشبّهت النّجومُ بها لتوقُّدها وضيائها. ويقال: نبَتْ عيني عن الشيء نبوًا، إذا تجافت عنه ولم تستحسنه . يقول : العين إنّمـا تُصيب كلَّ شيء تستحسنه وتهواه ، وأما ما تمجُّه العين ولا تستحسنه فلا تأثير لهـا فيه . والنُّجوم تنظر إلى مجدك نظرَ مَن يستحسنه ويُنافِس فيه ، فليس يؤمَن عليه من ضررها . وإنّما أعاذ مجده من أعين الشهب، ولم يُعذْه من أعين البشر، وإن كانت أعين البشر تجب الاستعاذة منها، لأنه أراد أنَّ مرتبته في الشرف لا تصل إليها عيونُ البشر ولا تنالُها، لشـدّة ارتفاعها، فقد أمن عليها منها . ألَا ترى إلى قول أبي الطيِّب :

لِنوره في سمـاء الفَخْر مُخْـترَقٌ ... لو صاعَدَ الفكرُ فيه الدّهرَ ما نَزَلا

وقال آخر :

رأيت بني الهَصّانِ[2] شادتْ جدودُهم ... لهم شَرفًا يرنو إلى النّجمِ من عل

الخـوارزمي : ما رأت، في محل الرفع على أنه فاعل "يَسْلَم". الضمير في "عنه" لمـا ، وفي رأت ونبت وتلحق وتهوى، للعين .

٤٤ (وكَمْ فَرِيسَةِ ضِرْغامٍ ظَفِرْتَ بِهَا[3] ... خُزْتَهَا وَهْيَ بَيْنَ النَّابِ والظُّفُرِ)

التـبريزي : الضرغام : الأسد . ومعناه : كم استنقذت طريدةً من يد الأعداء لولاك لم تُسْتَرْجَع .

البطليـوسي : سيأتي .

الخـوارزمي : سيأتي .

---

(١) هذا السطر ساقط من حـ . (٢) في الأصل : «الهصار» ولم نجده في أسماء قبائلهم .

(٣) ب من التبريزي : «فكم فريسة» .

٤٥ (ماجَتْ نُمَيرُ فَهاجَتْ مِنكَ ذَا لِبَدٍ واللَّيثُ أَفْتَكُ أَفْعالًا مِنَ النَّمِرِ)[1]

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : الضرغام من صفات الأسد . وفريسته : ما يدقّه ويحطمه إذا أخذه . والناب : الضِّرس . والموج والتموّج : الاضطراب ، وكذلك الَهيج .

٥ والليث : الأسد . ولبده : الشعر المتلبِّد على كتفيه . ونُمير : قبيلة . وإنما قال : « والليث أفتك أفعالا من النمر » ، لأنّ نميرا وافقَ اسمُها اسمَ النمر ، فجعلها لذلك كأنها نمر تَعاطَى مغالبةَ ليثٍ فعجز عن مقاومته .

الخوارزمى : هو نمير بن عامر بن صعصعة . « من » فى قوله : « منك » للتجريد . ونظيره : أرى منك أسدا . اللِّبَد : جمع لِبدة ، وهى ما تلبّد من الشّعر على

١٠ منكبي الأسد ، وفى المثل : « أمنعُ مِن لِبدة الأسَد » . النمر : سبع كالأسد فى جرأته وقوة أعضائه وحدّة مخالبه ، والقتال بينهما سجال ، على أنّ الأسد أشدُّ بأسا ، لأنّ النمر وإن انتصَفَ من الأسد فقوّتُه على سائر الحيوان دون قوّة الأسد عليه . والفهد ، فيما يقال ، يسفِد اللبؤة فيتولّد منها النمر ، ويقال بل النمر يسفِدها فيتولّد الفهد . كأنّه يقول : أنت أسد وأعداؤك نُمُر ، والأسد أفتك من النمر ، فكيف من نُمَيّره[2] .

١٥ وهذا إيهام الإشارة . ونظيره بيت السقط :

فاكْفُفْ جفونَك عن غِرارِ فارسٍ فالضَّربُ يشْلِم فى غِرارِ الصّارمِ

و « ماجت » مع « هاجت » تجنيس ، وكذلك « نُمير » مع « النَّمِر » ، ومع « الليث » إيهام .

(١) حـ من البطليوسى و ب من التبريزى : « هاجت نمير » .

٢٠ (٢) أى مصغر النمر ، وهو نمير .

٤٦ (هَمُّوا فأَمُّوا فلمّا شارَفُوا وَقَفُوا كَوقْفةِ العَيْرِ بَيْنَ الوِرْدِ والصَّدَرِ)

التبريزى : اللِّبدة من الأسد : الشعر الذى بين كتفيه . يقال إن العَيْر من الوحش إذا أراد أن يشربَ تجسَّس على الماء، فإنْ وَجَد ريح صائد أو رأى شخصًا وقف، وإن لم ير شيئًا من ذلك أَنِس فشرب .

البطليوسى : أمُّوا : قصدوا . وشارفوا : أشرفوا . والعير : الحمار . يقول : همُّوا بلقائك فأمُّوا نحوك، فلمّا قاربوك توقّفوا متخوِّفين(١) كما يفعل الحمار الوحشىّ، وذلك أنّه يسير نحو الماء، فإذا قرب منه توقف وتحسّس(٢)، فإذا وجد رائحة صائد أو سمع حَسِيسه انصرف ولم يرِد، وإن لم ير شيئا ولم يحسّ به ورد فشرب .

الخوارزمى : الوحش إذا شافهت المنهل(٣) وقفت متجسِّسة، فإن أحسّت بصائد ولّت عدوًا، وإلّا فحينئذ تُقبل على الشُّرب . قال ذو الرمة :

حتّى إذا الوحشُ فى أهضامِ مَورِدِها تغيّبتْ رابَهَا من خِيفةٍ رِيَبُ
فعرّضتْ طَلَقًا أعناقَها فَرَقًا ثمّ اطّباها خَريرُ الماءِ ينسكبُ(٤)

٤٧ (وأَضْعَفَ الرُّعْبُ أيدِيهِمْ فَطَعْنُهُمُ بالسَّمْهَرِيّةِ دُونَ الوَخْزِ بالإِبَرِ(٥))

التبريزى : أىْ هيبة هذا المذكور أضعفت أيدى الفوارس، فطعنهم بالرمح أضعف من الوخز بالإبر . يقال : وخزه بالإبرة، إذا أدخل رأسها فى جلده .

البطليوسى : ... ...

(١) أ : « خائفين » . (٢) حـ : « تجسس » بالجيم .
(٣) شافه البلد والأمر : داناه وقاربه . (٤) انظر الديوان ص ١٥ .
(٥) البطليوسى : « وأضعف الروع » .

الخوارزمى : «السّمهرىّ» فى : "أعن وخد القلاص". ذلك قول، وقيل هو الصُّلب، من اسمهرّ الشّوك، إذا يبس وصلُب. والنسبة على هذا الوجه غير حقيقية كما فى الأريحىّ. ولقد أصاب حيث قابل الطّعْنَ بالوخز، والرماحَ بالإبر.

٤٨ (تُلْقِى الغَوانِى حَفِيظَ الدُّرِّ مِنْ جَزَعٍ عَنْهَا وَتُلْقِى الرِّجَالُ السَّرْدَ مِنْ خَوَرِ)[1]

٥ التبريزى : حفيظ الدرّ : محفوظه. يقول : من شدّة الجزع قد ثقُل على الغوانى الحلى، فهى تلقى الدُّرّ وغيرَه، والرجال يُلقون الدُّروع وهى السَّرْد. والخور : الضعف والاسترخاء؛ يقال : رجل خَوّار، أى جَبان، والجمع خُور[2]، قال الشاعر[3] :

أنا ابنُ حُماةِ المَجْد من آل مالكٍ إذا جعَلَتْ خُورُ الرِّجالِ تَهِيعُ

يقال : هاع يهيع، إذا جبن، ورجل هائع لائع، وهاعٍ لاعٍ[4]. والمصدر الهيوع.

١٠ البطليوسى : الرَّوع : الفزع. والسمهرية : الرماح، نسبت إلى رجل كان يصنعها يقال له سمهر، ويقال بل هى الشّديدة الصلبة، من قولهم : اسمهرّ الأمر، إذا اشتدّ. والوخز : الطعن. قالت الخنساء :

بِبِيض الصِّفاح وسُمْرِ الرماح فبالبِيضِ ضربًا وبالسُّمْرِ وَخْزا

والغوانى : النساء اللواتى غَنِين بجمالهن عن الزِّينة. وحفيظ الدرّ : المحفوظ

١٥ المصونُ منه لنفاسته. والسرد، أصله نسج الدرع بالحلق وصنعتها، ثمّ تسمى الدرعُ نفسُها سَرْدًا، كما يقال : ضربت الدرهم ضربًا، إذا طبعته، ثمّ يسمّى الدرهم

(١) ب من التبريزى : « من جزع * بها ». ورواية الخوارزمى : « عن خور ».
(٢) وكذا فى اللسان. انظر (٥ : ٣٤٦).
(٣) هو الطرماح : انظر اللسان (١٠ : ٢٥٧).
٢٠ (٤) يقال : هاع لاع وهاعٍ لاعٍ، الأخيرة على القلب، كما فى اللسان.

نفسُه ضربا، فيقال: هذا الدرهم ضرب بلدِ كذا . والحَـوَر : الضعف . يقول : تساوَى الرِّجال والنساءُ فى الجزَع، فلم يكن لبعضهم فضلٌ على بعض .

الخـــوارزمى : فى أساس البلاغة : تقلَّدت بحفيظ الدرّ، أى بمحفوظهِ ومكنونه لنفاسته . يقول : ترمى بالحلى والسَّرْدِ أصحابهما، ليخِفُّوا بالفرار .

٤٩ (فَكَمْ دِلَاصٍ عَلَى البَطْحَاءِ سَاقِطَةٍ وَكَمْ جُمَـانٍ مَعَ الحَصْبَاءِ مُنْتَثِرِ) ٥

التـــبريزى : هــذا البيت إيضاح لما قبله . وقوله : « دلاص » صــفة الدُّروع، يقال: درع دِلاص ودَلاص ودُلاص ودُمالِص[1] ودُلَمِص، إذا كانت برّاقة. والجُمان : خرز يعمل من فضة يُشْبِه الدرّ. والحصباء : الحصى الصغار . ودلاص، يكون واحدًا و جمعا . فإذا كان واحدا فألفه كألف كِتاب ؛ و إذا كان جمعا فألفه كألف ظِراف . ١٠

البطليـــوسى . الدِّلاص من الدروع: الشديدة الملاسة والصَّفاء، وهى مشتقّة من الدَّليص، وهو ماء الذهب، أو من قولهم: دَلَص السَّيلُ الصخرةَ، إذا غسَل ما عليها وتركها تبرُق . قال أوس بن حَجَر :

ومرت له تبرى داءة كأنها صَفَا مدهنٍ قد دَلَّصته الزخارفُ[2]

والبطحاء : الأرض الواسعة . والجمان : الصغير من الجوهر . والجمان : حب يعمل من الفضة والجوهر . والحصباء : الحجارة الصغار . ١٥

الخـــوارزمى . درعٌ دِلاصٌ ودَليص، أى ملساء برّاقة .

---

(١) يقال دمالص ودلامص، بضم أوّله وكسر رابعه .

(٢) كذا ورد صدره محرفا فى حـ . وفى ا : « ومرته تفدى داءة » . وروايته فى الديوان ١٥ :

يقلب قيدودا كأن سراتها صفا مدهن قد زحلفته الزحالف

٥٠ (دَعِ اليَرَاعَ لِقَومٍ يَفخَرُونَ بِهِ وبِالطِّوالِ الرُّدَيْنِيّاتِ فافتَخِرِ)

التبريزى : اليراع : القصب ، والمراد به هاهنا القلم . أى دع القلم لمن يفخَر به وافخر بالرِّماح . كانَ الممدوح ممن لم يكتب بالقلم ، فاعتذر له ، وفسَّر هذا البيت فى الذى بعده .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

٥١ (فَهُنَّ أَقلامُكَ اللَّاتِى إِذَا كَتَبَتْ مَجْدًا أَتَتْ بِمِدَادٍ مِنْ دَمٍ هَدَرِ)

التبريزى : أى رماحك أقلامك، وكتابتها مجدك ، ومدادها ما يُهْدَرُ من دماء أعدائك . جعل طَعْنَه للأعداء بها كَتْبَ المجد له .

١٠ البطليوسى : اليراع : القصب . والردينيات : الرِّماح، نُسبت إلى رُدَيْنَةَ ، وهى امرأة كانت تثقِّفها ، ويقال إنها امرأة سَمْهَر الذي تنسب إليه الرماحُ السمهرية . والمجد : الشرف . وإنَّما فضَّل فى هذا الشِّعر السَّيفَ على القلم، لأنّه مدح رجلًا كان من الفُرسان ولم يكن له حظٌّ من الكتابة .

الخوارزمى : يعتذر فى هذين البيتين للمدوح عن كونه أمّيًا .

١٥ ٥٢ (وَكُلِّ أَبيضَ هِندِىٍّ بِهِ شُطَبٌ مِثْلُ التَّكَسُّرِ فِى جَارٍ بِمُنْحَدَرِ)

التبريزى : هذا معطوفٌ على قوله : « و بالطوال الردينيات » . أى افتخر بالطِّوال الردينيّات . وكلّ أبيض، أى كلّ سيف هندىّ . وشُطَبُ السيف وشُطُبُه : طرائقه . وقوله : « فى جار » أى فى ماء جارٍ . شبّه طرائق السيف بتكسُّر الماء الجارى بمُنْحَدَرٍ من الأرض، أى موضع ذى انحدار .

البطليوسى : الأبيض : السيف . والشُّطَب والشُّطُب، بفتح الطاء وضمها : الطرائق فى السّيف . وقوله : « فى جارٍ » ، أراد فى ماءٍ جار ، فحذف الموصوف . والمنحدَر، بفتح الدال : الموضع الذى يُنْحَدَر منه . شبّه الطرائق التى فى السيف بماءٍ يجرى فى موضع انحدار، فهو يتكسّر و يتثنّى .

الخوارزمى : وكل أبيض معطوف على قوله : « و بالطّوال » . سيف مشطّب وذو شُطَب، أى ذو طرائق، وهى فرند السيف . وأرض مشطّبة : خطّ فيها السّيل . الماء إذا جرى من عُلُوٍّ عالٍ إلى أسفل ظهر فيه أشباهُ غضونٍ وتكاسير شبيهة بفرند السيف . « الأبيض » مع « الهندىّ » إغراب .

٥٣ (تَغَايَرَتْ فِيهِ أَرْوَاحٌ تَمُوتُ بِهِ مِنَ الضَّرَاغِمِ والفُرْسَانِ والجُزُرِ)

التبريزى : الجزر : جمع جَزُور ، وهى الناقة التى تُجْـزَر . والمعنى أنّ هذا السيف يشرِّف مَنْ قُتِل به . فإن كان إنسانا شَرُف، فروحه تغار عليه من رُوح غيره، وكذلك أرواح الإبل والأُسد، تلحقها فيه الغَيْرة، حتى كأنها تودُّ أن تُقتَل به، لتنال الشّرفَ بذلك .

البطليوسى : التغاير : تفاعل من الغَيرة ، وهى المنافسة والمحاسدة . والضراغم : الأُسْد . والجُزُر : الإبل التى تُنْحَر . يريد أنّ هذا السيفَ يشرِّف من قُتِل به وينوّه بذكره ، فالأرواح تتغاير فيه لتنال الشَّرف بذلك . وهذا نحوٌ من قول أبى الطيِّب المتنبى :

وإنّ دمًا أجريتَه بك فاخرٌ وإنّ فؤادًا رُعْتَه لك حامدُ

الخوارزمى : تغايرت ضَرّتان : غارت كلٌّ واحدة منهما على صاحبتها(١) . وفى شعر الأستاذ أبى بكر الخوارزمىّ :

(١) فى الأصل : « على صاحبها » .

تغايرت البلادُ على يديه وزاحمتِ الجُرومَ به الصُّرودُ (١)

والأرواح هاهنا من باب تسمية الشيء باسم ما فى صفته من المعنى ، ونحوه الخُضْرة للنبات ، والرائحة للطِّيب . من الناس من له صيد الأسود . والملوك الغورية فى زماننا لهم ذلك . أنشدنى بعض إخوانى من الأفاضل للعميد أبى سهل الزّوزنىّ :

٥

من كان يصطاد فى رَكْضٍ ثمانيةً من الضَّراغم هانَتْ عنده البَشَرُ

يقول : السيف لشرفه وارتفاع قدره تحاسد عليه الأرواح المائتة به ، وتتزاحم فيه . يريد : إذا كان ذلك من باترٍ سامى المحلّ رفيع المنزلة ، فبالحَرَى أن تفتخر به ولا تكترثَ باليَراع .

١٠ ٥٤ ﴿رَوْضُ المَنَايَا عَلَى أنَّ الدِّماءَ به وإن تَخَالَفْنَ أَبدالٌ من الزَّهَرِ﴾

التبريزى : معناه أن هذا السيف كأنّه روض المنايا . ولمّا جعل السَّيفَ روضةً ، جعل الدماء المختلفة فيه من الأُسود والفرسان والإبل التى يعقرها به للضيفان بها زهرًا .

البطليوسى : شبَّه السيفَ بالروض ، لما فيه من الخضرة الشَّبيهة بالنبات ، والفِرِنْدِ الشبيه بالماء . وهذا نحوُ قولِ أبى الطيّب :

١٥

يامُزِيلَ الظَّلامِ عنّى ورَوْضِى يومَ شرْبى ومَعْقِلى فى البِرازِ

وقد زاد عليه أبو العلاء بأن جعله روضًا للمنايا ، وجعل الدّم فيه بدلًا من الزهر فى الروض ، فجاء بما أغفله أبو الطيّب مما يتمّ به المعنى ، فكان قوله أرجَحَ ، ومعناه أملح .

٢٠ (١) الجروم : جمع جرم ، بالفتح ، وهى الأرض الشديدة الحر . والصرد : مكان مرتفع من الجبال وهو أبردها . وفى اللسان : « والصرود من البلاد خلاف الجروم » .

الخوارزمى : شبّه بروض المنايا لخضرته ومهابتـه . يريد أن المنايا ترتعى فيه . فإن قلتَ : قوله « وإن تخالفن » قلق ؛ لأنه يقتضى أن يُنافِىَ تخالف الدماء ما فى حيز « إنّ » من القضية، وهى كون الدماء القائمة بالسيف أبدالا من الزهر ؛ ولا ينافيَه . أمّا بيان المقدمة الأولى، فلأنّك إذا قلت : إن زيدًا وإن كان أفرع

٥ حبيبٌ إلىّ، اقتضى أن يكون كونه أفرع منافيًا لكونه حبيبا إليك . وعليه بيت السقط :

ولا صَرْف الخَطّىّ مثلَ يمينه يمينٌ وإن كانت مُعاوِدَةَ النُّعْمِ

فإنّ كون يمينه مُعاوِدة النُّعم يوجب ألا تكون فى تصريف القناة حاذقةً . وأمّا بيان المقدمة الثانية، فلأنّ تخالف الدماء يقرّر كونها أبدالًا من الزهر، وهذا لأن الأكثر من أزهار كلِّ روضةٍ مختلف . ونحوه فى القلَق ما فى بيت الحماسة :

١٠ * ليس الشُّؤون وإن جادتْ بباقيةٍ (١) *

من قوله : « وإن جادت بباقية » . قلت : يريد أنّ هـذه الدماء وإن اختلفت فهى متّفقة على معنًى واحد، وهو كونها بدلًا من الزهر .

٥٥ (مَا كُنْتُ أَحْسَبُ جَفْنًا قَبْلَ مَسْكَنِهِ فِى الجَفْنِ يُطْوَى عَلَى نَارٍ وَلَا نَهَرِ)

التبريزى : جفن السيف : غمده . والمعنى أنّى كنت ما أحسب جفنَ

١٥ السيف يُطوَى على نارٍ ولا نهر . أى هـذا السيف كأنه نهر، ولا تجرى عادات الجفون أن يكون فيها مثله . وإنه أراد أنّ جفن هذا السيف قد جمع بين ضدّين مختلفين، أى بين الماء والنار . وقد مرّ هذا المعنى فى القصيدة التى تقدمت، وهى قوله :

تَبَيَّنُ فوقَه ضحضاح ماءٍ وتُبْصر فيه للنار اشتعالا

البطليوسى : سيأتى .

٢٠ الخوارزمى : عنى بالمسكن السُّكون .

(١) صدر بيت لابن هرمة فى الحماسة (٢ : ٧٤) . وعجزه :

* ولا الجفون على هذا ولا الحدق *

٥٦ (وَلَا ظَنَنْتُ صِغَارَ النَّمْلِ يُمْكِنُهَا مَشْىٌ عَلَى اللُّجِّ أوسَعْىٌ عَلَى السُّعُرِ)

التبريزى : اللُّجّ : جمع لُجَّة، وهو معظم الماء فى البحر. والسُّعُر : جمع سعير، وهى النار المستعرة. شبَّه الفرند الذى فيه بأثر[1] النمل ؛ لأن السيف إذا وصف قيل كأن فى صفحه مدبَّ نَمْل . وقد ذكر ذلك غيرُ واحدٍ من الشعراء المتقدِّمين والمحدَثين؛ قال أبو عُبَادة :

وكأنّ مُسْوَدّ النِّمَال وحُمْرَهَا دبَّتْ بأيدٍ فى قَرَاه وأرْجُلِ

البطليوسى : اللج : معظم الماء . والسعى : يكون المشىَ، ويكون العدْوَ . والسُّعر : جمع سعير ، وهو النار . شبّه السَّيف بالنّار لما فيه من التوقُّد، وبالنهر لما فيه من الفِرِند ، وشبّه ما فيه من الوشى والفِرنْدِ بآثار النمل إذا دبَّت ؛ كما قال أبو الطيِّب :

أرتْكَ احمرارَ الموتِ فى مَدْرَجِ النَّمْلِ وخُضْرةَ ثوبِ العيشِ فى الخضرة التى[2]

وقال آخر :

وصَقيــلٍ كأنَّمـا دَرَجُ النَّمـ ـلِ على مَتْنــه بِرَأْى العُيــونِ[3]

أخْضَرٍ، فيه لامعاتُ المنايا لائحاتٌ ما بين حُمْرٍ وجُونِ

فأخذ أبو العلاء هذا المعنى وزاد فيه زياداتٍ مستملحة، وأمورًا مستظرفة .

الخوارزمى : فيه إيهام مليح، وذلك أن اللجَّ مما كثر استعارته للسَّيف حتَّى أطلق عليه إطلاقَ الاسم الموضوع بإزاء الشيء . وفى حديث طلحة : « فوضَعوا اللُّجّ على قَفَىّ » . ولهذا كان سيف عمرو بن العاص يسمى اللُّج . فكأنّه يريد السيف، وهو لا يريده وإنما يريد الماء .

(١) فى الأصل : « الجوهر » . (٢) قبله ، كما فى الديوان (٢ : ١٢١) :

أرى من فرندى قطعة فى فرنده وجودة ضرب الهام فى جودة الصقل

(٣) فى الأصل : « لرأى العيون » .

٥٧ (قَالَتْ عُدَاتُكَ لَيْسَ المَجْدُ مُكْتَسَباً مَقَالَةَ الهُجْنِ لَيْسَ السَّبْقُ بِالحُضُرِ)

التبريزى : الهُجْن : جمع هجين من الخيل، وهو الذى أبوه أكرم من أمّه، وكذلك يقال للإنسان . وكأن الهجين من الخيل يقول : ليس السَّبق بالحُضر وإنّما هو بالمقدار، فكذلك يقول حُسّادك والذين غلبهم مجدك : ليس المجد مكتسبا، وإنّما هو رزقٌ من الله سبحانه .

البطليوسى : المجد: الشرف الكثير، يقال: أمجدت الدابةَ علفًا، إذا أكثرتَ لها منه . والهُجن من الخيل : ضدّ العتاق ، واحدها هجين . والهُجنة إنّما تكون من قِبل الأمّ، فإذا كانت من قبل الأب فذلك الإقراف . والحُضْر: الجرى ، يقال أحضر إحضارا،والحضر: الاسم . يقول : لمّا قصّر أعداؤك عن نيل مكانتك من المجد ، زعموا أنّ المجد ليس باكتسابٍ من الإنسان، وإنما هو حظٌّ يُرْزَقُه وسعد يؤتاه، لا عمل له فيه . فاجتمع لهم العجز والجهل معا؛ لأنّ الانسان مأمور بالسعى والاجتهاد، وإن كان القدر قد سبق ما يكون منه . ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم : « اِعْقِلْها وتوكّل » . وهذا موضع يتغلغل إلى الكلام فى القضاء والقدر . وقد قال أبو الطيّب فى هذا المعنى شيئًا مليحا :

فيأيُّها المنصورُ فى المجد سعيُه ويأيها المنصور بالسّعى جَدُّه

ويحو نحوَه قولُ الآخر :

إذا عُيِّروا قالوا مقاديرُ قُدِّرتْ وما العارُ إلّا ما تجرُّ المقادرُ

الخوارزمى : فرس هجين ، إذا لم تكن أمّه عربية، والجمع هُجُن . والأصل فى الهجنة بياض الروم والصقالبة . ومنه أرض هِجانٌ ، إذا كانت تربتها ليّنة بيضاء .

٥٨ (رَأَوْكَ بِالعَيْنِ فَاسْتَغْوَتْهُمُ ظِنَنٌ ... ولم يَرَوْكَ بِفِكْرٍ صَادِقِ الخَبَرِ)

التبريزى : استغوتهم : استجهلتهم، والغى : الجهل . والظِّنن : جمع ظِنّة، وهى التهمة . ومعناه أنهم لم يعرفوك حقّ المعرفة، فكانت منهم الظِّنن .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزى : سيأتى .

٥٩ (والنَّجْمُ تَسْتَصْغِرُ الأَبْصَارُ صُورَتَهُ[1] ... والذَّنْبُ للطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فى الصِّغَرِ)

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : استغوتهم : جعلتهم ذوى غَىّ، وهو الضَّلال . والظِّنن : جمع ظِنّة، وهى هيئة الظن؛ فإذا أردت المرة الواحدة قلت : ظَنّة، ففتحت . والظِّنّة، بالكسر أيضا : التُّهمة، وجمعها كلّها ظِنَنٌ . يقول : مَنْ قضى على الأشياء بحسب ماتدركه حواسُّه ولم يكن له اعتبارٌ صحيح[2] يقف به على حقائق الأشياء، أخطأ فى قدرها وحكم على الأمور بخلاف ما هى عليه؛ لأنّ الحواسّ قد تخطئ فى مدركاتها، كحاسّة البصر ترى النجم صغيرا وهو أعظم من الأرض، ويخيّل لها أنّ الشمس تسير سيرًا رفيقا وهى أسرع من السهم . والعارفون بالهيئة يقولون إنّها تسير ما دام يخطو الإنسان خطوة واحدة ثمانمائة فرسخ . وقال البحترى :

إن النّجومَ نجومَ الجوّ أصغرُها ... فى العين أبعدُها فى الجوّ إصعادا[3]

الخوارزى : الظِّنن : جمع ظِنّة، وهى التهمة . يريد أنهم لم يعرفوك حقّ معرفتك . والبيتان من قول التهامى[4] :

إن يُحتقَرْ صِغرًا فربَّ مُفَخَّمٍ ... يبدو ضئيلَ الشّخص للنُّظّارِ

إنّ الكواكبَ فى علوِّ محلّها ... لَتُرَى صِغارًا وهى غير صغارِ

(١) رواية حـ من البطليوسى : «رؤيته» بدل : «صورته» . (٢) فى الأصل : «كرشه» ولا وجه له . (٣) رواية الديوان ص ٢٠٣ : «نجوم الليل أصغرها * فى العين أذهبا» .
(٤) انظر ديوانه ص ٢٩ . وهو من مرثيته لولده .

٦٠ ﴿ يَاغَيْثَ فَهْمٍ ذَوِى الأَفْهَامِ إِنْ سَدِرَتْ إِبْلِى فَمَرْآكَ يَشْفِيهَا مِنَ السَّدَرِ ﴾

التبريزى : فَهْم : قومٌ من تنوخ ، وينسب الرجل فيهم . ويروى : «غيث فَهمٍ ذَوِى» بالإضافة . وسَدِرت : أظلمت أبصارها فى الحرّ .

البطليوسى : الغيث : المطر . والسَّدَر : أن يشتدّ تحيُّر الإنسان وغيره حتّى لا يكاد يبصر . والمرأى : المنظر . يقول : ما أصاب إبلى فى سفرها من سَدَر، أو لحقها من بؤس وضَرَر ، فرؤيتها إيّاك تَشفيها ، ولقاؤها إيّاك يداويها . وأراد «بذوى الأفهام» هاهنا الشعراء . وإنما جعله غيثًا لأفهامهم لأنّه يُحسن إليهم، ويُنعم عليهم ؛ فيحيى(١) خواطرهم التى كانت قد ماتت لعدم المحسنين ، وقلّة الممدوحين ؛ فتنثُر أفكارُهم محاسنَ الكلم ، ودقائقَ الحكم ، كالغيث الذى يُصيب الأرض فيحييها ، ويُظهر أنواع الأزهار والأنوار فيها . وهذا المعنى كثير متردّد فى الشعر ، وقد أشار إليه أبو الطيِّب بقوله :

أحييتَ للشُّعراء الشِّعْرَ فامتدحوا جميعَ مَنْ مدحوه بالذى فيكا

ويحتمل أن يراد أنّه يهديهم إلى المعانى التى لايهتدون إليها ، بما يرونه من محاسنه التى يحتذ ون عليها ، فيكون كقول أبى الطيّب :

وقد وجدتَ مكانَ القول ذا سعةٍ فإن وجدتَ لسانًا قائلًا فقُلِ

وقال ابن الخيّاط الأندلسىّ :

يقولون هـذا الشعرُ للناسِ كلِّهم فقلتُ المعالى علّمتنى المعانيا

وفى بعض النسخ : « ياغيثُ فهمٍ » بالتنوين . وفَهْمٌ ، على هذه الرواية : قبيلة ، وذوى الأفهام ، صفة لهم ، وصفَهم بالفهم ، وجعل الممدوح غيثًا لكرمه .

(١) فى الأصل : « فيجبر » .

الخوارزمى : قوله : «فهم ذوى الأفهام» ، روى مضافا وغير مضاف . فمن رواه مضافا فمراده أحد الأفهام، وجعله غيثَ الفهم ؛لأنّ الخواطر والأفهام أبدًا تحيا بندَى الممدوح . ومنه قول ابن المبّاريّة :

أنتَ الذى صيّرتَ عبدكَ محسنًا وجعلتَـه ذا خاطرٍ وبيانِ

ومن رواه منوّنا غير مضاف فالمـراد به قبيلة . سدِر بصره واسمدرّ ، إذا تحير فلم يحسن الإدراك . يقول : إن إبلى تأمُل فتأمّل لعلّها تُصيب ، كريمًا يفيض غيثه إذا يُثيب ،فمتى انقلبت بالسَّدَر، من كثرة النظر، داويتها بإناختها فى مثواك ، لتكتحل بمرآك . ولقد أغرب حيث جعل رؤيةَ الممدوح شافيةً لهـا من السّدَر ، مع أنّ الرؤية تزيده .

٦١ (والمَـرْءُ مَا لَمْ تُفِدْ نَفْعًا إقامَتُهُ غَيْمٌ حَمَى الشَّمسَ لَمْ يُمْطِرْ ولَمْ يَسِرِ) ١٠

التبريزى : معناه أنّ المرء إذا كان مقيمًا فى موضع و إقامتُه فيه لا تفيد نفعًا فهى ضارّة، كالغيم يمنع الشمسَ أن تضىء ولا مطر فيه .

البطليوسى : يريد أنّ الإنسان إذا أقام فى موضع لغير منفعة كانت إقامته ضارّةً له ، وعائقة له عن منفعةٍ كان يمكن أن ينالهَا لو لم يُقِم ، فهو كالغيم الذى يمنع الشّمس من أن تنير فيُنتَفَع بها ، [وهو] فى ذاته لا منفعة فيه . و إنما قال هذا تبرُّما بالمُقام على غير منفعة ،وهَزًّا للممدوح إلى امتساكه بمعروف أو تسريحه بإحسان . ما ، هى المصدرية ، وهى فى محل النصب على الظرف . وعن وَهْب بن مُنبِّه : «ضُرِب لعلماء السُّوْء مثل، فقيل : إن مَثَلَ عالم السوء كمثل الحجر فى الساقية، لا هو يشرب المـاء ولا هو يُخَلِّى المـاء إلى الشجر فيحيا به » . ١٥

٦٢ ﴿ فَزَانَهَا اللّهُ أَنْ لَاقَتْكَ زِينَتَهُ ... بَنَاتِ أَعْوَجَ بالأَحْجَالِ والغُرَرِ ﴾

التبريزى : بنات أعوج : خيل منسوبة إلى أعوج : فحل معروف . معناه أن الإبل لم يزيّنها الله بالأحجال والغرر كما زيّن بها الخيل ، فهو سبحانه يزيّن هذه الإبل أن لاقتك بما حُرِمته قبل لقائك من الأحجال والغرر التى هى من شِيات الخيل . وإنّما دعا لهذه الإبل أن يرزقها الله ذلك أن لاقتك .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الضمير فى "فزانها" للإبل ، وفى "زينته" لله تعالى . أن لاقتك ، يعنى بأن لاقتك ، وحروف الجر تحذف عند أَنْ وأنّ كثيرا . والمثال الطيّب فى هذا الباب قول أبى الطيّب :

إذا ترحّلتَ عن قومٍ وقد قدَروا ... ألّا تُفارقهم فالراحلون هُمُ

بنات أعوج ، منصوب « بزينته » . أعوج ، فى « أعن وخد القلاص »(1) .

٦٣ ﴿ أَفْنَى قُوَاهَا قَلِيلُ السَّيْرِ تُدْمِنُهُ ... والغَمْرُ يُفْنِيهِ طُولُ الغَرْفِ بالغُمَرِ ﴾

التبريزى : القُوَى : جمع قوّة؛ يقال قوّةٌ وقُوًى . والغَمْر : الماء الكثير . والغُمَر : القَدَح الصغير . يقول : هذه الإبل كانت قُواها كالغَمْر من الماء ففنيت لطول المسافة . يقول : أفنَى قُواها إدمان السَّير القليل ، كما يُفْنِى الماءَ الغَمْرَ إدمانُ غَرْفِه بالقَدَح الصغير .

البطليوسى : يقول : هذه الإبل وإن حُرِمت الأحجال والغرر التى للخيل ، فإنّ لقاءها إياك قد قام لها مقام ذلك . وأعوج : فرس قديم تنسب إليه عِتاق الخيل . والأحجال من الأوضاح : ما كان فى القوائم . والغرر : ما كان فى الجباه . والغَمْر : الماء الكثير . والغُمَر : القدَح الصغير .

(1) انظر البيت ٣٨ من القصيدة الأولى .

الخوارزمى : قلة السير و إدمانه كناية عن طول الطريق. الغُمَر، هو القَدَح الصغير، سمّى بذلك لأنه بين الأقداح[1] مغمور، ومنه : تغمّرت الإبل إذا شربت قليلاً . و « الغَمْر » مع « الغُمَر » تجنيس .

٦٤ (حَتَّى سَطَرْنَا بِهَا البَيْدَاءَ عَنْ عُرُضٍ   وَكُلُّ وَجْنَاءَ مِثْلُ النُّونِ فِي السَّطَرِ)

التبريزى : عُرُض : اعتراض . والوجناء : الناقة الغليظة الوجنتين، وقد مرّ ذكرها . والسَّطْر والسَّطَر واحد . والواو فى قوله "وكلّ وجناء" واو الحال. البيداء : البرّيّة . أى جعلنا الإبل فى البيداء سُطورًا فى هذه الحالة . وقوله : "فى السطر" أى بعضها فى إثر بعض مثل سطور الكتّاب . والنون من الحروف ، يشبَّه به الشيء المعوجّ . أى هذه الإبل قد صارت كلّها كأنّها نونٌ . من هذا النحو قولهم : هَلَّت جروم المطايا ، أى ضمرتْ وانحنت فصارت كأنها الأهلّة . وقال ذو الرّمّة :

فقمنا إلى مثل الهلالين لاحَنا   و إيّاهما عَرْضُ الفَيَافِى وطُولُهَا

البطليوسى : البيداء : الفلاة التى تُبيد من سلكها . والعُرُض : الناحية . والوجناء : الناقة الغليظة، وقيل هى العظيمة الوجنتين . و إنما قال : عن عُرُض، لأنّ الابل وغيرها إذا جدّ بها السّير مالت فى شِقّ ؛ كما قال امرؤ القيس :

* بسيرٍ يُرَى منه الفُرانِقُ أزْوَرا[2] *

وشبّه صفوف الإبل بالأسطار، وشبّهها بالنون لتقوّسها وضُمرها . وقد قال أبو الطيّب :

صَفَّها السَّيْرُ بالعَرَاءِ فكانت   فوقَ مِثْلِ المُلاءِ مثلَ الطِّرازِ

(١) فى الأصل : « القدح » .

(٢) الفرانق : الذى يدل صاحب البريد على الطريق . والأزور : المائل فى شق . وصدر البيت كما فى الديوان :

* و إنى زعيم إن رجعت مملكا *

الخوارزمى : نظرت إليه عن عُرُض ، وخرجوا يضربون الناس عن عُرُض ، أى عن ناحية كيفما اتّفق . « الوجناء »[(١)] ، فى هذه الرائية .

٦٥ (عَلَوتُمُ فتواضَعْتُمْ على ثِقَةٍ لمَّا تَوَاضَعَ أقوامٌ على غَرَرِ)

التبريزى : معناه أنكم علوتم فوثقتم بعلاكم وأنها لا تُنتَقص ، فتواضعتم وأنتم واثقون برتبتكم ، [على حين أنّ غيركم][(٢)] إن تواضع خشى أن يُنتقص . ٥

البطليوسى : يقول : علوتم على الناس لما يقتضيه لكم مَنصِبكم القديم وشرفكم المعلوم ، فتواضَعْتم على ثقة منكم أنّ تواضعكم لا يضرّكم ، وأنّ الناس يرفعونكم إلى مراتبكم اللائقة بكم ، وغيركم علا ولم يكن له مَنْصبٌ ولا شرف يقتضى ذلك ، وإنما علا بإنزاله نفسَه المنزلةَ التى يُنزله النّاس فيها ، فهو يحفظ منزلتَه باستعمال الزّهو ، ويخشى إنْ تواضع أن يقال له : هذه مرتبتُك اللائقة بك ، فلا تَعْدُها . ١٠

الخوارزمى : على ثقة ، أى على وثوق بأنّ التواضع لا يحطُّ من مرتبتكم . هو على غَرَر : على خطر . وغرّر بنفسه : أخطرها .

٦٦ (والحَمْدُ والكِبْرُ ضِدّان اتّفاقُهُما مِثْلُ اتّفاق فَتَاء السِّنّ والكِبَرِ)

التبريزى : المعنى أنّ الكِبْر والحمد لا يجتمعان ، لأنّ أحدهما ضدٌّ الآخر ، كما أنّ فتاء السنّ والكِبَر ضدّان ، فإذا ازداد أحدهما نقص الآخر ، فلا يجوز لهما اجتماعٌ . وفتاء السنّ : أولها ، والكِبَر : آخرها ؛ فكما أنّهما لا يتّفقان لتباينهما ، كذلك الكِبْرُ والحمد لا يجتمعان . ١٥

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

(١) يشير إلى ما سبق فى شرح هذه الرائية ص ١٣٢ (٢) تكملة يقتضيها السياق . ٢٠

٦٧ (يَحْنى تَزَايُدُ هذا مِنْ تَنَاقُصِ ذَا ... والليلُ إنْ طالَ غالَ اليَوْمَ بالقِصَرِ)

التبريزى : يقول : إن زاد الكِبْر نقص الحمد، كما أن الليل إذا طال قصر النهار . وغال، بمعنى أهلك ؛ ومنه الغُول .

البطليوسى : هذا تتميم لما قدّمه من قوله : «علوتم فتواضعتم على ثقة» . يقول : اللئام ظنّوا أنّ التواضع للنّاس يُخِلّ بأقدارهم ، فتعالَوا فأبغضهم الناس ، فكان تعالِيهم عائدًا عليهم بالضّعة ؛ والكرام تواضعوا للناس ورأوا أنّ تواضعَهم يزيدهم شرفا ، فأحبّهم الناس وحمِدوهم ، فكان تواضعُهم عائدًا عليهم بالرفعة . ولذلك قيل : التواضع من مَصَايِد الشرف .

الخوارزمى : يقول : المتكبّر لا ينال مَحْمَدَة النّاس .

٦٨ (خَفَّ الوَرَى وأقَرَّتْكُمْ حُلُومُكُمُ ... والجَمْرُ يَعْدَمُ فيهِ خِفّةُ الشَّرَرِ)

التبريزى : جعل الحليم الثابت كالجمر المستعِر ، والطائش كالشَّرر الطائر ؛ لأنّ الجمر يثبت لِثقَله ، والشّرر يطير لخفّته .

البطليوسى : يقول : الحلم يَكْسِب الإنسان رزانة ، ويمنعه من الخفّة والطيش فى الأمور ، وعدمُ الحلم يكسبه تهافتًا وطَيشا ، كما يثبُت الجمرُ لثِقَله ، ويطير الشّرر لخفّتـه . .

الخوارزمى : الشَّرَرُ والشَّرَار : مايتطاير من النـار . فيه دليل على أنّهم مع وَقارهم أهْيَبُ من غيرهم .

٦٩ (وأَنْتَ مَنْ لَوْ رَأَى الإِنْسَانُ طَلْعَتَهُ ... فِى النَّوْمِ لم يُمْسِ مِن خَطْبٍ عَلَى خَطَرِ)

التبريزى : أى لو أنّ إنسانًا ناداه فى نومه لأمِنَ صَرْفَ الزمان ، فكيف إذا صاحبَه أو كان منه بسبب !

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : يريد أنك ميمون الوجه .

٧٠ (وَعَبْدُ غَيْرِكَ مَضْرُورٌ بِخِدْمَتِهِ كالغِمْدِ يُبْلِيهِ صَوْنُ الصَّارِمِ الذَّكَرِ)

التبريزى : يقول : إنّ بعض الناس ينتفع به من يخدمهم، كالذى يخدم الملك فيكسب المال والجاه، وفى الناس من يخدم فتؤدّى خدمته إلى الضّرر، فمثله مثل الغِمد يصون الصّارمَ والسّيفُ يأكله . ويقال : دَلَق السيفُ[1]، إذا أكل غِمْدَه فخرج منه . وسيف دَلوق[2] : سريع الخروج منه . وذليق بالذال : حديد .

البطليوسى : هذا البيت الثانى ينظر إلى قول أبى الطيّب :

كلٌّ يريدُ رجالَه لحياته يا مَنْ يريد حياتَه لِرجاله

الخوارزمى : الباء فى «بخدمته» للأداة، لا للصّلة .

٧١ (لولا قُدومُكَ قبلَ النَّحرِ أخَّرَهُ إلى قُدومِكَ أهْلُ النَّفعِ والضَّرَرِ)

التبريزى : كان الممدوحُ مُسافراً ، فوافَق رجوعُه قبلَ العيد .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : أهلُ النفع والضرر، هم الأحبّاء والأعداء، وأهلُ الحَلِّ والعَقد . ويحتمل أن يريد النّاسَ كلَّهم؛ لأنّهم لا يخلُون عن نفع وضُرّ .

٧٢ (سافَرْتَ عَنَّا فَظَلَّ النّاسُ كُلُّهُمُ يُراقِبُونَ إيابَ العِيدِ مِنْ سَفَرِ)

التبريزى : هذا تفسير ما قبله ، والذى بعده يُؤكّد هذا وما قبلَه .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

---

(١) فى الأصل : « ذلق » بالمعجمة صوابه بالمهملة . (٢) فى الأصل : « ذلوق » بالمعجمة ، صوابه بالمهملة .

٧٣ ﴿ لَوْ غِبْتَ شَهْرَكَ مَوْصُولاً بِتَابِعِهِ وأُبْتَ لانْتَقَلَ الأَضْحَى إلَى صَفَرِ ﴾

التبريزى : أى لو غبتَ ذا الحِجّة والمحرّمَ لأخّروا العيد إلى صفر، انتظاراً لقدومك. يدل عليه قوله : « يراقبون إياب العيد من سَفَر » .

البطليوسى : الإياب : الرجوع . وذكرَ أهلَ النّفع والضرر تتميماً للمعنى الذى قصده ومبالغةً فيه؛ لأنّ أهل النفع والضّرر هم العقلاء والعلماء، فإذا كانوا هم الذين يريدون تأخيره كان غيرهم أحْرَى بذلك[1] . وقوله : "لو غبتَ شهركَ" أراد شهرك الذى قدمت فيه ، فحذف بعض الكلام حين فُهم عنه ما أراده . وكان قدِم من سفرٍ فى ذى الحجة .

الخوارزمى : يريد أنّ الورى لا يعيِّدون دونك لأنّك عيدُهم. وهذان البيتان تقرير للبيت المتقدّم .

٧٤ ﴿ فَاسْعَدْ بِمَجْدٍ ويَوْمٍ إذْ سَلِمْتَ لَنَا فَمَا يَزِيدُ عَلَى أَيَّامِنَا الأُخَرِ ﴾

التبريزى : أى ما دمت سالماً فكلُّ يوم نراك فيه يومُ عيدٍ لنا .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : ما كان يحسُن تنكيرُ « مجد » لولا انعطاف المنكّر عليه ، وهو « يوم » ، وما كان يحسن تنكير « يومٍ » لولا اتّصافه بقوله : « إذ سلمت لنا . فما يزيد على أيامنا الأخر » .

٧٥ ﴿ ولَا تَزَلْ لَكَ أزمانٌ مُمَتِّعَةٌ بالآلِ والحَالِ والعَلْياءِ والعُمُرِ ﴾

التبريزى : يقال: متّعتُ الرَّجل بالشّىء تمتيعا، اذا ملّيته إياه، من قولهم: تملّيتَ حبيبًا ، إذا دعوتَ له بطول المقام معه .

(١) ا : « أجدب لذلك » ، حـ : « أجذب لذلك » ولعل الصواب ما أثبتنا .

البطليـــوسى : ... ...

الخـــوارزمى : الحال كالعاقبة إذا أطلقت أُريد بها الحال الحسنة. ويشهد له بيت السقط :

أعِيدِى إليهـا نظــرةً لا مُرِيدةً لها البيع واعْصِى الخادعى لكِ بالحالِ

وقول الفقيه أبى حامد الإسفراينى :

٥

* والدهرُ يذهب بالأحوال والمـال *

[القصيدة الثالثة]

وقال أيضا من الوافر الأوّل والقافية من المتواتر :

١ (مَعَانٌ من أَحِبَّتِنا مَعَانُ   تُجيبُ الصَّاهلاتِ بِهِ القِيَانُ)

التبريزى : المَعان : المنزل . وحُكى عن العرب : الكوفةُ مَعان منّا ، أى منزل . معَان فى أوّل البيت : موضع بعينه ، وفى بيت حسّان :

* لمن الدّارُ أقفرتْ بِمعانِ [2] *

والقيان : جمع قَيْنة ؛ لأنّهم كانوا يُكرمون الحرّة عن ذلك ، فلا يُغَنّى إلّا الأمَة . والمعنى أنّ هذا المنزل الذى يقال له مَعان ، أحِبّتنا فيه نازلون ، وهم ملوك لهم خيلٌ وقِيان ، فخيلُهم تصهَل وقيانُهم تغنّى فى هذا المنزل .

١٠ البطليوسى : المعان : المكان المعمور ، واشتقاقه من المعاينة . يراد أن الناس يَكثُرون فيه فيعاين بعضُهم بعضا . ولهذا قال بعض اللغويّين فى تفسيره : هو المكان الكثير الخَلْق [3] . ومجازه فى العربية أنه مَفْعَلٌ من عانه يَعينه ، إذا نظر إليه ؛ لأنّ مَفْعلًا لا يشتقّ إلّا من الفعل الثلاثى . ومعان الأوّل : اسم موضع بعينه . يقول : هذا الموضع معمورٌ بأحبّتنا . قال حسّان بن ثابت :

١٥ * لمن الدّار أقفرَتْ بمَعانِ *

---

(١) فى أ من شرح البطليوسى : «قال أبو العلاء على قافية النون يمدح أبا الفضائل سعيد بن شريف بن على بن أبى الهيجاء» . وفى ب : «قال أبو العلاء يمدح أبا الفضائل سعد بن شريف بن على بن أبى الهيجاء» . (٢) تمامه : * بين أعلى اليرموك فالخمان * .

(٣) أ : «الكبير الجرف» ب : «الكثير الحذف» .

وقد ذكرهما الشّاعر جميعا فى قوله :

فليتَ مَعانًا كان ممن نحبُّـه معانًا وليتَ اللهَ حَمَّ التّلاقيا

والصاهلات : الخيـل . والقيان هاهنا : المغنّيات . وكل جارية عند العرب قَينة . وإنما أراد أنّهم ملوكٌ لهم خيل وقيان، فخيولهم تصهل وقيانهم يغنّين[1] .

الخـوارزمى : مَعان، الأوّل : موضع بالشام؛ قال حسان بن ثابت :

* لمن الدارُ أقفرَتْ بمعانِ *

وأما المعان الثانى فمن قولهم :هم منك مَعانٌ، أى بحيث تُعاينهم .ثم المَعان الأوّل مبتدأ والثانى خبره . و «تُجيب الصاهلات به القيان» ، صفة المعان الثانى . القيان: جمع قينة وهى الأمة؛ لأنهـا تقيّن البيت، أى تزيّنه، ومنه قيل للمّاشطة مقيِّنة؛ ولأنّهم كانوا يُكرمون الحرّة، فلا يُغنّى إلا الأمة، قيل للمغنّية قينة . وفرقٌ بين ضرب القيون وضرب القيان . يقول : مَعانٌ بسبب أحبّتنا محلُّ ملوك . أى هم ملوك، فلما نزلوا فيه صار بهم محلَّ ملوك .

٢ ﴿وَقَفْتُ بِهِ لِصَوْنِ الوُدِّ حَتَّى أَذَلْتُ دُمُوعَ جَفْنٍ مَا تُصَانُ﴾[2]

التـبريزى : به، أى بمعان المذكور فى أوّل البيت الأوّل . وقوله : «أذلت» بمعنى أهنت . وفى البيت تطبيق بالإذالة والصون .

البطليـوسى : الإذالة : ضـدّ الصيانة . يقـال : أذلت الشيءَ إذالةً، إذا امتهنتَه . يقول: أذلت دموعى فى هذا المنزل إكرامًا لمن كنتُ عهِدتُه فيه، وصيانةً لودّه . فإن قيل : كيف ذكر أنّه وقف به و بكى، وقد ذكر فى البيت الذى قبله أنّه

(١) أ : « فخيلهم يصهلن » .

(٢) رواية البطليوسى : « دموع عين » .

عامرٌ بأحبّته، وإنّما يُبكَى على الديار الخالية ؟ وإنما لزم هذا الاعتراض لأنك إذا قلت : زيد قائم، فأولى الأشياء به الحال حتّى يكون فى الكلام دليلٌ على الماضى والاستقبال، إمّا فى اللفظ وإما فى فحوى الخطاب . فالجواب : أنّ العرب قد تنطق بالخبر وظاهره الوجوب فى وقت الإخبار، وهى تريد به ما مضى وما يستقبل على وجه الحكاية، كقوله تعالى : ﴿وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ وقوله : ﴿هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ . والكوفيّون يتأوّلون مثل هذا على إضمار « كان »، وكذلك يتأوّلون فى قول الراجز :

جارية فى رمضانَ الماضى تقطّع الحديثَ بالإيماضِ[1]

ولا يجيز سيبويه إضمار « كان » فى هذا الموضع، وإنما هى عنده حال محكيّة . ويدلّ على صحّة قوله أنّ العرب قد صرّحت بحكاية الحال الماضية والمستقبلة فى هذا الموضع، كقولهم : رأيت زيدا ضاحكًا أمس، وقولهم : سار حتّى يدخلُها، بالرفع فى أحد الوجهين . فهذا فى حكاية ما مضى . وأما ما يستقبل فكقوله تعالى : ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنيا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فى قراءة النصب . وكذلك ما حكاه سيبويه من قولهم : مررت برجلٍ معه صقرٌ صائدًا به غدًا .

الخوارزمى : ما، فى « ما تصان » مزيدة كما فى بيت السقط :

إبلًا ما أخذتَ بالنّثرة الحصـ * ـداء[2] ... ...

وقولهم : « بيدينِ ما أوردها زائدةٌ[3] » أى بقوّة أورد الإبلَ هذا الرجلُ .

(١) أى إذا تبسمت قطع الناس حديثهم ونظروا إلى ثغرها .

(٢) أوّل درعية له، والبيت بتمامه :

إبلا ما أخذت بالنثرة الحصـ * ـداء يا خسر بائع محروب

(٣) انظر أول مثل فى باب الباء من مجمع الأمثال .

٣ ﴿وَلَاحَتْ مِنْ بُرُوجِ البَدْرِ بُعْدًا   بُدُورٌ مَهًا تَبَرُّجُهَا اكْتِنَانُ﴾

التبريزى : بروج البدر : هى التى يجتاز بها فى مسيره ، وهى البروج الاثنا عشر ، أوّلها الحَمَل وآخرها الحوت . و «بعدا» : منصوب على التفسير ، و يقال له التميز والتبيين . والتبرّج من المرأة : إظهار محاسنها وقلة تحشّمها [(١)] ؛ ومنه قولهم : سَفينة بارج ، إذا لم يكن عليها غطاء . والمراد أنهن يجعلن تبرّجهنّ اكتنانًا ، أى تستّرًا ، أى هنّ غير متبرّجات .

البطليوسى : لاحت : ظهرت . وقوله : "من بروج البدر" ليس المعنى فيه أنها ظهرت من بروج البدر بعينها ، و إن كان ظاهر اللفظ على ذلك ، ولكن فى الكلام مضاف محذوف ، تقديره : من مثل بروج البدر ، كما يقال : أبو يوسف أبو حنيفة . والمها : بقر الوحش . والمها ، أيضا : البِلَّور . والتبرُّج : الظهور . والاكتنان : الاستتار . والتبرُّج ليس الاكتنانَ فى الحقيقة ، و إنما أراد أنهن محجوبات قد أُقيم لهن الاحتجابُ مقام الظُّهور ، كقوله تعالى : ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أى أقِمْ لهم الإنذار بالعذاب مقام البِشارة للؤمنين . ومثله قول الشاعر :

لیس بینى و بین قیسٍ عِتابٌ   غیرُ طعن الکُلَى وضَربِ الرِّقابِ

الخوارزمى : قوله : "من بروج البدر بعدا" أى من قصور هى كبروج البدر بُعدا . وهاهنا بحث إعرابى ، وذلك أن هذا المنصوب ، أعنى «بعدا» ، مما لا وجه له ؛ لأنه لو جاز لا يخلو من أن يجوز بجهة التميز أو بغير هذه الجهة . لا وجه إلى أن يجوز بغيرها بعد « مها » تمسّكا بالأصل . ولا وجه إلى أن يجوز بهذه الجهة ، لأن بروج البدر هاهنا قد وقعت استعارة ؛ إذ الاستعارة ترك التشبيه والمشبَّه لفظا وتقديرا ، وإجراءُ اسم المشبَّه به على المشبَّه . والاستعارة لا يقصد بها التشبيه ، ولذلك

(١) كذا فى الأصل .

يقال : الاستعارة ادّعاء معنى الحقيقة فى الشيء . والتمييز هاهنا إنما يصح أنْ لو قصد «بروج البدر» التشبيه . ومما جعل تمييزًا يستبشع ذوقُه بيت السقط :

وتحيِي الكَرُّ إدماجًا وفوق   تَظـيرُ الكَرّ فى دِيَمٍ وهَتْنِ

تبرّجت المرأة : أظهرت محاسنها . ومدار التركيب على الظهور . والاكتنان : الاستتار ، وهو افتعال من الكنّ . وقوله : «تبرجها اكتنان» ، من باب قولهم :

* تحيةُ بينِهم ضربٌ وجيعُ [1] *

والبروج مع التبرّج تجنيس .

٤ (فَلَوْ سَمَحَ الزَّمانُ بِهاَ لَضَنَّتْ   وَلَوْ سَمَحَتْ لَضَنَّ بِهاَ الزَّمَانُ)

التبريزى : يقال ضَنِنْتُ بالشيء أَضَنّ ، إذا بَخِلت به . والهاء فى «بها» عائدة على «بدور مهًا» . أى لو سمح الزمان بِقُربها لضنَّت بنائلها ، ولو قُدِّر لها أن تسمح لضنّ الزّمان بسماحتها ؛ فهى فى الحالين لا يُوصل منها إلى نائل .

البطليوسى : يقول : قد اجتمع فيها بخلها بوصلها وبخل الزمان بها ، فلا مطمع فيها لمن يروم التشفِّى [2] بقربها . ونحوه قول الآخر :

ونافسنى فيه ريبُ الزمانِ   كأنَّ الزّمانَ له عاشـقُ

وفيه نظرٌ إلى قول أبى الطيِّب [3] :

يُباعِدْنَ حِبًّا يجتمعن ووَصْلُه   فكيف بِحِبٍّ يجتمعن وصَدُّهُ

الخوارزمى : الضمير فى "بها" و "ضنَّت" و "سمحت" للبدور .

---

(١) البيت لعمرو بن معديكرب كما فى الخزانة (٤ : ٥٣) وصدره : * وخيل قد دلفت لها بخيل *

(٢) كذا ، ولعلها : « التملى » .

(٣) ثانى بيت من قصيدة فى مدح كافور أولها :

أودّ من الأيام ما لا تـوده   وأشكو إليها بيننا وهى جنده

٥ ﴿رُزِقْنَ تَمَكُّنًا مِنْ كُلِّ قَلْبٍ فَلَيْسَ لِغَيْرِهِنَّ بِهِ مَكَانُ﴾[1]

التبريزى : أى استولى حُبُّهنّ على كل قلب، فلا تهوى القلوب سواهن.

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : قوله: «لغيرهن»، فى محل النصب على أنه خبر ليس. وقوله: «به»، لا محل له من الإعراب. ٥

٦ ﴿وَفَيْتُ وَقَدْ جُزِيتُ بِمِثْلِ فِعْلِى فَهَا أَنَا لَا أَخُونُ وَلَا أُخَانُ﴾

التبريزى : أى جُزِيتُ بالوفاء وفاءً، ولم أُخَنْ كما أنى ما خُنت.

البطليوسى : يقول: مَن ائتمنى على أمرٍ أدّيت فيه الأمانة، ولم آتمن أحدا على أمرٍ أخاف فيه الخيانة، فأنا لا أخون ولا أُخان. ونحوٌ من هذا قولُ عمرو بن العاص: «إذا أنا أعلمتُ صاحبى بسِرّى فهو فى حِلٍّ من إذاعته». قيل له: وكيف ذلك؟ قال: «لأنى كنت أحقَّ بصيانته منه». ١٠

الخوارزمى : وفيت إذ وقفت بمَعان، وأذلْتُ به دموعًا مصونةً؛ لأن ذلك ضربٌ من الوفاء. وجُزِيت بمثل فِعلى، حين لاحت، من قصورهِ هى فى البعد كبروج البدر، بدورٌ؛ لأنه نوع من رعاية حقوق.

٧ ﴿وَعِيشَتِيَ الشَّبَابُ وَلَيْسَ مِنْهَا صِبَاىَ وَلَا ذَوَائِبِيَ الهِجَانُ﴾ ١٥

التبريزى : هذا البيت ثناء على الشّباب، وذمٌّ لما سواه من العيش؛ لأن الصِّبا لا يعقِل ولا يصل إلى ما يصل إليه الشباب من اللذة والمراد. ولا عيش زمانَ الذوائب البيض، أى زمانَ الشَّيخوخة، كعيش الشّباب. والهِجان: البيض، وهو يستعمل فى نعت الواحد، يقال رجل هِجان؛ قال الشاعر:

(١) هذا البيت لم يرد فى أ من البطليوسى. ورواية الخوارزمى: «رزقن تمكنا». ٢٠

وإذا قيـل مَنْ هِجـانُ قُرَيْش كنتَ أنت الفتى وأنت الهِجانُ

وهو فى معنى الأبيض والبِيض .

البطليـــوسى : سيأتى .

الخـــوارزمى : الهجان : البيض؛ يقال : إبل هِجان، أى بيض كرام .

٨ ﴿وكالنـار الحياةُ فمِـنْ رَمادٍ أواخِرُها وأوّلُها دُخانُ[1]﴾

التـــبريزى : المعنى أنّ أوّل ما يظهر من النار الدخان إذا طرح عليها الوقود ، ولا ينتفع به ، وآخرها رماد لانفع فيه ، وإنما يُنتفَعُ بماهو وسَطُها بين الدخان والرماد ؛ إذ كان يدفئ ويُتوصَّل به إلى الاختباز والاطِّباخ . يقول : كما أنّ الانتفاع بالنار دون الدخان والرّماد ، كذلك العيش إنما هو أيّامَ الشبيبة ، دونَ أيّام الصبا والكِبَر.

البطليـــوسى : الذوائب : النواصى ، واحدتهـا ذؤابة . وذؤابة كل شىء : أعلاه . والهِجان : البيض . يقول : لستُ أعتدُّ بأوّل عمرى ، وهو عصر الصِّبا ، ولا بآخره ، وهو عصر الهَرَم ، وإنمـا أعتدّ بأوسطه ، وهــو عصر الشّباب ؛ كما أن النار لا يُنتفع بأوّلها لأنّه دخان ، ولا بآخرها لأنّه رماد ، وإنما المنتفَع به منها ما بين الطّرَفين . وهذا معنًى لا أحفظه لغيره .

الخـــوارزمى : شبَّه الصِّبا بالدُّخان فى أوّل النّـار ، لاشتمـال كلٍّ منهما على حركاتٍ غير متناسبة ، ولأنّ الصبا مما لا ينطبع فيه الحقائق ، فكأنّه كَدِرٌ غير صاف كالدخان ، وشبَّه الشيخوخةَ بالرّماد لتولّى الحرارتين[2] ، وإقبال البياض ، والإشراف على التفتت والتسنّت ، ولأنّ كل واحدٍ من المبدأ والمنتهى مما لايصحبه نفع ، كالدخان فى أوّل النار والرّمادِ فى آخرها .

---

(١) التبريزى : « فكالنار الحياة » بالفاء . (٢) أى حرارة الشباب ، وحرارة النار .

٩ ﴿إلامَ وفِيمَ تَنقُلُنا رِكابٌ وَتأْمُلُ أنْ يكونَ لنا أوانُ﴾[١]

التبريزى : يريد : إلى ما ، وفى ما . وكذلك حتّامَ وعَلامَ ، يريدون على ما ، وحتّى ما . وكذلك بِمَ وعمّ وممّ ، إلّا إذا اتصل بـ «ذا» فتقول: بماذا ، ولماذا ؛ لأنه حينئذ يصير «ما» و «ذا» كالشىء الواحد ، فلا تُغيَّر بحذف ألفها . أى إنّما تنقلنا الركاب رجاءَ أن يكون لنا وقتٌ نَجزيها فيه على الحسنى . ٥

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : عنى بالأوان أوانَ دولة . ومثله ما قرأت فى فتوح ابن أعثم الكوفى[٢] لرجل من عبد القيس :

* بهاء الدين والدنيا وأى أوانْ[٢] *

وفى كلام بديع الزمان الهمذانى : «إن لى فى القناعة[٣] وقتا ، وفى الصناعة بختا» . ١٠

١٠ ﴿فنَجزِيَها علَى الحُسنَى وَأَهلٌ لِما ظَنَّتْ خَلائقُكَ الحِسانُ﴾

التبريزى : هذا البيت متعلّق بما قبله . والمعنى أنّ هذه الركاب تأمُل أن يكون لنا زمانٌ نسعد فيه فنجزيَها على ما فعلت بنا من الحمل إليك ، وخلائقُك الحسان أهلٌ لِما ظنّت .

البطليوسى : الركاب : الإبل التى تتخذ للركوب . يقول : ركابنا ترجو أن يكون لنا زمان نَبلغ فيه[٤] إلى نيل الأمل والوطر ، فنريحها من جهد السُّرَى وطول السفر . ثم قال للمدوح : وخلائقك الحسان أهلٌ أنْ تحقِّق ما رجَتْه ، وتكونَ عند الذى ظنّتْه . وهذا مثلُ قوله فى موضع آخر : ١٥

(١) رواية الخوارزمى : « لها أوان » . (٢) الذى فى كشف الظنون : « فتوح أعثم ، وهو محمد بن على المعروف بأعثم الكوفى» . (٣) كذا ورد فى الأصل . ٢٠
(٤) ا : « لها زمان نَبلغ فيه » .

أَلَا ليتَ شِعرى هل أدِينُ ركائبًا أمُطُّ بها حتّى يطلّحها المطُّ

وهذا من الشعر المعيب عند نُقّاد الكلام ؛ لأنه أضمر اسمَ الممدوح ولم يصرِّح به ، فصار الشعرُ مبهمًا لا يُعلَمُ فيمن قِيل . ومثلُ هذا الشعر لا يستحسنه من مُدِح به ولا يَهَشُّ إليه . وخير الشعر ما كان موسومًا باسم مَن قيل فيه ، حتى لا تكونَ فيه شِركةٌ لغيره ، مدحًا كان أو هجوا . ولذلك قال بعض الشعراء :

إنى امرؤٌ أَسِمُ القصائدَ للعِدَى إنّ القصائدَ شَرُّها أَغفالُها

ومما يعاب من هذا قولُ أبى تمّام :

إلى الحسَنِ اقتدْنا ركائبَ صَيَّرتْ لها الحَزْنَ من أرض الفلاةِ ركائبًا

فيحتمل أن يريد الحسنَ بن رجاء، ويحتمل أن يريد الحسن بن وَهْب، وغيرَهما ممّن كان يسمى حسنًا إذ ذاك .

الخوارزمى : قوله : «فنجزيها» ، عطف على « أن يكون » . « خلائقك » ، مرتفع بالابتداء ، و « أهلٌ » خبره . الضمير فى « ظنّتْ » للركاب .

١١ (وَكَانَتْ كَالنَّخِيلِ فَظَلَّ كُلٌّ وَمُشْبِهُهُ مِنَ الضُّمْرِ الإِهَانُ)

التبريزى : أى هذه الإبل كانت سِمانًا فهُزِلت فى السَّير [فعادت] كالعُرجون . [والعرجون] يقال له الإهان مادام رَطْبا ، فإذا يبِس فهو العُرجون .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الإهان : هو العرجون . وفى عراقيّات الأبيوردى[1] :

* كالنخل كانت فعادتْ كالعراجين *

(١) عجز بيت له ، وصدره كما فى الديوان ص ٣٢٣ :

* والعيس هافية الأعناق من لغب *

١٢ ﴿ تَخَيَّلَتِ الصَّبَاحَ مَعِينَ مَاءٍ فَمَا صَدَقَتْ وَلَا كَذَبَ العِيَانُ ﴾

التبريزى : أى إن الصباح يشبَّه بالماء، فظنّته الإبل ماء موروداً ، فما صدق ظنُّها، ولا كذب عِيانها؛ لأنّ العِيان أدّى إلى أنّ الفجر يشبَّه بالماء .

البطليوسى : الإهان : العرجون . يقول : كانت هذه الإبل حين بدأت بالسَّفر كالنخيل ، فى سِمَنها وعِظَم خَلْقها ، فأنحلها دُؤوب السَّفَر حتى عادت كالعرجون فى تقوُّسها وضُمْرها . ومعنى تخيّلت : ظنّت وتوهمت . والمعين : الماء الكثير؛ يقال مَعُن الماءُ معانة . وقال الفراء : الماء المعين : الظاهر الذى تراه العيون . فمعين، على هذا القول، وزنه مفعول، والميم فيه زائدة، وعلى القول الأوّل وزنه فعيل، والميم أصلية . وقوله : «فما صدقت ولا كذب العيان» يقول : كانت شديدةَ العطش إلى الماء، فلما رأت الصباح قد طلع توهّمتْ أنّه ماء تَرِده، فلم يصدُقها ظنُّها فيما رجَتْ من وروده ، ولا كذَبها عِيانها فى تشبيهها له بالماء ؛ لأنّ الصباح يُشبه الماء فى شكله .

الخوارزمى : ماء معين : جارٍ على وجه الأرض ،وقد مَعُن . كذا هو فى أساس البلاغة . يقول : ما صدقتْ فى التخيُّل ، لأنّها تخيّلت الصباح على ما يُتَخَيَّل عنه ، ولا كذب العِيان ، لأنها عاينته على ما كان يُعايَن عليه ؛ لأنّ الصباح كان يُعايَنُ ماءً ، لكن لا يُحصَّل كذلك ولا يعتقد . وقد لَمَح فيه قولَ أبى الطيِّب :

دارَ المُلِمِّ لها طيفٌ يهدّدنى لَيلًا فما صدقت عينى ولا كذَبا [1]

(١) رواية الديوان بشرح العكبرى (١ : ٧٣) : « لها طيف تهددنى » .

١٣ ﴿ فَكَادَ الفجرُ تَشْرَبُهُ المَطَايَا ، وتُمْلَأُ منه أَسْقِيَةٌ شِنَانُ ﴾

التبريزى : شِنان : جمع شَنّ ، وهو أديم خَلَق . وهذه المبالغة تستحسن فى الشعر ، ولا حقيقة لها . والمعنى والمراد أنّ الفجر لو كان ماءً لكادت(١) أن تَشربه المطايا ، وأن تُملأ الأسقية منه .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : شيخ كالشَّن البالى والشَّنة البالية ، وجمعه شِنان . فيه إيماء إلى عطش الركاب .

١٤ ﴿ وقد دقَّتْ هَوَادِيهنّ حتّى كأنّ رِقَابَهُنّ الخَيْزُرَانُ ﴾

التبريزى : الهوادى : جمع هاد ، وهو العنق ، يستعمل فى الإنس وغيرهم . قال القُطامى :

إنّى و إنْ كان قومى ليس بينهم(٢) وبين قومك إلّا ضربةُ الهادى

وكل شىء تقدّم شيئا فهو هاديه ، وهوادى [الوحش](٣) : التى تتقدّمها . والخيزران : [نبات](٤) دقيق . وهذا من المبالغة ، كما ادّعت الشُّعراء أنّ جسومها تصير إلى حالة لا يبلغ إليها جسم الإنسان . ويقال لعروق البطن خيزران(٥) ، تشبيها بالخيزران المعروف . وأصله عروق تنبت فى الأرض . سمّت العرب الغصن الخيزُرانَ ؛ قال الشاعر :

هَتُوفٌ دَعَتْ شجوًا على خَيْزُرانةٍ يكاد يدنّيها من الأرض لِينُها

---

(١) فى الأصل : « أغارت » .

(٢) فى الأصل : « بمن بينهم » صوابه من الديوان ص ١٠ .

(٣) تكملة يلتئم بها الكلام . (٤) التكلة من التنوير . (٥) كذا فى الأصل .

البطليوسى : الأسقية : جمع سِقاء ، وهو القِربة . والشنان : التى قد يبست لعدم المـاء ، واحدها شَنّة وشنّ . وقد تشنّن السقاء ، إذا جف وتحطّم . والهوادى : الأعناق ، واحدها هادٍ ، سمِّيت بذلك لتقدّمها . وهذا تأكيدٌ لما لَقُوا فى سفرهم من التّعب ، وما نالهم من الجهد والنصب .

الخوارزمى : الخيزران : شجر عَبِقٌ يتثنّى ، ومنه الخَيْزَرَى ، لِمشيةٍ فيها تَثَنٍّ . وهو فَيْعُلان ؛ لأن اليـاء إذا وقعت معها ثلاثة أصول فهى زائدة أينما وقعت ، وكذلك الألف والنون اطّردت زيادتهما آخرًا إذا وقعت معهما ثلاثة أصول . ونظيره الرَّيْهُقان للزعفران .

١٥ (إذَا شَرِبْتْ رَأَيْتَ المَـاءَ فِيهَا أُزَيْرِقَ لَيْسَ يَسْتُرُهُ الجِرانُ)

التبريزى : الجـران : باطن العنق . وهـذا ضربٌ من المبالغة . والمعنى أنّ هواديهنّ صارت من الدقة كأنها الخيزُران ، وأنّ جلودها رقّت حتى صار المـاء يبين وهو نازلٌ فى رقابهن . وأزيرق[1] : تصغير أزرق ، كأنه ماء قليل ، فلذلك حسُنَ فيـه التصغير .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : اعلم أنّ كلّ واحد من عُمَرَ وزُفَرَ غير منصرف ، ثمّ إذا صُغِّر انصرف كلُّ واحدٍ من عمر وزفر . وكلّ واحد من أَزْرقَ وأَشْعَثَ غير منصرف ، ثم إذا صغِّر بقى على ما كان عليه من امتناع الصرف . وجهُ الفرق أنّ صيغة الفعل فى أُزيرق وأُشيعث وإن انكسرت إلا أنهـا لم تضمحلّ ، بخلاف عُمَيْر وزُفَيْر فإن صيغة العـدل فيهما قد انكسرت ، فقـد اضمحلّت وذهبت أدراج الرياح . ونظير أُزيرق وأُشيعث بيت جمال العرب الأبيوردى .

(١) فى الأصل : « أبيض » .

لأَبْتَعِثَنَّ العِيسَ شُعْثًا وراءها أسيرُ جوّابُ الدَّياميم أشعثُ[1]

ولقد طبّق المَفصِلَ بالتصغير ؛ لأنّه لمّا جعل رقابهن دقيقةً كالخيزران حسن أن يجعل ما يمرّ فيها من الماء مُوَيْهًا. الجران من البعير : مقدّم العنق من مذبحه إلى منحره . وأصل التركيب هو السحق والتمليس .

٥ ١٦ ﴿ سَتَرجِعُ عَنْكَ وَهْىَ أَعَزُّ إِبْلٍ إِذَا إِبِلٌ أَضَرَّ بِهَا امْتِهَانُ ﴾

التبريزى : الواو فى قوله : « وهى أعز إبل » واو الحال . أى سترجع عنك عزيزاتٍ لإكرامك إيّاها وبلوغها الغَرَض فيما أمّلت منك . وقد طابق فيه بالعزّ والامتهان . ويقال: إِبِلٌ وإِبْل ، لغتان فصيحتان جاء بهما فى البيت . والنسب إلى إبْلٍ إبْلىٌّ بسكون الباء ، وإلى إبِلٍ إبَلىٌّ بفتح الباء ، كما تقول فى النسب إلى نَمِرٍ نَمَرِىٌّ .

١٠ البطليوسى : الجران : باطن عنق البعير . يقول : قد نحلت لطول السفر حتّى صارت بواطنُ أعناقهنّ لا تستر الماء . والماء يوصف بالزَّرَق وهو الصفاء ، يقال ماء أزرق ، ونطفة زرقاء . قال زُهَيْر :

فلمّا وَرَدْنَ الماءَ زُرْقًا جِمامُه وضَعْنَ عِصِىَّ الحاضِرِ المتخيِّمِ

الخوارزمى : امتهنه ، إذا ابتذله .

١٥ ١٧ ﴿ لها فَرَحًا فُوَيْقَ الأرضِ أَرْضٌ ومنْ تَحتِ اللَّجِينِ لهَا لِجَانُ ﴾

التبريزى : الأرض : الرِّعْدة . وهى من فرحها ترقص ، فشخوصُها تُرعَد لذلك . واللجان ، من قولهم : ناقة لَجون ، إذا كانت بطيئةَ السَّير . وهى بيِّنة اللِّجان واللُّجون . ويقال اللِّجان فى الإبل كالحِران فى الخيل . و«فرحا» منصوب لأنّه مفعول له .

(١) انظر الديوان ص ٧٠ .

البطليوسى : الأرض: الرِّعدة؛ يقال: أُرِض الرجل فهو مأروض، إذا أرعد. ويروى عن ابن عباس أنه قال : «أزُلزلت الأرضُ أم بى أرْض» . وقال ذو الرمة يصف صائدًا وحميرَ وحش :

كأنّه حينَ يدنو وِردُها طمَعًا ... بالصَّيْد مِن خَوفه الإخطاءَ محمومُ

إذا توجّس رِكْزًا من سنابكها ... أو كان صاحبَ أرْضٍ أو بِهِ المُومُ

واللُّجين: الفضّة. وقال الخليل: ناقة لَجونٌ بيِّنة اللِّجان، وهى كالحَرون من الدواب. وأنشد للنابغة :

فما وخَدَتْ بمثلك ذاتُ غَرْبٍ[1] ... حَطوطٍ فى الزِّمام ولا لجَونِ

الخوارزمى : الأرض، هى الرعدة. قال ابن عباس: «أزُلزلت الأرْض أم بى أرض» . اللِّجان فى الإبل كالحِران فى الخيل . انتصب «فرحا» على أنّه مفعول له، كأنّه قال : هذه الإبل ترتعد فرحًا . ولقد أحسن فى التّجنيس والمطابقة بين الفوقيّة والتّحتيّة، وفى المقابلة بين الخفّة التى دليها يدلُّ الفرحُ، والثِّقَلِ الذى هو مسمّى اللِّجان.

١٨ ﴿تَرَى مَا نَالَتِ الأَضْيَافُ نَزْرًا ... وَلَوْ مُلِئَتْ مِنَ الذَّهَبِ الجِفَانُ﴾

التبريزى : معناه أنك تحتقر ما صار إلى الأضياف من كرمك وبرّك، فلو أنك ملأت لهم الجفان ذهبًا، لا لحما وثريدًا، لكان الذّهب محقورا عندك .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الضمير فى "ترى" للممدوح .

١٩ ﴿وَيَطْلُبُ مِنْكَ مَاهُوَ فِيكَ طَبْعٌ ... وَمَطْلُوبٌ من اللَّسِنِ البَيَانُ﴾

التبريزى : اللسِن : ذو اللسان الفصيح . يقال : لَسِن الرجل لَسَناً فهو لَسِنٌ . واللِّسْن : اللغة ؛ يقال : فلان يتكلّم بلِسْن بنى فلان، أى بلغتهم .

(١) الغرب، بالفتح : الحدة والنشاط .

البطليوسي : النزر : القليل، يقال نَزُر الشيء نزارةً . واللَّسِن : الفصيح البليغ . وهذا نحو قول أبي تمّام :

فتًى جودُه طبعٌ فليس بحافلٍ أَفِي الجَوْر حلَّ الجُود منه أم القَصْدِ (١)

يقول : لا كُلْفة عليك في بذل ما تُسألُه من الإفضال، كما لا كُلفة على البليغ في تشقيق المقال (٢) .

الخوارزمي : « البيان » مرتفع بالابتداء، و « مطلوب » خبره . .

٢٠ (وَمُمْتَحِنٍ لِقَاءَكَ وَهْوَ مَوْتٌ وَهلْ يُنْبِي عَنِ المَوْتِ امْتِحانُ)

التبريزي : يريد : وربَّ ممتحن . والمعنى أنّ الامتحان إنّما يفعله الإنسان ليخبُرَ به أمرا بعده . والذي يجعل لقاءَك في الحرب امتحانًا يُقْتَل فلا يصلَ إلى ما طلب من خُبْرٍ بِلقاك (٣) ؛ لأنّ حياته تنقطع، كما أنّ الموت إذا امتحنه إنسان فلقيه فلا منفعة له بعده بامتحانه (٤) .

البطليوسي : يقول : إنما يمتحن الإنسان الشيءَ ليستفيد بامتحانه إيّاه معرفةً ينتفع بها فيما يُعانيه من الأمور التي يستقبلها . والذي يلقاك في الحرب ليمتحن شجاعتَك يُقتل فلا ينتفع بامتحانه، وإنما منزلته في ذلك منزلةُ رجلٍ أراد أن يذوق الموتَ ليمتحنه فهلَك ؛ وكان ذلك معدودًا من جهله . وهذا مأخوذٌ من قول أبي الطيِّب :

---

(١) في الأصل : « أفي الجود » بالدال، والوجه ما أثبتنا ليلائم « القصد » . وانظر ديوانه ص٨٥ والجور : ضد القصد، وهو الاستقامة .

(٢) تشقيق الكلام : إخراجه أحسن مخرج . وفي أ : « تعميق » .

(٣) في الأصل : « من خبر به بلقاك » .

(٤) في الأصل : « بأصحابه » .

سَـلْ عن شَجاعته وزُرْهُ مسالمًا وحَذارِ ثمّ حذارِ منـــه مُحارِبَا

فالموتُ تُعرَفُ بالصِّفات طِبـاعُه لم تَلْقَ خَلْقـا ذَاق مَوتًا آيِبَـا

الخـــوارزمى : اتّفق النحويون عن آخرهم على أنّ الصفة ممـا لايجوز إعماله إذا لم تعتمد على أحدِ هذه الأشياء الخمسة : وهى المبتدأ، والموصوف، وذو الحال، والنفيُ والاستفهام . وفى هذه المسألة نظر، وذلك لأنّ هنا شيئًا ساذجًا إذا اعتمدت عليـه الصِّفةُ عَمِلتْ و إن لم تعتمد على أحد الأشياء الخمســة ، وهو ربّ مقدّرةً أو مظهرة . أمّا مقدرة فكما فى بيت الحماسة :

* وقائلةٍ مَنْ أَمَّها طَالَ ليـلُهُ[(١)] *

ألا ترى أن قوله : « [من أَمَّها] طال ليله » فى محل النصب على أنه مفعول «قائلة» ؟ وأمّا مظهرة ففيما أنشده الموصلىّ فى نوادره :

* ألاَ رُبَّ باغٍ حاجةً لا ينالُها *

وفى بيت جميل على ما أنشده القُتَبىّ :

* ولَرُبَّ عارضـةٍ علينـا وصلَها *

وأبو العلاء هنا قد أعمل الصفة وهى « ممتحن » فى « لقاءك » لاعتمادها على رُبَّ مقـدرة .

٢١ ﴿ ومُضْطَغِنٍ عَلَيْكَ ولَيْسَ يُجْدِى وَلَا يُعْدِى عَلَى الشَّمْسِ اضْطِغَانُ[(٢)] ﴾

التـــبريزى : الاضطغان : الافتعال من الضِّغْن ، وهو الحقـد الذى يكون فى القلب، يقال ضِغْنٌ وضَغَنٌ وضَغينة . ويجـدى ، أى ينفع . ويُعـدى : من

(١) البيت ليزيد بن عمرو الطائى كما فى الحماسة ، وتمامه :

* يزيد بن عمرو أمها فاهتدى لها *

(٢) رواية البطليوسى : «ولا يعدى على الموت» .

أعدى عليه السلطان . يقول : المضطغن عليك كالمضطغن على الشّمس، فكما أن الشمس لا ينقصها اضطغانُ أحدٍ عليها فكذلك أنت .

البطليوسى : مضطغن : مفتعل من الضِّغن، وهو الحقد والعداوة. يقول : الذى يضطغن عليك كالذى يضطغن على الموت[1]؛ لأنه يضطغن على من لا يُباليه، ويطمع فيما لا مَطمع فيه. ومعنى «يُجدى» ينفع ويُغنى؛ يقال: هو قليل الجَداء عنّى. ويُعدِى : ينصر ويعين .

الخوارزمى : هذا كقول أبى الطيّب :

مَن كان فوقَ مَحلِّ الشمسِ موضعُه فليس يرفَعُه شيءٌ ولا يضعُ

٢٢ ﴿وَرُبَّ مُسَاتِرٍ بِهَوَاكَ عَزَّتْ سَرَائِرُه وكُلُّ هَوًى هَوَانُ﴾

التبريزى : معناه: أن هوى الإنسان للشيء يحمله على أن يهون، وإذا هَوِيك فى ضميره عزّ بذلك؛ فهواهُ لك مخالف للأهواء المهينة .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : فى أساس البلاغة: ساتره العداوةَ مساترة، وهو مُداجٍ مساتر . الباء فى «بهواك» صلة «عزّت» لا صلة «مساتر» . و « كلّ هوى هوان» من قول أبى تمّام :

فلا تَتّبِعْ نفسٌ هواها شريفةً فكلُّ هوانٍ والهَوى أخَوانِ

وقوله :

نونُ الهوانِ من الهوى مسروقةٌ فإذا هَوِيتَ فقد لَقِيتَ هَوانا

يقول : ربّ عدوٍّ ساترك العداوةَ وداجاك، ثم أعرض عن عداوته إلى هَواك، فعزّت به سرائره ، وشرُفت ضمائره، مع أنّ الهوى هوان، وله من الذلّ إخوان .

(١) هذا بناء على روايته : «على الموت» وقد انفرد بها بين الشراح .

٢٣ ﴿ أَحَبَّكَ فى ضَمَائِرِهِ ونَادَى لِيُعْلِنَهَا وَقَدْ فَاتَ العِلَانُ ﴾

التبريزى : أى لما عَزَّت سرائره بهواك ظهر منه ما كان يُضمره من مودّتك من غير قصد .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : أسرَّ أمره، وأعلنه وعالن به . قال :

* وإعلانى لمن يَبغى عِلَانى *

الضمير المنصوب فى "لعيلنها" للمحبة وإن لم تُذكَرْ صريحا . قوله : « وقد فات العِلان » يريد قد فات وقت العلان . يعنى لم ينفعه إعلانه ؛ لأنه قد فاته زمانه، بدليل البيت الثانى :

٢٤ ﴿ وَصَلَّى ثُمَّ أَذَّنَ مُسْتَقِيلًا وَقَبْلَ صَلَاتِهِ وَجَبَ الأَذَانُ ﴾

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : يقول : ربَّ رجل من أعدائك يحبُّك فى ضمائره، لمعرفته بفضلك، وإن كان يُبغضك فى ظاهره حسدًا لك، فلمَّا رأى أنّ مجاهرتَه لك بالعداوة والبغضاء، قد أشرفَتْ به على الهَلَكة والفناء، أظهر من محبّته ما كان يُخفيه عنك، ليَعتصم بذلك منك، وجاهر بتوبته، ورغب فى إقالة عَثْرته، فى وقت لا تُقال فيه العَثَرات، ولا تغفر فيه الزَّلَّات ؛ لأنّ المحاجزة، إنما سبيلُها أن تكون قبل المناجزة . ونظير هذا فى معناه قول الأشعث بن قيس[1] :

يُذَكِّرُنى حاميمَ والرُّمْحُ شاجرٌ فهلَّا تَلَا حاميمَ قبل التقدّمِ

(١) رواه أبو عبيدة لشريح بن أوفى العبسى ، ورواه غيره للأشتر النخعى . وفى اللسان : « الضمير فى يذكرنى لمحمد بن طلحة، وقتله الأشتر أو شريح » . انظر اللسان (١٥ : ٤٠) .

ونظيره في بعض معناه قول أبى تمّـام :

جَحَدَتْكَ منهم أَلْسُنٌ لَجَلاجةٌ أيقَنَّ أنَّك فى القـلوبِ إمامُ

وقوله : « عزّت * سرائره وكل هوى هوان » يقول : هوى الإنسان للشيء يَكسبه الهـوانَ، وليس كذلك هواك ؛ لأنّ مَنْ هوِيك اعتزّ بذلك . و إنّمـا ذكر عزّة سرائره بهواه، لأنه أضمر ودّه وأبدى ضدّه، فلم ينتفع فى الظاهر بذلك، حين أفضى إلى المهالك . وقد قال بعض الشعراء فى معنى قوله : « وكل هوى هوان » شيئًا بديعا، وهو :

نونُ الهوانِ من الهوى مسروقةٌ فإذا هَوِيت فقد لقيتَ هوانا

وإذا هَوِيتَ فقد تعبّدك الهوَى فاخْضَعْ لإلفكَ كائنًا مَن كانا

الخـوارزمى : يقول : أحبّك مدّةً فى قلبـه، ثمّ أخبرك بحبّـه ، فمثله كمن صلّى ثم أردف صلاته بالأذان .

٢٥ (تَضَمَّنَ منكَ ذِى الدّنيا مَلِيكًا عَلَيْـهِ لِكُلِّ مكْرُمَةٍ ضَمـانُ)

التـبريزى : أى تتضمن هذى الدُّنيا منك مليكًا ضَمِنَ فيها كلّ مكرمة، فمنه تُنَال جميع المكرمات .

البطليـوسى : سياق .

الخـوارزمى : ذى الدنيا، أى هذه الدنيا . قوله : «عليه لكلّ مكرمة ضمان» فى محل النصب على أنه صفة «مليكا» . وتضمّن مع الضّمان تجنيس .

٢٦ (كَأَنَّ بِحارَهَا الحَيَـوَانُ فِيها وقُرْبَكَ خُلْدُهَا وهِىَ الجِنَانُ)

التـبريزى : المعنى أن الدنيـا صارت لك كأنها جنة، فماؤها ماء الحيوان ، وقربك يُسَرّ به من قَرُب منك، كأنّه الخلود ؛ فالدنيا كأنّها الجنان فى الآخرة .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الحيوان : ماء فى الجنة، لا يُصيب شيئًا إلا حَىّ بإذن الله .

٢٧﴿ وَتُعْذَلُ حِينَ لم تُجْنَنْ سُرُورًا وتُعْذَرُ حَيْثُ لَيْسَ لها جَنَانُ ﴾

التبريزى : يعنى أن الدنيا تُعْذَلُ حين لم تُجْنَنْ سرورًا بك، أى لم تَصِرْ مجنونة،[1] وتُعْذَر فى أنها إنما لم تُجنَن لأنَّها لا جَنانَ لها، أى لا قلبَ ولا روحَ .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الضمير فى «تعذل» و «تُجنَن» و «تعذر» و «لها» للدنيا .

٢٨﴿ ولَوْ طَرِبَ الجَمَادُ لَكَانَ أَوْلَى شُرُوبِ الرَّاحِ بالطَّرَبِ الدِّنَانُ ﴾

التبريزى : معنى البيت تفسير لما قبله، أى إن الخمر إذا شربها مَنْ فيه حياةٌ طَرِب، والدِّنان جماد، فلو كانت الجماد تَطرَبُ لكان الدِّنان أولى الأشياء بذلك.

البطليوسى : أراد ماء الحيوان الذى ورد فى الحديث، وهو نهر فى الجنة . جاء فى الخبر أنّ المُخْرَجين من النار يُلقَوْن فيه فينبتون كما تنبت الحِبَّة[2] فى حَمِيل السيل. والجَنان : القلب . والعرب تسمِّى كلَّ ما لا حِسَّ فيه ولا حياةَ جمادًا، جوهرًا كان أو عَرَضا . وشُروب : جمع شارب . والراح : الخمر . والدنان : الخوابى، واحدها دَنّ . وإنّما ذكر طَرَب الدنان اعتذارًا لامتناع الدُّنيا من السرور وشدّة طربها بهذا الممدوح[3]، فقال : لو صحَّ وأمكن أن يوجَد من الجماد طَرَبٌ لكانت دِنان الخمر أولى بذلك مِن غيرها، لِما تشتمل عليه من الرَّاح التى تبعثُ طَرَب الشاربين، وتَهيج سُرورَ المتنادِمين .

(١) فى الأصل : «سرورا انك إن لم تصر مجنونة» محرف .

(٢) الحبة، بالكسر : بزور العشب والبقول البرية . وحميل السيل : ما يحمله من الغثاء والطين .

(٣) فى الأصل : «لشدة» تحريف . وفى ا : «طربها لهذا الممدوح» .

الخوارزمى : الشُّروب[1] : جمع شرب ، وهم الشاربون . قال :

هو الواهب المسمعاتِ الشُّرو ب ... ...

وقوله : « الشروب » منصوب على أنه مفعول الواهب[2] ، يقال : وهبه مالا ، والكثير وهب له . ويحتمل أن يكون مفعولَ «المسمعات» .

٢٩ (وَلَمَّا دَالَتِ العُرْبُ اغْتِصَابًا وأضْحَتْ جُلُّ طَاعَتِها دِهانُ)

التبريزى : الدهان : مصدر داهنته ، أى لاينته فى المقال وأنا أُضمر غيره . ودالت : أى صارت لها دولة . وفى « أضحت » ضمير عائد على «العُرب» . وقوله : « جل طاعتها دهان » جملة منصوبة ؛ لأنها خبر أضحت .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : أدهن فى الأمر وداهن ، إذا صانَع ولاين ؛ واشتقاقه من الدّهن . جلُّ طاعتها دهان ، جملة ابتدائية فى محل النصب على أنّها خبر أضحى .

٣٠ (وَعَادَتْ جَاهِلِيَّتُهَا إِلَيْهَا فَصَارَتْ لَا تَدِينُ وَلَا تُدَانُ)

التبريزى : أى عادت العرب إلى حال الجاهلية ، فهى لا تدين لملك . يقال : دِنتُه ، إذا أطعته . ولا تدان : أى لا يَملكها ملك يَدينها . ويستعمل دِنْتُ فى معنى جَزيت .

البطليوسى : دالت : صارت لها دولة ، وظهرت لها عزّةٌ على النّاس وصَولة . والدهان والمداهنة : المخادعة والمماكرة ، وهما مصدران من قولك

(١) القائل الأعشى من قصيدة فى الديوان ص ١٩ . وتمام البيت :

* بين الحرير وبين الكتّن *

والكتّن ، هنا : الكتّان ، جعله كذلك للشعر .

(٢) أى المفعول الأول . و « المسمعات » المفعول الثانى .

داهته . وقوله : «لا تَدين ولا تُدان» أى لا تَذِلّ لأحد ولا يُذِلّها أحد . يقال :
دان الرجل، إذا ذَلّ، ودِنته أنا، إذا أذللته . قال الشّاعر :

رَمتِ المَقاتِلَ من فُؤادك بعدما كانت نَوَارُ تَدِينُـك الأَديانا

وقال الأعشى :

هُو دانَ الرِّبابَ إذ كرِهوا الدِّيـ ـنَ دِراكًا بغزوةٍ وصِيالِ ٥

ثمّ دانت بعدُ الرِّبابُ وكانتْ كعذابٍ عُقوبةُ الأقـوالِ
(١)

الخـوارزمى : دان القومَ، إذا ساسهم وقهرهم، فدانوا له ودانُوه . يريد :
صارت لا تنقاد ولا تُقْهَر .

٣١ (سَطَوْتَ فَفِي وَليفِ الصَّعْبِ قَيْدٌ بِذَاكَ وفى وَتِـيرَتِهِ عِرَانُ)

التبريزى : سطوت : جواب «لمّا» فيما تقدّم . والسطو: الأخذ بعنف . ١٠
والوظيف : ما فوق الرُّسْغ، وهو الذى يقع عليه القيد . قال ذو الرُّمّة :

دأَنى له القيدُ، فى غبراءَ نازحةٍ، قَيْنَيْهِ وانحسَرتْ عنه الأناعيمُ

القين : موضع القيد من الوظيف . والأناعيم : جمع أنعام، وأنعام : جمع نَعَم .
وإذا قيل الأنعام، فذلك الإبل والغنم والبقر، وإذا قيل النَّعَم، فالمراد الإبل دون غيرها .
ويروى : «فى دَيمومةٍ قُذُفٍ» (٢) . والديمومة : أرض يدوِّم فيها السَّراب . وقُذُف : ١٥
بعيدة . والوَتيرة : ما بين المنخرين . والعِران : عُود يُوضَع فى الوتيرة . وقوله :
« بذاك » ذا، عائد على السَّطو، والكاف ، لمجرّد الخطاب . والمعنى أنّ العـرب
كانت قد عَزَّت، فلما سطوتَ ذلّت لِسطوتك . والصعب : الذى ليس بذَلُول،
وأنت قد ذلّلته فجعلت فى وظيفه قيدًا، وفى وتيرة أنفه عِرانًا .

(١) العبارة بتمامها فى أساس البلاغة : « دان القوم ، إذا ساسهم وقهرهم فدانوا له ، ودانوه : ٢٠
انقادوا له . وقد دين الملك وملك مدين» .
(٢) هى رواية الديوان ٥٧٠ .

البطليوسى : الوظيف من البعير بمنزلة المِعْصَم من الإنسان ، وهو ما فوق الرُّسغ من اليد والرِّجل معا . وقد يكون الوظيف أيضًا الذراعَ كلَّها والساقَ كلها . والوتيرة : ما بين المنخرين . والعِران : حلقة من خشب تُجعَل فى أنف البعير الصَّعْب . قال الشاعر[1] :

فإن يظهر حديثُك يُؤتَ عَدْوًا   برأسك فى زِنَاقٍ أو عِرانِ

والزِّناق : ما يجعل تحت حَنَك البعير والدابّة . وهذا البيت نظير قول أبى الطيِّب :

فأقرحتِ المقَاوِدُ ذِفْرَيَيْها   وصَعَّر خدّها هذا العِذارُ[2]

الخوارزمى : العِران هو العود الذى يجعل فى وَتيرة أنف البُخْتىّ . قوله : «بذاك» إشارة إلى السَّطو؛ لأنه وإن لم يذكر لفظًا فقد ذُكِر ضمنا؛ ومثله[3] :

* ولا تَنْصَحَنْ إلّا لمن هو قابلُهْ *

فإن قلت : قوله : "بذاك" ممّا ينبو عنه الطبع من حيث إنه يقال : كسره فانكسر، أو كسره ففيه انكسار ، ولا يقال : كسره ففيه انكسار بذاك ؛ لأنَّ كونه منكسرا بذاك الكسر معلوم من الفاء . قلت : حرف الإشارة إنّما يقع فى نحو هذا المقام نابيًا[4] إذا أُردف الفاء بفعل واحد ، أما إذا أُردف بفعلين متضادَّين مع توحُّد السَّبب لهما فلا يقع نابيًا[4] . ألا ترى أنّك إذا قلت : ضربتُه فقطعتُ يده ورجله بتلك الضربة ، فإن الطبع يقبله ! وهاهنا أردف بفعلين متضادّين؛ يقول : إنك فى حومة الحرب قد سطوتَ على الفَحْل الصَّعب فتركتَه بتلك السَّطوة فى رجله قيدٌ وفى أنفه

(١) أنشده فى اللسان (زنق) .

(٢) أ : «فأفرحت» بالفاء ، بمعنى أثقلت ، وهى رواية الواحدى كما نص العكبرى (١ : ٢٩٩) .

(٣) روى البيت فى الحماسة ٥١٤ طبع بن ، وصدره :

* لا تعترض فى الأمر تكفى شؤونه *

(٤) فى الأصل : «نائبا» والوجه ما أثبتنا .

زمام، فزايله ذلك الجماحُ والعُرام . وقيل هو إشارةٌ إلى ما ابتدعته العربُ من الدِّهان، وأظهرته من العصيان والطُّغيان ؛ والباء فيه للبدل والمجازاة .

٣٢ (وَقَد يَنْمِى كَبِيرٌ مِنْ صَغِيرٍ وَيَنْبُتُ مِنْ نَوَى القَسْبِ اللِّيانُ)

التبريزى : أى إنّ الأمور تبدو صغارًا ثم تكبُر، كما أنّ نوى القَسْب ينبت منه اللِّيان . والقَسْب : الرُّطَب [إذا يَبِس](١) ولم يَكتَنِزْ . قال أوس بن حَجَر :

وأسمَرَ خَطِّيًّا كأنَّ كعوبَه نَوَى القَسْبِ عَرّاصًا مُزَجًّا مُنَصَّلا(٢)

واللِّيان : جمع لِينة ، وهى النخلة . ويستعمل فى النَّخل كلّه . وقيل : إنّ اللِّينة ضربٌ من النخل، وقيل : هى الطويلة .

البطليوسى : يقال : نمى الشىء ينمِى وينمو ، إذا عظم وزاد . والقسب : ضرب من التمر، ونواه أصلب النوى وأشدّه؛ ولذلك قال أبو دواد الإيادى :

له بين حواميهِ نُسورٌ كنَوَى القَسْبِ

واللِّيان : جمع لِينة، وهى النَّخلة كلها ما خلا العَجْوة .

الخوارزمى : القسب : تمر يتفتّت فى الفم، صُلْب النَّواة . وهو فى الأصل صفة من قَسَب يقسُب قسوبة فهو قَسْبٌ وقَسِيبٌ . واللِّيان : جمع لِين ، ولينة، وهو نخل اللون(٣) . واللون : كل نوع من التمر سوى البَرْنِىّ(٤)؛ وعليه : (مَاقَطَعْتُمْ مِنْ لِينةٍ) . فى أمثالهم : "أول الشَّجرة النواة"(٥). وأنشد الجاحظ :

قد يَلحَقُ الصغيرُ بالجليلِ وإنّما القَرْمُ من الأفيلِ

* وسُحُقُ النَّخل من الفسيلِ *

(١) التكملة من التنوير . (٢) رواية صدر البيت فى الديوان ص ٢٠ واللسان (زجج) :

* أصم ردينيا كأن كعوبه * وقبله :

وإنى امرؤ أعددت لحرب بعدما رأيت لها نابا من الشر أعصلا

(٣) فى الأصل : « الكون » وهو تحريف . (٤) البرنى، بفتح الباء : ضرب من التمر أصفر مدور، وهو أجود التمر . (٥) انظر الحيوان (١ : ٨) .

٣٣ ﴿ وَعَنَّتْ فى سَمَاءِ بَنِى عَدِىٍّ نُجُــومٌ ما يُغَيِّبُهَا عَنَانُ ﴾

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : يقال: لا أفعل ذلك ماعنّ فى السماء نجم. العَنان هو السحاب، وهو مشتق من عَنّ، ونظيره العارض؛ فإنه من عَرَض .

٣٤ ﴿ فَمَا عَبَدَتْ سِوَى الرَّحْمٰنِ رَبًّا إِذِ المَعْبُودُ نَسْرٌ والمَدَانُ ﴾

التبريزى : أى لمّا ظهرت هذه النجوم عبدت العربُ الرحمنَ، وكانت قبلُ تعبد هذين الصَّنمين .

البطليوسى : عنّت : عرضت . والعَنان : السحاب . يقول : لمّا حالفتك العربُ وأبتْ طاعتَك نهضتَ إليهم بجيشٍ من بنى عدىٍّ كأنّهم نجوم لايحجبها سحاب. والعربُ تشبِّه الجيشَ بالنّجوم لأربعة معان : أحدها كثرة العدد، والثانى لشبه لمعان السُّيوف[1] بلمعان النجوم، والثالث لما يُرَى للنُّجوم من الانقضاض فى الجوّ، والرابع بُعدها ممن حاولها . وبكلّ هذه المعانى قد وردت الأشعار . قال عنترة :

يمشُون والمـاذىُّ فوقهمُ يتَـوقَّدون توقُّد النجـمِ[2]

وقال آخر[3]:

* بجيشٍ كمِثل نجومِ السَّحَرْ *

وقال أبو الطيِّب :

تُبارِى نجومَ القَذْفِ فى كلّ ليلةٍ نجــومٌ له منهنّ وَرْدٌ وأدْهَمُ

ونَسْرٌ والمدان : صنمان كانا يُعْبَدان فى الجاهلية .

---

(١) ب : «السلاح» . (٢) رواية اللسان (مذى) : * يمشون والمـاذى فوق رءوسهم *

(٣) هو مرقش الأكبر . انظر المفضليات (٢ : ٥٣ طبع المعارف) . وصدره :

* بأن بنى الوخم ساروا معا *

الخوارزمى : الضمير فى "عبدت" للنجوم . نَسر : صنم كان لذى الكَلَاع بأرض حِمْيَر . والمَدان أيضا : صنم ، و إليه يُنسب بنو عبد المدان : بطن من النَّخَع . ولقد أغرب حيث جعل النجوم تعبد الله تعالى ، مع أنّها كانت معبودة العرب .

٣٥ ﴿ إذَا البِرْجِيسُ والمِرِّيخُ رَامَا سِوَى مارُمْتَ خَانَهُمَا الكِيَانُ ﴾

التبريزى : البرجيس : المُشْتَرِى فيما قيل ، وهو اسم أعجمى . والكِيان : الحال التى يكون عليها الإنسان ؛ يقال : قد فسد كِيانُه ، أى تغيّر عما كان عليه .

البطليوسى : البرجيس : المشترِى ، وهو سعد ؛ والمِرِّيخ : الأحمر ، وهو نحس . يقول : البرجيس يُسعد من يواليك ، والمِرِّيخ يَنْحس من يعاديك ، و إنْ أرادا غير ذلك تعذّر عليهما كونُ ما أرادا ، ولم تطاوعهما الأقدار على إنفاذ ما راماه . تعالى الله عن أن يكون له منازِعٌ فى أمره ، أو مشارِكٌ له فى قضائه وقدره . والكِيان : الحال التى يكون عليها الشىء ، و يكون أيضا مصدر « كان » .

الخوارزمى : البِرجيس هو المشترِى ، وهو أعجمى . قال[1] :

* كالْخ بعد النَّثْرة البِرْجِيسا *

فَسَد كِيانه ، وهو ما يكون عليها من الحال . وعن أبى إسحاق الكندىّ ، لمّا سمع شعر أبى تمّام : « إن هذا لا يطول عمره » . فقيل : لِمَ ؟ قال : « لأنه تحمّل على كِيانه فوق طاقته » .

٣٦ ﴿ هُمَا العَبْدَانِ إنْ بَغَيَاكَ غَدْرًا فَمَا فَعَلَا إِبَاقٌ أو دِفَانُ[2] ﴾

التبريزى : معناه أن البرجيس [و] هو نجم سعد ، والمريخ [و] هو نجم نحس[3] ، كأنهما عبدان لك ؛ فالمشترِى يُسعد من تَشاء[4] ، والمِرِّيخ يَنْحس من تَشاء[4] .

(١) هو رؤبة بن العجاج من أرجوزة له فى ديوانه ص ٧٠ .
(٢) فى التبريزى : « ففعلهما إباق » . ورواية البطليوسى : « إباق وادّفان » . وانظر شرحه .
(٣) فى الأصل : « والمشترى » . (٤) فى الأصل : « يشاء » .

والإباق : مِن قولهم أبِق العبد يأبَق ، وأبَق يأبِق ، إذا هرب خارجاً من بلد إلى سواه . والإدّفان : أن يستتر العبد فى البلد الذى هو فيه .

البطليوسى : وقع فى أكثر نسخ سقط الزند : «إباق أو دِفان» ، وكذا وجدته فى الضوء ؛ ووقع فى نسختى : « وادّفان» ، وهو المعروف[1] ، وكذا جاء فى الحديث أن شُرَيْحًا كان لا يردّ العبد من الادّفان ، ويردّه من الإباق البات . وشرحه أبو عُبَيْد فقال : الادّفان : أن يأبق قبل أن يُنتهى [به][2] إلى المصر الذى يباع فيه ، فإن أبق من المصر ، فهو الإباق الذى يُرَدُّ منه ؛ حكى ذلك أبو عبيد عن يزيد[3] . وحكى عن أبى زيد : أن الادّفان أن يروغ عن مواليه اليوم واليومين . وحكى عن أبى عُبَيْد أن الادّفان ألا يغيب عن المصر فى غيبته .

الخوارزمى : يقال : بَغَيْتُه الأذى ، متعدّيا إلى مفعولين ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَبْغُونَكُمُ الفِتْنَةَ ﴾ . فى أساس البلاغة : «هذا العبد فيه دِفَان وليس فيه إباق باتّ : وذلك أن يتوارى فى مصره اليوم واليومين ثم يظهر بعد ذلك» . واشتقاقه من الدفن .

٣٧ ﴿ تُقَارِنُ بَيْنَ أَشْتَاتِ المَنَايَا بِضَرْبٍ لَيْسَ يُحْسِنُهُ قِرَانُ[4] ﴾

التبريزى : يقارن : يفاعل ، من قارنت بين الشيئين . و "قِران" فى القافية ، من قران النجوم .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : «تقارن بين أشتات المنايا» : يقول : تجمع لأعدائك بين منايا بضربٍ لولاه[5] لم تُلِمَّ بهم إلّا فى أزمنةٍ متفاوتة وأمكنة متغايرة ؛ أو بين أسباب

(١) يريد هذا القول أن معظم كتب اللغة لم تذكر « دفانا » بهذا المعنى . (٢) التكملة من اللسان (مادة دفن) . (٣) هو أبو خالد يزيد بن هارون المتوفى بواسط سنة ٢٠٦ . انظر تهذيب التهذيب . (٤) رواية التبريزى و ب من البطليوسى : « يقارن » .
(٥) فى الأصل : « بضرب من لولاه »

المنـايا إذ هى كثيرة متفرقة؛ أو بين فِرَقِ الموت، أى لا تُنَفِّس [عن] المضروب ولا تُمهله؛ فإنك تجمع له فِرَق الموت . وقد لمح فيه بيت الحماسة :

هُمُ منعوا حِمَى الوَقَبَى بضربٍ يؤلِّف بين أَشْـتاتِ المَنُونِ[1]

« بضربٍ ليس يحسـنه قران » ، أى لا يعرفه قران من أنواع القِران النَّحْسِ .
وهذا من قولهم: فلان[لا] يُحسِن العربية.يريد ليس لذلك القران مثل هذا الضرب.[2]
وعن الأستاذ البارع — جزاه الله عنِّى خيرا — : لا مقارنةَ فى ذلك الضرب، فتُحسِّنه؛ إذ كلُّ مقارنةٍ فيه له مُحسِّنة . وهذا من باب قولهم :

* ولا ترى الضبَّ بهـا يَنْجَحِرْ *

وهذا[3] معنى بديع غير بعيد، خلا أن الإحسان بمعنى التحسين غير مستعمل ، وإن كان لا يأباه القِياس .

٣٨ (ولَوْلَا قَـوْلُكَ الخَلَّاقُ رَبِّى لَكَانَ لَنَـا بطَلْعَتِكَ افْتِتَانُ)

التـبريزى : ... ...

البطليـوسى : هذا غلوٌّ شديد نعوذ بالله منه . وأشتات المنايا: ما افترق منها.
وهذا كقول أبى الغُول الطهوى :

هُمُ منعُوا حِمَى الوَقَبَى بضربٍ يؤلِّف بينَ أشتاتِ المنـونِ

وأراد بالقِران هاهنا قران الكواكب؛ لأنه يدلُّ عند المنجمين على انتقال الدول ، وتغيُّر الزمن .

الخـوارزمى : يقول: لولا اعترافك بأنَّك مخلوق لظنناك الخالقَ . وهذا مبنىٌّ على ما نُقِل أن الله تعالى خلَق آدمَ على صورته .

(١) البيت لأبى الغول الطهوى ، كما سيذكره البطليوسى ، وهو من أبيات فى الحماسة ١٢ طبع بن .
(٢) أى لا يعرفها فضلا عن أن يحسنها . (٣) جاء فى الأصل قبل هذا الكلام : « وهو من قولهم كانت ضربات على أبكارا » ولا موضع له هنا . وسنثبته فى مكانه من البيت ٤٤ .

٣٩(تَخُبُّ بك الجِيَادُ كَأَنَّ جَوْنًا عَلَى لَبَّاتِهِنَّ الأُرْجُوَانُ)

التبريزى : تَخُبّ : من الخَبَب ، وهو ضرب من عَدْو الخيل . يعنى أنّ خيله تخبّ مُقْدِمة ،والطعن يقعُ فى نُحورها ،والدِّماء تجرى على لَبَّاتها ،وهى لا تولّى . وعنى بالجَوْن الدمَ . وأصل الجون كُلّ لونٍ ممتزج يخالطه غُبْرة . والأرجوان : صِبْغ أحمر . قال الراجز :

التّارك القِرْن على المِتانِ(١) كأنّما عُلّ بأُرجُوانِ

و «جَوْنٌ» نكرة ،وهو اسم «كأنَّ» ،والأرجوان معرفة ،وهو خبرها . وهذا فى باب «إنّ» أمثلُ(٢) منه فى باب «كَانَ» ، وهو قولك : «[كأنّ] أسدًا زيدٌ» . فأمّا قول الشاعر يصف الإبل :

كأنّ قُرَى نمـلٍ علَى سَرَواتها يلبِّدها فى ليـل ساريَةٍ قَطْرُ

فهو أمثلُ(٢) من قولك : «كأنّ ليثًا أخوك» ؛ لأنّ الاسم هاهنا نكرة والخبر كذلك ؛ لأنه جملة ،والجمل كلّها نكرات .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : جعل اسم "كأنّ" وهو قوله "جونا" نكرة، وخبرها وهو "الأرجوان" معرفة، وعلى عكس ذلك القياسُ . ومن أبيات السقط :

* كأن مِسْكًا لونُه الأسحمُ(٣) *

ومن أبياته أيضا :

* كأنّ حرامًا أن يُفارِق صارمًا *

واسم "كأنّ" فيما نحن فيه وإن كان نكرة إلا أنّه أقرب إلى القياس؛ لأنه موصوف بـ «على لباتهنّ» . ومثله بيت الصَّلَتان :

(١) المتان : جمع متن ، وهوما ارتفع من الأرض واستوى . (٢) فى الأصل : «أسهل» .
(٣) صدره : * مضمخا ينظر فى عطفه *

* ولكنّ خيراً من كُلَيبٍ مُجاشِعُ[(١)] *

وقول الفرزدق :

وإنّ حرامًا أن أسُبَّ مُقاعِسًا … بآبائِيَ الشُّمِّ الكِرامِ الخضارِمِ

الأُرجوان : معرب أَرْغَوان[(٢)]، وهو شجر له نَور أحمر من أحسن ما يكون، وكلُّ لونٍ يشبهه فهو أُرجوان . والذى يشهد لهذا بيت السقط :

* وقلّدهُ الرُّماةُ بأُرجُوانِ[(٣)] *

أى بدمٍ مثل الأرجوان . وهو أُفعُلان كأُقْحُوان . وجَرَيان الدم على لَبّاتهن كناية عن إقدامهنّ . وقوله : « كأنّ جونًا » البيت فى محل النصب على الحال، كأنه قال : يمضى بك فى الحرب الجيادُ مدمّاةً لبّاتهنّ، أى مُقْدِمة غير مولّية .

٤٠ ﴿ مُضَمَّرَةً كَأَنَّ الجِرْ مِنْهَا … إِذَا مَا آنَسَتْ فَزَعًا حِصَانُ ﴾

التبريزى : الجِرْ : الفرس الأنثى . إذا ما آنست فزعا، أى رأته . والحصان يوصف بالتشوّف، أى التطلّع ؛ لأنّ الحُصُن من الخيل أشدُّ تشوُّفًا من الإناث .

البطليوسى : الخبب : سير سريع . وأراد بالجَوْن هاهنا : الدم . والجون يكون الأسودَ، ويكون الأبيضَ، ويكون الأحمر، قال الراجز يصف شِقشقة جمل[(٤)] :

* فى جَوْنةٍ كقَفَدانِ العطّارْ[(٥)] *

يريد بالجونة[(٦)] شقشقته . واللبّات : جمع لَبّة، وهى الصدر . والأُرجوان : صبغ أحمر، ويسمى الثّوبُ المصبوغ به أيضا أُرجوانا ؛ قال علقَمةُ :

(١) فى الأصل : « مقاعس » . والبيت من قصيدة له عينية مشهورة، حكم فيها بين الفرزدق وجرير . انظر الخزانة (١ : ٣٠٦ بولاق) والأمالى (٢ : ١٤١) والشعراء ١٢٠ ومعاهد التنصيص (١ : ٢٨) . وصدره : * أرى الخطفى بذ الفرزدق شعره *

(٢) كذا ضبطها استينجاس فى معجمه ص ٣٨، وفسرها بأنها شجر ثمره وزهره ذو حمرة حسنة .

(٣) من القصيدة ٦٣ وعجزه : * وعاد شبابه رحضا غسيلا *

(٤) أ : « جمله » . (٥) القفدان (بالتحريك) : خريطة من أدم تتخذ للعطر، فارسى معرب .

(٦) فى الأصلين : « يريد بالقفدان » .

كُمَيْتٍ كلونِ الأُرجوانِ نشرتَه لِبيـعِ الرِّداءِ فى الصُّوانِ المكعَّبِ

والجِجْر : الأنثى من الخيـل . والحصان : الذكر من الخيل . والذكر أحدُّ نَفْسا ، وأكثر تشوُّفا من الأنثى؛ فلذلك شبَّه الحِجر به . ومعنى آنستْ : أحسَّت؛ والإيناس : الإحساس بالشىء ، ويكون بنظرٍ و بغير نظر ، وأصله فى النَّظر؛ قال الله تعالى : ﴿ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا ﴾ . ومعرفة الرشد لاتختصُّ بالنظر دون غيره . ٥

الخـوارزمى : الذَّكر من كلِّ حيوان أقوى من الأنثى؛ ولذلك قال الشافعى: «حملتُ عن محمد بن الحسن حِمل بَعيرٍ ذَكَرٍ كُتُبا» . عنى بالحصان الذَّكَرَ من الخيل . واشتقاقه من التحصين، إما لأنّه يحصِّن فارسه؛ ألا ترى إلى قوله (١) :

* أنَّ الحصونَ الخيلُ لامَـدَرُ القُرَى *

١٠ و إما لأنّه ضنّ بمـائه فلم ينْزُ إلّا على كريمةٍ ، فكأنّه حصَّن ماءه . يقول : إناث خيله ، غَناءً وكفايةً فى الحرب ، بمنزلة الذكور .

٤١ ﴿ بَنَاتِ الخَيْلِ تَعْرِفُهَا دَلُوكٌ وَصَارِخَةٌ وآلُسُ واللُّقَانُ ﴾

التـبريزى : دَلوك وصارخة وآلُسُ واللُّقان ، كلُّها مواضـع فى بلد الروم . وكانَ الذى خوطب بهذه القصيدة من ولد رجلٍ كان يغزو هذه المواضع . والهاء ١٥ فى «تعرفها» عائدة على الخيل . ولم تصل القصيدة إلى ممدوحه .

البطليـوسى : هذه كلها مواضع من بلاد الروم ، قـد ذكرها أبو الطيِّب . وأراد بنات الخيل العتاقِ ، فحذف الصِّفةَ حين عُلم ما أراد . والعرب تحذف الصِّفات إذا كان فى فَحْـوَى الكلام مايدلُّ عليها ، فيقولون إنّ فلانًا لرجل ، و إنه لإنسان؛

(١) هو الأسعر الجعفى من قصيدة فى الأصمعيات ص ٣ وصدره : ٢٠

* ولقد علمت على تجشمى الردى *

إنما يريدون: رجل كامل أو رجل مستحقٌّ لأن يسمَّى رجُلا. ولولا ذلك لم يكنْ في الكلام فائدةٌ يستفيدها المخاطَب. ومثله قوله صلى الله عليه وسلم: «لا صلاةَ لجارِ المسجدِ إلّا في المسجد». وقد تقدّم ذكر هذا[1]. والكوفيون يُجيزون في مثل هذا أن تكون «تعرفها» صلةً للخيل؛ لأنّهم يجيزون صلة الألف واللام الداخلتين على الأسماء الجامدة. وعلى ذلك تأوّلوا بيت الهُذَليّ[2]:

لَعَمْرِى لَأنتَ البيتُ أُكرِمُ أهلَه وأقعُـــدُ فى أفنـائهِ بالأصائِلِ

وقد تقدّم كلامُنا في ذلك.

الخـــوارزمى: دَاوك، بفتح الدال، وصارخة، بكسر الراء و بالخاء المعجمة، واللقان، بضم اللام: مواضع. وأما آلس بضم اللام فهو نهر[3]. قال أبو الطيّب[4]:

* وفى حَناجرها من آلُسٍ جُرَعُ *

يقول: تلك الخيل تعرف هــذه المواضعُ آباءَها وأُمّهاتِها؛ لأنّ آباء الممدوح كانوا يغزُون بها فى هذه المواضع.

٤٢ ﴿كَأَنَّ قَطَاةَ أَعْجَزِهَا قَطَاةٌ أُدِيفَ بِمَحْجِرَيْهَا الزَّعْفَرَانُ﴾

التـــبريزى: القطاة: موضع الرِّدْف. والقطاة الثانيــة: واحدة القطا من الطير. أى إنها سريعة كالقطاة. و يقال: دِيفَ المسكُ وأُديف، إذا خُلط بغيره. ودِيفَ أكثر من أُديف. والقطاة توصف بأنّ مَحْجِر عينيها كأنّ فيه زعفرانا.

البطليـــوسى: سيأتى.

(١) تقدم، أى بحسب الترتيب الأصيل للشرح، لا كما أثبتناه.

(٢) هو أبو ذؤيب كما فى الخزانة (٢: ٤٨٩)

(٣) فى معجم البلدان والقاموس أنه بكسر اللام.

(٤) صدره كما فى الديوان بشرح العكبرى (١: ٣٧٨):

* يذرى اللقان غبارا فى مناخرها *

الخوارزمى : القطاة : مقعد الرِّديف من الدابّة، والقطاة، من الطير أيضا. أعجز، أفعل تفضيل من عجز عن الشيء. وفى أمثالهم : «أَشْأَى من فَرَس» و «أشدّ من فرس» من الشدّ وهو العَدْو. وفيها أيضا : «أسبَق من قطاة». القطاة مما يُضرب به المثلُ فى السرعة؛ وفى عراقيات الأبيوردىّ :

٥ فقلت لصحبي والمطىُّ كأنّها قطًا بجَنوب القاع من بَدٍ قَفْر

وفى الحقارة؛ ومنه الحديث : «ثم جاءت بحَيْسةٍ مثل القطاة»[1]. يصف الخيل بشدّة العدو وسرعة الحركة وغاية الهزال فيقول : كأن أرداف أبطأ هذه الخيل وأعجزها عن السير[2] فى سرعة الحركة وفرط الهزال قطاةٌ. فإن قلت : لِمَ وصف القطاةَ بصفرة المحجرين مع استغنائها عن ذلك؛ لأن القطاة مصفرّة[3] المحجرين؛ ألا ترى إلى

١٠ ما أنشده الجاحظ فى وصف قطاة :

* وشِدْقٌ بمثل الزّعفرانِ مُخَلَّقُ[4] *

قلت : هذه قرينة تدل على أن المراد بها القطاة من الطير لا مقعد الرديف؛ إذ لفظة القطاة بين هذين المعنيين مشترك فيهما. ونظير هذه الصفة بيت الدِّرْعيّات :

* نخُدُّ آسَ نارٍ لا يُساف فَداوِه[5] *

١٥ ٤٣ ﴿كأنّ جَناحَها قلبُ المُعادى ولِيِّكَ كُلّما اعتكرَ الجَنانُ﴾

التبريزى : الهاء فى "جناحها" عائدة على القطاة. أى أبطأُ هذه الخيل يُسرع كإسراع جناح القطاة. أى كأنّ قلب الذى عادى وليَّك لشدّة خوفه جناحُ قطاة

(١) الحيسة : واحدة الحيس، وهو الأقط يخلط بالتمر والسمن.

(٢) فى الأصل : «من». (٣) فى الأصل : «أصفرة».

٢٠ (٤) البيت من أبيات أنشدها الجاحظ فى الحيوان (٥ : ٥٨٤) وصدره :

* له محجرنا بوعين مريضة *

(٥) آس النار : الرماد. لا يساف، من السوف وهو الشم.

لا يستقرُّ فى حال الطَّيران . والجنان، هاهنا : الليل . يقال : اعتكر الشىء على الشىء، إذا انعطف بعضه على بعض . اعتكر الليل، مأخوذ من ذلك . وقيل لِلَّيل الجنان، وأصله المصدر، من قولهم جَنَّ علينا اللَّيلُ جَنانا وجُنونا . قال الشاعر [1] :

ولولا جَنـانُ اللَّيــل أدرَكَ ركضُنا بذى الرِّمْث والأَرْطَى عِياضَ بن ناشِب [2]

ويروى : «جنون الليل» . أى لولا دخول الليل لأدركناه .

البطليوسى : الهاء فى «أعجزِها» تعود على الخيل، وفى «محجريها» و«جناحها» تعود على القطاة . والقطاة الأولى : الكَفَل . يقول : أعجزُ هذه الخيل وأبطؤها يخيَّل إليك أنّ قطاته قطاةٌ نظرًا لسرعته . فإذا كانت هذه حالَ أعجزِها وأبطئها فما ظنُّك بأنشطها وأسرعها ! ومعنى أديف : لُطِخ وطُلِى . والمحجر : ما تحت العين . وإنما ذكَر الزّعفران لأنّ القطاة توصف باصفرار العينين . ولذلك قال الشاعر :

* صفر قوادمُها صفر مآقيها [3] *

وإنما خصَّ التى اصفرّت محاجرها لأنّ القطاة لا يبدو اصفرارُ محاجِرها ويستحكم، إلّا مِن عند كبرها وقوّتها على الطيران . ومعنى اعتكر : تردّد بعضُه على بعض . والجنان والجنون : ظلمة الليل . وقال دُرَيْد بن الصِّمَّة :

ولـولا جنـانُ اللَّيــل أدرك ركْضُنا بذى الرِّمث والأرطَى عياضَ بنَ ناشِب

ويروى : «ولولا جنون الليل» . وخصَّ الليل بالذكر . لأنّ همّ المحزون يتضاعف عليــه فيه ؛ لانفراده وكثرة فكره، ولأنّه ربما رأى فى نومه ما يسوءُه لِمـا يحدِّث به نفسَه ؛ كما قال أشجع السُّلَمى [4] :

---

(١) هــو دريد بن الصمة ، كما سيــذكره البطليوسى . وهــذا البيت من قصيدة له فى الأصمعيات ص ١١ — ١٢ .

(٢) فى الأصل : «نابت» تحريف . والقصيدة بائية مطلعها :

أيارا كبا إما عرضت فبلــغن أبا غالب أن قد ثأرنا بغالب

(٣) انظر رواية البيت والكلام على قائله ، الحيوان (٥ : ٥٧٩) والأغانى (٧ : ١٥١، ١٥٤) .

(٤) يقولها للرشيد . انظر الأغانى (١٧ : ٣١) .

وعلى عـدوّك يا بنَ عمِّ محمـدٍ رَصَدانِ ضَوءُ الصبحِ والإظلامُ
فإذا تنبـه رُعْتَه وإذا غَـفَا سَلَّتْ عليـه سُيوفَكَ الأحلامُ

وقوله : «كأن جناحها قلب المعادى» . إنّما جرت العادة أن يشبّه خفقان القلب بخفقان جناح الطائر، كما قال[1] :

كأنّ قطـاةً عُلِّقتْ بجَناحهـا على كَبِدِى من شِدّةِ الخَفَقان

فعكس أبو العلاء التشبيهَ مبالغةً فى المعنى، كما قال ذو الرمة :

ورَمْلٍ كأوْراكِ العَـذَارَى[2] قطعته وقد جَلَّلَته المظلمـاتُ الحنادسُ

وقد تقدّم كلامنا فى هذا المعنى .

الخـوارزمى : أعمل اسم الفاعل وهو معادٍ، فى "ولّيك" لاعتمادها على اللام بمعنى الذى . ويشهد له بيت السقط :

عليها اللّابسون لكلِّ هَيْجٍ بُروداً غُمْضُ لابِسِها سُهادُ

وبيت الحماسة :

* لاقُوتَى قوّة الرّاعى قـلائصَهُ[3] *

وفى أمثلة النحويين : "الضارب أباه زيد". ألا ترى أن قوله "برودا" منصوب بقوله "لابسون"، وهو صفة لم تعتمد إلا على اللام بمعنى الذى ! وكذلك قوله «قلائصه» منتصب بقوله "الراعى"، ثم لم تعتمد هذه الصفة إلّا على اللام بمعنى الذى . وكذلك قولهم «أباه» فقد انتصب بضارب مع أنّه غير معتمدٍ إلا على اللام بمعنى الذى . وهذه المسألةُ إحدى المسائل التى فيها قد استدرَكْتُ على النحويّين . شبّه جناح

(١) هو عروة بن حزام من قصيدة له فى الأمالى (٣ : ١٥٨ — ١٦٢) .
(٢) أ : « الجوارى » .
(٣) البيت لوضاح اليمن كما فى الحيوان (١ : ٢٦٥) وهو بدون نسبة فى الحماسة (٢ : ١٦١) وهذا صدر، وعجزه : * يأوى فيأوى إليه الكلب والربع *

القطاة فى سرعة الاضطراب بالقلب الخافق، كما شُبِّه القلبُ فى الخفقان بجناح القطاة، وذلك فى بيتى الحماسة[١] :

كأنَّ القلبَ ليلةَ قيل يُغْدَى   بليـلَى العـامريَّةِ أو يُراحُ

قطـاةٌ عزَّها شَرَكٌ فبـاتتْ   تُجـاذِبُه وقد عَلِقَ الجنـاحُ

اعتكر الليل، إذا كثف ظلامه وكرَّ بعضُه على بعض . وأصل تركيبه فى "يا ساهر البرق"[٢] . جنان الليل : ظلمته . وأصل تركيبه فى الخطبة[٣] . ٥

٤٤ ﴿مُعيـدٌ مُبْدِئٌ فالأُمُّ مِمَّـا   فَعَلْتَ البِكْرُ وابْنَتُها العَوانُ﴾

التبريزى : المعيـد : الذى يعيـد الفعل . والمبـدئ : الذى يبـدؤه . وحَقُّ الذى يفعل الفعلةَ الأولى، وهـو البادئ بها، أن يكون فعـله بكرا، وفعله إذا عاد عَوانًا . وهذا الممدوح ضدّ لذلك ؛ لأنه إذا وهب هبـةً فهى بكر، وكأنها أُمٌّ للثّانية، والتى يعيد من بعدُ هى كالابنة للأولى . والأمُّ أحقُّ أن توصف بالعوان من البنت . العَوان : التى ولدت بطنين أو ثلاثة . ١٠

البطليوسى : المعيد : الذى يعيد الفعل . والمبدئ : الذى يبدأ به ؛ يقال بدأ وأبدأ بمعنى . والبكر من النساء : الصغيرة التى لم يكن لها زوج، ويلزمها هذا الاسم ما لم تستبدل بزوجها الأوّل زوجًا آخر، فإذا كان لها زوجٌ بعد زوج تقدّمَهُ قيل لها عَوان . فولّد أبو العلاء من ذلك معنًى طريفًا لا أحفظه لغيره، فقال للممدوح : إنّمـا جرتِ العادةُ بأن تسمّى الفَعلةُ الأولى ممّن فَعلها بكرا، وفَعلته الثانيـةَ عَوانا، وأفعالُك مضادّة لذلك ؛ لأن البكر من أفعالك كالعَوان، والعوان كالبكر ؛ لأنك إذا ١٥

(١) البيتان من أبيات منسوبة لنصيب فى الحماسة ٥٧٧ بن . لكنها تتعلق بنسبتها الى مجنون ليلى . وبهذه النسبة الصحيحة وردت فى الأغانى (١ : ١٧٨) . ٢٠

(٢) انظر ما مضى ص ١٤١ .   (٣) انظر ما سبق ص ١٩ .

أنعمتَ على سائلك بنعمةٍ أحببت أن تربّها[١] عنده، فشفعتَها بنعم أخرى تُتبعها إيّاها، فكانت النعمةُ الأولى التى أوليتَـه إيّاها كالأمِّ للنِّعم التى تبعتها[٢]، لأنّها أصل لهـا، وكانت النِّعم الثّوانى كالبنات لأنها انبعثت عن الأولى، كانبعاث البنت من الأمّ، والبنتُ أولَى بأن توصَف بأنّها بكر من أمّها، فتصير النّعمة الأولى عواناً من حيث وُصِفتْ بأنّها أمٌّ لمـا تولّد عنها وإن كانت بكرًا من جهة ابتدائك بها، وتصير النعمة الثانيـة بكرا من حيث وُصفت بأنّها بنتُ الأولى وإن كانت عَوَاناً من جهة تكرُّرها.

ومحصول هذا الإلغاز أنّه وصف الممدوح بأنه يَرُبُّ نِعَمَه[٣] عند قاصديه، ويرى أنه إن لم يَصِلْ إحسانَه أفسد ما تقدّم من أياديه؛ فإذا أنعم على سائل نعمةً كانت سببًا أن يواليَها لديه، ويَصِلَه متى قصد إليه. وهذا فعل أهلِ الهمم العالية، والرتب السامية.

وهو معنى كثيرٌ فى الشعر؛ فمنه قول أبى تمّـام:

إن ابتداء العُرف مجـدٌ سابقٌ[٤] ... والمجـدُ كلُّ المجد فى استتمامِـه

قال أبو الطيِّب[٥]:

ولَلـتَّركُ للإحسانِ خـيرٌ لمحسنٍ ... إذا جعـلَ الإحسانَ غيرَ ربيبِ

الخـــوارزمى: [هو من قولهم: «كانت ضربات علىَّ أبكارا»][٦]. جعل فعله الأوّل أُمًّا، لأنّه كالأصل للثانى، وبكرًا لأنه أوّل. ومنه: ما هذا الأمر منك ببكر. وجعل فعله الثانى بنتًا، لأنّه كالمتفرّع من الأوّل، وعوانًا، لأنه قد فُعل غيرَ مَرّة.

وفى البيت إغراب ظاهر.

---

(١) ربّ النعمة: زادها ونماها. أ «برها» صوابها فى ب والتيمورية.

(٢) أ: «للنعمة التى تتبعها». (٣) أ: «رب نعمة».

(٤) فى الديوان ١٥٦: «باسق». (٥) انظر الديوان (١: ٣٦) بشرح العكبرى.

(٦) وردت هذه العبارة فى غير موضعها عند شرح البيت رقم ٣٧ فسقناها إلى موضعها هنا.

٤٥ (وكائنْ قَدْ وَرَدْتَ بهَا غَديرًا وللْمُهَجات بالرِّيِّ ارتِهَانُ)

التبريزى : بها، يعنى بالخيل. أى الرِّىّ أمر عظيم لا يُقْدَر عليه فتُرتَهَنُ به النُّفوس. وكائنْ، معناه: كَمْ، وهو مقلوب من كَأَىٍّ، كأنَّهم قدَّموا على الهمزة الياء فصارت كَيِّأن [ثم خفَّفوا الياء فصارت كَيْأَن(١)]، فقلبوا الياء ألفا للحركة التى قبلها، فصارت ألفا، والياء تقلب ألفا إذا تحرّكت وانفتح ما قبلها، وفى هذا الموضع لم تُراعَ حركتها فى نفسها، إنما قلبوها للفتحة التى قبلها، كما قلبوا الياء ألفًا فى قوله تعالى: ﴿ إنَّ هٰذَينِ لَساحِرَانِ ﴾ فى قراءةِ من [قرأ]: ﴿ إنَّ هٰذَانِ لَساحِرَانِ ﴾ على ما ذكره لى أبو سعيد بن سُهَيل النَّحوى، فى بعض الوجوه التى ذُكِرت فى هذه الآية.

البطليوسى: سيأتى.

الخوارزمى: يقول: كم أرويت خيلَك وقد عَزَّ الماء، حتَّى قُتِلتْ به النفوسُ وهى ظِماء. ومثله بيت السقط:

وكم أوردتَها عِدًّا قديمًّا يلوحُ عليه من خَزٍّ خِمَارُ
تَطاعَن حولَه الفُرسان حتَّى كأنّ الماء من دمهم عُقارُ

٤٦ (بِهِ غَرْقَى النُّجُومِ فَبيْنَ طَافٍ ورَاسٍ يَسْتَسِرُّ ويُسْتَبَانُ)

التبريزى: معناه أنّه يورد الخيلَ منهلًا يُرَى فيه النجوم، فبعضها طافٍ عليه، وبعضها رَاسٍ فيه، فكأنها غَرْقَى. ورسا الشيءُ بمعنى رسب، سواء. وطفا يطفو، ضدّه.

البطليوسى: الهاء فى قوله «بها» تعود على الخيل. وصف أنّه يسرى إلى أعدائه فَيرِدُ بخيله الغُدرانَ والنُّجومُ قد أشرفتْ عليها بأشخاصها، تُرَى فيها؛ كما قال العجّاج:

(١) التكملة من تعليقة مقتبسة من شرح التبريزى مثبتة فى الديوان المخطوط.

بَاتَتْ تَعُدُّ الكَوكَبَ السَّيَّارَا فَرِيدَةً فى المَاءِ أوْ مِسمَارَا

وقد كرّر هذا المعنى فى مواضعَ من شعره[(١)]، كقوله :

فمدّتْ إلى مثل السَّماء رءوسَها وعَبَّتْ قليلًا بين نَسْرٍ وفَرقَدِ

الخوارزمى : الضمير فى «به» للغدير. غرق النجوم، هى النجوم الغرقى .

٥ عنى بالراسى الراسب؛ ولذلك جعله فى مقابلة الطّافى. وهذا من إطلاق اسم المسبّب على السبب، لأن الرسوّ من مسبّبات الرسوب. وفى المثل: «أرسَى من رَصاصة» . وعلى عكس ذلك قولهم : «جبلٌ راسب»[(٢)] ذكره جار الله فى أساس البلاغة. يقول : ماء ذلك الغدير يناغى الكواكبَ ويناجى النجوم، فما كان من الكواكب كثيرَ الضوء يُرَى فيه كالطّافى، وما كان قليلَه يُرَى كالرّاسب .

١٠ ٤٧ ﴿ أَجَدَّ به غَوَانِى الجِنِّ لِعْبًا فَأعْجَلَهَا الصَّبَاحُ وفيه جَانُ ﴾

التبريزى : ادّعى لهذا الماء أنّ غوانىَ الجنّ لعبت فيه، فكأنّها نَسِيتْ جَانًا؛ وهو ضربٌ من الحَلْى، وليس بعربىٍّ الأصل . أى جاء الصباح فهربتْ غوانى الجنّ ونسيت فيه جانًا. قالوا : الجانة : القلادة، وقيل السوار . ولَأن يكونَ المرادُ به هاهنا السّوارَ أمْثَل؛ لما ذكره فى البيت الذى بعده، وهو :

١٥ البطليوسى : سيأتى.

الخوارزمى : جدّ فى الأمر وأجدّ بمعنى. « لعبًا » منصوب على التميز . قال التبريزى : «الجانُ: القلادة، وقيل هو السوار؛ وهو غيرعربى» . يصف الغدير وما فيه من صورة الهلال فيقول : باتت جوارى الجنّ يلعبن فى ذلك الوِرْد ، إلى أن

(١) ب والتيمورية : « ذكر » .

٢٠ (٢) فسره الزمخشرى بقوله : « ثابت فى الأرض راسخ » .

سُلَّ مُنْصُلُ الصُّبح من الغمْد وهنّ فى أشغالهنّ، لم يخطر طلوعُه ببالهنّ، فلمّا أخذته أبصارُهنّ فررْنَ، على ما هى عادتهنّ، للاختفاء، وقد نسِينَ قلادةً فى المـاء . شبّه الهلالَ بحسنه وغَرابته بقلادة فتاةٍ من الجنّ ، ثمّ بسنانِ قناة ، وذلك فى قوله :

كأنّ اللّيلَ حَارَبَهَا ففيه هلالٌ مثلما انعطفَ السِّنانُ

وهذا من قول القاضى التنوخىّ :

كأنّ الهلالَ للسماءِ قلادةٌ من الدُّرّ أو مِذْرَى لجَيْنٍ تأوَّدَا

٤٨ ﴿ فَصِيمٌ نِصْفُهُ فِى المَـاءِ بادٍ وَنِصْفٌ فى السَّماءِ بِهِ تُزَانُ ﴾

التـبريزى : الفصيم : المشـقوق . والفَصْم : الشقُّ ، والقَصْم : الكسر[1] . والمراد : الجانُ الذى أُعجِلَتْ غوانى الجنِّ عنـه . يعنى أنَّ الهلال فى السماء، كأنّه نِصْفُ الجانِ ونصفُه الآخرُ فى المـاء .

البطليـوسى : الغوانى من النساء : الشوابّ اللواتى غَنِين بجمالهنّ عن الزينة، وقيل : هنّ اللواتى غَنِين بأزواجهنّ عن غيرهم . والجانُ : ضربٌ من الحلى شبيهٌ بالمِخْنَقة[2] . والفصيم : المكسور، بالفاء والقاف، وفرّق بينهما بعض اللغويين فقال : الفصيم بالفاء : الذى انكسر ولم يَبِنْ بعضُه من بعض ، والقصيم بالقاف : الذى بان بعضُه عن بعض . وإنّما أراد أنَّ الهلال أشرقَ على الغدير فهو يُرَى فيه . فولّد من ذلك معنى مستظرفا[3] فقال : كأنّ نساء الجنّ لعبن بهذا الغـدير، ففاجأها الصباحُ ففرّت وتركت فيـه جانًا مكسورا ، نصفُه يبدو فى السماء ونصفُه يبدو فى الغدير . وقد شبّه الشعراء الهلالَ بنصف سوار، قال تميم بن المعزّ :

---

(١) فى الأصل : « الفصيم فى المـاء المشقوق فالفصم الشق والقصم بالكسر » .

(٢) المخنقة ، بكسر الميم : القلادة . (٣) ب : « معنى مستظرف » .

وانجلى الغيمُ عن هلالٍ تَبَدَّى   فى يدِ الأُفْقِ مثلَ نِصْفِ سِوارِ

الخوارزمى : سوار ودُمْلُج مفصوم، وهو كسرٌ من غير بينونة . يقال : فُصِم وما قُصِم . ولو رُوى بالقاف لكان له وجه .

٤٩ ﴿كَأَنَّ اللَّيلَ حَارَبَهَا فَفِيهِ   هِلَالٌ مِثْلُ مَا انعَطَفَ السِّنَانُ﴾

التبريزى : يقول : إنّ هذه الخيل لجلالتها وعِظم قائديها كأنّها تُحارب الليل، فكأنّ هلالَه سِنانٌ قد انعطف لمطاعتِه إيّاها .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : هذا البيت قد مضى .

٥٠ ﴿وَمِنْ أُمِّ النُّجُومِ عَلَيْهِ دِرْعٌ   يُحَاذِرُ أَنْ يُمَزِّقَهَا الطِّعَانُ﴾ (١)

التبريزى : أمُّ النجوم : المجرّة، وكلُّ شيءٍ جمعَ شيئًا فهو له أُمّ . قال الشاعر (٢) :

يَرَى الوَحْشَةَ الأُنْسَ الأَنِيسَ ويهتدى   بحيثُ اهتَدَتْ أُمُّ النُّجومِ الشَّوابِكِ

والدرع يشبَّه بالسماء ونجومها . قال الثقفى (٣) :

عليهم دُروعٌ من تُراثِ مُحَرِّقٍ   كلون السَّماء زيَّنتها نجومُها

البطليوسى : يقول : كأنّ الليل خشِى خيلَ هذا الممدوح وظنَّ أنها تريد محاربتَه ، فلبس درعًا من النُّجوم ، وأشرَعَ سنانًا من الهلال . والعرب تسمّى

---

(١) رواية الخوارزمى : «تحاذر» وهذه تطابق ما سيأتى فى شرحه . وفى نسخ البطليوسى : «تحاذر» أيضا ، ولكن الشرح لا يساير هذه الرواية .

(٢) هو تأبط شرا ، كما سيذكره البطليوسى . والبيت من أبيات فى الحماسة ٤٣ بن .

(٣) فى الأصل : «المتنى» ولم نجد البيت فى ديوان المتنبى برواية العكبرى . وسيأتى فى شرح البطليوسى : «بعض شعراء ثقيف» .

المَجَرَّةَ أمَّ النجوم لكثرة النجوم المجتمعة فيها . وأُمُّ كلِّ شيء : أصله الذى يضمّه . وحكى يعقوبُ أنّ الثريّا يقال لها أُمّ النجوم، قال تأبّطَ شرّا :

يرى الوَحشةَ الأُنسَ الأَنيسَ ويَهتدى   بحيثُ اهتَدَتْ أُمّ النجومِ الشّوابِكِ

والدُّروع تشبَّه بالنجوم والسماء، قال بعض شعراء ثقيف :

عليهم دروعٌ من ثيابِ محرِّقٍ   كلَونِ السَّماء زيَّنَتْها نجومُها   ٥

الخوارزمى : « ومن أُم النجوم عليه درع » أُمُّ النجوم وأُمُّ السماء : كنية المجرة؛ لأنّه ليس فى السماء بقعة أكثر كوكبًا منها . وجاء فى الأثر أنها «شَرَج السماء» كأنّها مجمع السماء . شبّه المجرة بالدِّرع، لما بينهما من المشابهة. ألا ترى أنّ الدرع تشبّه بالنهر، والمجرة تشبَّه به أيضا . ولذلك قال القاضى التّنوخىّ :

وكأنما شَرَجُ[1] المجرّةِ بينها   ماءٌ تسرّب فى نباتٍ أخضرِ   ١٠

وعلى اعتبار تشبيه المجرة بالنّهر سمَّوا الكوكبين بالنعام الوارد والنعام الصادر . وعلى عكس التشبيه المتقدِّم شبّه النهر بالمجرة؛ قال النامى[2] :

وكأنّما الروضُ السماءُ، ونهرُه   فيه المجرّةُ، والكئوسُ الأنجمُ

ولأنّ المجرة نجومٌ مشتبكة، فالدِّرع تشبّه بها ، أى بالنجوم المشتبكة . وعليه بيت السقط فى صفة دِرْع :   ١٥

مِنْ أنجمِ الدَّرعاء أو نابت الـ   ـفَقْعاء، بل من زَرَدٍ مُحْكَمِ

(١) فى الأصل « شرك » والوجه ما أثبتنا ليطابق الاستشهاد له قبله . وانظر اللسان (٦ س ١٩٩ : ٥) .

(٢) هو أبو العباس أحمد بن محمد النامى ، كان من خواص شعراء سيف الدولة ، وكان تلو المتنبى فى المنزلة . انظر يتيمة الدهر (١ : ١٩٠) .   ٢٠

وعلى عكس هذا التشبيه شبه أبو العلاء هاهنا الكواكب بالدرع . «تحاذر أن يمزقها الطعان» ، عنى بذلك انتقال المجرة فى آخر كلِّ ليلٍ عن موضعها . وأوله [ما] قال ذو الرُّمَّــة [1] :

وَشُعْثٍ [2] يشُجُّون الفلَا فى رءوسه   إذا حوَّلتْ أُمُّ النُّجومِ الشوابِك

٥ ولعل أبا العلاء يشير إلى مذهب الفلاسفة، وهو أنّ الأفلاك وما فيها لا تقبل الخرق. فيقول: درع الليل، وإن كانت مستحيلة الخَرْق، تخاف طعنَ الممدوح بأسنّتِه الزُّرق. يعنى أنّ الممدوح يكاد يمزِّق ما يستحيل أن يتمزَّق .

٥١ ﴿وَقَدْ بَسَطَتْ إِلَى الغَرْبِ الثُّرَيَّا   يَدًا غَلِقَتْ بِأَنْمُلِهَا الرِّهَانُ﴾

التبريزى : معناه أنَّ الثُّريّا لها كفّان: الكفّ الخضيب والكف الجذماء،

١٠ أى المقطوعة . يقال جَذَمت الشىء، إذا قطعتَه . يقول : كأنّها سرقت شيئاً فقطَعها هذا الممدوح فصارت جَذْماء . والبيت الذى بَعده يوضِّح هذا المعنى، وهو :

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : للثريّا كَفّان ، إحداهما الجذماء ، وهى كواكب أسفل من الشَّرَطين متفرّقة تتصل بالثريا، والثانية الخضيب، وتسمى أيضا المبسوطة، وهى

١٥ خمسة كواكب بِيض فى المجرّة حِيالَ الحوت . الرِّهان : جمع رَهْن ، كرِعان جمع رَعْن . غلِق الرهن فى يد المرتهن ، إذا لم يقدر على افتكاكه . عنى بـ « يدا غلقت بأنملها الرهان » الكفَّ الجذماء . ولقد أغرب حيث جعل الجذماء مبسوطة .

---

(١) أى أول من طرق هذا المعنى .

(٢) فى الأصل : «يشعث» وصوابه من الديوان ص ٤٢٢ واللسان (حول) .

٥٢ ﴿كَأَنَّ يدًا لها سَرَقتْكَ شَيْئًا ۝ ومَقْطوعٌ عَلَى السَّرَقِ البَنَانُ﴾ (١)

التبريزى : يقال سَرَقٌ وسَرِقٌ . والبَنَان: واحدتها بنانة . ويقال : سرقت من زيد شيئًا، وسرقت زيدًا شيئا .

البطليوسى : يقال غلِق الرهن يَغْلَق، إذا لم يقدر على فَكاكه من المرتهن . ويقال قُطعت يدُه على السَّرَق والسَّرِق، بفتح الراء وكسرها . ومعنى هذا أنّ الثريّا لها كفّان ، يقال لإحداهما الجذماء والثانية الخضيب . وإنّما قيل لها جذماء لأنّها بعيدةٌ عن الثريا أسفَلَ من الشَّرطين ، فشُبِّهت باليد الجذماء، وهى المقطوعة ، فصيَّرها كالرهن الذى غَلِق فلا يُرجَى ارتجاعُه ، وجَعَلها كأنّها سرقت شيئًا لهذا الممدوح فأمَر بقطعها .

الخوارزمى : سرق منه مالاً ، وسرقه مالاً . والسَّرَق، بفتح الراء، لغة فى السَّرِق، بالكسر .

٥٣ ﴿إذا ضُرِبَتْ خِيامُكَ فِى مَكانٍ ۝ فَذلِكَ حَيْثُ يُلْتَقَطُ الجُمَانُ﴾

التبريزى : الجمان: جمع جُمانة، وهى خَرَزة تُعمَل من فِضّة شبه الدّرّة .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

٥٤ ﴿وتَدَّخِرُ الكَواعِبُ مِنْ حَصَاهُ ۝ وحُقَّ لَهُ ادِّخَارٌ واخْتِزَانُ﴾ (٢)

التبريزى : يقال: ذخرت الشىء أذخره وادّخرته بمعنًى؛ وأصل «اذّخرته» افتعلته، فقلبت تاء افتعلت دالًا لوقوعها بعد الذّال ، ثمّ قلبوا الذال دالًا، فأدغموا الدّال فى الدّال، فقالوا ادّخرت .

(١) البطليوسى والتنوير : «كأن يمينا» . (٢) فى التنوير : «وحق لها» .

البطليوسى : الجُمان : الدرّ . والجمان أيضا : حب يُعمل من فضّة كالدرّ . وهذا كقول أبى الطيّب :

بلادٌ إذا زارَ الحِسانَ بغيرِها حَصَى تُربِها ثَقَّبنَه للمَخانِقِ[1]

الخوارزمى : يقول : متى ضربتَ الخيام بمكانٍ شَرُف حتى لُقِط حصاه لَقْطَ الجمان . والبيت الثانى يقرّر هذا المعنى .

٥٥ (كِلَا كَفَّيْكَ فى سِلْمٍ وحرْبٍ يكُونُ الخوْفُ مِنْها والأَمَانُ)

٥٦ (فَلَيْسَ بِشاغِلِ اليُمْنَى حُسَامٌ وَلَيْسَ بِشاغِلِ اليُسْرَى عِنَانُ)

التبريزى : أى هذا الممدوح لا يشغل يده اليمنى الحسام دون غيره ، ويسراه لا يشغلها العنان عن الضرب والطعن . ونحو هذا قول الأوّل[2] :

الرُّمحُ لا أملأُ كفِّى به واللِّبْدُ لا أتْبَعُ تَزْوالَهُ

البطليوسى : هذا نحو قول الآخر :

الرمح لا أملأ كفّى به واللبد لا أتبع تزوالَهُ

قال أصحاب المعانى : يقول لا أُقاتل بالرمح وحده فأشغلَ كفّى به عن غيره ، ولكن أطعن بالرمح ، وأضرب بالسيف ، وأرمى بالقوس ، فأتصرّف فى جميع ما يتصرّف فيه الفُرسان .

الخوارزمى : يقول : يمناك لا تُقْصَر من استعمال السِّلاح ، على الضَّرب بالصِّفاح ؛ كما أنّ يسراك لا تُقْصَر من جملة ما زانها ، بأن تقبِض بأناملها عِنانَها . ونحوه بيت الحماسة :

* الرُّمح لا أملأُ كفِّى به *

(١) أى إذا حمل حصى تربها إلى بلاد أخرى حسبه حسانها جوهرا . وقبله ، كما فى الديوان (١ : ٤٣٦) بشرح العكبرى :

وليلا توسدنا الثوية تحته كأن ثراها عنبر فى المرافق

(٢) هو ابن زيابة التيمى ، كما فى الحماسة . والقصيدة مطلقة بوصل وخروج ، كما نص التبريزى .

٥٧ (فَكُنْ فِى كُلِّ نائِبَــةٍ جَرِيئًــا تُصِبْ فى الرَّأى إنْ خَطِئَ الهِدَانُ)[1]

التـــبريزى : الهِدان، نعت مذموم، يعبَّر عنه بعبارات مختلفة، فيقول قوم: هو الذى لا يبكِّر فى حاجته ، و ربَّمــا قيل هو الضّعيف الجبان ، و ربّمــا قيل هو الأحمق الذى لا يهتدى لشىء . و إنّمــا أُخذ من الهُدون، وهو السُّكون، يقال : هَدنت المرأةُ ولدها، إذا ضربَتْه ضربًا خفيفا لينام[2]. و يقال: هَدنت الرّجلَ بالقول، أى لطّفته له ليسكن غضبُه، قال الشاعر :

* ولا رَوْض الهِدَانِ *

ومنه اشتقاق الهُدْنة . وتهادن القوم ، إذا تسالَمُوا وتركوا الحرب .

البطليـــوسى : سيأتى .

الخـــوارزمى : سيأتى .

٥٨ (وَسَائِلْ مَنْ تَنَطَّسَ فِى التَّوَقِّى لِأيَّةِ عِــلَّةٍ مَاتَ الجَبَانُ)

التـــبريزى : التنطس : المبالغة فى الأمور، ومنه قيل للطبيب نِطاسىّ. ورجل نِطِّيس، أى مبالغ فى الأمور . قال الراجز[3]:

وقد أُكون مَرّةً نِطِّيسَا طَبًّا بأدْواءِ الصِّبَا نِقْرِيسا

والمراد أن الجبان لا ينفعه توقِّيه .

البطليـــوسى : فــرق بعض اللغويِّين بين خطِئ وأخطأ ، فقال : يقال خطِئ يَخْطَأ، إذا تعمّد الذنب، وأخطأ يُخْطِئ، إذا لم يتعمّد . وقال غيره : يجوز أن يقال خطِئ بمعنى أخطأ ؛ وهذا هو الصحيح، ويدلّ عليه قول العرب : « مع الخواطئ

(١) أ من البطليوسى : «وكن» . وفى التبريزى والخوارزمى : « جريا » بالتسهيل .

(٢) الفعل يقال فى هذا المعنى وتاليه بالتخفيف والتشديد .

(٣) هو رؤبة بن العجاج كما فى الديوان ص ٧٠ واللسان (نطس) .

سهمٌ صائب» . يضرب مثلا لمن يُصيب فى بعض الأوقاتِ والغالبُ عليه الخطأ .
ويدلُّ عليه أيضا قولُ امرئ القيس[1] :

* يا لَهْفَ هندٍ إذ خَطِئْن كَاهِلَا *

والهِـدان : الجبان الضعيف . والتنطُّس : كثرة الحذْق فى الأمور . والتوقِّى : التحفُّظ . يقول : لو كان الإقدام على المهالك عِلّةً لهـلاك الشّجاع ، والجبنُ علّةَ حياة الجبان ، لم يجب أن يموت الجبان لكثرة توقِّيه ، وامتناعِه من التعرُّض لمـا يُرْدِيه ؛ ولكنّها آجال مضروبة ، وآماد محسوبة ، لا ينقُص منهـا الإقدامُ ، ولا يزيد فيها الإحجـام .

الخـــوارزمى : سيأتى .

٥٩ ﴿فإنّ تعاوُنَ الأَمْلاكِ جَهْلٌ عَلَى مَلِكٍ بِخَالِقِـهِ يُعَـانُ﴾

التـــبريزى : يقول : تَعاوُن الملوكِ على هذا الممدوح جهلٌ ؛ إذْ كانت استعانته بالله تعـالى .

البطليـــوسى : ... ...

الخـــوارزمى : الهِدان ، هو الأحمق الثّقيل . وهو من هدن إذا سكَن ؛ لأن الأحمق لايهتدى لشىء ، فكأنّه يسكن عنه . تنطّس فى كلِّ شىء ، إذا أدقّ فيه النظر ؛ ومنه النِّطاسى ، وهو العالم بالطِّبّ . قوله : «فإنّ تعاوُن الأملاكِ جهل» ، تعليلٌ لقوله : «فكن فى كلِّ نائبة جرِيًّا» .

٦٠ ﴿يُعَـبِّرُ سـيفُهُ لَفْظَ المَنَـايَا كَمَا شَرَحَ الكَلَامَ التَّرْجُمَانُ﴾

التـــبريزى : جعل صوت وَقْع سيفه إذا ضرب به ، عبارةً عن لفظ المنايا ، كما قال فيما تقدّم ، من قوله فى وصف السَّيف :

---

(١) من أرجوزة لامرئ القيس فى ديوانه ص ١٤١ قالها حين بلغه أن بنى أسد قتلوا أباه .

* يقولُ غرائبَ الموت ارتجالا[1] *

ويقال تُرْجمان وتَرْجمان، بضم التاء وفتحها، والضمُّ أكثر. كأنَّ السَّيف ترجم عن لفظ المنايا بوقْعه فى الأعداء[2].

البطليوسى: جعل أصواتَ سيوفه فى رءوس أعدائه كأنّها كلامٌ يتكلّم به معبِّرٌ عن المنايا، كما يعبِّر التَّرجمانُ لفظَ من يُترجِم عنه. ويقال تُرجمان بضم التاء، وتَرجمان بفتحها. وكأنَّ الذى نبَّه على هذا قولُ أبى الطيِّب:

ويفهم صوتَ المشرفيّةِ فيهمُ[3] على أنَّ أصواتَ السُّيوفِ أعاجِمُ

وقوله:

وَلِّى صوارمَه إكذابَ قولهمُ[4] فهنَّ ألسنةٌ أفواهُها القِمَمُ

نَوَاطقٌ مُخبِراتٌ فى جماجمهم عنه بما جهلوا منه وما علموا

الخوارزمى: يقول: إذا يَسُلُّ سيفَه[5] فهو متكلِّم، للفظ المنايا مترجِم.

٦١ (ويَسْلُكُ رُمْحُهُ فى كُلِّ باغٍ كما سَلَكَ المَضِيقَ الأُفْعُوانُ)

التبريزى: يقال: سلكت الطَّريقَ، وسلكتُ زيدًا الطريق. والباغى: الذى يَبغِى عليه ويُعاديه. والأُفعوان: ذكر الأفاعى. ويروى: «رمحُه» و«رمحَه». والرفع أجود؛ ليوافق الأفعوان.

البطليوسى: سيأتى.

(١) انظر ما سبق فى البيت ٦٧ من القصيدة الأولى.

(٢) فى أ: «توقعه الأعداء» صوابه فى ب والتنوير.

(٣) ضمير «يفهم» للدمستق، وضمير «فيهم» لأصحابه.

(٤) ضمير «صوارمه» لسيف الدولة.

(٥) فى الأصل: «إذا تسل سيوفه».

الخوارزمى : يروى « ويَسلك رمحُه » بالرفع ، وهو مِنْ سلك الطريقَ . ويروى « رمحَه » بالنصب ، وهو من سلك السنانَ فى المطعون . الأفعوان : ذكر الأفاعى ، ونحوه الثُّعلُبانُ والقُشْعُمان، لذكر الثّعالب والقَشَاعِم .

٦٢ (وَيُكْنَى بِاسْمِهِ عَنْ كلِّ مَجْدٍ وَكُلُّ اسْمٍ كِنَايَتُهُ فُلَانُ)

٥ التبريزى : هو من المبالغة التى تستحسن فى الشعر . ومعناه أن الرجل إذا كُنِى عن اسمه قِيل فلان ، والممدوح إذا سُمِّى فعَلَمُ اسمه الذى هو واقعٌ على شخصه ، صار كأنّه كنايةٌ عن كلّ مجدٍ من أىّ المجد كان . وقيل إنه مدح بهذه القصيدة الأمير أبا الفضائل سعد بن شريف بن علىّ بن أبى الهيجاء .

البطليوسى : السلوك : الدخول . والأُفعوان : الذكر من الحيّات . شبّه ١٠ دخولَ الرُّمح فى المطعون بدخول الأُفعوان فى المكان المَضِيق (١) . ولو اتّفق له ذكرُ الحيّة أو الأرقم أو الأسود أو نحوِ ذلك لكان أكملَ للتّشبيه ؛ لأنّ الأُفعوان قصير ، والرمح طويل . ولكنّ الذى حسّن ذلك أنه لم يقصِد إلى الطُّول والقِصَر ، وإنّما قصد إلى تمثيل السلوك بالسلوك . وقوله : « ويكنى باسمه عن كلّ مجدٍ » يقول : كل اسم إذا كُنِى عنه فإنما يكنى عنه بأن يقال فلان ، إلّا المجد ، فإنّ الذاكر له إذا أراد ١٥ إلى الكناية عنه (٢) ذكر اسم هذا الممدوح . وإنما قال : « كل مجد » لأنّ المجد ، وإن كان اسمًا واحدا ، يقع على جنس الشرف كلّه ؛ فإنه يتنوّع أنواعًا كلُّ نوعٍ منها يسمّى مجدا ؛ كما يسمّى كلُّ نوع من الأنواع باسم جنسه . وهذا الممدوح سعد بن شريف بن علىّ

(١) فى ب : « الضيق »

(٢) عدى « أراد » بالحرف « إلى » كما فى قول القائل (وأنشده صاحب اللسان) :

٢٠ إذا ما المرء كان أبوه عبس فحسبك ما تريد إلى الكلام

ابن أبى الهيجاء ، فقد اجتمع فى اسمه واسم آبائه السعد[1] والشرف والعلو والشجاعة .
وكان الممدوح أيضا يكنى أبا الفضائل ، وهى جمع فضيلة ، ويدخل تحتها جميعُ أنواع
الشّرف المفترقة فى الناس . وهذا أبلغ فى معناه من قول أبى تمّـام :

شِعارُها اسْمُك إن عدّت محاسنها[2] إذ اسمُ حاسدك الأدنَى لها لَقَبُ

ويقال فى الكناية عمّن يعقل « فـلان وفلانة » ، وفى الكناية عمّا لا يعقل ٥
« الفلان والفلانة » .

الخـــوارزمى : يقول : يكنى باسم هذا الممدوح عن كل مجد وكرم ، كما أنّ فلانًا
كناية عن كل عَلَم . وهذا لأن اسم الممدوح على ما رأيته بخط جار الله « أبو الفضائل
سعيد[3] بن شريف بن علىّ بن أبى الهيجاء » .

٦٣ (وَيُعْدَمُ عِنْدَهُ فى الجُودِ مَطْلٌ وَمَعْدُومٌ مَعَ العُتْقِ الحِرَانُ) ١٠

التـــبريزى : يقال : حَرَنت الدابّة حُرونا وحِرانا . والعُتْـق لا يكون عندها
الحِران ، إنّمـا يوجد ذلك فى الهُجْن .

البطليـــوسى : ... ...

الخـــوارزمى : العُتْق : مكسّر عتيق من الخيل ، أى رائع[4] . بنو فلان جَارُونَ
فى الكرم لا تُخاف حِراناتهم[5] . كذا ذكره فى أساس البلاغة . ١٥

(١) ب : « السعادة » .
(٢) أ : « إن عدت مناقبها » وأثبتنا ما فى ب والديوان ٢٥ .
(٣) كذا فى الأصل ونسخة الديوان المخطوطة . وقد سبق فى شرح التبريزى والبطليوسى أنه « سعد » .
(٤) فى الأصل : « رابع » والصواب ما أثبتنا .
(٥) جارون : أى قد جروا فى الكرم . وفى الأصل : « جراناتهم » بالجيم ، وصوابه من أساس ٢٠
البلاغة مادة « حرن » .

٦٤ (إِذَا سَمَّيْتَهُ فِى أَرْضٍ جَدْبٍ   تَرَلْتَ وكُلُّ رَابِيَةٍ خِوَانُ)

التبريزى : يقال خوان وخُوان، والكسر أفصح . يقول : أىُّ موضع حضَر الممدوحُ فيه فالخيراتُ معه حاضرة .

البطليوسى : سيأتى .

٥ الخوارزمى : يقول : اسم هذا الممدوح مبارك فكيف مُسمّاه ! ومثله بيت السقط :

ولو كتبَ اسَمه مَلِكٌ هَزِيمٌ   على راياته وَالَى الفُتُوحَا

٦٥ (تَطَاوَلَتِ الوِهَادُ هَوًى وَشَوْقًا   إِلَيْهِ كَمَا تَقَاصَرَتِ الرِّعَانُ)

التبريزى : الوهاد : جمع وَهْدٍ من الأرض . والرعان : جمع رَعْنٍ ،

١٠ وهو أنف الجبل . يقول : كلُّ شىء يهواه حتَّى الجمادات، وإنما تتقاصر الرِّعان خضوعا له .

البطليوسى : الرابية : الموضع المرتفع . والخوان ، بكسر الخاء وضمها : المائدة . وذكر بعض اللغويِّين أنَّ المائدة ما كان عليه طعام، والخوان ما لا طعام عليه . وقال بعضهم : هما سواء . وعلى هذا يصحُّ بيت أبى العلاء . والذى نبه[1]

١٥ على هذا المعنى قولُ أبى الطيِّب :

كأنَّا أرادتْ شكرَنا الأرضُ عِنده   فلم يُخْلِنا جوٌّ هَبَطْنَاه مِن رِفْدِ

والوهاد : المواضع المنخفضة من الأرض، واحدها وَهْد ووهدة . والرِّعان : أنوف الجبال ، واحدها رَعْنٌ . يقول : إنما امتدّت القفار وطالت حرصًا منها أن

(١) ا : « ينبه » .

تَصِل بطولها إلى هذا الممدوح، فتنظرَ إليه، كما أنَّ الجبال إنّما تقاصرَتْ وتصاغرت خوفًا منها أن يظنّ هذا الممدوح أنّها تُطاوِلُه فى مجده، فيكون ذلك سببًا لغضبِه عليها وحِقْـدِه .

الخوارزمى : الرِّعان : جمع رَعْن ، وهو أنف الجبل . ومدار التَّركيب على الاسترخاء . يقول : إليه مدَّت الوِهاد أعناقَها شوقًا، كما له تطامنت الجبالُ خضوعا. ٥

٦٦ (سَتَفْدِيكَ المَكَارِمُ رَاضِيَاتٍ ... وَمَا مِنْهَـا بِفِدْيَتِـكَ امْتِنَانُ)

٦٧ (إِذَا صَالَتْ فَأَنْتَ لَهَـا يَمِينٌ ... وَإِنْ نَطَقَتْ فَأَنْتَ لَهَا لِسَانُ)

التبريزى : [قلت : لو قال : « وإن قالت » ليكون بإزاء « صالت » كان أحسن ، والمعنى المعنى[1]] .

البطليوسى : يقول : المكارم تفديك من المكاره بِجلالك، غير ممتنّة عليك ١٠ بذلك . ولِمَ لا تفديك، وتتهالكُ فيما يرضيك ، وأنتَ يمينها إذا صالت منتصرة ، ولسانُها إذا نطقَت مفتخرة! ومن كان بهذه الصِّفة فواجبٌ أن يُفْدَى من الأسواء، ويُدْعَى له بطول البقاء . فإن قيل : كيف قال: «ستفديك المكارم»، فخصَّ الزمان المستقبل بذلك دونَ الزّمان الحاضر والزّمان الماضى ، وقد كان أمدَحَ له أن يعمّ الأزمنة كلَّها؟ فالجواب أنّه إنّما أراد أنّ المكارم لاتزال مفدِّية له فيما يستقبله[2] كتفديتها ١٥ له فيما مضى ؛ لزيادة بصيرتها فيما فعلَتْ، وأن هذا الممدوح لا يَحُول عمّا عَلِمَتْ منه وعهِـدت ، كما يفعل المتصنِّع الذى يتجمَّل فى أوّل أمره[3] ويتصنّع ، فاذا تطاولت الأيام عاد إلى خُلقه الذى جُبل عليه وطُبع .

الخوارزمى : هذا البيت الثانى تعليلٌ لترك المكارم امتنانها بفديتك .

(١) هذه التكملة من التعليقات المأخوذة من شرح التبريزى والمثبتة فى هامش النسخة المخطوطة من ٢٠ الديوان . (٢) ب : « يستقبل » . (٣) ا : «فى أول مرة » .

[القصيدة الرابعة]

وقال أيضا فى الأول من الخفيف والقافية متواتر، وكان فى داره جماعةٌ من غلمانه، فنقلهم منها وحوّل الحرمَ إليها[1] .

١ ﴿ ابْقَ فِى نِعْمَةٍ بَقَاءَ الدُّهُور   نَافِذَ الأَمْرِ فِى جَمِيعِ الأُمُورِ[2] ﴾

٢ ﴿ خَاضِعاتٍ لَكَ الكَوَاكِبُ تَخْتَصُّ مُوَالِيكَ بِالمَحَلِّ الأَثِيرِ ﴾

التبريزى : أى ينفذ أمرُك فى كلّ شىء، حتّى الكواكب تخضع لك، وتُولى مُواليك المحلّ الرفيع، ومُعاديك ضدّه .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : اعلم أنّ الحال وإن كانت لا تتبع صاحبَها إعرابا وتعريفا، لكنّه تتبعه إفرادا وتثنية وتذكيرا وتأنيثا . اللهم إلا إذا جرت على غير ما هى له ؛ فإنه لا يلزم حينئذ الاتباع فى ذلك أيضا . تقول : مررت بالرجل قاعدات نساؤه وقائمات جواريه . فقولك قاعدات وقائمات حال من الرجل، وهى كما ترى غير متبعة فى الإفراد والتذكير . وعليه قوله : "خاضعات" فإنه منتصب على أنه حال من الضمير فى "ابق"، وهو مفرد مذكر والحال جمع مؤنث . فى أساس البلاغة : «خصّه بكذا واختصّه وخصصّه [وأخصّه][3] » .

(١) فى البطليوسى : «قال يهنى بعروس، وهى من الأصل، وهو كتّاب سقط الزند» . وفى الخوارزمى : «وقال أيضا وقد تزوج الممدوح وكان فى داره جماعة من غلمانه فنقلهم عنها عند دخول الحرم إليها . فى الأول من الخفيف والقافية من المتواتر» .

(٢) أ من التبريزى : «نافذ العزم» . (٣) التكملة من أساس البلاغة .

٣ ﴿لَا يُؤَثِّرْنَ فى الوَلِىِّ وَلَا الحَا سِدِ حَتّى تُشِيرَ بالتَّأْثِيرِ﴾[1]

التبريزى : هذا يؤكّد ما تقدّم ذكره، من أنّ النجوم تؤثر فيما يريد[2] أن تؤثّر فيه من سعد ونحس .

البطليوسى : ... ..

الخوارزمى : الضمير فى « يؤثرن » للكواكب . ٥

٤ ﴿وَتَهَنّ النُّعْمَى السَّنِيَّةَ وَالْبِسْ حُلَلَ المَجْدِ وَالْفَعَالِ الخَطِيرِ﴾

التبريزى : السنية : الرفيعة العظيمة . والسناء : الرفعة والعلو . والفعال الخطير : ذو الخطر .

البطليوسى : النعمة والنعمة، بفتح النون وكسرها : الرفاهية والرغْد . وقال بعضهم : النعمة، بالفتح : الرفاهية ، والنعمة، بالكسر : اليد يوليها الرجل غيره . والموالى، ١٠ بضم الميم : ضدّ المعادى . ومن فتح الميم أراد أعوانك[3]، جمع مَولى . والمحل : المنزل . والأثير : الذى يُؤْثَر ويقدّم . وقوله « تهنّ » أراد تَهَنّأ بالهمز، فخفف الهمزة . والنُّعْمى، إذا ضمت نونها قُصرت، وإذا فتحت مدّت . والسنيّة : الشّريفة . والمجد : الشرف . والخطير : الذى له خَطَر، أى قَدْر .

الخوارزمى : «وتهنّ النعمى» مستثقل لاجتماع النونين المشدّدين فيه . ونحوه : ١٥

* سَتَرْجِعُ عَنْكَ وهى أعزُّ إبْلٍ[4] *

وذلك لتكرُّر حرف الحلق فيه .

(١) ورد هذا البيت فى حـ من البطليوسى تاليا لمـا بعده .

(٢) فى الأصل : « فيها تريد » .

(٣) فى الأصل : «أعدائك» ولا يستقيم به الكلام . وللولى معان كثيرة، منها الناصر والمعين . ٢٠

(٤) من البيت ١٦ من القصيدة الثالثة .

٥ ﴿وتمتّع بنضرة العيش إذ جا ءتك فى رونق الزّمان النّضير﴾

التبريزى : معناه أنّه عقد هذا التزويج فى الرّبيع ، وهو نضير مستحسن يفضُل غيرَه من الأزمنة، لما فيه من النّضرة وحُسن الأزهار . والنّضر يوصف به ما اخضّر من النبات وغيره . وقال أبو صخر :

تكادُ يدى تنـدَى إذا ما لمستُها و ينبُتُ فى أطرافها الورَقُ النَّضْرُ

وكثر ذلك حتّى قالوا لكلّ شىءٍ حسن : نَضْر . وفى القرآن : ﴿ولقّاهم نضرة وسرورًا﴾ . وقالوا للذهب نُضار . ومن ذلك وصفوا الخَلَنْج(١) بالنُّضار لأنّه أحسن من غيره، كأنّهم شبّهوه بالذهب لصفرته . قال أبو ذؤيب :

وسُودٌ من الصِّيدان فيها مذانبٌ نُضارٌ إذا لم نَستفِدْها نُعارُها(٢)

الصيدان : البُرَم، واحدها صادٌ . وقوله : «إذا لم نستفدها» ، أى إذا لم نشترها استعرناها . ويقال فى الصاد إنها النّحاس .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : عنَى بالزّمان النضير الربيع ، بدليل قوله :

قد أتاك الربيع يفعل ما تأ مُره فعلَ عبدك المأمورِ

٦ ﴿خيرُ أيدى الزّمانِ عندَ بنى الدُّنْ يا أتتْ فِى أوانِ خيرِ الشُّهور﴾(٣)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : ... ...

(١) الخلنج : شجر تتخذ من خشبه الأوانى، فارسى معرب .

(٢) الصيدان ، بفتح الصاد : جمع صيدانة ، وهى البرمة من الحجارة . وبكسر الصاد : جمع صاد، وهو النحاس أو الصفر، وهو مثل تاج وتيجان . وقبل البيت كما فى ديوانه ص ٩ :

لنا صرم يُنحرن فى كل شتوة * إذا ما سماء الناس قلّ قطارها

والمذانب ، يريد بها المغارف . وفى الأصل : « إذا لم يستفدها يعارها » صوابه من الديوان واللسان (صيد) . (٣) هذا البيت لم يروه البطليوسى .

الخوارزمى : الأيدى هى الأعضاء، والأيادى هى النِّعم، ذكره [أبو] عمرو بن العلاء . وَقَع الجمعُ للحقيقة، وجمعُ الجمع للمجاز . ونظيره بيوت وبيوتات . قال أبو الخطاب الأخفش : قد يُراد بالأيدى النعم، وبالأيادى الأعضاء . أنشد السيرافى فى صفة الثلج :

* قُطنٌ سُخامٌ بأيادى غُزَّلِ * ٥

عَنَى الأعضاء . قطن سُخام، أى رقيق ليِّن المسّ . وأنشد أيضًا :

* فكيفَ أنساكَ لا أيديكَ واحدةٌ *

أراد النِّعم . وأبو العلاء هاهنا عنى بالأيدى النعم، كما عنى بالأيادى فى قوله :

* كالدرّ بَتَّته أياديهـا *

الأعضاءَ . ١٠

٧ (كُنْتَ مُوسَى وَافَتْكَ بِنْتُ شُعَيْبٍ غَيْرَ أَنْ لَيْسَ فِيكُمُ مِنْ فَقِيرِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : هذه إشارة إلى قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : ﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ . ١٥

٨ (لَمْ يَكُنْ قَصْرُكَ المُنِيفُ لِيَسْتَنْـ ـزِلَ إِلَّا أَعْلَى بَنَاتِ القُصُورِ)

التبريزى : المنيف : العالى المرتفع ؛ وأناف على الشىء، إذا زاد عليه . وقوله : « إلّا أعلَى بناتِ القصور » هو من العلوّ . ويروى « أغلى بنات القصور » بالغين المعجمة، من الغلاء، فكأنه عنَى غلاء المهر .

البطليوسى : سيأتى . ٢٠

الخوارزمى : يروى «أعلى» بالعين المهملة، ويروى «أغلى» بالغين المعجمة، من غلاء المهور[1] .

(١) فى الأصل : « غلا المقصور »، ووجهه ما أثبتنا .

٩ (رَحَلَتْ مِنْ فِنائِهِ شُهُبُ الغِلْـ ـمانِ خَوفاً مِنْ ضَوءِ فَجْرٍ مُنِيرِ)

التبريزى : معناه أنّ المهنّأ بهذا الشّعرلمّا أراد أن يأخذ هذه المرأةَ أَخرجَ من بيته [غِلمان الدّار الذين كانوا يَسكنون فيها ، فكانوا كالشُّهب التى إذا طلع][(١)] الفجرُ أخذَتْ فى المغيب ، فإذا وضَح النهار لم يُرَ منها نجم .

٥ البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

١٠ (كَانَ كَالأُفْقِ ، حِينَ هَمَّتْ بِهِ الشَّمْـ ـسُ تَنَادَتْ نُجُومُهُ بِالمَسِيرِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : المنيف : العالى . والشُّهب : الكواكب . وإنّما قال هذا

١٠ لأنّ الممدوح كان أخرج مَنْ فى قصره منْ غِلمانه وعبيده ؛ لمجئ الحَرَم إليه .

الخوارزمى : عدّى «الخوف» بمن ؛ ومثلُه :

* أنا الغَريقُ فما خوفِى من البَلَلِ *[(٢)]

والبيت الثانى تقرير للأول .

١١ (يا لَهَا نِعْمَةً وَلَيْسَ بِبِدْعٍ أَنْ تَحُوزَ الشُّمُوسُ رِقَّ البُدُورِ)

١٥ التبريزى : «نعمة» ينصب على التمييز . والبِدع : العجب .

البطليوسى : لا يجوز أن يعنى بالشموس هاهنا النساء ، و بالبدور الرجال ؛ لأن السادة وذوى الهمم العالية لا يستحسنون أنْ يُوصَفوا بأنّ نساءهم تستملكهم وتستعبدهم ، بل هو بطريق الهجو أشبهُ منه بِطريق المدح . ألا ترى إلى قول أبى تمّام :

٢٠ (١) التكملة من ب . (٢) البيت للتنبى . وصدره :

* والهجر أقتل لى مما أراقبه *

امرأتُه جازَتْ عليه أُمورُها حَــتّى ظننّا أنّه إمراتُهـا[(1)]

وقال أبو فراس الحَمْدانىّ :

لقد ضَلَّ من يحوِى هواه خَريدةً وقد ذلَّ مَن تقضِى عليه كَعابُ

ولكنّــنى والحمــد لله حازمٌ أَعِزُّ إذا ذَلّتْ لهنّ رقابُ

والوجه أن تُجعل الشُّموسُ فى هــذا البيت كنايةً عن الرّجال ، والبدورُ كنايةً عن النِّساء . ألا تراه قد شبّه الممدوح بالشّمس بعد هذا فقال :

أنتَ شمس الضُّحى فمنك يفيد الـ صُّـبحُ ما فيـــهِ من ضِياءٍ ونورِ

ويقال : شيء بِدْعٌ وبديع ومُبتَدَع ، إذا كان مُحْدَثا على غير مثال متقدم .

الخــوارزمى : جعل المتزوّجة فى البيت المتقدِّم، بالإضافة إلى الغلمان، بمنزلة الشَّمس من النجوم، وفى هذا البيت، بالإضافة إلى المتزوّج، بمنزلة القمر من الشمس .

١٢ (دُرّةٌ مِنْ ذَراكَ تَسْكُنُ بَحْــراً وكَذا الدُّرُّ ساكنٌ فِى البُحُورِ)

التــبريزى : ذَراه : ناحيته ، مثله عَراه وحَراه . ويجمع ذَراً أذراء .

البطليــوسى : سيأتى .

الخــوارزمى : « من » فى قوله : « من ذراك » للتجريد .

١٣ (أَنتَ شَمْسُ الضُّحَى فمِنكَ يُفيدُ الـ صُّـبحُ مَا فيهِ مِنْ ضِيـاءٍ ونُورِ)

١٤ (قَدْ أَتاكَ الرَّبِيــعُ يَفْعَلُ مَا تَأْ مُرُهُ فِعْلَ عَبْـدِكَ المَـأْمُورِ)

التــبريزى : هذا كله مَبْنِيٌّ على قوله : «خاضعاتٍ لك الكواكب» . أى كلُّ شيء فى طاعته حتّى الأزمنة، فالربيع يفعل ما يأمره، فعلَ العبدِ ما يأمره مولاه .

البطليــوسى : ... ...

الخــوارزمى : ... ...

(1) امرأته : آمرأته، بالتسهيل .

١٥ (وَكَسَا الأَرْضَ خِدْمَةً لَكَ يامَوْ لاهُ دُونَ المُلوكِ خُضْرَ الحَرِيرِ)

التـــبريزى : فى « كسا » ضمير يرجع إلى «الربيع» . والهاء فى قوله : «يا مولاه» إلى الربيع أيضا .

البطليـــوسى : ... ...

٥ الخـــوارزمى : الضمير فى "مولاه" للرّبيع . وقوله « دُونَ الملوك » يتعلّق إمّا بـ «يا مولاه» وإما بقوله : « خدمةً لك » .

١٦ (فَهِىَ تَخْتَالُ فى زَبَرْجَدَةٍ خَضْـ ـرَاءَ تُغْـــذَى بِلُؤْلُؤٍ مَنْثُـورِ)

التـــبريزى : يقول : قد اخضَرّت الأرضُ فصارت كالزّبرجدة . والزّبرجد: اسم أعجمىّ، إلّا أنّ العرب عرّبته وأدخلت عليه الألف واللام . قال النّابغة :

١٠ بالدُّرّ واليـاقوت زُيّنَ نَحْرُهَا ومُفَصَّلٍ من لؤلـؤٍ وزبرجدِ

والمعنى أنّ الأرضَ مخضرّة كالزبرجد، وأنّ النّدى يسقُط عليها فكأنّه اللؤلؤ . وهو نحوٌ من قول ذى الرمّة :

وَخُفٍّ كأنّ النّدى والشّمسُ طالعةٌ إذا توقّـدَ فى حافاته التُّـومُ[1]

والتُّوم : جمع تُومة، وهى الدّرّة .

١٥ البطليـــوسى : سيأتى .

الخـــوارزمى : الضمير فى «فهى» للأرض . يريد أن الأرض قد اخضرّت وفوق خضرتها الندى، فكأنها عروس قد لبست بِدُرٍّ زبرجدا .

---

(١) فى الأصل : « فى حاجاتها » . ورواية الديوان ٥٨٣ :

« والشمس ماتعـة * إذا توقد فى أفنانه »

١٧ ﴿وَغَدَتْ(١) كُلُّ رَبْوَةٍ تَشْتَهِى الرَّقْـ ـصَ بثَوْبٍ مِنَ النَّبَاتِ قَصِيرِ﴾

التـــبريزى : الربوة : ما علا من الأرض، وفيها ستّ لغات : رَبوة ورِبوة ورُبوة، ورَباوة ورِباوة ورُباوة(٢) . ومن شأن الذى يرقص أن يكون ثيابُه قِصارا . وهذه الربوة كأنّما تشتهى الرَّقص، لأنّ نباتها لم يَطُلْ وهو فى أوّل الرَّبيع .

البطليـــوسى : الذَّرا : الكنف والناحية، يقال : استذرِ بهذه الشَّجرة، أى كُنْ فى كنفها. والاختيال : التبختر. والربوة، بضم الراء وفتحها وكسرها، ثلاث لغات، وهى المكان المرتفع . وإنمـا قال : « تشتهى الرقص » لأن من شأن الذى يرقص أن تكون ثيـابه قصارا ؛ فأراد أنّ الربوة لم يطل نباتهـا إذ هو فى [أول] الربيع، فكأنّها تشتهى أن ترقص . ومعناه أنّ الأرض تُظهـر السرور والارتياح، بهـذا النكاح، فكلُّ موضع منها يهمّ بالرقص لشدّة الطرب .

الخـــوارزمى : جعل ثوبَ النَّبـات قصيرا لأنه كان الوقت أُنُف الرَّبيـع، فقِصَر الثِّياب فيه غير بديع . ولقد أغرب حيث جعل الرُّبَا متهيِّئة للخفّة والرقص بثوبٍ قصير، مع أنّ الرُّبا تُوصف بالسُّكون والثبات ، ومع أنّ كلّ راقِص يشتهى الرقَص بثوب طويل .

١٨ ﴿ظَنَّ لِلنَّاسِ يَوْمَ عَقْدِكَ هَذَا الْـ أَمْرَ عِيدٌ سَمَّوْهُ عِيدَ السُّرُورِ﴾

التـــبريزى : يقول : يوم عَقدِ هـذا النكاح كان للناس به عيد سمّوه عيـد السـرور .

البطليـــوسى : سيأتى .

الخـــوارزمى : سيأتى .

(١) أ من التبريزى : « فغدت » . (٢) زاد فى القاموس : رَبو ، ورابية ، ورَباة .

١٩ ﴿ إِنْ يَكُنْ عِيدَهُمْ بِغَيْرِ هِلَالٍ فَالْهِلَالُ الْمُضِيءُ وَجْهُ الأَمِيرِ [(١)] ﴾

التبريزى : ... ...

البطليوسى : هذا البيت مَعيب عند أهل النّقد ؛ لأنه قال قبل هذا : « أنت شمس الضحى » ثم شبّهه ها هنا بالهلال ، فحطّه مراتبَ كثيرة عمّا أعطاه أوّلا . وهو نحوٌ من قول أبى الطيب [(٢)] :

شمسُ ضُحاها هِلالُ ليلتِها دُرٌّ تقاصيرِها زبرجدُها [(٣)]

ونصب «عيدهم» على خبر «يكن» ، واسمها مضمر فيها ، وهو يرجع على «اليوم» المذكور فى البيت الذى قبله ، أو على «العيد» . ويروى : «عِندهم» أى إن كانوا يعتقدون أنه عيدهم بغير هلال [(٤)] فقد أخطئوا فى اعتقادهم ؛ لأنّ وجه الأمير هو هلال له .

الخوارزمى : عنى بـ « بهذا الأمر » النكاح . والبيت الثانى تقرير للبيت المتقدّم .

٢٠ ﴿ رَاقَهُمْ مَنْظَرًا وَهَابُوهُ خَوْفًا فَهْوَ مِلْءُ الْعُيُونِ مِلْءُ الصُّدُورِ ﴾

التبريزى : يقال : راقنى الشىء يروقنى ، إذا أعجبنى . يقول امتلأَتْ عيونُهم منه إعجاباً به وإجلالا له ، وصدورهم مخافةً منه .

البطليوسى : راقهم : أعجبهم . يقال : راقنى الشىء يروقنى رَوْقًا . فإن قيل : ما وجه ذكرِ الخوف ها هنا ، وكيف سمّاه الناس عيدَ السرور وهو قد ملأ صدورهم من الرعب ؟ ولو قال : « وهابوه إجلالا » لم يكن فيه اعتراض ؛ لأن الرجل يُهاب توقيرا ، لا لمكروهٍ يُتَوَقَّع منه ؛ كما قال ذو الرّمّة :

---

(١) رواية التنوير : « فالهلال المنير » . (٢) من قصيدة له قالها فى صباه يمدح بها محمد بن عبد الله العلوى . (٣) التقاصير : جمع تقصار ، وهى القلادة القصيرة لا تنزل على الصدر .

(٤) فى الأصل : « بضم هلال » تحريف .

مُرِمِّينَ مِن ليثٍ عليه مَهابةٌ تَفادَى أُسودُ الغابِ منه تَفاديا[1]

وما الخُرْقُ منه يرهبونَ ولا الخَنَا عليهم ولكنْ هيبةٌ هِيَ ماهِيا[2]

فالجواب أنّه أراد أنّه ملأ أنفُس الأولياء جَذَلًا ، ونفوس الأعداء وَجَلا ، لِما رأوا مِنه[3] من العدد والعُدّة، ولأنّهم يتوقّعون أن يكون هذا النّكاح سببًا لزيادة مهابة هذا الممدوح[4] وكثرة عدده ، ويكون الذين سمّوه عيد السرور غيرَ الذين ملأ صدورَهم من الرُّعب ، فرمى بالكلام جملةً ، ومراده أنّ بعضهم بهذه الصّفة وبعضَهم بهذه الصفة . والعرب تلفّ الخبرَين المختلفَين وترمى تفسيرهما جملة ، ثقةً بأنّ السامع يردّ إلى كلّ صنفٍ خبَره اللائقَ به ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾، وكقول امرئ القيس :

كأنّ قلوبَ الطّيرِ رَطْبًا ويابسًا لَدَى وكرِها العُنّابُ والحشَفُ البالى

ويمكن أن يكون جميعهُم يُظْهِر الفرحَ به ، ويسمّيه عيدَ السرور؛ فالوَلىّ يفعل ذلك حقيقةً ، والعدُوّ يفعلُه تصنُّعا ، وإنْ كان لا يعتقده . فيكونَ كقول أبى الطيّب :

أبدَى العُداةُ بك السُّرورَ كأنّهم فَرِحوا وعندهُم المُقيم المُقعِدُ

الخوارزمى : خوفا ، مصدر منصوب من غير فعله ، ومثله قعدت جلوسا.

---

(١) مرمين : أى ساكتين مطرقين . وفى الديوان ٦٥٤ : « تفادى الأسود الغلب » .

(٢) فى الديوان « فما الفحش منه يرهبون » . وتروى : « هيبة » بالرفع والنصب على معنى يهابونه ، كما فى شرح ثعلب . وبين هذا البيت وسابقه فى الديوان بيتان .

(٣) فى الأصل : « فيه » .

(٤) فى الأصل : « لزيادة زيادة هذا الممدوح » .

٢١ ﴿سَرَّ أَهْلَ الأَمْصارِ وَالبَدْوَ حَتَّى جازَهُمْ عامِدًا لِأَهْلِ القُبُورِ﴾

التبريزى : يروى « والبدوَ » و « البدوِ » . فمن روى «البدوَ» عطفه على «أهل» ، ومن روى «البدوِ» عطفه على «الأمصار» . يقول : سرّ الأحياءَ والأمواتَ .

البطليوسى : سيأتى .

٥ الخوارزمى : الرواية الحسنة : « والبدوِ » مجرورا .

٢٢ ﴿رَدَّ أَرْواحَهُمْ فَلَوْلا حِذارُ اللّـٰـهِ قامُوا مِنْ قَبْلِ يَوْمِ النُّشُورِ﴾

التبريزى : يقول : لما سرّ الأحياء والأموات بلغ من سرور الأموات أن ردّ أرواحهم إليهم . وإنما أراد المبالغة فى السُّرور بهذا العيد الذى سمّوه عيد السرور .

١٠ البطليوسى : هذا عكس قول أبى الطيب المتنبى :

قد اشتكت وَحشةَ الأحياءِ أربُعُهُ ... وَخبَّرتْ عن أَسَى الموتَى مقابِرُهُ(١)

الخوارزمى : قوله : « لولا حذار الله » : لولا حذارُ أن يُعارَضَ قضاء الله . يقول : لولا أنْ حَكَمَ اللهُ ألاّ يُبعثَ الأمواتُ قبل يوم النُّشور، لقاموا من صرعة الموت وخرجوا من القبور، ولكن لا تبديل لكلمة الله تعالى .

١٥ ٢٣ ﴿لا تَسَلْ عَنْ عِداكَ أَيْنَ اسْتَقَرُّوا(٢) لَحِقَ القَوْمُ بِاللَّطِيفِ الخَبِيرِ﴾

التبريزى : أى قد أهلك الله أعداءَك، فلم يبق منهم أحدٌ .

البطليوسى : ... ...

(١) يقول : قد أحزنت غيبته الأحياء حتى أحست بذلك دورهم ، والموتى حزنوا حتى خبرت عنهم المقابر؛ فالأحياء والأموات محزونون عليه . وقبل البيت كما فى الديوان (١ : ٣١١) :

٢٠ غاب الأمير فغاب الخير عن بلد ... كادت لفقد اسمه تبكى منابره

(٢) رواية الخوارزمى : « استقلوا » .

الخـــوارزمى : هـذه كناية عن موتهم حسدا . وفى كلام عُبيد الله بن زياد يخاطب الحُسين[١] بن على رضى الله عنهما : « وأُلحقك باللَّطيف الخبير أو ترجعَ إلى حُكْمى وحكم يزيد بن معاوية » . ويقال فى الكناية عن الشيخوخة والهرم : « كاد يلحق باللطيف الخبير » .

٢٤ ﴿حَلَبٌ لِلْوَلِىِّ جَنَّـــةُ عَدْنٍ وَهْىَ لِلْغَادِرِينَ نَارُ سَعِيرِ﴾ ٥

التـــبريزى : سيأتى .

البطليـــوسى : ... ...

الخـــوارزمى : حلب : مدينة بالشام .

٢٥ ﴿وَالعَظِيمُ العَظِيمُ يَكْبُرُ فِى عَيْـ ـنَيْهِ مِنْهَا قَدْرُ الصَّغِيرِ الصَّغِيرِ[٢]﴾

التـــبريزى : أى تفوق سائر المدن، وأهلها يفوقون غيرهم من الناس، فقدر الصغير من حلب يكبر فى عين العظيم من غيرها . ١٠

البطليـــوسى : ... ...

الخـــوارزمى : سيأتى .

٢٦ ﴿فَقُوَيْقٌ فى أَعْيُنِ القَوْمِ بَحْرٌ وَحَصَاةٌ مِنْـهُ نَظِيرُ ثَبِـيرِ[٣]﴾

التـــبريزى : سيأتى . ١٥

البطليـــوسى : قُويق : نهـر حلب . وثَبِير : جبـل بمكّة يوصَف بالعلو والارتفاع .

(١) فى الأصل : « الحسن » .

(٢) الخوارزمى والبطليوسى : « فالعظيم العظيم » .

(٣) الخوارزمى و أ من التبريزى : « فى أنفس القوم » وفى التنوير : « وحصاة منها » . ٢٠

الخوارزمى : قُويق : نهر حلب . ثَبير، فى « أعن وخد القلاص » .[1]
والبيت الثانى تقرير للبيت الأول .

٢٧ (عِشْتَ حَتَّى يَعُودَ أَمْسِ لِعِلْمِى ... أَنَّهُ لَا يَعُودُ بَعْدَ المُرُورِ)

التبريزى : قُويق : نهر على باب حَلَب . وثَبير : جبل . وهذا البيت يؤكّد
ما قبله . أى عشت أبدا . وذلك أنّه علّق عيشَه بعودة أمسِ، وأمسِ لايعودُ أبدا .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : سيأتى .

٢٨ (فَادِّعَاءُ المُلُوكِ غَيْرِكَ إِدْرا ... كَ المَعَالِى دَعْوَى شِقَاقٍ وَزُورِ)

التبريزى : أى ليس لأحدٍ أن يدّعىَ إدراكَ المعالى ؛ لأنّك فُزْتَ بها
دونهم .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : الفاء فى قوله : « فادّعاء الملوك » تعليل لقوله : «عشت» .
كأنه يقول : خصصتك دون سائر الملوك بهذا الدعاء ، لأنك المستحق له من بين
هؤلاء . إدراك،[2] منصوب على أنه مفعول الادّعاء . بينهما مشاقّة وشِقاق، أى عداوة .
واشتقاقها من الشِّقّ ، وهى الناحية من الجبل؛ لأنّ أحدَ المُشَاقَّيْنِ يكونُ فى ناحية
والآخر فى ناحيــة . ونظيرها المخاصمة والمعاداة؛ فإنّهما من الخُصْم والعُدْوة، وهما
الناحية وجانب الوادى .

(١) انظر ص ٩٥ .

(٢) فى الأصل : «غيرك» .

[القصـــيدة الخـامسة]

وقال أيضا يجيب الشَّريف أبا إبراهيم العلويّ عن قصيدة أوّلها :

بِعادُكِ أسهَرَ الجفنَ القَريحا   ودَارُكِ لا تَنِي إلّا نُزُوحا

[من] الوافر الأول، والقافية من المتواتر.[1]

١ (أَلَاحَ وَقَدْ رَأَى بَرْقًا مُلِيحًا   سَرَى فَأَتَى الحِمَى نِضْوًا طَلِيحَا) ٥

التبريزى : ألاح : أشفق . قال جميلُ بن مَعْمَر :

غيرَ بُغْضٍ له ولا مَلَلٍ[2]   غير أنّى ألَحْتُ من مَلَلِه

أى غير أنى أشفقت . ويقال لاح الشىء، إذا بدا . ولاح البرق وألاح بمعنًى . وكذلك لاح النجم وألاح . قال المُتَلَمِّس :

وقد ألاحَ سهيلٌ من مَطالِعِه   كأنّه ضَرَمٌ بالكفّ مقبوسُ ١٠

وقوله : سَرى، من سُرَى اللّيلِ . يقال : سرى وأسْرَى بمعنى . والحمى : موضع. والنِّضو : الذى قد أنضاه السفر . والطليح : المعيى .

البطليوسى : يقال : ألاح الرجل من الشىء، إذا أظهر الإشفاق منه والجزع، فهو مليح ؛ وألاح البرق، إذا لمع . وقال بعضهم : لاح ظهر، وألاح : تلألأ . وسرى : أتى ليلا . يقال سرى وأسرى . ويروى بيتُ النّابغة على وجهين : ١٥

* سرتْ عليه من الجوزاءِ ساريةٌ[3] *

و « أسرت » .

---

(١) عند الخوارزمى : «وقال أيضا فى [الوافر] الأول والقافية من المتواتر يجيب أبا إبراهيم العلوى من قصيدة أولها :

بعادك أسهر الجفن القريحا   ودارك لا تنى إلا نـــزوحا» ٢٠

(٢) فى الأصل : « ملق » . وفى الديوان ٥٣ والأغانى (٧ : ٧٩ بولاق) :

* غير ما بغضة ولا لاجتناب *   (٣) تمـامه :   * تزجى الشمال عليه جامد البرد *

والحمى : موضع . وأصل الحمى الموضع الذى يُحمَى ممن أراده . والنِّضو من الإبل : الذى أضعفه السفر . والطليح : المُعيِى . فضَرب ذلك مثلًا للبرق . يريد أنه سَرى من مكانٍ بعيد يُنضِى من قَطعه ويُطلِحه .

الخوارزمى : الكاف فى « بعادكِ » و « داركِ » مكسورة على الخطاب ٥ للحبيبة . والدليل عليه قوله بعد هذا :

أُمَيْمَ كما أُبِيح لكِ التجنِّى كَذَاكَ السُّقم للمُضْنَى أُبيحا [(١)]

وقوله : « نزوحا » مفعول له . إذا قلت : ونَى زيد سيرًا ، وفتر عَدْوًا ، كان مفعولًا له ، وإن كان يحتمل التمييز . وهذا لأنَّ للفعول له ثلاثَ شرائطَ : إحداها أن يكون مصدرًا ، والثانية أنْ يكون فعلًا لفاعل الفعل المعلَّل ، والثالثة أنْ يكون لذلك الفعلِ ١٠ المعلَّل مُقارِنًا فى الوجود . وهذه الشرائط قد وُجدت هاهنا بأجمعها . يريد : لا فتورَ بداركِ ، إلا لعدم قراركِ .

الجواب [(٢)] : « ألاح وقد رأى برقا مُليحا سَرى فأتَى الحِمى نِضوًا طَليحا »

ألاح من الشىء : خاف ؛ وأصله الخوفُ من الأشياء البرّاقة ؛ لأنه من اللَّوح وهو اللمعان . لاح البرق والنَّجمُ وغيرهما وألاح . قال المتلمِّس :

١٥ * وقدْ ألاح سُهيلٌ بعدَ ما هجعوا * [(٣)]

ونظيرهما سرى وأسرى . يقول : خاف إذْ رأى برقًا لامعًا من حيث يبتدئ ، وفاترا حيثُ يتناهَى . وإنَّما خاف لِمَا يأتى فى البيت الثالث .

(١) فى الأصل : « لذاك » .

(٢) أى جواب أبى العلاء عن قصيدة الشريف .

٢٠ (٣) تمامه كما تقدم : * كأنه ضرم فى الكف مقبوس *

٢ ﴿ كَمَا أَغْضَى الفَتَى لِيَذُوقَ غُمْضًا   فَصَادَفَ جَفْنَهُ جَفْنًا قَرِيحَا ﴾

التبريزى : معناه أنّ هذا البرق يتبعُ بعضُه بعضا، فهو كالذى جفنه قريح، إذا أراد أن يغمّض منعه من ذلك ما به من القروح، فكأنّ البرق لا يهدأ من التّابع.

البطليوسى : أغضى : أَطبَقَ بعضَ أجفانه على بعض . والغُمْض والغَماض والتَّغماض[1] : النوم . شبَّه البرق لدوام لمعانه وقلّة سكونه برجلٍ أرادَ أنْ ينام فوجَد أجفانَه قريحةً، فلم يقدِر على إطباقها فبقى ساهرًا يطرِف . وهذا نحوُ قولِ الهذلىّ[2] :

حتّى شآها كليلٌ مَوْهِنًا عَمِلٌ   باتت طِرابًا و باتَ اللّيلَ لم يَنِمِ

والعرب تشبّه لمعانَ البرق بطَرْف العين، قال ابن المعتزّ :

أبصرتُ فيها برقَها حين بدَتْ   كمثلِ طَرْف العين أوقلبٍ يجِبْ[3]

وقال آخر :

أرِقتُ لبرقٍ آخرَ اللّيلِ يلمعُ   سَرَى دائبًا منها يهبُّ ويهجَعُ

بدا كاقتذاءِ الطّيرِ والليلُ ضاربٌ   بأرواقه والصُّبحُ قد كاد يسطعُ

شبّه البرق فى لمعانه وتتابُعِ حركته بطائرٍ وقَع فى عينيه قذًى فهو يطرِف بعينيه.

الخوارزمى : روايتى: «فصادف جفنه» بالرفع . يقول : ومَضانُ ذلك البرقِ فى حُمرته ، كما أغضى العاشقُ[4] وقد بكى على فراقِ أحبّته أيامًا وسهر ليالى حتّى قَرِحت عيناه، وانصبغتا حمرةً، [فأغضى][5] جفنيه ليَطعَم شيئًا من الكرَى ، فلما مسَّ أحدُهما الآخرَ صادفَه وهو قريح . ومعلوم ما يفعله العاشق عند نحوِ هذه الحالة ؛ يجفو

---

(١) يقال الغمض، بالضم، والغماض بالفتح و يكسر، والتغماض والتغميض والاغماض .

(٢) هو ساعدة بن جؤية الهذلى . انظر اللسان (عمل) .

(٣) وجب القلب يجب : خفق .   (٤) فى الأصل : « غض » محرفة .

(٥) تكملة يقتضيها السياق .

بأحد الجفنين عن الآخر، ثم يحرِّكهما[1] تحريكًا لا يكاد يهدأ . فلما كان هذا معلومًا سكتَ عنه؛ وهذا ضرب من الإيجاز . والمعنى من قول حُمَيْد بن ثور فى صفة برق:

* خَفَى كاقتذاء الطَّير والليلُ مدبرٌ[2] *

٣ ﴿إذا ما اهْتَاجَ أحمرَ مُسْتَطِيرًا   حَسِبْتَ اللَّيلَ زَنْجِيًّا جَرِيحًا﴾

٥ التبريزى : اهتاج : افتعل من هاج يَهيج . يقول : إذا هاجَ البرقُ منتشرًا حسِبت اللّيلَ زِنجيًّا لسواده، فكأنَّه قد جُرِح فسال دمُه؛ لأنَّ البرقَ يلوح فيه أحمرَ . ومستطير : منتشر .

البطليوسى : اهتاج : تحرّك . والمستطير : المنتشر . وهذا يَنحو نحوَ قول الآخر، وإن كان ليس مثلَه :

١٠ إذا لاحَ فى الجوِّ خِلتَ الظّلا   مَ حُبْشًا تَمَاصَعُ بالمُرْهَفَاتِ[3]

الخوارزمى : مستطيرا ، أى منتشرا ؛ قال الله تعالى : ﴿ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ . وفى ألسنة الفقهاء: «الفجر فجران، فجر مستطيل [و فجر] مستطير» . يريدون بالمستطير المنتشر يَمنةً ويَسرة، وهو الصادق. وأمّا المستطيل فهو الكاذب.

---

(١) فى الأصل : « يحركها » .

١٥ (٢) خفا البرق خفوا ، بالفتح ، وخفوا ، بضمتين مع تشديد الواو . ويقال أيضا خفى البرق كرمى ، وخفى كعلم ، خفيا : برق برقا خفيا ضعيفا . وتمامه كما فى الديوان صنع الميمنى :

خفى كاقتذاء الطير والليل مدبر   بجثمانه والصبح قد كاد يلمع

وروايته فى اللسان (٢٠ : ٣٣) :

خفى كاقتذاء الطير والليل واضع   بأرواقه والصبح قد كاد يلمع

٢٠ ولحميد بيت آخر فى الديوان واللسان يشبهه ، وهو :

خفى كاقتذاء الطير وهنا كأنه   سراج إذا ما يكشف الليل أظلما

(٣) تماصع : تتماصع ، بحذف إحدى التاءين . والمماصعة : المقاتلة والمجالدة بالسيوف

وهذا البيت تعليلٌ لقوله : «ألاح وقد رأى» . يقول : كيف لا يخاف وقد رأى الليلَ بذلك البرق فى صورةِ مجروح من الزّنج متلطِّخ بالدم أعضاؤه ، وقد ناطح هامُه هامَ الأفلاك .

٤ (أَقُولُ لِصَاحِبِي إِذْ هَامَ وَجْدًا ... بِبَرْقٍ لَيْسَ يُثْبِتُـهُ نُزُوحَا)

التبريزى : يقال : هام يهيم ، فهو هائم . والنزوح : البعد؛ يقال: نزح نزوحا فهو نازح ، إذا بعُد .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : فى أساس البلاغة : «نظرتُ إليه فما أثبتُّه ببصرى» .وقال رجل لأبى خَليفة الجمحىّ : ما أحسَبك تُثْبتنى . فقال : وجهك يدلُّ على علوّ نسبِك . والإثبات بهذا المعنى لا يكاد يُستعمل إلّا فى رؤية الشيء الصغير أو تذكُّرِ المنسىّ؛ لأنّ أصله خلاف النفى . نزوحا : منصوب على أنّه مفعول له ، والعامل فيه «ليس يثبته» . يقول : لا يمكن صاحبى أن يرى ذلك البرق، لبعد صاحبى عنه .

٥ (وهَاجَتْهُ الجَنُوبُ لِوَصْلِ حَيٍّ ... أَقَامَ ويَمَّمُوا دَارًا طَرُوحَا)

التبريزى : الطروح : البعيدة، تطرح القوم إلى [غير] بلادهم . والجَنوب : الرِّيح تجيء من عَنْ يمين مستقبِل الشّمس .

البطليوسى : يقال : هام يهيم ، إذا اعتراه شِبه الجنون من شدّة الشوق . وأصله أن يشتدّ عطَش البعيرِ فيَذهبَ على وجهه يَطلُبُ الماء؛ فشُبِّه به الذى أفرط عليه الشوق حتّى لا يستطيع أن يستقرّ . ومعنى «يُثبته» يحقّقه . والنزوح : البعد . والجنوب : الريح القِبْلية . والحىّ: القبيلة . ويمّموا : قصدوا . والطّروح: البعيدة، وكذلك الطَّرِح[1] . قال الأعشى :

(١) الطرح، بالتحريك .

تشترى الحمدَ وتختارُ العُلَا ... وتُرَى نارُكَ من ناءٍ طَرِحْ (١)

والضمير فى « أقام » يرجع على الصاحب .

الخوارزمى : قوله : « وهاجته الجنوب » معطوف على « هامَ » . الضمير فى « أقام » للصاحب ، وفى « يمموا » للحىّ . نيّة طروح (٢) ، أى بعيدة تطرح القوم فى غير بلادهم . والمصراعُ الأخير فى محلّ الجرّ على أنّه صفة حىّ . ولولا الجملة المعطوفة لَمَا جاز أن تقع الجملةُ المعطوفة عليها صفةً ؛ لخلوّها عن الراجع . ومثله بيت السقط :

فليتَك للأفلاك نورٌ مخلَّدٌ ... يزول بنا صَرْفُ الرَّدَى وتدومُ

وفى عراقيات الأبيوردى :

بقصائدٍ قَسَتِ الليالى واكتَسَتْ ... منها فرقَّت بُكرةٌ وأصيلُ (٣)

ونحوه قول أبى الطيِّب :

إنّ الذين أقمتَ وارتحلُوا (٤) ... أيّامُهم لديارهم دُوَلُ

وممّا يحاكى هذه المسألة حذو القُذَّة بالقُذَّة : أزيدًا ضربت عمرًا وأخاه ؛ لأنّه لولا العطف لما كان آخر الكلام ملتبسا بأوّله .

---

(١) رواية الديوان ص ١٦١ :

يجتنى الحمد ويجتاز النهى ... وترى ناره من ناء طرح

(٢) النية : الوجه الذى ينوبه المسافر . ويقال أيضا نية قذوف . أنشد فى اللسان :

* عدته نية عنها قذوف *

وفى الأصل : « عقبة طروح » ولا وجه له .

(٣) أى اكتست الرقة من القصائد . والبيت من قصيدة له فى ديوانه ص ٢٥٤ . وبعده :

إن شارفت أرضا تطلع نحوها ... أخرى كأن مقامها تحليل

(٤) فى ديوانه (١ : ٢١٣) : «واحتملوا» .

٦ (سَــفَاهٌ لَوْعَةُ النَّجْدِيِّ لَمَّـا تَنَسَّمَ من حِيَالِ الشَّامِ رِيحَا)[1]

التـــبريزى : لوعة : اسم من قولهم لاعنى الأمر يلوعنى لَوْعًا، إذا آلم قلبَك من حزن ووَجْد . ومعناه أنّه قال لصاحبه الهائم بالبرق اللائح من بعيد : سَفاهٌ لوعة النجدىّ . أى إذا كنت [نجديًّا] وتنسّمت الرِّيح من جبال الشـام ورأيت البرقَ اللائح منه ، فمن السَّفاه لوعتُك لأجلهما .

البطليـــوسى : سيأتى .

الخـــوارزمى : قعد حِيالَه وبحياله ، أى بإزائه . ومنه بيت السقط :

تكبيرتان حِيـالَ قـبرِكَ للفـتى محسوبتانِ بعُـمْرةٍ وطَـوافِ

هذا البيت هو المقول[2] . يقول : من السفه إبداؤك حُرْقةَ وجدٍ ، بأنك نجدىٌّ قد استنشق بالشّام ريحَ نَجْد .

٧ (وَغَيٌّ لَمْحُ عَيْنِكَ شَـطْرَ نَجْدٍ إذَا مَا آنَسَـتْ بَرْقًا لَمُـوحَا)

التـــبريزى : الغَىّ : الجهل . يقال : لمحهُ، إذا نظر إليه . وشَطْرَ نجـدٍ ، أى نَحْوَه . قال عمرو بن الإطنابة :

فإنّكمُ وما ترجون شَطْرِى من القَـول المُـرَغَّى والصَّريحِ

ويقال : لمع البرقُ، إذا أضاء، ولمحه الإنسان إذا رآه . وهـذا البيت يؤكِّد ما قبـــله .

البطليـــوسى : السَّفه والسَّفاه والسَّفاهة : الجهل . واللَّوعة : حُرقة الوجد . وتَنسُّمُ الريح : استنشاقُ نسيمها عنـد الهبوب . وحيال الشّام : ناحيته وشِـقُّه . وفى بعض النسخ : «مِن جبال الشام» . وكلاهما جائز . والغَىّ والغَواية : الضَّلال .

(١) التبريزى : «جبال الشام» .
(٢) أى المقول لقوله : « أقول لصاحبى ... » فى البيت الرابع المتقدم .

واللمح : النَّظَر . وشطر نجد : قصدها وجهتها . قال الله تعالى : ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ . وآنستُ : أبصرتُ . واللَّوح : اللامع . يسفِّه رأىَ صاحبه فى حنينه لهبوب الريح ولمعانِ البرق، ويحضُّه على الصَّبْر والتسلِّى .

الخوارزمى : قوله « لمح عينيك » : مستثقل ؛ لاجتماع حرفَى الحلق فيه .

٥ ونحوه قول أبى تمام :

كريمٌ متَى أمدَحْهُ أمدحْهُ والورَى مَعِى ومتَى ما لُمْتُــه لُمتُــهُ وَحْدِى

برق لَمَوح، أى لَموع . و «لَمْح» مع «لَمُوحا» تجنيس .

٨ ﴿وإمْرَاضُ المَوَاعِدِ أعْلَمَتْنِي بأنَّ وَرَاءَهَا سُقْمًا صَحِيحا﴾[1]

التبريزى : يقال : سُقْمٌ وسَقَمٌ . وفى البيت تطبيق بالمرض والصحّة .

١٠ ومرض الوعد ألّا يُنْوَى له الوفاء . والسّقم الصحيحُ : اليأسُ من الوفاءِ بالموعود .

البطليوسى : جعلَ مرض المواعد غيرَ صحيح، لِمَا معه من الرَّجاء والأمل . وجعل التَّصريح بالمنع هو المرض الصحيح، لما فيه من اليأس وانقطاع الطمع . يقول : لمَّا رأيتُ حبيبى يُمْرِض لى الوعدَ ولا يحقِّقه، علمتُ أنّ عاقبتَه ستؤول إلى الهَجْر الصَّريح، واليأس الصحيح . وأكثر ما يُستعمل فى قلّة التحقيق التَّمريضُ؛

١٥ يقال : إنّه ليمرِّض لى فى القولِ، إذا لم يجِدّ فيه . ويقال : أمرض، إذا قاربَ الصَّوابَ ولم يصب . قال الشّاعر[2] :

ولكنْ تحتَ ذاكَ الشَّيْبِ حَزْمٌ إذا ما قَالَ أمْرَضَ أوْ أصابا

(١) رواية البطليوسى : « مرضا صحيحا »

(٢) هو كثير عزة يمدح بها عبد الملك بن مروان . انظر الحيوان (٣ : ٦) .

الخـــوارزمى : عنى بـ «إمراض المواعد» ما يبدو على صفحات المواعد من رُواء الخُلف. وأراد بـ « السّقم الصحيح » اليأسَ القوىَّ الصِّرفَ، وهو الذى لا يشوبُه من الرَّجاء شىء .

٩ (مَتَى نُصْبِحْ وَقَدْ فُتْنَا الأَعَادِى نُقِمْ حَتَّى تَقُولَ الشَّمْسُ رُوحَا)

التـــبريزى : أى متى اطمأنَّتْ نفوسنا من الأعداء أقمنا إلى طلوع الشَّمس بأرض طيِّبة، لم نستعجل فى السَّير .

البطلـــيوسى : سيأتى .

الخـــوارزمى : الشمس إذا دنت من المغيب رُئيت مضطربة، كأنَّها بما لَها من الحركة والاضطراب، ترمز إلى الرِّفاق بالرَّحيل والذَّهاب . يقول : متى تركنا وراءنا العِدَى، وأمِنَّا من جِهتهم الرَّدى، فحينئذٍ نُقيم طولَ النهار نَنوح[1]، ولا نكاد نروح.

١٠ (بأَرْضٍ لِلحَمَامَةِ أَنْ تَغَنَّى بِهَا وَلِمَنْ تَأَسَّفَ أَنْ يَنُوحَا)

التـــبريزى : أى نُقِمْ بأرضٍ آمِنــة يُمكن فيها الغناءُ لمن هو طَرِبٌ مسرور، والنِّياحة لمن هو كئيبٌ محزون .

البطليـــوسى : يقول: مخافتنا الأعداءَ تحملنا على مواصلة السُّرى والسَّهر، وترك الاســتراحة من ألم السفر ، فإذا أصبحنا وقد قطعْنا أرضَ المخافة، وصِرنا فى بلادِ الأمن والسَّلامة، أقمنا حتَّى تذهب وَقْدة الهجير، وتأمرنا الشَّمسُ بالرَّواح والمسير. والشمس لا تقول، ولكنّه جعل ذَهاب حِدّتها، وسكون وَقدتها، قولًا لها؛ لأنها لو كانت ممن يَتكلَّم لقالت ذلك . والعرب تجعــل كلَّ دليلٍ واعتبارٍ قولا . ونحوٌ منه قولُ الرَّاعى :

(١) لمح بهذا اللفظ ما سيأتى فى البيت التالى .

وَجِيفَ المطايا ثمّ قلتُ لصحبتى [(١)] ولم يـــنزلوا أبردتُم فتروَّحـــوا

فكأنَّ الشمس [إذا] انكسرت حِدّتها وذهبتْ وَقْدتها، تقول : أبردتم فتروّحوا، كما قال الراعى . وقوله : « بأرض للحمامة » يريد أنها أرض آمنة يتغنّى بها الحمامُ، وينوحُ أهل التأسُّف والغرام؛ لأنّ الأرض المَخُوفة لا يَرفع بها أحدٌ صوتَه؛ ولذلك قالوا للقَفْر المخوف مَهْمَه، يريدون أنّ الرجل إذا تكلم فيه قال له صاحبه : مَهْ مَهْ . وقال أصحاب المعانى فى قول أبى ذؤيب :

على أطْـرِقَا باليـاتِ الخِيامِ إلّا الثُّمامَ وإلا العِـصِىّ [(٢)]

إنّ « أطرقا » موضع، سُمِّى بذلك لأنّ ثلاثةَ نفرٍ مرُّوا به، فكلَّمَ أحدُهم صاحبَه فقال لهما الثالث : «أطرقا» ، فعُرِف الموضع بذلك . وقال قوم: إنما هو أطرقاء، بالمدّ، جمع طريق، فقُصِر للضرورة .

الخـــوارزمى : الباء فى قوله : « بأرض » يتعلق بقوله : « تُقِمْ » يعنى بأرضٍ باض فيها الأمن والأمان، ولم يعشِّش بأطرافِها الحَدَثان ، فساغ فيها للحمام الغِناء ، وللآسِف النَّوحُ والبكاء . وفيه دليلٌ على أنّهم [كانوا] بأرضٍ فيها يخاف الحَمام، ويحلِّق بالقوم الحِمام .

١١ ﴿أَعُبَّادَ المَسِيحِ يَخَافُ صَحْبِي وَنَحْنُ عَبِيدُ مَنْ خَلَقَ المَسِيحَا﴾

التـــبريزى : قيلت هذه القصيدةُ وملكُ الرُّوم قد خرج إلى أرض المسلمين، وخافَ النّاسُ الذين قرُبوا منه فرحَلوا عن أوطانهم . والمعنى أنّا لا يَحْسُن بنا ونحن عبيدُ الله أن نَفْرَقَ من عُبّاد المسيح . واختلف النّاس فى هذا الاسم ، فقال قومٌ : سُمِّى المسيحَ، لأنّه وُلِد ممسوحا بالدُّهن . وقيل : سُمِّى مَسيحًا ، لأنّه كان ممسوحَ الرِّجلين، أى لا أَخمَص له . وقيل : مَسِيح بمعنى ماسح؛ لأنّه كان يسافر فى الأرض، فكأنّه

(١) كذا فى الأصل . ولعلها : « قالت » أو « قلن » .

(٢) انظر ديوان أبى ذؤيب ص ٦٥ طبع دار الكتب المصرية، واللسان (طرق) .

ماسحٌ لها، من المساحة . وقيل : إنّما هو فَعِيلٌ فى معنى مفعول؛ لأن مَن آمن به كان يمسحه بكفّيه ، يتبركُ بذلك . ويجوز أن يكون يقال مسيح ها هنا فى معنى ماسح، كما يقال عليم بمعنى عالم ، أى الذى هو كان يمسح بيده من صدّقه . ويقال : إنّه بالسريانية مَشِيحَا .

البطليـــوسى : سياق . ٥

الخـــوارزمى : افترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة، وكبار فرقهم المَلْكائية، والنّسطورية، واليعقوبية . والمراد هاهنا إمّا الملكائية، وهم أصحاب مَلْكاء الذى ظهر بالرُّوم واستولى عليها . ومُعْظم الرُّوم ملكائية؛ لأنّهم يقولون : الله تعالى جوهر واحد، ثلاثة أقانيم : أُقنوم الأب، وهو ذات الله تعالى، وأقنوم الابن، وهى الكلمة، أى العلم، وأقنوم روح القدس، وهى الحياة . فالله تعالى واحدٌ فى الجوهريّة، مختلف ١٠ بالأقانيم . وعنهم أخبر القرآن : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ . وكذلك قالت الملكائية : ولدتْ مريمُ عليها السلام إلهاً أزليًّا . وأمّا اليعقوبية، وهم أصحاب يعقوب القائلون بالأقانيم الثلاثة ، فإنهم(١) قالوا : قد انقلبت الكلمة لحما ودما، فصار الإله المسيح، وهو الظاهر بجسده . وعنهم حدّث القرآن : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ . فلما كان كلٌّ من هاتين الفرقتين يعتقد أنّ الله هو المسيح، ١٥ جعلهما أبو العلاء عُبّادَ المسيح . وفى شعر أبى الطيّب :

ويستنصران الذى يعبدانِ وعندهما أنّه قد صُلِبْ

«عباد المسيح» منصوب على أنّه مفعول يخاف . وإنما يخاف صحبُه النّصارى، لأنّ ملك الرُّوم [كان(٢)] قد خرج إلى ديار المسلمين بخلَوا عنها . بهذا البيت تبيّن أنّ الأعادى المذكورة فى قوله : « متى نُصبح وقد فُتنا الأعادى » هم النصارى . ٢٠

(١) فى الأصل : « لأنهم » . (٢) ليست فى الأصل .

١٢ (رأيتكَ واحداً أبرحتَ عزماً ومثلُكَ من رأى الرأيَ النجيحا)

التبريزى : يقال : أبرح الرجل، إذا جاء بالبَرح، أى بالعجب. ويستعمل فى معنى الشدّة، يقال أبرح و برّح، إذا جاء بالبُرَحاء. قال[1] :

* أبرحتَ ربًّا وأبرحتَ جارًا *

٥ والرب : الملك ها هنا . ونجيح، فى معنى ناجح، أى رأيا ذا نجح .

البطليوسى : قوله : « أبرحت عزْما » أى أتيتَ من عزمك بأمرٍ برْح، وهو الذى يُعجَب منه . قال الشاعر[2] :

ومرةً[3] يحميهم إذا ما تبدّدوا ويطعنُهم شزْرًا فأبرحتَ فارسًا

والعزم: النفاذ فى الأمور والإقدام عليها. فأما الحزم، بالحاء، فهو صحة الرأى وحسن

١٠ التدبير . ومن أمثال العرب : «قد أَحزِم لو أَعزِم» أى قد أرى وجه الصواب، وأعلم كيف يُتأتّى للأمر، غير أنّى لا أُمضيه. والرأى النجيح: الذى ينجح فى الأمور ويبلغ منها المرغوب . وقد فسّره بالبيت الذى بعده .

الخوارزمى : تقول لمن فضّلته وتعجّبت منه : أبرحْتَ رجلا ! وأبرحْتَ فارسا ! وحقيقته : جئت بالبرْح ، وهو العجَب . وانتصاب « رجلاً » على التمييز.

١٥ سعىٌ نجيح، ورأى نجيح : ذو نجح . يعنى لك عزمٌ كالسيف الفتيق[4] ، ورأى مصحوب بالتوفيق .

(١) هو الأعشى . انظر ديوانه ص ٣٧ . وصدره :

* تقول ابنتى حين جد الرحيل *

(٢) هو العباس بن مرداس السلمى من قصيدة له فى الأصمعيات ص ٣٥ .

٢٠ (٣) فى الأصمعيات طبع ليبسك : «وكرة» .

(٤) السيف الفتيق : الحديد الماضي .

١٣ (فَلَمْ تُؤْثِرْ عَلَى مُهْرٍ فَصِيلًا وَلَمْ تَخْتَرْ عَلَى مُهْرٍ لَقُوحًا)

التبريزى : الفصيل : ولد الناقة الذى قد فُصل منها . ويجوز أن يقال له فصيل إذا قارب من الفِصال، وإن لم يُفْصَل . ومن أبيات المعانى :

بِتْنا عِـذوباً بلا ماءٍ ولا لبن حَتَّى جعلنا حِبالَ الرَّحْلِ فُصْلانا

أى أخذنا بأحبال الرَّحْل، فعصبنا بها أفخاذ النوق لتدرّ . وإذا كانت الناقة كذلك قيل لها ناقة عَصُوب . قال الحطيئة :

تَدِرُّون أنْ شُدَّ العِصاب عليكمُ ونأبى إذا شُدَّ العِصاب فلا نَدُرّْ

والحِجر : الفرس الكريمة الأنثى . واللَّقوح : الناقة التى قد نُتِجت، فهى لَقوحٌ شهرين أو ثلاثةً ، ثم هى بعد ذلك لَبون . والمعنى أنك لا تُؤْثِر الفصيلَ باللَّبن على المُهْر، ولم تَختر اللَّقوحَ على الحِجْر ، أى تأخذ لبنَها وتسقيه الفَرَس .

البطليوسى : يقول : مِنْ نُجح رأيك وعَزمك، ومعرفتك بالأمور وعلمك، أنك آثرت الخيلَ على الإبل، فبلغت بها إلى الأمنية والأمل، فكان عزمك برَحا، ورأيُك نُجحا . وتُؤْثِر : تفضِّل . والحِجر : الأنثى من الخيل . والحصان : الذكر . واللَّقوح : الناقة ذات اللبن، وجمعها لُقُح . وهذا المعنى موجود فى قول الحارث ابن همَّام :

أيا بن زَيَّابة إنْ تَلْقَنِى لا تَلْقَنِى فى النَّعَم العـازِب

وتَلْقَنِى يشـتدُّ بى أجردٌ مُستقدِمُ البِرْكَةِ[1] كالرَّاكِب

يقول : لست براعٍ أتبع أذناب الإبل، وإنما أنا أخو حرب متهيِّئٌ لها .

الخوارزمى : يقول : لم تختر لَقوحك على حِجرك، لصَرفك لبنَ الفصيل إلى مُهرك . يعنى تتعهّد فرسَك بلبن الحَلوب، لأنك فى مزاولة الحروب .

(١) البِركة، بالكسر : الصدر . وانظر الحماسة (١ : ٣٣) .

١٤ (رَكِبتَ اللَّيلَ فِي كَيدِ الأَعادِي وَأَعدَدتَ الصَّباحَ لَهُ صَبُوحَا)[1]

التبريزى : يريد بـ«الليل» فرساً أدهم، وبـ«الصّباح» اللّبَن، لأنّه أبيض. أى ركبت فرسًا أدهم فى كيد أعدائك، وجعلتَ صَبوحَه اللّبن .

البطليوسى : الليل: فرس أدهم كان للمدوح. ولمّا جعلَ الفرسَ ليلاً لدُهمته، جعل صَبوحه صباحًا لبياضه، إكمالا للصّنعة، وتتميمًا للمعنى، وطلباً لتشاكل الألفاظ. وكانوا يسقون خيلَهم اللّبن؛ قال الراجز :

هاجرتى يا بنةَ آلِ سعدِ أأنْ حلبتُ لِقحةً للـوَرْدِ

جَهِلْتِ مِنْ عِنانه المتـدِّ ونَظَرِى فى عِطْفه الأَلَدِّ

الخوارزمى : عنى بـ«اللّيـل» أدهم من الخيـل ، وبـ«الصّباح» اللبن . وسُئل أعرابىٌّ عن سَقيهم الخيلَ اللبَن، فقال: إنّما نسقى اللّبن لأنه يطوى الأياطل، ويحكم المُنّة، ويعقد الحَيْل ، ويصمِّل العَضَل، ويشدّ[2] البصر، ويدجِّى الشّعرة،[3] ويمرت[4] الجَرَاهِيَة، ويحسِّن السَّحناء،[5] ويطرُد الدَّوى[6] .

الحيل : شدّة الظهر.[7] والأياطل: جمع أيطل.[8] المُنّة، هى القوة . التصميل، هو التقوية . ويدجّى الشعرة، وذلك إذا نبتت مستوية حسنة، فهى داجية . الجَرَاهية: ظاهر الجلد. وكأنّه ألمّ فى هذا البيت من حيثُ اللفظ بقولهم «لكلّ صباحٍ صَبُوحٌ» .

(١) البطليوسى : « وصيرت الصباح » .

(٢) فى الأصل : « يسد » بالمهملة . ولم نر لها تخريجا من السد أو السداد .

(٣) فى الأصل : « يرجى » صوابه بالدال .

(٤) المرت : التمليس ، كما فى القاموس.

(٥) السحناء، بالفتح وبالتحريك : الهيئة واللون .

(٦) الدوى ، بالقصر : المرض . دوى دوى من باب تعب .

(٧) أى هو القوة . وفى اللسان : « ويقال إنه لشديد الحيل أى القوة » .

(٨) الأيطل : الخاصرة .

١٥ ﴿وأَعْظَمُ حَادِثٍ فَرَسٌ كَرِيمٌ يَكُونُ مَالِكُهُ رَجُلًا شَحِيحًا﴾[(١)]

التبريزى : أى قد آثرته باللّبن دون الفَصيل، ولم تَبْخَل عليه كما يبخل غيرك على الفرس الكريم باللبن .

البطليوسى : يقول : من الخُلق الذميم، والطبع اللئيم، أن يكون للإنسان فرس يبذُل له جِدّه، ويجود عليه من الجرى بما عنده، وهو يشحّ بماله عليه، ولا يراه أهلاً لأن يحسن إليه؛ فيكون الفرسُ أجملَ منه صُنعًا، وأكرم طبعا. وإنما يجب على الكريم الطّبع أن يكافئ بالإحسان من يُحسِن إليه، ويتفضّل على من يتفضّل عليه.

الخوارزمى : أقام المليك مقام المالك، تنبيهًا على أنّ مالك الفرس الكريم بمنزلة المليك، وبالحَرى أن يكون كذلك؛ لأنه كثيرًا ما يتوسّل الرّجل الوضيع بالفرس الكريم، الى المُلك العظيم. ومن ثَمّة جعل الفرس فى البيت الثانى كالدُّنيا .

١٦ ﴿تُرِيكَ لَهُ سَمَاءً فَوقَ أَرْضٍ فُرُوجَ قَوائِمٍ يُعْدَدْنَ لُوحَا﴾

التبريزى : أعلى الفرس يُجعل سماءً، وقوائمه تُجعل أرضا . قال الشاعر[(٢)]:

وأشْقَرَ كالدِّيباج أمّا سماؤُهُ فرَيّا وأمّا أرضُه فمُحُولُ[(٣)]

واللوح : ما بين السماء والأرض . يعنى أنّ ما بين قوائمه متّسع ، وكأنّهن لُوح ، وهو الهواء .

البطليوسى : لمّا كان أعلى الفرس يسمّى سماء، وقوائمه تسمّى أرضا، سمّى ما بين قوائمه هواءً، تتميما للصنعة، وطلبًا لتشاكُل الألفاظ. والفروج: ما بين القوائم. واللّوح : الهواء . وزعم بعضُ اللغويّين أن أرض الدابة بالظاء[(٤)]، وذلك غير صحيح.

(١) رواية البطليوسى : « فرس جواد » . (٢) هو طفيل الغنوى كما فى اللسان (١٩ : ١٢٤) . (٣) المحول، بفتح الميم وضمها : الأرض الجدبة . وانظر روايته فى الصفحة التالية .
(٤) انظر الاقتضاب لابن السيد ص ٣٢٥ س ٩ .

والدليل على ذلك قول الشاعر :

وأحمر كالدِّيباج أمّا سماؤه فرَيًّا وأمّا أرضُـه فمَحُولُ

فكما سمّى أعلى الفرس سماءً لارتفاعه تشبيهاً له بالسماء، كذلك سمّى قوائمه أرضًا لاستِفالها تشبيهاً لها بالأرض . ويؤكد ذلك وصفُه لها بالمحل .

٥ الخوارزمى : السماء تستعار لظهر الفرس، والأرض لأسفل قوائمه . قال[1] فى صفه فرس :

* إذا ما استحمّت أرضُه من سمائه *

ملأ فروج دابّته، وهى ما بين قوائمه ، إذا أعداه . وكل فرجة بين شيئين فَرْجٌ. اللوح : الهواء بين السماء والأرض؛ يقال "لا أفعل ذلك ولو نَزَوت فى اللُّوح".

١٠ وفى بائية الأمير أبى فِراس :

وربَّ كلامٍ مرّ فوق مَسامعى كما طَنَّ فى لُوح الهَجير ذُبابُ[2]

١٧ (أَصِيلُ الجَـدِّ سَابِقُـهُ تَرَاهُ عَلَى الأَيْنِ المُكَرَّرِ مُسْتَرِيحَا)

التبريزى : الأين : الإعياء . أى تجده على الإعياء مستريحا . وما أحسن ما أتى بهذا المعنى أبو الطيّب فى قوله :

١٥ * وأنزِلُ عَنه مِثلَه حِينَ أركَبُ[3] *

البطليوسى : وصَف عِتْقَ هذا الفرس فى نسبه، وأنّه ينتمى إلى جَدٍّ أصيل سابقٍ فى حسبِه. والأين : الإعياء والكَلال . يقول: إذا كلّت الخيلُ وأعيت رأيتَه

(١) هو خفاف بن ندبة، كما سيأتى فى شرح البطليوسى للبيت ١٧ . وانظر اللسان (١٢ : ٦٣) والأصمعيات ٤٩ .

٢٠ (٢) انظر ديوانه ص ٣٩ طبع بيروت ١٩١٠ .

(٣) صدره : * وأصرع أى الوحش قفيته به *

يجرى وادعًا لا مَؤُونةَ عليــه من الجرى ولا كُلْفة . وهــذا نحوٌ من قول خُفَاف بن نُدْبة السُّلَمىّ :

إذا ما استحمَّتْ أرضُه من سمائه جَرَى وهو مودوعٌ وَواعِدُ مَصْدَقِ[(١)]

الخــوارزمى : هذا كقول أبى الطيِّب المتنبى فى صفة فرس :

٥ * وأنزلُ عنه مِثلَه حين أركبُ *

وقولِ ابن المعتزِّ فى صفة فرسٍ أيضا :

تخـال آخِرَه فى الشَّــدِّ أوّلَه وفيه عدوٌ وَراءَ السَّبْقِ مذخورُ

١٨ ﴿كَأَنَّ غَبُوقَهُ مِنْ فَرْطِ رِىٍّ أَبَاهُ جِسْمُهُ فَبَـدَا مَسِيحَا﴾[(٢)]

التــبريزى : الغَبوق : شرب العشىّ . والصَّبوح[(٣)] : شُربُ الغَداة . والقَيْل : ١٠ شرب نصف النهار . والجاشريّة : شُرب السَّحَر . والمعنى أنّ هــذا الفرسَ كأنّ ما يُغبَقُه من اللَّبن[(٤)]، أى يُسقاه بالليل، قد صار مَسيحًا من فَرط رِيِّه، أى عَرَقًا يجرى من جسمه؛ لأنّ عرقَ الخيلِ أبيض .

البطليــوسى : سيأتى .

الخــوارزمى : المسيح : العرق، سمِّى بذلك لأنّه يَمسح بالبَلل ظاهرَ البدَن . ١٥ عرقُ الخيل إذا جفَّ ابيضّ . قال أبو الطيب :

عَوابِسَ حَلَّى يابِسُ المـاءِ حُزْمَهَا[(٥)] فهنَّ على أوساطها كالمَناطِـقِ

(١) يقول : إذا ابتلت حوافره من عرق أعاليه جرى وهو متروك لا يضرب ولا يزجر، و يصدقك فيا يعدك من البلوغ إلى الغاية . (٢) رواية البطليوسى : « بجرى » والتنوير : « فغدا » .

(٣) فى الأصل : « والغبوق » والصواب ما أثبتنا . (٤) فى الأصل : « باللبن » .

٢٠ (٥) عوابس، نصب على الحال . والحزم : جمع حزام . و يابس الماء : العرق . انظر العكبرى (١ : ٤٤٠) .

وفى هـذا إشارةٌ إلى أحدِ أسباب العرق . قال جالينوس : العرق يحدُث إمّا من استرخاء القوّة أو الجسد، أو منهما جميعا، وإما من تخلخل المسامّ، وإمّا من كثرة فُضولٍ تجمّـعُ فى البدن، وإما من أنْ تَحمِـل على المعدة فوقَ الطاقة . وإلى السبب الأخير وقعت الإشارة هاهنا .

٥ ١٩ (كأنَّ الرَّكْضَ أبدَى المَحْضَ مِنْهُ ... فَـجَّ لَبـانُهُ لَبَنـا صَرِيحـا)

التـبريزى : لبَان الفرس : موضع اللبَّب . أى إنّ هذا الفرسَ يُسْقَى اللبن، فإذا عرِق حسبتَه قد مجَّ اللبن الذى سُقِيه، لأنه يشبهه لبياضه . والصريح من اللبن : الذى لم يخالطه ماء .

البطليـوسى : المَسيح : العرق . قال لبيد :

١٠ * فَراشُ المَسيح كالجُمان المحبَّبِ * [1]

والغبوق : مايُشْرب بالعشىّ من اللبن . يقول : كأنّه حين اغتبق اللبن وأفرط فى الرِّىّ منه، أبى جسمه أن يقبله لكثرته، فخرج فى العرق . وإنّمـا قال هذا لأنّ عرق الخيل إذا جفّ عليها ابيضّ . قال طُفَيْلٌ الغَنوىّ يصف الخيل :

كأنّ يبيسَ المـاءِ فوقَ مُتونِهـا ... أشارِيرُ مِلْحٍ فى مَبـاءَةِ مُجْـرِبِ [2]

١٥ وقال بِشرُ بن أبى خازم :

تراها من يَبيس المـاءِ شُهْبًا ... مُخـالِطَ دِرّةٍ منهـا غِـرارُ [3]

(١) فراش المسيح : ما يقطر منه . ورواية الديوان ٥٤ : « المثقب » . وصدره .

* علا المسكَ والديباجَ فوق نحورهم *

(٢) أشارير : قطع . وفى الأصل : « أسارير » مصحف . ومباءة الإبل : مبركها . وفى الأصل :

٢٠ « هباءة » تحريف . والمجرب : الذى جربت إبله .

(٣) الدرة : كثرة العرق ؛ والغرار : قلته . انظر المفضليات (٢ : ١٤٣) .

والركض : تحريك الرِّجْلين على الفــرس ليعدو . والمحض من اللبن : ما لم يخالطه الماء، حلوًا كان أو حامضا . والصَّريح من اللبن : ما سكنت رُغْوتُه . ومجَّ : طرَح . واللَّبان : ما جرى عليه اللّبب من صدر الفرس .

الخــوارزمى : عنى بـ « المحض » اللّبن . واللَّبان، بالفتح، هو الصدر . وكأن اشتقاقه من اللَّبن . والمصراع الثـانى قد كاد ينبِّهك لصحة الاشتقاق . والمصراع الأوّل يحتوى على تسجيع مليح، والثانى على تجنيس طيِّب .

٢٠ (وأَرْبَابُ الجِيَـادِ بنُــو علِيٍّ مُزِيرُوهَا الذَّوابِلَ والصَّفِيحَا)

التــبريزى : الذاوبل : الرماح . والصفيح : جمع صفيحة ، وهو السيف العريض . أى يعرِّضون الخيلَ للِّرماح والسُّيوف .

البطليــوسى : سيأتى .

الخــوارزمى : الصفيح : جمع صفيحة، وهى السيف العريض، من صُفح السَّيف، وهو عُرْضه .

٢١ (وخَيْرُ الخَيْلِ مَا رَكِبُوا فَجَنَّبْ غُرَابًا والنَّعَـامَةَ والجَمُوحَا)

التــبريزى : الغُراب : فرس ذكر، وهو لغنىّ . والنعامة : التى كانت للحارث ابن عُبَاد . والجموح : التى كانت لرجلٍ مجهول، وهو الذى يقول :

فإنِّى بالجَمُــوحِ وأُمِّ عمــرو ودَوْلَحَ فاعلمُوا شَحِيٌّ ضَنِــينُ(1)

دَولح : اسم ناقته . أى أضنّ بهذه الثلاثة .

البطليــوسى : الذَّوابل : الرماح التى جفّ ماؤها فصلُبت واشتدّت . والصفيح : السُّيوف العِراض، واحدها صفيحة . وغراب : فرس عتيقٌ كان لغنىّ بن أعصُر، وفيه يقول طفيلٌ الغنوىّ :

(1) فى اللسان (جأ) : « وأم بكر * ودولح » . والجبىّ : البخيل الضنين .

بنات غُرابٍ والوجيهِ ولاحقٍ وأعوجَ تمى نسبةَ المتنسِّبِ

وزعم ابنُ الكلبيِّ أنّ الغراب والوجيهَ ولاحقًا والمُذْهَب ومكتوما، كُنّ لغنيّ بن أعصر.
وأمّا النعامة ففرسٌ كانت للحارث بن عُبَاد، وفيها يقول :

قَرِّبا مَربِطَ النَّعامةِ مِنِّي لَقِحَتْ حربُ وائلٍ عن حِيالِ

٥ وفى العرب نعامة أخرى، وهى فرس قِرَاص الأزدى(١)، وفيها يقول :

عرضتُ له صدرَ النّعامة إذْ دعا ولم أرج ذكرى كلّ نفسٍ أشوقها(٢)

وأما الجموح فهو الذى يقول فيه القائل :

فإنى بالجموح وأُمِّ عمرو ودَولج فاعلموا حِجِئٌ ضَنينُ

الخوارزمى : غرابٌ : ذكر من الخيل كان لغنيّ . والنعامة : أنثى كانت
١٠ للحارث بن عُباد . وقال الحارث :

* قرِّبا مَربِط النَّعامة منِّي *

والجموح أيضا : أنثى كانت لمسلم بن عمرو الباهلى ؛ قال :

* فإنى بالجموح وأُمِّ عمرو *

و" الغراب " مع " النعامة " إيهام .

١٥ ٢٢ ﴿ وَأَحْمَى الْعَالَمِينَ ذِمَارَ مَجْدٍ بَنُو إِسْحَاقَ إِنْ مَجْدٌ أُبِيحَا ﴾

التبريزى : أحماهم : أحفظهم للذمار . والذِّمار : ما يجب عليك حفظُه
والذبُّ عنه مِن حريمٍ وما يجرى مجراه .

البطليوسى : سيأتى .

(١) قراص ، كشداد وآخره صاد مهملة ، ابن غنية الأزدى . كما فى الاشتقاق ١٨٩ ومعجم
٢٠ المرزبانى ص ٣١٩ . وفى الأصل « الأودى » تحريف . وانظر الخيل لابن الكلبى ٣٨ .
(٢) كذا . وفى كتاب نسب الخيل لابن الكلبى :

عرضت لهم صدر النعامة أدعى ولم أرج ذكرى كل نفس أسوقها

الخوارزمى : أعمل أفعل التفضيل، وهو "أحمى" فى "ذمار مجد" . وعليه بيت السقط :

* وأوهبهم طريفًا أو تِلادَا *

و بيت الحماسة[1] :

* وأضرَبَ منّا بالسُّيوف القوانِسَا *

٢٣ ﴿ ومَعْرفَةُ ابنِ أَحْمَدَ آمَنَتْنِي فَمَا أَخْشَى الحَقِيبَ وَلَا النَّطِيحَا ﴾

التبريزى : الحقيب : الذى يجىء من ورائك . والنطيح : الذى يجىء من قُدّامك . وأصل النَّطيح أن يكون من ذوات القرون كالظِّباء والثّور الوحشىّ ، وكلاهما يتشاءم به . أى لمّا عرفتُ الممدوح أمنتُ ممّا يُتشاءم به .

البطليوسى : الذمار : ما يتعيَّن على الإنسان أن يحميَه . والمجد : الشرف . والحَقيب والقَعيد : ما أتاك من خلف من الوحش والطّير . والنَّطيح والناطح والجابِهُ : ما أتاك من أمامك .

الخوارزمى : الحقيب : ما يجىء من ورائك . واشتقاقه من احتقب الشىء واستحقبه ، إذا احتمَله خَلْفه . والنَّطيح : ما يجىء من أمامك، وأصله من ذوات القرون ؛ لأنّه فعيل بمعنى فاعل من النطح ؛ وكلاهما ممّا يُتشاءم به . ومثله فى المعنى بيت السقط :

وقد تبيَّن قدرى أنَّ معرفتى مَن تعلمين ستُرضِينى عن القَدرِ[2]

---

(١) البيت للعباس بن مرداس كما فى الخزانة (٣ : ٥١٨) . وصدره كما فى الحماسة والخزانة :

* أكرّ وأحمى للحقيقة منهم *

(٢) انظر ما سبق ص ١٣٥ .

٢٤ ﴿إِذَا اسْتَبَقَتْ خُيُولُ الْمَجْدِ يَوْمًا جَرَيْنَ بَوَارِحًا وَجَرَى سَنِيحَا﴾

التبريزى : وهو من البارح والسانح . والبارح : الذى يُتشاءم به، والسانح الذى يتيمَّن به . والبارح من الطّير وغيره، ممـا يزجر، هو الذى يُولِيكَ مَياسِره . والسَّانح هو الذى يُولِيكَ ميامنه . وقيل : البارح : ما يجيئك من يساره ، والسانح ما يجيئك عن يمينه . والقعيد مثل الحقيب الذى مرَّ ذكره .

البطليوسى : البـارح والبريح : ما جرى من اليسار . والسَّانح والسَّنيح : ما جرى من ناحية اليمين . وقال أبو عُبيدة مَعْمَر بن المثنَّى، فيما حكى الطُّوسىّ عنه : البوارح من الظِّباء وغيرها التى تجىء من ميامنك إلى مياسرك فتُولِيكَ مياسرَها، وأهل نجدٍ يتشاءمون بها ، وأهل الحجاز يتيمَّنون بها . والسوانح : التى تجىء من مياسرك إلى ميامنك فتُولِيكَ ميامنها . وأهل الحجاز يتشاءمون بها ، وهى عنـدهم فى صفة البوارح عنـد أهل نجد ، ويتيمَّنون بالبوارح، وهى عندهم فى صفة السوانح عند أهل نجد . فممن تشاءم بالبوارح وتيمَّن بالسوانح النابغةُ الذُّبيانىّ فى قوله :

زعم البـوارحُ أنَّ رِحلَتَنا غـدًا وبِذَاكَ تنعابُ الغُرابِ الأسودِ

وممّن تشاءم بالسَّوانح وتيمَّن بالبوارح أبو ذؤيب الهذلىّ فى قوله :

زجرتُ لها طيرَ السَّنيحِ فإن تَكُنْ هَواكَ الذى تَهْوَى يُصِبْكَ اجتنابُها

وقد ذكر أبو حيّةَ النُّميرىُّ المذهبين جميعًا فى قوله :

جرى يومَ رُحْنا عامِدِينَ لأرضها سَنِيحٌ فقـال القـومُ مَرَّ سنيحُ

فهابَ رجالٌ منهـمُ وتَقَاعَسوا فقلت لهـمُ جارٍ إلىَّ ربيـحُ[(١)]

والعلّة التى أوجبت خلافَهم فى ذلك أنَّ منهم من يُراعى ميامن الطَّير ومياسره ، ومنهم من يراعى ميامن نفسه ومياسرَها .

(١) البيتان من أبيات فى زهر الآداب (٢ : ١٦٧ — ١٦٨) والحيوان (٣ : ٤٤٥) .

الخـــوارزمى : البارح : ما يمرّ من ميامنك إلى مياسرك ، ويتطيّر به . وأما السّانح فعلى عكس ذلك . وفى أمثالهم «مَن لى بالسّانح بعد البارح» .

٢٥ (ولَوْ كَتَبَ اسْمَهُ مَلِكٌ هَزِيمٌ عَلَى رَايَاتِهِ وَالَى الفُتُوحَا)

التـــبريزى : يريد أنّ اسمه يُتَـبرَّك به . والهـــزيم : المهزوم ؛ وأصل الهزم الكسر . ومنه هَزمة الرعد، كأنّه يتشقّق . ويقال: تهزّم السِّقاء إذا يبس فتصدّع . والهَزْمةُ: الغمزة الداخلة فى الموضع من الجسد، وكذلك من الأرض. وفى الحديث: «زمزمُ هزمةُ جبريلَ لإسماعيل» . وانهزام القوم : تصدّعهم وتفرّقهم. والمصدر الهَزْم . قال :

وهُـــمْ يومَ عـــكاظ مَـ ـنَعوا النّــاسَ من الهَزْمِ

البطليـــوسى : سيأتى .

الخـــوارزمى : فى أساس البلاغة: « جيش مهزوم وهزيم» . يقول :اسم هذا الممدوح متبرَّك [به] فكيف ذاته .

٢٦ (فَيَا بْنَ مُحَمَّـدٍ والمَجْدُ رِزْقٌ بِقَدْرِكَ سُدْتَ لاَقَدَرٍ أُتِيحَا)

التـــبريزى : أُتيح، أى قُدِّر . يقال أتاح الله [له] كذا وكذا أى قدر له خيرًا أو شرًّا، وتاح له الشيءُ ، إذا قُدِّر له . قال الرّاجز :[1]

تاح لهـــا [بعدك][2] حِنزابٌ وَأَى من الجُحَيْمِيّينَ أرباب القُرَى

حنزاب : شديد . والحِنزاب: حمار الوحش . والحنزاب : الديك . والحنزاب جزر البرّ .

البطليـــوسى : سيأتى .

(١) هو الأغلب العجلى ، يقوله فى سجاح لما تزوجت مسيلمة . انظر الأغانى (١٨ : ١٦٥) بولاق . وفى اللسان (حنزب) أنها كانت تروى فى الجاهلية لجشم بن الخزرج .

(٢) التكملة من اللسان (حنزب) .

الخـــوارزمى : وهو محمد النبي صلوات الله عليه وسلامه . ويشهد له قولُه :

* إليك ابنَ الرَّسولِ خُثِثْنَ جِدًّا *

٢٧ ﴿وَمَا فَقَدَ الحُسَيْنَ وَلَا عَلِيًّا   وَلِيُّ هُدًى رَآكَ لَهُ نَصِيحَا﴾

التـــبريزى : أى إنّك تقوم مَقامَهما، لمن والاهما واهتدى بهما .

٥ البطليـــوسى : ... ...

الخـــوارزمى : يقول : أنت فى العلم والزُّهد والنُّصح تقوم مقام الحسين وأبيه علىّ بن أبى طالب، رضى الله عنهما .

٢٨ ﴿إِلَيْكَ ابنَ الرَّسُولِ خُثِثْنَ جِدًّا(١)   ولم يُحْذَيْنَ من عَجَلٍ سَرِيحَا﴾

التـــبريزى : السريح : نعال الإبل، وتكون من جلود . وأنشد سيبويه(٢) :

١٠ وطِـرْتُ بِمُنْصُلِي فى يَعْمَـلَاتٍ   دَوامى الأَيْـدِ يَخْبِطنَ السَّرِيحا

يريد : «دوامِى الأيدى» فاجترأ بالكسرة .

البطليـــوسى : الهزيم : المهزوم، وهو فعيل بمعنى مفعول . والرايات : الأعلام، واحدتها راية . ووالى : تابع بعضَها فى إثر بعض . والمجـد : الشرف . وأُتيـح قـدِّر وقُضِى . يقول : لم تكن ممّن اتّكل على السَّعد فقعـد عن السَّعى والطلب،

١٥ كما يفعلُ العاجز، ولـكنّك ممّن أعان جَدُّه سعيَه، وسعيُه جَدّه، فاجتمع له الجَدّ والجِدّ، كما قال أبو الطيب :

فيأيُّهـا المنصورُ بالجَدِّ سـعيُه   ويأيها المنصـور بالسَّعى جَدُّهُ

---

(١) أ : من البطليوسى : « حثثن شوقا » .

(٢) هو مضرس بن ربعى الأسـدى، أو يزيد بن الطثرية، كما فى شرح شواهد المغنى ٢٠٤ .

٢٠ وقد ورد البيت بدون نسـبة فى كتاب سـيبويه (١ : ٩ / ٢ : ٢٩١) والإنصاف لابن الأنبارى ٢٢٢ . يستشهدون به على حذف ياء « الأيدى » للضرورة .

وحُثثن : كُدِدن وأُعجِلن . والجِدّ : الاجتهاد فى العَدْو . ويُحذَين : يُجعل لهن حِذاء . والسَّريح : نِعالٌ من جلود كانت تُحذاها الإبل، وقيل هى سيور كانوا يشدُّون بها النِّعالَ فى أخفاف الإبل إذا حَفِيت . قال الشّاعر :

فِطرْتُ بمُنْصُلى فى يَعْمَلاتٍ دَوامى الأيدِ يَخْبِطْنَ السَّريحا

الخوارزمى : الضمير فى حثثن للنوق وإن لم يَجر لها ذكرٌ . السَّريح : نعال الإبل، الواحدة سريحة . ٥

٢٩ (هَمَمْنَ بدُلْجَةٍ وَخَشِينَ جِنْحًا فَبِتْنَا فوقَ أَرْحُلِهَا جُنُوحَا)

التبريزى : الدُّلجة، مضموم الأوّل : المسير من أوّل الليل . والدَّلجة، بفتح الدال : المسير من آخر الليل، أو هما واحد، وهو القول الجيّد . والجنح : الليل . وجنوح : جمع جانح وهو المائل . ١٠

البطليوسى : الدُّلجة بضم الدال : السَّير من آخر الليل . والدَّلجة بفتح الدال : السير من أول الليل . وجنح الليل وجنحه، بكسر الجيم وضمها : إقباله على النهار حتى يَغلب عليه . وجُنوح : جمع جانح، وأراد به هاهنا الذى يميل من النُّعاس . وأرحُلٌ : جمع رحل، والرحل للبعير كالسَّرج للفرس . ونسَب الهمّ والخشيةَ إلى الإبل، ومراده أصحابُها . يقول : هممنا بأن نستريح بعد الرحلة(١) ثم ندلج من آخر الليل(٢)، فخشينا آفات الليل وشروره، فلم ننْزل وبِتْنا على ظهور الإبل نتمايل من النُّعاس . ونحوه قوله من قصيدة أخرى : ١٥

بِتْنا فريقٌ فى سُروج ضوامرٍ منّا وآخرُ فى رِحال عَرامس

(١) أ : « بعض الرحلة »، حـ : « يعنى الراحة » . واستخلصنا من بينهما الصواب .

(٢) حـ : « فى آخر الليل » . ٢٠

الخوارزمى : الجبال جنوح على الأرض، أى على حالها كما هى؛ قال النابغة:

يقولون حِصْنٌ ثم تأبَى نفوسُهم وكيفَ بحِصنٍ والجبالُ جنوحُ

يعنى : يريدون أن يقولوا ماتَ حصنٌ ثم يمتنعون . وكيف يموت حصنٌ والجبال على حالها ثابتة . وعليه قول جَمال العرب الأبيوردىّ :

٥ ونحن على رحائلنا جُنوحٌ نَحُثُّ العِيسَ فى سُرَرِ البِطاحِ

يقول : قامت النُّوق بالسُّرَى بعض القيام ، ثم أقعدتْها عن المضىّ مهابة الظَّلام ، فبقينا على ظهورها، لم ننزل رجاء مرورها . والجنح مع الجُنوح تجنيس .

٣٠ (أَشَحْنَ وَقَدْ أَقَمْنَ عَلَى وِفَازٍ ثَلاَثَ حَنَادِسٍ يَرْعَيْنَ شِيحَا)

التبريزى : الإشاحة تستعمل بمعنى الجِدّ، وبمعنى [الحذر](١)، وهاهنا
١٠ يحتمل الوجهين . وقوله : « ثلاث حنادس » حذفت منها الهاء لأنها ليال .

البطليوسى : الإشاحة تستعمل فى معنى الجِدّ والانكماش ، وتستعمل بمعنى الحذر والخوف . يقال : أشاح فهو مُشيح . قال ابن الإطنابة :

وإعطائى على الإعدام مالى وضربى هامةَ البطلِ المشيحِ

والوِفاز : العجلة، واحدها وَفَزٌ . وقد أنكر بعض اللغويّين وِفازا، وقال : الصواب
١٥ أوفاز ؛ ومنهم من يجيزهما معا، وهو القياس . قال الراجز :

أسوقُ عَيْرًا مائلَ الجَهازِ صَعْبًا يُنَزِّيني على أوفازِ

والليالى الحنادس ثلاث، وهى ليلة اثنين وعشرين من الشهر،وليلة ثلاثة وعشرين، وليلة أربعة وعشرين من الشهر أيضا . وسمِّيت حنادس لشدّة إظلامها . وقوله : «يرعين شيحا» يريد أنها لا تجد مَرْعًى غيره فترعاه . والشِّيح: من أمرار النبات .

٢٠ (١) التكملة من التنوير والبطليوسى .

والإبل إنما تحبُّ الخُلّة، وهو النّبات الحلو؛ ولذلك قالت العرب : «الخُلّةُ خبز الإبل، والحَمْض فاكهتها » .

الخوارزمى : فى أساس البلاغة : «أشاح منه وشايح إذا حذِر» . قعد فى أوفاز وِوفاز، وذلك أن يقعد منتصباً غير مطمئنّ . الحندس : الليل الشديد الظلمة ، من الحَدْس وهو نظر خافٍ[1] . الشيح : نبتٌ ، وهو خُزامَى[2] أهلِ سَمَرْقَنْد ولا سيَّما فى الشتاء . وقيل لبعضهم: لا أحسبك تُحسن الخِراءة . فقال : «بلَى! أُبعد الأثر، وأُعِدّ المدر، وأستقبل الشّيح، وأَستدبر الرِّيح» . والشِّيح مما يكثر فى الفلوات . يقول : توقّفتُ لا عن كلالٍ ، بمنزلٍ قَفْرٍ ثلاثَ ليالٍ ، وهى لا تصيب ما كلا ، سوى النابت من الشِّيح فى الفلا .

٣١(دُجًى تَتَشَابَهُ الأَشْبَاحُ فِيهِ[3] فَيُجْهَلُ جِنْسُهَا حَتَّى يَصِيحَا)

التبريزى : الدُّجَى : جمع دُجْية ، والأجود أن يقال دُجًى مظلمة . وقد يقولون دُجًى مظلم، يحملونه على المعنى والجنس؛ كما قال الله تعالى : ﴿ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِى بُطُونِهِ ﴾ وهو يريد الأنعام . يقول : لشدّة الظلمة لا يُعرَف بعضُ الأشخاص من بعضٍ إلّا بالصوت .

البطليوسى : الدُّجَى : جمع دُجية، وهى ظلام الليل، والفعل منها دجا يدجو وأدجى يُدْجِى . وكان القياس أن يقال دُجْوة بالواو ؛ مثل عُرْوة ، غير أنّ السماع ورَد عنهم بالياء ؛ فمن راعى أصل الكلمة كتب الدُّجَا بالألف ، ومن راعى لفظ

---

(١) انظر أساس البلاغة مادة (حدس) .

(٢) الخزامى : نبت ذو زهر طيب النفحة . وفى الأصل : « حزام » تحريف .

(٣) الخوارزمى والبطليوسى : « فيها » .

الدُّجْية كتبها بالياء . والأشباح : الأشخاص ، واحدها شَبَحٌ وشَبْح ، بتحريك الباء وتسكينها ؛ قال ذو الرمّة :

هَجُومٌ عليهَا نَفْسَهُ غَيرَ أنّه متَى يُرْمَ فى عينيه بالشَّبْح يَنْهَضِ [1]

الخوارزمى : الدُّجى : جمع دُجْية ، وهى الظُّلمة ، وهو مؤنّث لأنّه جمع تكسير ، وقد يذكَّر . وعليه قول القاضى التنوخىّ :

أحْسِنْ بدِجْلةَ والدُّجَى متراكبُ والفجرُ ظَنٌّ قد تَعَرَّضَ كاذبُ

والمعنى من قول أعرابىّ : « خرجتُ فى ليلةٍ حِنْدِسٍ ، قد ألقت أكارعَها على الأرض ، فمَحَتْ صُوَرَ الأبدان ، فما كنّا نتعارف إلا بالأذان » . وفى أمثالهم : « لقيته حين يقال أخوكَ أمِ الذّيب » أى لقيته فى ظلمةٍ يشتبه فيها على الناظر الأشباح والصور .

٣٢ (فَمَرَّ العَامُ لَمْ تَطْرُقْ أَنِيساً بِدارِهِمُ ولَمْ تَسْمَعْ نُبُوحَا)

التبريزى : النُّبوح : اختلاف الأصوات . وأصل ذلك أن يكون مع القوم كلابٌ تنبح ؛ قال ابن أبى ربيعة :

فلما دَنونا لجَرْسِ النُّبوحِ وللضَّوءِ والحىُّ لم يرقُدوا [2]

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : قوله : « فمرّ العام » معطوف على « حُثِثْن » . الضمير فى « تطرق » و « تسمع » ، للنوق . فى أساس البلاغة : « سمعت نُبوحَ الحىِّ : ضجّتهم بما معهم من الكلاب وغيرها ؛ قال طُفَيْلٌ :

عوازبُ لم تسمع نُبوحَ مَقامةٍ ولم تَرَ ناراً تِمَّ حولٍ مُجَرَّمِ [3]

---

(١) هجوم عليها ، يعنى الظليم ، يرمى نفسه على بيض يحضنه . ويروى : « بالشخص » . انظر الديوان ص ٣٢٤ . (٢) فى الديوان ٧٢ : « إذا الضوء » . (٣) المقامة ، بالفتح : المجلس ، والقوم .

٣٣ (وَلَا عَبِثَتْ بِعُشْبٍ فى رَبِيعٍ   وَلَا وَرَدَتْ عَلَى ظَمَأٍ نَضِيحَا)

التبريزى : النضيح : الحوض الصغير يُسْقَى فيه الإبل، والجمع أنضاح، وهو أحد ما جاء على فعيل وجمعه أفعال، وهو قليل .

البطليوسى : الطُّروق : الإتيان بالليل . والنبوح : أصوات الناس وجلبتهم ؛ قال طُفيل :

عوازبُ لم تسمع نُبُوح مَقامَةٍ   ولم تَرَ نارًا تِمَّ حَولٍ مُجَرَّمِ

والظمأ : العطش . والنضيح : الحوض ؛ سمى بذلك لأنه ينضح العطش أى يُرويه .

الخوارزمى : النَّضَح والنضيح هو الحوض(١) ؛ سمّى بذلك لنضحه عطش الإبل، أى لبلِّه إيّاه بالماء، وجمعهما أنضاح ونُضُح .

٣٤ (فَأُقْسِمُ مَا الطُّيُورُ الجَوْنُ سُحْمًا   كَهُنَّ وَلَا نَعَامُ الدَّوِّ رُوحَا)

التبريزى : الدو : الأرض المقفرة . وسُحْم : جمع أسحم . وهو الأسود . والرُّوح : جمع أرْوَح و رَوحاء ؛ والرَّوَح : تباعُد ما بين الرِّجلين . وأراد بالطُّيور السُّحم العِقبان . وإنما أراد أنّهن أسرع من العِقبان والنّعام .

البطليوسى : الجَو : ما بين السّماء والأرض . والسُّحم : السُّود . والدوّ : صحراء ملساء لا عَلَمَ بها . والرُّوح : التى تُرْخِى أجنحتَها وتُباعِدها عن جُنوبها ، وقيل هى التى فى قوائمها اعوجاج ؛ يقال رجلٌ أروح ، إذا تدانتْ عَقِباه وتباعدَتْ صدورُ قدمَيه . ويدلّ على صحّة القول الأوّل قول الهذلىّ(٢) :

لكن كبيرُ بنُ هِندٍ يوم ذلكمُ   فُتْخُ الشّمائل فى أيمانهم رَوَحُ(٣)

(١) فى اللسان : «النضح» بفتح الضاد ، والنضيح : الحوض ؛ لأنه ينضح العطش أى يبله» .
(٢) هو المتنخل الهذلى ، كما فى اللسان (٣ : ٢٩٤) .
(٣) كبير بن هند : حى من هذيل . والفتخ : جمع أفتخ ، وهو اللين مفصل اليد .

أراد أنّهم رفعوا أيديهم بالسيوف فباعَدوها عن أجنابهم، فجعل الرَّوَح فى اليدين . شبّه أبو العلاء الإبل بالطير والنّعام فى السرعة، وإنما خصّ السُّحم من الطير دون غيرها لمعنيين : أحدهما أن يكون وصف إبلاً سُودا ، والثانى أن يكون أراد أنّ الإبل اسودّتْ من العرق؛ لأنّ عرق الإبل أسود . ولذلك قال رؤبة :

* كأنما يَنضَحْنَ بالخَضْخاضِ (١) *

والخضخاض : القطِران . وقال الشمّاخ :

ولا عيبَ فى مكروهِها غير أنّها تَبدَّلَ جَوْنًا لونُها غيرَ أزْهَرا (٢)

والنعام تُوصف بسواد الألوان ، ولذلك ذكَرها مع الطّير السُّحم . قال العجّاج يصف ظليما :

* كالحبشىِّ التفَّ أو تَسَبَّجا *

أى لبس السَّبيج ،وهو ثوب له جيبٌ وليس له كُمّان. وقال ذو الرّمة يصف ظليما:

كأنّه حبشىٌّ يبتغى أثَرًا أو من مَعاشِرَ فى آذانها الخُرَبُ (٣)

وقال الأفوهُ الأودىّ :

كالأسْوَدِ الحبشىِّ الحَمْشِ تتبعهُ سُودٌ طماطمُ فى آذانها النُّطَفُ (٤)

وقوله : « كهن » ضرورة اضطر إليها ؛ لأن سيبويه لا يجيز أنت كَهُ ، وذكر أن العرب استغنت عنه بقولهم: أنت مثله . وإنما امتنع ذلك لأنّك لو قلتَ للغائب: أنت كه ، لزمك أن تقول للخاطب: زيد كَكَ وفى المتكلِّم : زيد كِى؛ فرُفِض فى الغائب

---

(١) انظر ديوان رؤبة ص ٨٢ . (٢) البيت فى صفة ناقة .

(٣) قال ثعلب : «فى آذانها الخرب» أى سندى من السودان الذين فى آذانها ثقب» . يصف ظليما .

(٤) الحمش ، بالفتح : الدقيق الساقين ، كالأحمش . والنطف ، بضم ففتح : جمع نطفة ، بالتحريك وكهمزة ، وهى القرط . حـ : « التلف » تحريف .

لاستحالته فى المخاطب والمُتَكلِّم . وربما جاء فى الشّعر، شبّهوا دخول الكاف على الهاء بدخول اللام والباء فى قولهم له وبه؛ قال العجاج :

* وأُمّ أو عالٍ كها أو أقْـرَبا *

وقال أيضا :

فلا ترى بعلًا ولا حلائلا كَهُ ولا كهنّ إلا حاظِلا (١) ٥

الخـــوارزمى : سيأتى .

٣٥ (وَدُونَ لِقَائِكَ الهَضَبَاتُ شُمًّا تَفُوتُ الطَّرْفَ (٢) والفَلَوَاتُ فِيحَا)

التـــبريزى : الهضبات : جمع هَضْبة، وهى رأس الجبل . والشُّمُّ : العالية، واحدها أشمّ وشمّـاء . والفلوات : جمـع فلاة من الأرض . والفِيح : جمع فيحاء وهى الواسعة . ونصب شُمًّا وفِيحًا على الحال . ١٠

البطليـــوسى : الهضبة : الصخرة الراسية العالية ، وجمعها هَضْبٌ وهَضَبات وهِضَاب . والشمّ : المرتفعة، واحدتها شمّـاء ، والذكر أشمّ . وقوله : « تفوت الطرف » أى لا تستطيع العينُ أن ترى أعاليهـا . والفِيح : المتسعة ؛ يقـال قفر أفيح، وفلاة فيحاء .

الخـــوارزمى : السُّحم : جمـع أسحم وسحماء ، وهو الأســود والسوداء . عنى بطيور الجوّ سُحُمًا : العِقْبان. أدخل الكاف الجارّة على المضمر فى قوله : « كهنّ » ، ولا يجوز عند سيبويه ذلك، وعند المبرّد يجوز . وأما قول العجّاج : ١٥

* وأمّ أو عالٍ كهَا أو أقرَبا *

(١) الحلائل : جمع حليلة، وهى الزوجة . والحاظل : المانع من التزويج . يصف عيرا وأتنه ويذكر غيرته عليها . انظر الخزانة (٤ : ٢٧٦) والعينى (٣ : ٢٥٧) . ٢٠

(٢) رواية الضرام : « تفوت الطير » .

فضرورة عند سيبويه ، وسعة عند المبرّد . الدوّ فى « أعن وخد القلاص »[(١)] .
الرَّوح : دون الفَحَج . وكلّ نعامةٍ روحاء . كأنّه قابل العِقْبان بالهضبات الشم ،
والنعام بالمفاوز الفِيح . يقول : هذه النُّوق كالعُقَاب فى صُعود العقبات ،
وكالنعام فى قَطْع الفلوات .

٣٦ ﴿بَجَاءَكَ كُلُّهَا بالرُّوحِ فَرْدًا وَقَدْ سِرْنَا بِهِ جَسَداً وَرُوحَا﴾

التبريزى : هذه مبالغة . والمراد أنّها جاءتك مهازيل ، وقد سِرْنا بها سِماناً .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الاسم غير الصفة قد يقام فى باب الحال مقام الصفة ، وعليه قول أبى الطَّيب :

بدتْ قمرًا ومالتْ خُوطَ بانٍ وفاحَتْ عَنْبراً ورنَتْ غَزالا

ومثل هذا المنصوب بليغ ، ولو ذهبت فى انتصابه إلى المصدر ، ذهب ذلك الحسنُ والرَّونق .

٣٧ ﴿تَبُوحُ بِفَضْلِكَ الدُّنْيَا لِتَحْظَى بِذَاكَ وَأَنْتَ تَكْرَهُ أَنْ تَبُوحَا﴾

التبريزى : الضمير فى « تحظى » للدنيا . أى لتحظى الدنيا بما تبوح وتُظهره من فضلك . وهى مبينة[(٢)] فى البيت الذى يليه .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

---

(١) انظر ما سبق فى ص ٤٦ .

(٢) فى الأصل : « وهى تبه » .

٣٨ ﴿وَمَا لِلمِسْكِ فِى أَنْ فَاحَ حَظٌّ وَلَكِنْ حَظُّنَا فِى أَنْ يَفُوحَا﴾

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : لتحظى : أى لتنال بذلك حُظْوة حين كنتَ من أهلها . والضمير فى "تحظى" عائد إلى الدنيا لا إلى الممدوح . يقول : الدنيا تُظهر[1] فضلك وشرفك، لتتشرَّف بك لا لتشرِّفك؛ فإنّك غنىّ عن تشريفها إياك، بمنصبك العالى الذى قد كفاك ؛ كما أنّ المسك ليس له حظٌّ فى نشره الذى يفوح وينمّ، وإنّما الحظّ فيه لمن يستنشق ويَشُمّ . وقد ألمَّ بهذا المعنى فى قوله فى موضع آخر، وهو :

فلا وأبيكَ لا أخشى انتقاصًا ولا وأبيكَ لا أرجو ازديادًا

وقد أشار أبو الطيِّب إليه فى قوله :

من كان فوقَ مَحَلِّ الشمسِ موضِعُه فليس يرفعُــهُ شىءٌ ولا يضــعُ

الخوارزمى : التاء فى «تبوح» الواقعة فى القافية إما للتأنيث وإما للخطاب . والبيت الثانى تقرير للبيت المتقدّم .

٣٩ ﴿فَقَد بَلَغَ الضُّرَاحَ وَسَاكِنِيه ثَنَاكَ وَزَارَ مَنْ سَكَنَ الضَّرِيحَا﴾

التبريزى : الضُّراح : بيت فى السماء الرابعة حِيال الكعبة ، تطوف به الملائكة ؛ وهو البيت المعمور، فيما يقال . والضريح : الذى يُحفَر فى وسط القبور .

البطليوسى : الضُّراح : بيت فى السماء إزاء الكعبة تطوف به الملائكة كما يطوف الحجّاج بالبيت ، وهو البيت المعمورُ المذكور فى القرآن . وجاء فى بعض الأحاديث عن علىٍّ رضى الله عنه أنَّ الضراح اسمٌ للسماء السابعة . والضريح : القبر. والثنا مقصور، نونه مقدّمة قبل ثائه : الخبر المنتشر فى الناس حَسَنًا كان أوقبيحا .

(١) حـ : « تشهر » .

يقال ثنوت الحديث ونثيته . فإذا قدّمت الثـاء على النون كان ممدودًا ومخصوصا بالخَـير ، لا يكاد يستعمل فى غيره . وحُكى عن بعض اللغويِّين أنّه قـد يستعمل فى الشر ؛ وأنشد :

أَثنِي علىَّ بمـا علمتِ فإنّنى أُثنِي عليكِ بمثل رِيح الجَوْرَبِ

٥ وقـد يجوز أن يكون أراد : إنى أُقيم لكِ الذمّ مقام الثناء ؛ فيكون كقوله : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ فلا يكون فى البيت حجّة .

الخـــوارزمى : الضراح هو البيت المعمور ، واشـتقاقه من المضارحة بمعنى المقابلة والمعارضة ؛ يقال : ضارِحْ صاحبَك فى رأيه ونيّته . سمّى بذلك لكونه مقابلًا للكعبة . النثا ، بتقديم النون على الثاء مقصور ، وهو من نثوت الخبر إذا أظهرتَه .

١٠ الضَّريح هو الشقّ فى وسط القبر ، وهو من المضارحة بمعنى المقابلة أيضًا ؛ لأنه شَقٌّ مستقيم ، فهو يقابل الشّق الأعلى ، بخلاف اللَّحد فإنه مائل .

٤٠ ﴿ يَغِيضُ إِلَيْكَ غَوْرُ المَـاءِ شَوْقًا وَيُظْهِرُ نَفْسَهُ حَتَّى يَسِيحَا ﴾

التـــبريزى : غور المـاء : غائرُه . وهذا كقوله فيما تقدم :

تطاولت الوهادُ هوًى وشوقا إليـــه ...

١٥ البطليـــوسى : غور المـاء : الغائر منه ، وهو مصدر وُصف به للمبالغة فى الغؤور . ويسيح : يسيل ؛ يقال : ساح المـاء إذا جرى على وجه الأرض . يقـول : كلُّ مخلوقٍ مُثْنٍ عليك ، ومنجذبٌ بطبعه إليك ؛ فإذا حللتَ بموضع غائرِ المـاء ، مجدبِ الأرجاء ، فاض المـاء شوقًا إليك ولاح ، وسق وجه الأرض وساح ، ليروض الموضعَ الذى تحلّ فيه ، ويتودد إليك بمـا يفعله ويأتيه . وقـد أشار إلى نحو هذا المعنى

٢٠ قول القائل :

أنمى فتًى مصَّ الثّرى بعده بقيّةَ الماءِ من العُودِ

يقول : إنما كان يجود الثرى على العُود بالماءِ، لمكان هذا الممدوح وبركته، فلمّا هلك استرجع ما كان يُعطيه من الماء فيبس . ويحو نحوه أيضا قول الآخر:

أقاموا بظهر الأرض فاخضرّ عودُها وصاروا ببطن الأرض فاستوحش الظهرُ

الخوارزمى : عنى بغور الماء غائره، وفى التنزيل: ﴿إنْ أَصبحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾. وهذا من باب التسمية بالمصدر . والمعنى مثل بيت السقط :

تطاولتِ الوِهاد هوًى وشوقًا إليــه كما تقاصرتِ الرعانُ

٤١ ﴿وَلَوْ مَرَّتْ بِخَيْلِكَ هُجْنُ خَيْلٍ وَهَبْنَ لِعُجْمِهَا نَسَبًا فَصِيحًا﴾[1]

التبريزى : أى كما أن الإنسان إذا اتّصل بك لحقتْه سعادتُك ، فكذلك [خيلُك] إذا قُرِبت منها الهُجْن، لحقتها السّعادة، فصارت مثلَها .

البطليوسى : يقول : كلُّ من أَوى إلى جنابك، واعتصم بأدنى سببٍ من أسبابك، عظُم بذلك قدره، وبَعُد بذلك صِيته وذِكره، ولقِيَ حيثُ توجّه بِرًّا وترفيعا، وعِزًّا وإن كان وضيعا؛ حتى لو أنّ خيلًا هجينة عجميّة، لقيت خيلَك العِتاقَ العربية، لقام لها لِقاؤها مقام النَّسب الصحيح، والحسب الصريح .

الخوارزمى : الهجن، فى : «يا ساهرَ البرقِ»[2] .

٤٢ ﴿وَلَوْ رُفِعَتْ سُرُوجُكَ فِى ظَلَامٍ عَلَى بُهُمٍ جَعَلْنَ لَهَا وُضُوحَا﴾

التبريزى : معناه معنى البيت الذى تقدّمه . والبُهُم : جمع بهيم ، وهو الأسْود . والوُضوح : البياض . والبهيم أيضا : الذى لاشِيَةَ له أىّ لونٍ كان .

البطليوسى : سيأتى .

(١) رواية البطليوسى : « صريحا » . (٢) انظر ص ١٦١ .

الخوارزمى : فى أساس البلاغة : «فرس ذو أوضاح ،وهو الغرّة والتحجيل . وعليها وضح وأوضاح : حلى من فضة» . وأبو العلاء قد عنى بالوضوح الأوضاح . يعنى أنّ سروجك مذهّبة مفضّضة .

٤٣ (وَلَوْ سَمِعَتْ كَلَامَكَ بُزْلُ شَوْلٍ لَعَادَ هَدِيرُ بَازِلِهَا فَحِيحَا)

التبريزى : الفحيح : هدير البَكْر من الإبل؛ وإنّما قيل له ذلك لضعفه، ويقال : فحّت الحية، وهو صوتها مِن فِيها . قال رؤبة :

يا حىَّ لا أرهبُ أن تَفِحّى وأن تُرَحّى كَرَحى المُرَحِّى

والبُزْل : جمع بازل ، وهو الذى دخل فى السّنة التاسعة . والشَّوْل : الإبل التى لا ألبان لها ، واحدتها شائل . والشُّوَّل : التى ترفع أذنابها إذا لَقِحت؛ يقال: شالت بذنبها ، الواحدة شائلة . وكأنّهم أجرَوْا شائِلًا مُجرَى حائِض وطاهر .

البطليوسى : البُهْم من الخيل : التى لاشِيَات لها ولا أوضاح ، واحدها بهيم . ووُضوح : جمع وَضَح ، وهو بياضُ التَّحجيل وغيره . يريد أنّ سُروجَه إذا وُضِعتْ على خيلٍ لاوضَحَ بها قامت لهـا مقام الأوضاح، لمـا عليها من الفضّة . والبُزْل من الإبل كالقوارح من الخيل. والشَّوْل : الإبل التى قلّت ألبانها . والهدير: صوت الفحل عند الهِياج . والفحيح : صوت الأفعى . والسيِّد من الرجال يشبّه بالفحل من الإبل، فيقال فلانٌ قَرْمُ عشيرتِه ومُقْرَمها وفحلُها . قال أوس بن حَجَر :

وإنْ مُقْرَمٌ منّا ذَرَا حدُّ نابه تخمَّطَ فينا نابُ آخَرَ مقرمِ (١)

فيقول : أنت فحل إذا سمع الفحلُ صوتَه خضع له وذلّ. ولم يُرِدِ الإبلَ بأعيانها، وإنمـا هو كقول أبى الطيِّب :

وكان هديرًا من فُحولٍ تركتَهـا مهلّبةَ الأذْنابِ خُرْسَ الشّقاشِقِ

(١) ذرا حد نابه : انكسر، وقيل : سقط . والتخمط : الأخذ والقهر بغلبة .

الخـــوارزمى : الشَّـوْل : النُّوق المرتفعة اللبن . قال جارُ الله : هى جمـع شائل ، وقال الجوهرى : بل هى جمـع شائلة . وأما الشُّـوّل فهى النوق الرافعة الأذناب لِلِّقاح . قال جار الله : هى جمع شائِلة، وقال الجوهرى : بل هى جمع شائل . وأصل التركيب هو الرفع . الضمير فى « بازِلِها » يرجع إلى البُزُل . وبازل البُزْل، كقولك صَدْر الصدور، وسيِّد السادات . والفحيح : أوّل هدير البَكْر ؛ وأصله من فَحّ الأفعى . وقد لمح هذا المعنى جَمال العرب الأبيوردى[1] فى قوله :

نَمَـانِى من أُمَيَّةَ كلُّ قَرْمٍ تردُّ البُزْلَ هـدرتُه إفالا[2]

٤٤ (وقَدْ شَرَّفْتَنِي ورَفَعْتَ ذِكْرِي بِهِ وأَنَلْتَـنِي الحَظَّ الرَّبِيحَا)

التـبريزى : به، يعنى بكلامه . يريد القصيدة التى يمدحه بها .

البطليـوسى : الهـاء فى « به » تعود على الكلام المتقدِّم . يقول : شرَّفتنى بمـا أهديتَه إلىَّ من الشعر ، وجعلتَ لى به حظًّا ربيحا ، أفخَرُ به مَدَى الدَّهر .

الخـوارزمى : الضمير فى « به » يرجع إلى الكلام . بَيْعٌ ربيح، أى ذو ربح . عن صاحب الديوان .

٤٥ (أَجَلْ ولَوَ أنَّ عِلْمَ الغَيْبِ عِنْدِي لَقُلْتُ أَفَـدْتَنِي أَجَلاً فَسِيحَا)

التـبريزى : أَجَلْ : نعم . والفسيح : الواسع .

البطليـوسى : يقول : لمّـا كان مقـدار عمرى من الغيب الذى لا أدريه ، جهِلت قدر ما زدتَنى فيه؛ فأنا غير عارف بجزيل إنعامك علىّ، غير متحقِّق لقـدر إحسانك إلىّ . وليس المراد بهذا الزيادةَ فى فسحة الأجل ، لأن ذلك ممـا ليس

(١) انظر ديوانه ص ٢٣٩ . والبيت من قصيدة له يشكو فيها الدهر ويذم بنيه ويفتخر بقومه .

(٢) الإفال : جمع أفيل ، وهى صغار الإبل .

لأحدٍ فيه عمل؛ ولكنّ العرب تجعل نَباهةَ الذِّكر وجلالةَ القدر، من الزِّيادة فى العمر؛ كما قال أبو الطيِّب :

ذِكْرُ الفتى عمره الثّانى وحاجته ما قاته وفضولُ العيش أشغالُ

وقال آخر :

٥ فأثْنُوا علينا لا أبا لأبيكمُ بأفعالنا إنّ الثناءَ هو الخُلْدُ

فيقول للمدوح : لو اطّلعتُ على الغيب حتّى أعلم نسبةَ مقدارِ نباهتى قبل معرفتك، إلى مقدارها بعد أن تشرّفتُ بصحبتك، لرأيتُ بينهما بونا بعيدًا، وتفاوُتا شديدا .

الخوارزمى : يريد : لقلت ما أفدتنى شعرا، إنّما أفدتنى عمرًا . وما فى هذا البيت من التجنيس طيِّب غير متكلَّف .

١٠ ٤٦ (وَكَوْنُ جَوَابِهِ فى الوَزْنِ ذَنْبٌ وَلٰكِنْ لم تَزَلْ مَولًى صَفُوحَا)

التبريزى : صفوحا، أى عفُوًّا، من قولهم: صفح عن ذنبه، إذا عفا عنه .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : سيأتى .

٤٧ (وَذَلِكَ أنَّ شعْرَكَ طَالَ شعْرِى فَمَا نِلْتُ النَّسِيبَ ولا المَدِيحَا)

١٥ التبريزى : يقال : طاله يطوله، إذا فاقه . قال الشاعر (١) :

إنّ الفرزدقَ صخرةٌ عاديةٌ (٢) طالتْ، فليس تنالها، الأوعالا

أى طالت على الأوعال فليس تنالها .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الضمير فى «جوابه» ينصرف إلى «كلامك» (٣) . والبيت الثانى

٢٠ تقرير للبيت المتقدم .

(١) هو رياح بن سنيح الزنجى مولى بنى ناجية ، كما فى الكامل ٤١٥ ليبسك . وانظر اللسان (طول) .

(٢) فى الأصل : «عالية» ، وإنما هى عادية كالمنسوبة إلى عاد . (٣) انظر البيت رقم ٤٣ .

٤٨ (ومَن لم يَستطِعْ أعلامَ رَضْوَى ... لِيَنزِلَ بعضَها نَزَلَ السُّفُوحا)

التبريزى : أعلام : جمع عَلَم ، وهو الجبل . ورَضْوَى ، قيل إنّه جبل ، وقيل موضع يحتوى على جبل . وسَفْحُ الجبل : حيثُ يَسفَح ماءُ السَّيل عليه ، والجمع سُفوح .

البطليوسى : النسيب : الغزل . والأعلام : الجبال ، وأراد بها هاهنا المضاب . ورَضْوَى : جبلٌ بعينه . والسُّفوح : جمع سَفْح ، وهو أسفل الجبل حيث يَسْفَح الماء ، أى يسيل . فأما الصَّفح ، بالصاد ، فهو جانب الجبل ، بمنزلة صفح الوجه وصفح السيف .

الخوارزمى : رَضْوَى : جبلٌ بالمدينة . وعنى بأعلامها أعاليَها . السفوح : جمع السفح ، وهو أسفل الجبل حيث ينسفح ، أى ينسكب ، عليه السيل .

٤٩ (شَقَقْتَ البَحرَ مِنْ أَدَبٍ وفَهْمٍ ... وغَرَّقَ فِكْرُكَ الفِكَرَ الطَّمُوحا)

التبريزى : الطَّموح ، من قولهم طَمَح الفرس طُموحا وطِماحا ، إذا شخص بعينه وركب رأسَه فى عَدْوه .

البطليوسى : يقول : اتَّبعتْ أفكارُ الشعراء فكرَك لتجرى مَجْراه ، وتنتهى مُنتهاه ، فلم تَنَلْ من ذلك ما رامَتْه ، وهلكت دون ما حاولته ، كما غرِق فرعونُ حين اتَّبع أثر موسى صلى الله عليه وسلم . وإنما استعار للأدب والفهم بحرًا لأنَّ العرب تقول : غاصَ بفكره على المعانى ، والغَوصُ إنَّما يكون فى البحر ؛ ويشبّهون المعانى والألفاظ بالجواهر واللآلئ ، وهى تستخرج من البحر . والطَّموح : الذى يطمح إلى ما يراه ويحرِص عليه .

الخوارزمى : قوله « من أدب » يتعلّق بالبحر ، أى شققت البحرَ الكائن من أدب . فرس طَموح : يَركب فى عَدْوِه رأسَه . وفيه طِماحٌ وجِماحٌ .

٥٠ ﴿لَعِبَتْ بِسِحْرِنَا والشِّعْرُ سِحْرٌ فَتُبْنَا مِنْهُ تَوْبَتَنَا النَّصُوحَا﴾

التبريزى : يقال : توبةٌ نصوحٌ، إذا لم تُنْقَضْ .

البطليوسى : التوبة النَّصوح : التى ينوى صاحبُها ألَّا يعودَ للذَّنب أبدا .
يقول : كان الشعراءُ يستميلون النفوسَ بتخييلات أشعارهم ، كما يستميلها السَّحَرةُ
بتمويهات أسحارهم ، إلى أن ظهر من معجزات سحرِكَ ما أسْقَطَ شِعرَهم ، كما ظَهَر
من معجزات مُوسَى عليه السلام ما أبطلَ سِحرَهم . والعرب تسمِّى كلَّ ما استمال
النفوسَ من كلامٍ وغيره سحرا . ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع
كلام عمرو بن الأهتم : « إن من البيان لَسِحْرًا و إنّ من الشِّعرِ حِكمة[1] » ، وقول
عمر بن عبد العزيز لغلامٍ تكلَّم بحضرته : « تكلَّمْ فهذا السِّحر الحلال » . وقال
أبو تمّام الطائىّ :

فأينَ قصائدٌ لِىَ فيكَ تأبى ... وتأنَفُ أنْ أهانَ وأن أُذالا
هى السِّحرُ الحلالُ لمجتليهِ ... ولم أرَ قبلَهَا سِحراً حَلالا

الخوارزمى : سيأتى .

٥١ ﴿فَلَوْ صَحَّ التَّنَاسُخُ كُنْتَ مُوسَى وَكَانَ أَبُوكَ إِسْحَاقَ الذَّبِيحَا﴾

التبريزى : اختلفوا فى الذَّبيح، فمنهم من قال : هو إسحاق، ومنهم من قال:
هو إسماعيل . ووجدتُ فى الحاشية أنَّ الذبيح هو إسماعيل . دليلُه من كتاب الله
العزيز[أنه] لمَّا فرغ من قصة الذبح : ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾، قال على إثر ذلك:
﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، وإنّما البشارة بإسحاق بعد الفراغ من أمر
إسماعيل . وقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : «أنا ابن الذَّبيحَين ولا فخر» . وكان من

(١) أ : « لحكمة » وهى رواية أخرى .

ولد عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، وهم من ولد إسماعيل بن إبراهيم . وهـذا ما لا خلاف فيه بين الأئمة : أن قريشا من ولد إسماعيل ؛ فلا يكابر المكابر عقلَهُ بغير حجّة ولا برهان . والذّبيح الثـانى هو عبدالله بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف ، أبو النبي عليه السـلام بلا خلاف ؛ يدلّ عليه قول العمليقىّ المـادح رُمَيثة بن عَجْلان الشريف ، فقال :

يابنَ الذَّبيحين الذبيـــح بمكّةٍ والمُفْتَدَى بالذِّبح فى وادِى مِنًى

ورميثة بن عجـلان هو [من] ولد الحسن بن علىّ بن أبى طالب بن عبـد المطلب ابن هاشم .

البطليـــوسى : وذكر النسّابون أن موسى عليه السـلام ابن عِمْران بن قاهث ابن لاوى بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلى الله عليهم وسلم . وإنما خصّ موسى عليه السـلام هاهنا بالذكر لِمـا قدّمه قبل ذلك من شقّ البحر ، وإبطال السحر . وأمّا تخصيصه إسحاق بالذكر دون سائر آباء موسى صلى الله عليه وسـلم ، فلا أعلم له وجهًا إلا أن يكون أبو الممدوح أو بعضُ أجداده يسمى إسحاق . وقد ظهر ذلك بقوله فى هذا الشِّعر :

وأحمَى العالمينَ ذِمارَ مَجْـدٍ بَنُو إسحاقَ إنْ مجدٌ أُبيحـا

وقد اختلف النّاس فى الذّبيح من هو ، فأكثر العلمـاء على أنه إسحاق ، وقال قوم : هو إسماعيل ؛ واحتجُّوا بأنّ أعرابيًّا قال لرسـول الله صلى الله عليه وسلم : « يابن الذبيحين » يريد عبـد الله أباه وإسماعيل ؛ لأنّ عبد المطلب كان أراد ذبح عبد الله ، ذُكر ذلك فى خبرٍ فيه طُول .

الخـــوارزمى : أهلُ التنـاسخ يقولون : الأرواح تتردّد فى الأجسام فترجـع فى البهيمة روحِ الإنسان ، وعلى العكس ، وفى الأنثى روح الذكر ، وعلى العكس .

قالوا : لأنّ الأرواح إذا خرجت من الجسم مكثت فى الهواء على قدر عمل صاحبها، ثمّ عند التقاء الفرجين تدخل مع النّطفة الرَّحِمَ ، كالمقرور الذى لا يبالى أىّ بيت دخل . ومن ثَمّ حرّموا النساء وقالوا : لعلّ أحدنا أن يتزوّج أباه وأمه ، وعلى نحو ذلك حرّموا اللحوم . اختلَفَ النّاسُ فيمن أُمِر إبراهيم عليه السلام بذبحه من ابنيه: أهو إسحاق أم إسماعيل، فأكثرهم على أنه إسحاق . يقول : لو صحّ التناسخ لكنتَ موسى النبىّ؛ لأنّ ظاهره ظاهرُك ومعناه معناك ، حيث شَقَقت بحر الأدب والفهم؛ وحيث غرّق فكرُك الفكرَ الغالب فى لُجَج العلم ، وحيثُ أبطلتَ سِحرنا، أى شعرنا ، ولكان أبوك إسحاقَ بن إبراهيم عليهما السلام ، من حيث إن اسمه إسحاق ومن أولاده مثل موسى عليه السلام .

٥٢ (وَيُوشَعُ رَدَّ يُوحًا بَعْضَ يَوْمٍ وأَنْتَ مَتَى سَفَرْتَ رَدَدْتَ يُوحَا)

التبريزى : يوح : اسم من أسماء الشمس فى الموضعين من البيت[1] . وهذه الكلمة صحّف فيها ابن الأنبارىّ فقال " بوح " بالباء ، فردّ عليه أبو عُمَر الزّاهد[2] ، وقال : هى يوح ، بالياء ؛ فأبى أن يقبل منه ، وبقيت الرواية عنه بوح . والصحيح الأول بنقطتين .

البطليوسى : هو يُوشَع بن نون . وذكر النّسّابون أنّه ابن أخت موسى صلى الله عليه وسلم . وجاء فى الخبر أنّ موسى وجّهه إلى أَريحا ، فقتل الجبابرة وبقيت منهم بقيّة ، فخشىَ أن يَحُول اللّيلُ بينه وبينهم ، فدعا الله تعالى أن يحبِسَ عليه الشّمس ففعل . وذكروا أن حَبْس الشّمس كان يوم العُنْصُرة[3] . ويقال: سفر

(١) إنما صرف « يوحا » مع أنه علم لمؤنث لأنه ثلاثى ساكن الوسط ، يجوز فيه الصرف وعدمه . على أن فى « يوح » لغة أخرى ، يقال : « يوحى » بالقصر على وزن فعلى . (٢) هو أبو عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد بن أبى هاشم المطرز غلام ثعلب ، ولد ٢٦١ وتوفى سنة ٣٤٥ . بغية الوعاة.

(٣) انظر لعيد العنصرة الآثار الباقية ٢٨١ وبلوغ الأرب (١ : ٣٥٨) .

الرجُل عن وجهه، إذا كشفه . فإذا قلت : أسفَر وجهُه، فمعناه أضاء وأشرق .
ويوح : اسم من أسماء الشمس . وقد اختلف فيه الناس، فقال كثيرٌ من اللغويين « بوح » بباء معجمة بواحدة ، وكذلك رواه أبو علىّ البغدادىّ . وكان أبو عمر المطرِّز يقول : يوح بياء معجمة باثنتين ، وكان ينسبه فى ذلك إلى التصحيف .
وقال أبو علىّ الفارسىّ فى مسائله الحلبيّة : لم تجئ العين ياء واللام واوًا ، فى اسم ولا فعل . فأمّا حَيْوَةُ، للاسم العَلَم، والحيوانُ، فالواوُ فيهما[1] بدل من ياء . وقد جاء عكس هذا كثيرًا، نحو طويت ولويت ورويت . وجاءت الواو فاءً والياء عينا فى ويل، وويح، ووَيْس، وعكس هذا قولهم: يوم. قال أبوعلىّ : وقرأت بخطّ محمد ابن يزيد: «يوح» فى اسم الشمس. والذى قاله أبو العلاء المعرىّ «يوح» بالياء معجمة باثنتين على ما قاله محمد بن يزيد وأبو عمر المطرِّز والفارسىّ . ويروى أن المعرىّ اعترَض فى هذه اللّفظة ببغداد فى حلقة ابن المحسِّن، واحتُجّ عليه بكتاب الألفاظ ليعقوب[2]؛ فقال: «هذه نسخ مُحدَثة غيّرها شيوخُكم، ولكن أخرِجُوا مافى دار العلم من النُّسَخ العتيقة» ، فأخرجوها فوجدوها مقيّدة كما قال، ووجدوها أيضا كذلك فى الجمهرة، وكانت بخط أبى بكر بن دُرَيْد .

الخوارزمى : يُوشَعُ بن نونٍ، بعثه الله بعدَ موت موسى صلوات الله عليه نبيًّا، فذهب ببنى إسرائيل وأحاط بمدينة أريحا ، ونفخوا فى القرون حتّى سقط سُور المدينة، فدخلوها وألقَوْا فِى الجبّارين السّيفَ إلى أن كادت الشّمس تغرب ، وقد بقيت منهم طائفةٌ خشِى يوشعُ أن يُعجزوه، فدعا الله بردّ الشمس فرُدَّتْ عليه ، وزيدت له فى النّهار ساعة ، حتّى أتى عليهم عن آخرهم . ويوشع مع «يُوحًا» تجنيس وإيهام . و « رددت يوحا » مع «ردّ يوحا» إيهام آخر .

(١) أ : «فيه» تحريف . (٢) هو يعقوب بن السكيت . انظر اللسان (٣ : ٢٨٠) .

٥٣ ﴿فَنَالَ مُحِبُّكَ الدَّارَيْنِ فَوْزًا وَذَاقَ عَدُوُّكَ الْمَوْتَ الْمُرِيحَا﴾

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : فوزا ، منصوب إما على التميز، و إما على المصدر .

٥٤ ﴿وَمَنْ لَمْ يَأْتِ دَارَكَ مُسْتَفِيدًا أَتَاهَا فِى عُفَاتِكَ مُسْتَمِيحَا﴾

التبريزى : قوله : «ومن لم يأت دارك مستفيدا» يريد أنه لايخلو الناس من فوائده، إما أن يفيدهم علما، أو يُنيلهم مالا . قال الطائىّ [1] :

* تأخذ من ماله ومن أدبه [2] *

البطليوسى : أراد المُرِيح منه ومن شرّه ، ولم يرد الموتَ الذى يُريحه فى نَفْسه . والعُفاة : جمع عافٍ، وهو القاصد الطالب . والمستميح : المستجدِى السائل ، وأصله المستقِى للماء . يقول : من لم يأت دارك ليستفيد علما ، أتاها ليستفيد مالا .

الخوارزمى : هذا من قوله :

* تأخذ من ماله ومن أدبه *

٥٥ ﴿فَكُنْ فِى الْمُلْكِ يَاخَيْرَ الْبَرَايَا سُلَيْمَانًا وَكُنْ فِى الْعُمْرِ نُوحَا﴾

التبريزى : ... ...

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : كان هذا الممدوح ذا علم وديانة حيث شبّهه أوّلاً بالحسين، ثم بعلىّ رضى الله عنهما، ثم بموسى، ثم بيُوشع، ثم بسليمان، ثم بنُوح، صلوات الله عليهم .

---

(١) هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائى . وفى الأصل : « القطاى » تحريف . وهو من قصيدة له فى ديوانه ص ٢٦ يمدح بها أبا الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمى .

(٢) فى الأصل : « يأخذ » ، تحريف وصدره : * نرى بأشباحنا إلى ملك *

[القصيدة السادسة]

وقال أيضا فى الأول من الوافر، والقافية من المتواتر[1] :

١ ﴿ أَفَوقَ البَـدْرِ يُوضَعُ لِي مِهَادُ أَمِ الجَوْزَاءُ تَحْتَ يَدِى وِسَادُ ﴾

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : يقول : ألستُ قد اتَّخذتُ البدرَ مهاداً، بل ألستُ قد اتَّخذتُ الجوزاء وِسادا ! فذكَرَ البدر أوّلاً، ثم أضرب عنه وتصاعَدَ إلى ما هو أرفعُ مرتبةً منه ؛ لأنّ مكان الجوزاء أعلى من مكان البدر . وهذا النّوع من الاستفهام يُستدعَى به تقرير المخاطب على أمرٍ قد ثبت وعُرِف . والمراد به أن ينبّه على أمرٍ يُتوقّع أن يكون قد غفَل عنه ، وأن يُجعَل توطئةً ومقدّمةً لأمرٍ يُراد إنتاجُه منه ؛ كقوله تعالى : ﴿ أَفِي اللهِ شَكٌّ ﴾، وقولِ جرير :

ألستُمْ خيرَ مَن ركِبَ المطايا وأندَى العالمين بطُونَ راحِ

وكان لفظ الفعل المضارع فى قوله : « يُوضع » أولى من لفظ الفعل الماضى . يُخبر أنّه موجود على هذه الحال، فهو فعلٌ دائم لا مستقبل . وقوله : «تحت يدى وساد» العرب تعنى باليد تارةً الكفَّ وحدها، وتعنى بها تارةً الكفَّ مع ما اتّصل بها من الذِّراع والعَضُد إلى المنكِب، وهو الذى أراده المعرّى . وإنما ذكر البدر، وقد كانت الشمسُ أنوَهَ فى الذِّكر، وأعظمَ فى الفخر، لِمَا أراده من التّصاعُد من أوّلَ مرتبةٍ فى الفخر إلى آخِرِ مرتبة فيه ؛ فذكر البدر الذى هو أقربُ الكواكب السيّارة إلينا، ثمّ تصاعَدَ إلى الجوزاء التى هى فى الفلك الثامن، وهى أرفعُ مراتب

(١) البطليوسى : « قال يمدح بعض الأمراء، وكان قد تشكى من علة » .

الكواكب . وخصَّ الجوزاء بالذِّكر دون سائر ما فى الفلك الثّامن من الكواكب ؛ لأنّها أشكَل بلفظة «الوساد» التى قرَنها بها . وذلك لأنّ الجوزاء تسمّى التّوءمين [الضجيعين](١). وكانوا يزعمون أنّهما سُمّيا بذلك لأنّهما شُبِّها بأخوين تعانقَا واضْطجعا. واستعاروا لها لفظة الاضطجاع لأنّهما مُعارِضان لطريقة الشمس والقمر، فرأساهما إلى جهة الشّمال والمشرق عن المجرّة، وأرجلُهما إلى الجنوب والغرب . ولهذا كانت العرب تقول : إنّ الجوزاء تقطع السّماء على جَنْبها . وهــذا المعنى هو الذى أراده عبد الله ذو البِجادين، بقوله يخاطب(٢) ناقة النبىّ صلى الله عليه وسلم :

تَعَرَّضِى مَدَارِجًا(٣) وسُومِى تعرُّضَ الجَوزاءِ للنُّجومِ(٤)

قال أبو نصر : التعرُّض : أن تأخذ فى مشيها يمينا وشمالا . وإنّما قال : «تعرُّض الجوزاء» ؛ لأنّها تسير على جَنْب . وأما الصُّورة التى تُدْعَى الجَبّار(٥) فإنها من الصُّور الجنوبيّة الخارجة على طريقة الشمس والقمر إلى جهة الجنوب، وهى صورة رجل قاعدٍ على كرسىّ، وبيده عصًا وفى وسطه سيف، وفى رأسه ثلاثُ كواكب تسمّيها العرب الهَقْعة. ويُروى أنّ ابن عباسٍ رضى الله عنهما سُئل عن رجل طلّق امرأته عددَ نجوم السماء، فقال : «يكفيه منها هَقْعة الجَوْزاء» . فيجب على هذا الذى قلناه أن يكون المعرّى أراد : أم وسادُ الجوزاء تحت يدى وساد. فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مُقامه .

---

(١) تكملة يقتضيها السياق . (٢) فى اللسان (عرض) : «يخاطب ناقته وهو يقودها به صلى الله عليه وسلم» . (٣) المدارج : جمع مدرجة، وهى المواضع التى يدرج فيها أى يمشى . وفى حـ : «مداركا» صوابه فى ا كما فى اللسان (درج ، عرض) .

(٤) بعده كما فى اللسان : * هو أبو القاسم فاستقيمى *

(٥) حـ : «الجبال» صوابه فى ا . وانظر مفاتيح العلوم ٢١٣ . ووردت بعد هذه الكلمة فى النسختين : «والجوزاء» وهى مقحمة بلا ريب .

الخـــوارزمى : الاستفهام هاهنا و إن كان فى معنى التقرير إلا أنّ فيه شوباً من الإنكار . تقول : أبراسك شيبٌ ! وأوَلَدى هذا القادم !

٢ (قَنِعْتُ نَخِلْتُ أنَّ النَّجمَ دُونِى وَسِـيَّانِ التَّقَنُّعُ والجِهَـادُ)

التـبريزى : أفوق البدر، استفهام على التقرير، وقد مرّ مثلهُ كثيراً فيما قبل .

٥ والقناعة تُستعمَل فى حال الرِّضا بالشىء القليـل، وهى محمودة . والقُنـوع يستعمل فى معناها، وهو قليل؛ و إذا استُعمِل فى معنَى السُّؤال [فهو] كثير. والمعنى أنّ الإنسان إذا صبر على الطّعام الجَشِب واللبـاس الخَشِن الوَخْش(١)، ولم يَفتقِرْ إلى أحدٍ فى سؤال شىءٍ من ماله ، فذلك(٢) مِثلُ الجهاد لنفسه ؛ لأنَّها تطالبهُ بمـا جرَت عادةُ الإنس أن يستعملوه فى ضروب المعاش وبُلوغ الآراب .

١٠ البطليـــوسى : بيّن فى هذا البيت السببَ الذى أشاد بذكره، ورفَع من قدره، وهو القَناعة التى ذَكَر ؛ لأنَّ الطمعَ يُذِلّ، والقناعة تُعِزّ . وقوله : « وسيان التقنُّع والجهاد » السىّ : المِثْـل والنَّظير . يريد أنَّ القناعة إنمـا تكون بمجاهدة الهـوى ومَنْعِه عمّا لا يجمُل بذوِى الحِجا . وهو معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « رجَعْنا من الجهاد الأصـغر إلى الجهاد الأكبر » يريد بالجهاد الأصـغر جهادَ العِـدَى ،

١٥ وبالأكبر جهاد الهوى . و إنما قال «التقنّع» ولم يقل « القناعة » والوزن واحد، لأنّ القنـاعة تكون طبعـًا وتكون تكسُّبا وعادة ، والتقنُّع لا يكون إلّا تكسُّبا وتعوُّدا ، فهو أشـبه بمـا ذكَره من الجهاد . وذلك أنّ العرب تستعمل تفعّلَ لمن يُدخل نفسه فى أمرٍ ويَرُوضها عليه، حتّى يصير من أهله ومنسوبا اليه، نحو قولهم تشجّع الرجل وتجلّد وتبصر(٣)، إذا التمس أن يكون شجاعا وجلْداً وذا بصيرة .

٢٠ (١) الوخش : الردىء من كل شىء . وفى الأصل : « الوحش » .
(٢) فى الأصل : « وذلك » . (٣) حـ : « وتصبر » تحريف .

الخـوارزمى : عَدَل عن القناعة إلى التقنُّع للمقابلة بينه وبين الجهاد من جهتين : إحداهما أن التقنُّع طلب القناعة، كما أنّ الجهاد طلبُ المُلْك . والثانية أنّ كلًّا من التقنُّع والجهاد مشتمل [على] مشقّةٍ عظيمة، بخلاف القناعة .

٣ (وَأَطْرَبَنِى الشَّبَابُ غَدَاةَ وَلَّى فَلَيْتَ سِنِيهِ صَوْتٌ يُسْتَعَادُ)

٥ التبريزى : أطربنى : أَخَفَّنى خِفّة طربٍ(١)، أى حزن . وقوله : «صوت يستعاد،» أى صوتٌ من الغناء . أى كانَ الشباب يُطربنى طربَ سرور، كما يُطرب الغناءُ مَن يسمعُه .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الطرب : خفّة من سرورٍ أو همٍّ . ويدلُّ على أن الطّرب

١٠ يستعمل فى الخفّة من الهمّ قول أبى الطيّب :

لا يملك الطَّرِبُ المحزونُ مَنْطِقَهُ ودَمْعَه وهُمَا فى قَبضَةِ الطَّرَبِ

يقول : عَمِل فىّ الشّباب إذْ فارقنى عَمَلَ المغنّى ، فليتَ أعوامَه صوتٌ يستعيدهُ المتمنّى .

٤ (وَلَيْسَ صِبًا يُنَادُ وَرَاءَ شَيْبٍ بِأَعْوَزَ مِنْ أَخِى ثِقَةٍ يُفَادُ)

١٥ التبريزى : معناه أنَّ إخوان الثقة مفقودون ، فلا يُفيدهم أحد ، كما أنَّ الصِّبا إذا ذهب لم يكن إلى استفادته سبيل . يقال : أفدت الشىءَ، بمعنى استفدتُه، وأفدت غيرى، إذا آستفاد منك .

البطليوسى : الطرب : خفّة تصيب الرَّجُل لشدّة الجزَع ، أو لشدّةِ السرور، وقلقٌ يَمنعه من القَرار؛ قال النّابغة الجعدىّ :

---

٢٠ (١) فى الأصل : « أطربنى أخف طرب » . وإستضأنا بالتنوير فى إصلاحها .

وأرانِى طَـرِبًا فى إثْرِهِـمْ طَرَبَ الوَالِهِ أوْ كالمُختَبَلْ[1]

ويقال: أفدت الشيء إفادة، إذا استفدتَه لنفسك أو أفَدْته غيرك . والعوز : تعذُّر المطلوب .

الخوارزمى : بمعنى يستفاد[2] . ما أحسن هذا التمثيل .

٥ ﴿كَأَنِّى حَيْثُ يَنْشَا الدَّجْنُ تَحْتِى فَهَا أَنَا لَا أُطَلُّ وَلَا أُجَادُ﴾ ٥

التبريزى : أصل «ينشا» الهمز، فخفّف هاهنا ؛ كما قال ابن أبى ربيعة :

وقالتْ وقَد لانت وأفرَخَ رُوعُها كَلَاكَ بحفظِ ربُّكَ المتكبِّرُ

والمعنى أنّ الرّزقَ علىّ مُقتَّر، فكأنّ الدّجن تحتِى ولا يُمطرنى بطَلٍّ، وهو أضعَفُ المطر، ولا يصيبنى جَود، وهو المطر الغزير .

١٠ البطليوسى : هذا تَشَكٍّ منه لزمانه، ومَثَلٌ ضربَه لِشدّة حرمانه . يقول : كأنّى فوقَ السحاب، فالدّجن ينشأ تحتى ولا يصيبنى شىءٌ من مَطره؛ لأنّ مِن شأن المطر أن يسفُل ولا يعلو . والدجن : إلباس الغيم السماء . يقال : دَجَنت السماء وأدْجَنت . ونَشْؤه : ظهوره . فيقال: نَشَأ السحاب نَشْأً[3] حسنا . والطَّلّ : أضعف المطر . والجَوْد : المطر الغزير . وكان ينبغى أن يقول : ينشأ بالهمز، ولكنّه خفف الهمزة . ١٥

الخوارزمى : نحُن فى دجنٍ منذ أيّام، وهو إظلال الغيم والنّدى . يقول : إنّى كما حُرمت باقتناعى؛ فقد زدتُ فى ارتفاعى؛ حتّى كأنّ الغَمام تحتى؛ فلم يكن ذاك من سوء بَخْتى .

(١) المختبل : الذى اختبل عقله ، أى جن . (٢) يريد أن « يفاد » بمعنى يستفاد .

٢٠ (٣) فى اللسان : « يقال هذا السحاب نشء حسن ، يعنى أول ظهوره » .

٦ ﴿رُوَيْدَكَ أيُّها العَاوِى ورائِى لِتخْبِرَنى متى نطَقَ الجمَادُ﴾

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : رُويد : كلمة يراد بها الإمهال والترفُّق . يقول : يأيُّها الكلب الذى يعوى ورائى، ارفُق على نفسك، وأقلِل من نُباحك، فإنّ ذلك لا يضرُّنى ولا ينفعُك، وأخبِرْنى متى جرت العادة بأن ينطق الجماد فتكونَ من الناطقين ! ومتى تكلّم المَوات فتكونَ من المتكلِّمين ! والجماد : كلُّ شيء لا حياةَ فيه .

الخوارزمى : رويد : محقَّر رُوْد . يقال: امش على رُود . قال الهذلىّ[1] :

يكاد لا تثلم البطحاءَ خُطوتُها كأنَّها ثَمِلٌ يمشى على رُودِ

وقوله : « لتخبرنى » التاء فيه للخطاب، واللام فيه تتعلق برويدك . يقول : يا من تنال منّى باغتياب، لا تضرنى كعواء الكلاب، تَلَبَّثْ لأسألك مسألةً، حتّى تحل علىّ مشكلة: هل يهذى الجماد حتّى تهذى، وهل يعوى سوى الحيوان حتّى تعوى . يعنى أنت كالجماد جَهالةً، فكنْ مثله ممتنعا عن المقالة .

٧ ﴿سَفَاهٌ ذَادَ عَنْكَ الناسَ حِلْمٌ وَغَىٌّ فِيهِ مَنْفَعَةٌ رَشَادُ﴾

التبريزى : يقول : إذا لم تقدر على دفع الشر عنك إلّا بالسّفَه والغىّ فسفهُك حلم، وغيُّك رشد، إذا كانت لك فيهما منفعة .

البطليوسى : يقول : السفه إذا منع من الظلم، فهو معدودٌ فى الحلم؛ والغىّ إذا جرَّ منفعةً إليك، أفضل من الرُّشد الذى يكون مضرةً عليك . وهذا اعتذارٌ منه لنفسه لما أتى به فى هذه القصيدة من نسبة عدوِّه إلى العواء فى إثره، وتشبيهه إيّاه بالجماد فى جهله . ونحوه قول أبى الطيِّب :

(١) نسب فى اللسان (رود) إلى الجموح الظفرى .

مِن الحِلم أنْ تستعمِلَ الجهلَ دُونه إذا اتّسعت فى الحُلم طُرْقُ المظالم

الخــــوارزمى : هذا تمهيدٌ للعُذْر فى نســبة المغتاب إلى العواء ، لئــلاّ يعضّ اللوم أبا العلاء .

٨ ﴿ أَأَخْمُلُ وَالنَّبَاهَةُ فِىَّ لَفْظٌ وَأُقْتِرُ والقَنَاعَةُ لِى عَتَـادُ ﴾

التــــبريزى : الخامل : ضد النبيه ؛ يقال : رجلٌ خامل : بين الخُمولة[1] والخمول . ورجل نابه ونبيه : بيِّن النباهة . وأَقتر الرجل يُقتِر إقتارا فهو مُقتِر ، إذا قلّ ماله . والعَتاد : العُدّة . يعنى أنّه لا يخمُل ما دامت النّباهة فيــه لفظًا ، والقناعة له عدّة . وقوله : « أأخمل » استفهام بمعنى الإنكار ؛ ومثله الذى بعده وهو :

البطليــــوسى : يقول : كيف أكون خامل الذكر ، غير نبيه القدر[2] ، ولى لفظٌ يُفيدنى الشّرفَ والنّباهة ، ويدفع عنّى ذوِى الغَىّ والسفاهة . وكيف أكون قليلَ المــال فقيرا ، وقد جعلتُ القناعةَ لى عتــادًا وظهيرا . والإقتار : الفقر . والعَتاد : العــدّة .

الخــــوارزمى : سيأتى .

٩ ﴿ وَأُلْقِى[3] المَــوتَ لَمْ تَخِدِ المَطَايَا بِحاجَاتِى وَلَمْ تَجِفِ الجِيَــادُ ﴾

التــــبريزى : الوخد ، أكثر مايستعمل فى النعام والإبل ، والوجيف يستعمل فى الرِّكاب والخيل ؛ ومنه قول الله عزّت أسماؤه : ﴿ فَمَـا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْـهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴾ .

(١) لم نجد هذا المصدر فيما بين أيدينا من معاجم اللغة .

(٢) حـ : « بعيد القدر » .

(٣) التبريزى فقط : « أألقى الموت » .

البطليوسى : يقال: وخَدت الناقة تخِد وخْدًا ووخَدانا ، إذا أسرعت . والمهارىّ : إبل منسوبة إلى مَهْرة بن حَيذان، وهى قبيلةٌ من قبائل اليمن [(١)]. وتجِف : تسرع أيضا . يقال : وجَف وجيفا، وأوجفتُه أنا . قال الله تعالى : ﴿فمَا أوجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ . والجياد : الخيل العتيقة، واحدُها جَواد.

الخوارزمى : معنى قوله « والنباهة فىّ لفظ » : النباهة لفظ وأنا معناه . لعلّ ذلك المغتابَ كان يقدح فى أبى العلاء بأنّه خاملٌ غير نبيه ، وفقيرٌ غير غنىّ، ومحروم غير فائز، فأنكر عليه أبو العلاء بقوله : «أأخمل» «وأقتر» «وألق» . ولعل هذه الأبيات قيلت فيما قيل فيه [(٢)] :

بأىّ لسانٍ ذامنى مُتَجاهلٌ ... علىّ وخفقُ الرّيح فىّ ثناءُ
تَكلّمَ بالقول المضلّل حاسدٌ ... وكلُّ كلامِ الحاسدينَ هُراءُ
ومَن هو حتّى يُحمَلَ النُّطق عن فَمى ... إليه وتمشِى بيننا السُّفراءُ
وإنّى لَمُثْرٍ يابنَ آخرِ ليلةٍ ... وإنْ عزّ مالٌ فالقُنوعُ ثراءُ

١٠ ﴿ ولَوْ قِيل اسألُوا شَرَفًا لَقُلْنَا ... يَعيشُ لَنَا الأميرُ وَلَا نُزَادُ ﴾

التبريزى : سيأتى

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : الرواية المشهورة: «شرفا» بالشين المعجمة، ويروى بالسين، وهو ضدّ القصد . وأصله أن يقع الإنسان فى الشىء وقوع السُّرفة فى الشجرة [(٣)] .

(١) يقال مهارىّ ، بالتشديد ، ومهارى مقصور، ومهار منقوص .

(٢) من القصيدة العاشرة فى سقط الزند .

(٣) السرفة ، بالضم : دويبة تأكل ورق الشجر، يضرب بها المثل فى الصنعة ، فيقال : «أصنع من سرفة» .

١١ ﴿شَكَا فَتَشَكَّتِ الدُّنْيَا وَمَادَتْ   بِأَهْلِيهَا الغَوَائِرُ وَالنِّجَادُ﴾

التبريزى : فى «شكا» ضمير يعود إلى الأمير . والغوائر : جمع مكانٍ غائر، وهو الذى ذهب فى بطن الأرض . والنِّجاد : جمع نَجد ، وهو ما غَلُظ وارتفع من الأرض . ومادت، أى مالت . يقال: ماد يميد مَيْدا فهو مائد، بمعنى مال يميل . وغصن ميّاد ومائد . وميّادة : اسم أمّ بعض الشعراء سوداء . وجمع مائد مُيّد . وأصاب الإنسان مَيَد ، إذا أصابه الدُّوران من ركوب البَحْر . ومِدتُ الرّجل أميده مَيْدا ، إذا أعطيته . ومنه اشتقاق المائدة ؛ لأنها تَميد أصحابَها بما عليها من الخير. وحُكى عن القاضى أبى مسلم وادع بن عبد الله بن أخى أبى العلاء، أنه روى عنه : «ولو قيل اسألوا سَرَفا» بالسين . والسرف : ضدّ القصد . وفيه مبالغة ليست فى الشّرف . فإن صحت الرواية عنه صحّت أن تكون هذه من الكلمات التى كان يغيّرها على القارئ عليه من ديوانه . وقد مر ذكر بعضها .

(1) (2) (3) (4)

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الضمير فى «شكا» للأمير. المَيْد والميل من وادٍ واحد. عنى بالغوائر الأغوارَ ؛ لأنّها كالداخلة فى بطن الأرض . ومثله بيت السقط (5) :

* يجوبُون الغوائرَ والنِّجادا *

(١) اسمه الرماح بن أبرد، شاعر مخضرم من شعراء الدولتين . انظر الأغانى (٢ : ٨٨ بولاق) .

(٢) فى الأغانى أن أمه أم ولد بربرية . وانظر القاموس (ميد) .

(٣) انظر تعريف القدماء ص ٧٣، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١ .

(٤) انظر ما مضى فى البيت ٧٢، ٧٩ من القصيدة الأولى، والبيت ٢٢ من القصيدة الثانية .

(٥) من القصيدة الثالثة والثلاثين . وصدره :

* كأن بنى سبيكة فوق طير *

١٢ (وأُرْعدتِ القَنَا زَمَعًا وخَوْفًا لِذَلكَ والمُهَنَّدَةُ الحِدَادُ)

التبريزى : الزَّمع، من قولهم: زَمِعَ الرَّجل يزمَع زمَعا، إذا خرِق(١) من خوف. والزَّمَع فى [غير] هذا الموضع : جمع زمَعة، وهى الهَنة المتعلِّقة بالكُراع، ولا يكون إلاّ لذوات الأظلاف . قال الشاعر :

* هُمُ الزَّمَع السُّفلى التى فى الأكارِع *

٥

والمهنّدة: السيوف . يقول : لمّا اشتكى الأميرُ شكت الدنيا وأرعدت الرماح والسيوفُ خوفًا عليه .

البطليوسى : مادت : مالت . والغوائر: المواضع المنخفضة . والنجاد : المواضع المرتفعة . وواحد الغوائر غائر، وواحد النِّجاد نَجْد . والقنا : الرماح . والزَمَع : الخفّة والقلق .

١٠

الخوارزمى : أصابه زمَع، أى رعدة . الإشارة فى "ذلك" إلى الشكوى .

١٣ (وكَيْفَ يَقِرُّ قَلْبٌ فى ضُلُوعٍ وَقَدْ رَجَفَتْ لِعلّتِه البِلادُ)

التبريزى : يقال : رجف الشىء يرجُف رُجوفا ورجَفانا، إذا اضطربَ اضطراباً شديدا . ورجَفَت الأرض، إذا زلزلت . وفى القرآن الرجفة، والراجفة. وسمِّى البحر رجّافا، لاضطراب أمواجه . قال الشاعر(٢) :

١٥

* حتّى تغيبَ [الشمسُ] فى الرجّافِ *

(١) الخرق: الدهش من خوف أو حياء. وفعله كسمع. وفى الأصل: «حرق» بالمهملة، تحريف.

(٢) عجز لصدرين مختلفين أحدهما لمطرود بن كعب الخزاعى وهو :

* والمطعمون إذا الرياح تناوحت *

٢٠

والآخر غير منسوب، وهو :

* ويكلئون جفانهم بسديفهم *

انظر اللسان (مادة رجف) .

أى فى البحر . ومنه أَرجَفوا بكذا وكذا، إذا خاضوا فيه واضطربوا . يقول : إذا كانت الجمادات قد اضطربت لعلّته، فكيف تقرّ القلوب فى الضّلوع .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : هذا البيت تقريرٌ للبيت المتقدم .

١٤ (بَنَى مِن جَوْهَرِ العَلْيَاءِ بَيْتًا كَأَنَّ النَّيِّرَاتِ لَهُ عِمَادُ) ٥

التبريزى : يقال عُمُد وعِماد . وعماد القوم : سيدهم وعميدهم . لمّا جعل البيتَ من جوهر العلياء جعل عِماده من النيِّرات، تعظيمًا له وتشريفا .

البطليوسى : يَقِرّ : يسكن ويستقر . ورجفت إذا اضطربت وتزلزلت . وجوهر العلياء : صَميمها وخالصها . وجوهر كلِّ شىء : أفضله وخيره . والنيّرات : الكواكب، واحدها نيّر، وهو فَيْعِل من النُّور؛ أصله نَيْوِر، اجتمعت فيه الياء والواو وسكنت الأولى منهما . وهذه حالٌ من التصريف توجب قلب الواو ياءً وإدغامَها فى الياء الثانية . ونظيره ميّت وهيّن . وعماد الخباء : ما يَعتمِد عليه ويقام به . ١٠

الخوارزمى : سيأتى .

١٥ (إِذَا شَمْسُ الضُّحَى نَظَرَتْ إِلَيْهِ أَقَرَّتْ، أَنَّ حُلَّتَهَا حِدَادُ) ١٥

التبريزى : الحُلّة تكون ثوبين ، وجمعها حُلَل وحِلال ؛ قال ذو الرمّة :

يعوِّضُه المِئِينَ موفَّياتٍ مع البِيض الكواعِب، والحِلالا [1]

(١) روايته فى الديوان ٤٤٧ :

يعوضه الأنوف مصبَّحات مع البيض الكواعب والحلالا

قال ثعلب : « الحلال : الثياب، وقيل المنازل » . ٢٠

والحداد : ثوبٌ أسود تلبسه الحزينة . يقول : هو يفوق الشّمسَ بهاءً وحُسنا . والهاء فى «إليه» راجعة إلى «البيت» .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

٥ ١٦ (فَلَوْلَا اللهُ قَالَ النَّاسُ أَضْحَتْ ثَمَانِيَةً بِهِ السَّبْعُ الشِّدَادُ)

التبريزى : قال أبو العلاء : المعنى أنّ هذا الأمير بنَى بيتًا من جوهر العلياء ، لولا خوفُ الله لقال الناس صارت بهذا البيتِ السّمواتُ السبعُ ثمانيةً . وهذا من الكذب الصُّراح ، نسأل الله إقالة العَثْرة . وإنما دخلت الهاء فى ثمانية لأنّ البيت مذكّر ، فغلَّب(١) التذكير على التأنيث . ولو كان عندك سبعٌ من النساء

١٠ ورجلٌ ثامن لقلت : عندى ثمانية ، بالهاء . وأما قول امرأةٍ من العرب :

وما علىَّ أن تكونَ جاريَهْ ... حتّى إذا [ما] بلغَتْ ثمانيَهْ

زوّجتُها يزيدَ أو معاويَهْ ... أصهارُ صِدْقٍ ومهورٌ غاليَهْ

فإنّما قالت ثمانية لأنها أرادت ثمانية أعوام . ولو أرادت السنين لوجب أن يكون ثمانيا ، كما قال الآخر :

١٥ فوالله ما أدرى إذا ما ذكرتُها ... أَثنتين صلّيت الضُّحى أم ثمانيا

لأنّه أراد به الركعات .

البطليوسى : الحِداد : ما يُلبس من الثِّياب السُّود عند الحزن على الميّت . يقال : حدّت المرأة على زوجها حِدادا ، وأَحدّت إحدادا . وأراد بـ«السبع الشِّداد» السمواتِ السبعَ . يقول : لولا خوفُ الله تعالى لقال النّاس : إنّ السمواتِ السّبعَ

٢٠ (١) فى الأصل : « فقلت » .

صارت ثمانيةً بهذا البيت الذى بناه هذا الممدوح . وكان القياسُ أن يقول ثمانيا ؛ لأنّ السماء مؤنثة؛ ولكنّه لمـا جعل من جملتها البيتَ، وهو مذكّر، غلّب المذكّر على المؤنث .

الخـــوارزمى : الضمير فى «إليه» للبيت . لِبسَت الحداد، وهى الثّياب التى تلبسها المرأةُ بعد وفاة زوجها . قوله : « فلولا الله » أى فلولا خوفه . وهذا من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه . السبع الشِّداد ، هى السموات السبع . ذكّر «ثمانيةً» مع تأنيث «السّبع الشِّداد» ، لأنّ فيها البيت، وهو مذكّر . وهذا على طريق التغليب .

١٧ ﴿ أَغَرُّ نَمَتْــهُ مِنْ غَسَّانَ غُرٌّ تَدِينُ لِعِزِّهِمْ إِرَمٌ وَعَادُ ﴾

التـــبريزى : تدين ، أى تذلّ . يقال : غسّانُ نزلوا بمـاءٍ يقال له غسّان ، فشربوا منه فسُمُّوا بذلك غسّان . وهو من الأزد . قال حسّان :

إنّ تسألينا فـإنّا مَعشرٌ أُنُفٌ الأَسْـدُ والدُنا والمـاءُ غَسّانُ

يريد بالأسْد الأزد . وغسّان يحتمل أن يكون فعلان من الرجل الغُسّ، وهو الضّعيف . قال الشّاعر يصف طعنة :

فلم أَرْقِــهِ إنْ ينجُ منها و إن يَمُتْ فطَـعنةُ لا غُسٍّ ولا بغُمَّــرِ[1]

ويجوز أن تكون من الغُسَنِ، وهو خُصَل الشعر . قال الراجز :

إمّا تَرَىْ شيباً علانى أغثمه[2] لَهْزَم صُـدْغَىَّ بـــه مُلَهزِمه[3]

فرُبَّ فينانٍ طويلٍ لِمُـه ذِى غُسُناتٍ قد دَعانى أَحْزِمه[4]

(١) هو رجل من فزارة كما فى اللسان (غثم ، لهزم) ونوادر أبى زيد ٥٢ .

(٢) الغثمة : الورقة ، وهى أن يغلب بياض الشعر سواده .

(٣) رواية اللسان : « لهزم خدى » .

(٤) فى الأصل : « أخزمه » بالخاء المعجمة، صوابه من اللسان ونوادر أبى زيد .

* على جُلالٍ عَجِرٍ مُخَـدَّمُهْ[1] *

لهزمه : صيَّره مثل اللِّهزمة[2]، وهى ما تحتَ الصُّدغ . وإرم، يقال فى النسب : عاد بن إرم بن سام بن نوح .

الطليـــوسى : الأغرّ : المشهور، شُبِّه بالفرس الأغر . والأغرّ أيضا : الأبيض . ونمته : رَفعتْه إلى أعلى منزلةٍ من الشرف . وقـوله : « تَدين » أى تخضع وتذِلّ . وكان ينبغى أن يقول : دانت؛ لأنَّ هذا أمرٌ قد مضى وسلف . فالكسائى يقول فى مثل هذا : إنّ « كانَ » مضمرةٌ فيه؛ وتقديره على قياسه : كانت تدين، فأضمر الكون لمـا فهـم المعنى ، ولأنَّ كلّ شيء موجود لا يخلو من كون . وهكذا قال فى قوله تعالى ﴿وَٱتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ أى ما كانت تتلو . وكذلك قول الراجز :

جاريةٌ فى رمضانَ المـاضى تقطِّـع الحـديثَ بالإيماض

والبصريون يجعلون مثل هـذه الأفعال حالاً محكيّة، كما تقول : رَأيت زيدًا أمسِ يضحك ، فتحكى الحال التى كان عليها . ومنهـم من يرى أنّ المستقبل وُضع فى هذه المواضع موضعَ المـاضى لمـا فُهم المعنى، كما وُضع المـاضى موضعَ المستقبل فى نحو قول الحطيئة :

شَهِد الحُطيئةُ يـومَ يَلقَى ربَّهُ أنّ الوليدَ أحقّ بالعُـذْرِ[3]

---

(١) الجلال، بالضم : العظيم من الإبل . والعجر، كفرح : الصلب الشديد . والمخدم : موضع الخدمة من البعير، وهى سير غليظ مثل الحلقة يشـد فى رسغ البعير فيشد إليها سرائح النعل . وفى الأصل : « على حلال عجز مخدمه » محرف . ولم يرد هذا البيت فى مظانه من اللسان .

(٢) فى الأصل : « خزم صيره من اللهزمة » .

(٣) أ : « حين يلق ربه » .

الخوارزمى : غسّان هو مازن[1] بن الأزْد بن الغَوث بن [نَبْت بن][2] مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب . قال المبرِّد : وغسّان ماء نُسبوا إليه .

١٨ (بَنُو أَمْلَاكِ جَفْنَةَ قَرَّبَتْهُمْ إلى الرُّومِ اللَّجَاجَةُ والعِنَادُ)

التبريزى : جفنة من غسّان ، ومنهم ملوكُها الحارث الأكبر ، والحارث الأصغر ، والحارث الأعرج . قال النابغةُ وقد رأى بعضَ أولادهم :

هـذا غـلامٌ حسنٌ وجهُه مُستقبِلُ الخـيرِ سَريعُ التمامْ
للحارث الأكبر والحارث الـ أصـغر والأعرج خير الأنامْ

وكان من أولاد هؤلاء رجل يُعرف بجبلة بن الأيهم . وكانت غسّان فى الشام من قِبَل الروم ، وعلى دين النَّصرانية ، فلذلك قال النابغة :

مَجَلَّتُهم ذاتُ الإله ودينُهم قويمٌ فما يرجون غيرَ العواقبِ

يعنى بمجلّتهم : الكتاب الذى يدرسونه . [ويروى] بالحاء ، أى بيت المقدس وما قرب منه . فيقال : إن جبلة بن الأيهم قدِم مكة فى أحسن زىّ ، وأسلم ، فطاف بالكعبة فوطِئ رجلٌ مُحْرِم إزارَه فلطمه جبلةُ بن الأيهم ، فاشتكاه الرجلُ إلى عمر بنِ الخطّاب رضى الله عنه ، فحكم أن يُقِصّه من اللطمة ، فسأله جبلةُ أن يؤخّره إلى الغد ، وسار ليلاً ولحق بالرّوم وتنصّر ، وأنفذ إلى حسّان بن ثابتٍ مع رسولٍ رَحّل لعمر رضى الله عنه إلى ملك الروم ، صلةً وثيابا . قال حسان :

إنّ ابنَ جفنةَ مِن كِرامِ سادةٍ لم يغـذُهمْ آباؤُهم باللّـؤمِ
لم يَنسَنى بالشّام إذ هو ربُّها يومًا ولا متنصِّـرًا بالرُّومِ

(١) فى الأصل « مالك » تحريف ، صوابه فى المقتضب لياقوت ٥ ٦ وتاج العروس .

(٢) التكملة من المقتضب لياقوت وسيرة ابن هشام .

وأتيتُه دهرًا فقرب مجلسى وسَقَى فروانى من الخُرطومِ
يُعطى الكثيرَ فلا يراه عندَه إلّا كبعض عطيّة المذمومِ

ويقال : إن جبلة ندم على ما فعل [وقال] :

تنصّرتُ بعدَ الحقّ عارًا للطمةٍ ولم يكُ فيها لو صبرتُ لها ضرر[1]
فأدركنى فيهـا لجَـاجٌ حميّـةٌ فبعتُ لها العينَ الصحيحةَ بالعَوَرْ
فياليتَ أمّى لم تـلِدْنى وليتنى صَبَرت على القول الذى قاله عمرْ
وياليتنى أرعَى المَخَـاضَ بقَفرةٍ وكنتُ أسيرًا فى ربيعة أو مضرْ
وياليت لى بالشّام أدنَى معيشةٍ أجاورُ قومى ذاهبَ السّمع والبصرْ

البطليـوسى : أملاك جفنة من ملوك اليمن . وأشار بما ذكره فى هذا البيت والذى بعدَه إلى حديث جَبَلة بن الأيهم، وكان قدِم على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأسلم، ثم طاف بالبيت فوطئ إزارَه رجلٌ فانحلّ، فغضب جبلةُ ولطمه، فشكا الرجل إلى عمر، فأراد عُمر أن يُقيـده منه، ففرّ جَبَـلةُ إلى ملك الرُّوم وتنصّر . وله حديثٌ مشهور . والعِناد والمعاندة : المخالفة .

الخـوارزمى : سيأتى .

١٩ ﴿أَرَادَتْ أَنْ تُقِيدَهُمْ قُرَيْشٌ وَكَانُوا لَايُنَـالُ لَهُمْ قِيَـادُ﴾

التـبريزى : قوله : «تقيدهم» أصله من قولهم : أقدْتُ فلانا بفلان، إذا قتلتَه به . وهاهنا أراد به الإذلال؛ لقوله : « وكانوا لا ينال لهم قياد » . أرادت قريش أن تذلّهم فما ذلّوا .

البطليـوسى : ويروى «تقيد بهم»[2] . فمن رواه بحرف الجر احتمل تأويلين، أحدهما أن يريد تُقيـدهم وزاد الباءَ توكيدًا لتعدّى الفعل ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ

(١) انظر الرواية فى ص ٣٠٢ . (٢) فى الأصل : « تقيدهم » .

عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ ﴾ وكقوله تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ . والثانى أن يريد تُقيد منهم، فوضع الباء موضع من، كما قال أبو ذؤيب :

شرِبْنَ بماء البحر ثمّ ترفّعتْ متَى لججٍ خُضْرٍ لهنّ نئيجُ

ومن روى : «تُقيدهم» فمعناه تعرّضهم للقود، كما يقال: أَقتلتُ الرجلَ، إذا عرّضته للقتل، وأبعت الفَرَس، إذا عرّضته للبيع . ونظيره قول بعض الأعراب :

خليليّ هلْ ليلى مُؤَدِّيةٌ دمِى إذا قتلتْنِى أو أميرٌ يُقِيدُها

الخـــوارزمى : جفنة، من قبائل غسّان، وهم رهط الملوك . وفى هذا البيت إشارةٌ إلى حديث جبلة بن الأيهم الغسّانى . قال ابن أعثم الكوفىّ : لمّا قدم عمر رضى الله عنه من الشّام قدِم عليه جبلةُ فى مائةٍ وسبعين رجلًا من قومه المتنصِّرة ، يريد الإسلام ، حتّى إذا قارب مدينة النبىّ عليه السلام ركب هو وبنو عمّه الخيل العِتاق، وقلّدوها أطواق الفضّة، وعقَــدوا فى نواصيها عقودَ الجواهر ، وفى آذانها ذوائبَ الحرير، وعلى رأس جبــلةَ تاجُه ، وفيه قرطا ماريةَ(١) جدّته أمّ أبيه ، وبلغ أهلَ المدينة قدومُه فاستأذنوا فى استقباله عمرَ بنَ الخطّاب ، فلم يَبق فى المدينة بِكرٌ ولا ثيِّب إلا خرجت للنظر إلى زىّ جبلة . ثم أشرف على المدينة جبلةُ فى موكبٍ لم يُرَ مثلُه ، ودخل على عمر فسـلّمٌ عليه وشهد شهادةَ الحق، ففرح عمر ورفَع منزلتَه وأمر الأنصار فأكرموه. وأقام بالمدينة جبلةُ إلى وقت الحجّ، فلما خرج عمرُ بالنّاس ليقيم لهم أمر الحجّ خرج هو أيضا وأمر بقُبّةٍ له من ديباجةٍ صفراء فضُربت خارج الحَرَم . وكان زيُّه بمكة مشهورًا لا يَنظر إليه إلا بعين الجلالة أحدٌ. فبينَا هو ذاتَ

(١) فى الأصــل : « قرط مارية » وإنمـا هما قرطان يضرب بهما المثل فيقال : « أنفس من قرطى مارية » ، : «خذه ولو بقرطى مارية» . وهى مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث بن معاوية الكندى . انظر الميدانى وما يعول عليه لمحبى .

يوم يطوف بالبيت كغيره إذ وطئ فزارى على إزاره فانحلّ ، فضرب بكفّه على وجه الفزارىّ جبلةُ حتّى هشم أنفَه ، فأقبل الفزارىُّ على عمر ودمُه يسيل ، فبعثَ عمر إلى جبلةَ حتّى حضر . فقال له : ما حملك على ما فعلتَ بهذا الرجل ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إنه اعتمَدَ حلَّ إزارى ليبدىَ سوءَتى ، ولولا حرمةُ هذا البيت لضربتُه بسيفى . فقال له عمر رضى الله عنه : أقررتَ بما فعلت ، فأرضه من حقّه و إلا أقَدْتُه منك . قال جبلة : أوَ تفعل هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : نَعَم والله! قال جبلة : إنه من السُّوقة وأنا ملكٌ وابنُ ملك! والله لقد ظننتُ أن أكون فى الإسلام أعزَّ منى فى الجاهلية . قال عمر رضى الله عنه : إن الإسلام وعَدْلَه بخلاف الجاهليّة ، فأرضِه من نفسك و إلّا أمرتُه أن يهشِم أنفَك كما هشمتَه قِصاصا؛ فإنّ الإسلام جمعَك و إيّاه، فما تفضُله إلّا بالتقوى. فلما رأى جبلةُ أنّ عمر يأبى إلّا القصاصَ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، غير أنّى ناظرٌ ليلتى فى أمرى . فانصرف جبلةُ، فلما سكن الليلُ خرجَ فى قومه فأصبحَتْ مكّةُ منه ومنهم بلاقع، ومضَى إلى بنى عمّه بالشام فأمرهم بالرّحيل معه، فسار بهم وهم خَلقٌ كثير، حتى أتوا هرقلَ بقسطنطينيّة ، فتنصّر هو ومن معه، ففرح هرقلُ فرحًا، ثم أقطَعَ جبلة وبنى عمه حيثُ شاءوا من أرض الروم، واستوزَر جبلةَ خاصّة، فأقام عنده فى أرفع المنازل . ثم إنّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه دعا بحُذَيفة بنِ اليمان ، فكتب له إلى ملك الرُّوم يدعوه إلى الإسلام ، فسار حذيفةُ من المدينة إلى الشام ومنها إلى الروم . وعلمت الرُّوم أنّه رسول، فكانوا يُبَذْرِقُونه(١) من موضعٍ إلى موضع، حتّى دخل على هرقلَ، ودفع إليه الكتابَ وأبلغه رسالةَ عمر، فأبى أن يُجيب ، ثم قال لحذيفة : هل أتيتَ ابن عمِّك هذا الذى جاءنا راغبا فى ديننا عن دينكم ؟ قال

(١) البذرقة، بإهمال الدال و إعجامها : الخفارة، وهى من الألفاظ الفارسية المعربة.

حذيفة: لا والله . قال هرقل : فأتِه وانظُر إلى ما هو فيه، فلعلّ قلبك يصبو إلى ما صبا إليه . قال : فخرجتُ من عنده حتى أتيتُ باب جبلةَ ، فلم أكنْ رأيتُ بباب هرقلَ ما رأيتُ من العبيد والحشم بباب جبلة، ثم آستأذنتُ فأُدخلت عليه، فإذا هو جالسٌ على سريرٍ من جوهر الزُّجاج، له أربعةُ أركانٍ من الذهب، وأربع قوائم من الفضّة، وعلى رأسه تاجٌ من الذهب كثير الزبرجد والياقوت، وإذا هو قد وَخَطه الشّيب، وقد أمَر بالذَّهب الأحمر فسُحِل وذُرّ فى لحيته ، وقد استقبل بمحيّاه عينَ الشمس، فما رأيتُ منظرًا أبهى منه، فرحّب بى وأدنانى ثمّ عاتبنى على ترك النزولَ عليه، وسألنى عن أمرِ الناس وألحّ فى المسألة عن عمرَ خاصّة ، فأخبرته بما أرجو [به] رجوعه إلى الإسلام، فرأيتُه وقد تنفَّس الصُّعَداء، وعرفتُ فى وجهه الحزن ، ثم أجلسنى فجلستُ على كرسيّ لم أتبيّنه بديًّا ، فلمّا تأمّلتُه فإذا هو كرسيٌّ من ذهب، فانحدرت عنه ، وتبسّم جبلة وقال: إذا طهّرت قلبك فلا تبال بما لبست، وعلام جلست . فقلتُ : نهى النبيّ عليه السلام عن الذّهب . ولكنْ ويحك! ما الذى أخرجك عن قومك و بلادك بعد ما كان من الإسلام والحجّ وقراءة القرآن منك؟ فقال: ويحك ياحذيفة! أوَ ما بلغك ما أراد بى عمر؟ فقلت: بلى، وهذا الأشعث بن قيس الكندى ، وطُلَيحة بن خويلد الأسدى قد أسلما ثم ارتدّا ومنعا الزكاة ، وقتلا من المسلمين، ثم رجَعا تائبَين فقُبل منهما ذلك . فقال جبلة : ذَرْ عنك هذا . ثم أشار إلى واقفٍ بين يديه حتّى خرج ، فلم أشعُرْ إلّا وغلمانٌ قد أقبلوا يحملون صناديق الأطعمة، فوُضعت بين يدى سريره مائدةٌ من ذهب ، فنزَل وجلَس على بساطٍ بين يدَى السَّرير، ثم دعانى فاستعفيتُ مِن أن آ كلَ على مائدةٍ من ذهب ، فوُضعت من خَلَنجٍ(١) بين يدىَّ مائدةٌ، ثم سُعِي إلينا بكلّ حارٍّ و باردٍ ما رأيتُ ولا سمعتُ بمثله ، فكان يوضع

(١) الخلنج : شجر تتخذ من خشبه الأوانى، معرب .

بين يديه صحفةٌ من ذهب و بين يدىّ قصعة من خلنج أو جامٌ من قوارير ، وفيه ممّا يوضع بين يديه من الطّعام . ثم أُتِى بالخمر فقلت : إنّى رأيت أن تعفينى من دَوْرها على المائدة ففعل ، حتّى إذا استرفع الخِوانُ(١) قُدّم إليه طستٌ و إبريق من ذهب ، فلما أخذ فى غسل يديه قمتُ فغسلتُ فى ناحية من الدار يدىّ — أو قال فى بركة لم تكن فى الدار — ثم رجعت إلى موضعى فجلست فيه . ودعا بقدَح فشرب خمساً أو ستّاً ، ثم أشار بعينه الى واقف بين يديه فخرج ، فما كان بأسرعَ أنْ نظرتُ إلى عشر جوارٍ قد أقبلْنَ كالتّماثيل يحملن كراسىَّ العاج والآبنوس ، مغشّاة بجلود النمور والخزّ(٢) والسمور ، حتّى وضعت عن يمينه وعن يساره . ثم نظرتُ فاذا بعشر جوارٍ عليهنّ الوشى والديباج المذهب ، وهنّ فى الذهب والجوهر يتبخترن ، فجلسن على تلك الكراسىّ والعيدانُ فى حجورهنّ ، و إذا بجارية أخرى فى يمناها جامٌ من ذهب مملوءٌ بالمسك والعنبر والكافور المسحوق ، وفى يسراها جامٌ من فضّة مملوء بماء الورد ، وعلى رأسها طائرٌ كالملح بياضا ، فوقفَتْ بين يدىْ جبلة ، ثم صفَرت بالطائر ، فانقضّ حتّى سقط فى جام ماء الورد ، فأخذ ما فيه بريش ذنبه وجناحيه ، ثم صفَرت ثانيةً فسقط فى جام المسك وهو يتمرّغ ، حتى أخذ ما كان فيه بجناحيه وذنبَه ، ثم صفَرت ثالثةً فسقط على صَليب فى تاج جبلة ، ثم جَعَل يذرُّ ما بريشه وجناحيه على تاجه ورأسه ووجهه ولحيته ، ثمّ رجع الى موضعه وتحتّت الجاريةُ . ثمّ دعا بكأس عظيمة مُترعة بالخمر ، فلما استوفاها(٣) قال للجوارى عن يمينه : هاتين فاطربننى . فخفقن(٤) بعيدانهنّ ، واندفعن بصوتٍ واحد فقلن هذا الشعرَ الذى أوّله :

(١) استرفع الخوان : نفد ما عليه .

(٢) انظر للكلام على الخز حواشى الحيوان (٥ : ١٠٣) .

(٣) فى الأصل : « بكأس عظيم مترع بالخمر ، فلما استوفاه » والكأس مؤنثة .

(٤) خفقن : ضربن . وفى الأصل : « فخطفن » .

* أسألْتَ رسْمَ الدّارِ أم لم تسألِ *

ومنــه :

أولادُ جَفنةَ حولَ قبرِ أبيهمُ قبرِ ابن ماريةَ الجوادِ المُفْضِلِ
يُغشَون حتّى ما تهِرُّ كلابُهم لا يسألون عن السّواد المقبلِ
بيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابهم شُمُّ الأنوف من الطِّراز الأوّلِ ٥

فكان جبلةُ كلّما سمع بيتاً منها تهلّل وجهُه ثم قال : لله قائل هـذا الشعر ! ولله موضعُ قومٍ وَصَف ! ثم دعا بكأسٍ دِهاق ، فلما احتساها قال للجوارى عن يساره : هاتِين فأحزِنّنى . فحرّكن بصوت واحد أوتار العيدان ، فغنّين الأبياتَ التى مستهلها :

* لمن الدارُ أقفرتْ بمعَانِ *

فبكى جبلة حتّى تحدّرت على خدّيه ولحيتـه دموعه ، وإذا بجاريةٍ أقبلت ومعها ١٠ منديلٌ من ديباج أو حرير ، فمسحت وجهَـه وتنحّت . ثم قال لى جبلة : أتعرف المنازلَ التى ذَكرتْ هؤلاء الجوارى؟ — يعنى فى الشعر — فقلت : أعرفُ بعضَها دونَ البعض . فقال : هـذه والله منازلنا بالغُوطة ، ولكن هل تعرفُ لمن الشّعرُ الأوّلُ والثـانى؟ فقلت : لا . فقال : هذا شعرُ حسّان بن ثابت ، وكان كثيراً ما يزورُنا فى سالف الدهر . فقلت : ما أكثَرَ ذِكْرَه لك . فقال : ويحكَ ! ١٥ أيعيشُ حسّان ؟ فقلتُ : نعم ، وقد كُفَّ بصرُه فليس يهتدى بَرّاً ولا بحرا . فدعا بخمسمائة دينار ، وخمسةِ ديابيج ، وخمسةِ أثوابٍ من الحرير ، ومثلها بِزْيَون ، أى سُـندس ، فقال : أوصلْها إلى حسّان . وأراد أن يبرّنى بمثل ذلك فأبيتُ عليه . فلمّا أردت الرحيلَ دخلتُ عليـه فقلتُ : يا جبلة ، هل تُوصى بشىءٍ أبلّغه عنك أميرَ المؤمنين ؟ فقال : وما عسَى أن تكون وصيّتى إليـه ، وقد أراد أن يقتصَّ منّى ٢٠ بلطمةٍ لرجل من السُّـوقة ؟ فقلت : إنّه أحبَّ ألّا يأخذه فى الله لومـة لائم ،

وإنّما أراد أخْذ الحق . فقال : صدقتَ يا حذيفة ، ولكنّ الشقاء أحلّنى هذا المحلّ ، ولوددت أنّى متُّ قبل ذلك ، أو أنى فى ديار قومى على أسوأ حالةٍ تكون. ثم أنشأ يقول :

تنصّرت الأشرافُ من عارِ لطمةٍ وما كان منها لو صبرتُ بها ضَرَرْ[1]

تكنفّنى فيها لجاجٌ ونخوة وبعتُ بها العينَ الصحيحةَ بالعورْ

فياليتَ أمىَّ لم تلِدْنى وليتنى رجعتُ إلى القول الذى قال لى عمرْ

وياليتنى أرعَى المخَاضَ بقفرةٍ وكنتُ أسيرا فى ربيعةَ أو مضرْ

وياليتَ لى بالشّام أدنى معيشةٍ أُجاورُ قومى ذاهبَ العينِ والبصرْ

أَدينُ بما دانُوا به من شريعةٍ وقد يصبر العَوْدُ الضَّجورُ على الدَّبَرْ

قال حذيفة : فحفظت الأبياتَ ، ثمّ رحلتُ إلى الشام ومنها إلى المدينة ، فحدّثت عمر بما كان من مَرَدّ هرقلَ علىّ ، ثم بأمر جبلة ، وأنشدتُه ما سمعتُه من شعره . فقال : ويحكَ يا حذيفة! ورأيتَه يشرب الخمر بعد الإسلام والحجِّ والقرآن؟ فقلت نعم . قال : ورأيتَ الصّليبَ على رأسه ؟ فقلت نعم . قال : أبعدَه الله ! فقد تعجّل فانيةً بباقية ، فما ربِحتْ تجارتُه ، وضلّ فما اهتدى . فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، قد بعث معى إلى حسّان بنِ ثابتٍ بكذا وكذا ، ووضعتُه بين يديه . فقال لرجلٍ : ادعُ لنا حسّانًا ولا تُعلمْه فى هذا بشيءٍ . فمضى الرجل ، فما كان بأسرعَ أن أقبل حسّان وقائدُه يقوده . فلمّا دخل المسجدَ قال : السّلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، إنى لأجد روائح آل جفنة من بين يديك . فتبسّم عمر وأهل المجلس ، ثم قال : نعم يا أبا الوليد ، لقد أتاك الله منه بمعونة وبرٍّ حسن ، فاحمد الله على ذلك . فقبضه حسّان وأنشأ يقول :

(١) انظر الرواية فى ص ٢٩٦

إنّ ابن جفنة من بقية معشر لم يغـذه آباؤه باللـوم

لم يَنسَنى بالشام إذ هو ربها لالا ولا متنصّرا الروم

مازال يُعطيني الجزيلَ فما يَرى إلا كبَعض عطيّة المذموم

وأتيتُه يومًا فقرّب مجلسى منه وروّانى من الخُرطوم

٢٠ ﴿أَقَائدَهَا تَغُصُّ الجَوَّ نَقْعًا وَفَوْقَ الأَرْضِ مِنْ عَلَقٍ جِسَادُ﴾ ٥

التبريزى : الهاء فى «قائدها» راجعة على «الخيل» . وأضمر قبل الذّكر لعلم السامع . وتغصّ : من الغصص . والنّقع : الغبار . والعلَق : الدّم . والجساد ، أصله الزعفران ، ثم يستعمل فى الدم ، ومنه قولهم : ثوب مُجْسَد ، أى مصبوغ بالجساد . وإذا قالوا : مِجْسَد ، أرادوا به الذى يلى الجسَد . ويجوز فى الثوب الذى يلى الجسد : مُجْسد ، بالضم أيضا ، والكسر فيه أكثر . ١٠

البطليوسى : تغصّ الجو نقعا ، أى تملؤه بالغبار . وأصل الغصص : الاختناق ؛ يقال : غصّ بالطعام ، وأغصصتُه . والجوّ : الهواء . والنقع : الغبار . والعلَق : الدم . والجساد : الزعفران ، شبّه به الدم . والهاء فى قوله : «أقائدها» تعود على «الخيل» ، وأضمرها ولم يتقدّم لها ذكر لما فهم المعنى ؛ كما قال تعالى : ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ يعنى الشمس . ومثله قول عنترة : ١٥

وأُدفيه إذا هبّتْ شمالًا بَليلًا حَرْجَفًا بعد الجَنوبِ

الخوارزمى : سيأتى .

٢١ ﴿وَقَدْ أَدْمَتْ هَوَادِيَهَا العَوَالِى وَأَنْضَبَهَا التَّجَاوُلُ والطِّرَادُ﴾ (٢)

التبريزى : هواديها : أعناقها . وإنّما أدمت هواديَها العوالى لأنّها تُطعَن مُقدِمة . والعوالى : الرماح . وأنضبها : أذهب ماءها وهزلها ، من نضَب الماء ، ٢٠

(١) فى الأصل : « والجود » . (٢) رواية البطليوسى : « وأنصبها » بالصاد المهملة .

إذا ذهب فى الأرض، ينضُب نضوبا . والتجاول : التفاعل من جال يجول .
والطراد : مصدر طارد يطارد مطاردة وطِرادا .

البطليوسى : الهوادى : الأعناق، سمّيت بذلك لتقدُّمها . والعوالى: صدور الرماح، واحدتها عالية . وأنصبتها : أتعبتها . والتجاوُلُ : الذهاب والمجىء فى الحرب.
٥ والطِّراد : المطاردة والاتّباع .

الخوارزمى : الضمير فى «أقائدها» للخيل، وإن لم يجر لها ذكر. قوله : «تغصّ الجو نقعًا» ، وقوله «وفوق الأرض من علقَ جِساد» ، وقوله : «وقد أدمت هواديها العوالى» : أحوال مترادفة من الضمير فى «أقائدها» ، أو متداخلة ، فيكون العامل فى الأُخريين « تغص الجو » . وعلى المترادفتين والمتداخلتين حُمل قوله تعالى :
١٠ ﴿ وَهُمْ يَلْعَبُونَ . لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ . الجساد ، بالكسر ، هو الزعفران ، ومنه : « عليها مِجْسَدٌ مُجْسَدٌ » . يروى « وأنضها» بالضاد المعجمة، أى يبسها وهزّلها .
ويروى « وأنصبها » بالصاد، أى أتعبها .

٢٢ ﴿ مُقَـلَّدَةً بِهَامَاتِ الأَعَادِى كَمَا بِالدُّرِّ قُـلِّدَتِ الخِـرَادُ ﴾

التبريزى : الهامات : جمع هامة ، الرأس . والخِراد : جمع خريدة من النساء،
١٥ وهى الحيّية ، وقيل الناعمة . يقال : امرأة خريدة وخريد؛ وقد قالوا فى الجمع خُرُد وخراد . والمعنى أنه يقلِّد خيلَه برءوس الأعادى عند الانصراف من قتالهم .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : العسكريُّون إذا انصرفوا عن الحرب مظفَّرين علّقوا بأعناق الخيل رءوس أعدائهم .

٢٣ ﴿ عَلَيْهَا اللَّابِسُونَ لِكُلِّ هَيْجٍ بُرُوداً غُمْضُ لَابِسِها سُهَادُ ﴾

التبريزى : البرود، هاهنا : الدروع . والهيج : من هاجت الحرب تهيج هيْجا . والهيج أصله مصدر، ثم سميت الحرب به . و يقال لها الهيجاء والهيجا، ممدود ومقصور. وقوله : « غُمض لابسها سهاد » لقلة النوم .

البطليوسى : الهامات : الرءوس . والخراد : جمع خريدة، وهى الحيية من النساء . وليس لتخصيصه الخرائد من النساء دون غيرهن معنًى أكثرُ من طلب القافية . والضمير فى قوله : « مقلدة » ، يعود على العوالى . والهيج : الحركة والاضطراب . والغُمض : النوم . والسهاد : السهر . يقول : لابسها لا ينام؛ لأنها لم تُتخذ للنوم . والبرود : الثياب . وقال أبو حاتم : لا يقال لها برود حتى يكون فيها وَشْىٌ .

الخوارزمى : أعمل الصفة، وهى قوله : لابسون، لاعتمادها على اللام بمعنى الذى . ونظائر هذه المسألة قد مضت فى « معانٍ من أحبتنا »[1] . فى أساس البلاغة : « شهدت الهيج والهيجاء والهياج » ، وهو من باب التسمية بالمصدر . وقوله : « غمض لابسها سهاد » كقوله[2] :

* تحيةُ بينِهم ضربٌ وجيعُ *

٢٤ ﴿ كَأَثْوَابِ الأَرَاقِمِ مَزَّقَتْهَا فَخَاطَتْهَا بِأَعْيُنِهَا الجَرَادُ ﴾

التبريزى : الأراقم : الحيات، واحدها أرقم . والمعنى أن سَلْخ[3] الحية يشبه به الدروع . قال[4] :

(١) انظر منها البيت ٤٣ . (٢) هو عمرو بن معديكرب الزبيدى، كما فى الخزانة (٤ : ٥٣) . وصدره :

* وخيل قد دلفت لها بخيل *

(٣) سلخ الحية، بالفتح : ما ينسلخ من جلدها .

(٤) هو محمد بن عبد الملك، كما فى نهاية الأرب (٦ : ٢٤٥) . وقبل البيت :

نهنهت أولاها بضرب صادق هتْن كما شق الرداء المعلم

وعلىَّ سابغةُ الذيول كأنَّها سَلخُ كسائِيهِ الشُّجاعُ الأرقمُ (١)

ومسامير الدروع تشبه رءوسها بعيون الجراد . قال قيس بن الخطيم :

ولمّا رأيتُ الحربَ حربًا تجرّدتْ لَبِستُ مع البُردين ثوبَ المحارب

مُضاعَفةً يغشى الأناملَ رَيْعُها كأنَّ قتيرَها عيونُ الجنادِبِ (٢)

٥ البطليوسى : الأراقم : الحيات التى عليها شبه الرَّقْم ، واحدها أرقم . شبهَ الدروع بجلود الحيات التى تَنسلِخ منها . وشبّه مساميرَها بعيون الجراد، كما قال الآخر:

علىَّ مُفاضةٌ كالنِّهي زَغْفٌ كأنَّ قتيرَها حَدَقُ الجَرادِ

والقتير : مسامير الدروع .

الخوارزمى : سُمِّى الجراد جرادًا لأنّه يجرد الأرض، أى يأكل نبتها . وفى

١٠ أمثالهم : «أجْرَدُ من جراد» و «أحطم من جراد» .

٢٥ ﴿إليكَ طَوى المَفاوِزَ كُلُّ رَكْبٍ سَمَا بِهِمُ التَّغَرُّبُ والبِعَادُ﴾

التبريزى : المفاوز : جمع مفازة، وهى المهلكة . قالوا : إنّما قيل للمهلكة مفازة تفاؤلا ، لأنّ الفوز ضِدّ الهلاك . يقال : فاز يفوز فوزًا ، ثم كثر ذلك حتّى قيل لكلِّ من نال خيرًا : فاز بكذا يفوز فوزا (٣) . ويحتمل أن تكون المفازة سمِّيت

١٥ مفازةً من الفوز ، وهو الهلاك ؛ يقال: فاز الرجل وفوَّز ، إذا مات . و إذا وجدنا الفوز بمعنى الهلاك حملنا المفازةَ على أنَّها فى الحقيقة مهلكة ، و بطل قولُ من قال : إنما سمِّيت مفازة تفاؤلا .

البطليوسى : المفاوز : جمع مفازة ، وهى الفلاة التى تُهلك من سالكها ، سمَّوها مفازةً تفاؤلًا لسالكها بالفوز . وكان القياس أن تسمَّى مهلكة . هذا قول

٢٠ (١) موضع كلمة : « الذيول » بياض فى الأصل ، وأثبتنا الكلمة من التنوير ونهاية الأرب .

(٢) يروى . « كأن قتيرها » . (٣) فى الأصل : « نار » .

الأصمعىّ . وقال ثعلب : سألت ابنَ الأعرابىّ عن المفازة ، وأخبرتُه بما قال الأصمعىّ ، فقال : أخطأ ؛ لأنّ أبا المكارم أخبرنا أنّها سمّيت مفازة لأنّ مَنْ قطعها ونجا منها فاز. وقد حكى اللغويّون أنه يقال: فاز الرجل وفوّز، إذا هلك . فلا نظر فيها على هذا القول . والرَّكْب : جمع راكب ، وهى صفة يُوصف بها كلُّ من رَكِب . وأكثر اللغويّين يقولون : إن الراكب لايقال إلّا لراكب البعير خاصّة . ٥
وهو غلط ؛ لأنّ الله تعالى يقول : ﴿ وَالْخَيلَ والبِغَالَ والحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا ﴾، فجعل الرُّكوب فى الجميع . وقال علقمة :

إذا ما اقتنصنا لم نُخَاتِل بجُنّةٍ ولكن نُنادى من بعيدٍ ألا ٱركَبِ[1]

وطىُّ المفازة : قطعها، شبَّه بطىِّ الثوب . وسما : ارتفع وعلا . والباء فى قوله :
« بهم » باء النقل التى تنوب مَناب همزة النقل فى قولك : دخلت به، وأدخلته . ١٠

الخوارزمى : المفاوز : جمع مفازة ، وهى مفعلة ، إمّا من فاز وفوّز، إذا مات ، ولذلك سمّيت بيداء، لأنّها من البيدودة ، وهى الهلاك ؛ وإما من الفوز وهو الظفر . وحينئذ تسميتها بها من باب التفاؤل . ونظيرها السليم للّسوع . سما لى: شَخَص من بعيد . قال :

سَمَا لِىَ فُرسانٌ كأنَّ وجوهَهُم مصابيحُ تبدو فى الظّلام زَواهِرُ ١٥

الباء فى « بهم » للتعدية . يريد جاءوك من بعيد .

٢٦ ﴿ وَإِصباحٍ فَلَيْنَا اللَّيلَ عَنهُ كَمَا يُفْلَى عَنِ النَّارِ الرَّمادُ[2] ﴾

التبريزى : فلينا الليل ، أى طلبنا الصبح فيه[3]، كما يفلى الشَّعر ، وكما تطلب الشرارة فى الرماد .

(١) انظر ديوانه ص ١٣٤ . (٢) رواية البطليوسى : «فلين الليل» . وفى حمن البطليوسى : ٢٠
«عن الجمر» وفى أ منه : «عن النار» وكتب بالحاشية «نخ : الجمر» إشارة إلى أنه كذلك فى نسخة أخرى .
(٣) فى الأصل : «أى فلينا الصبح فيه» .

البطليوسي : يقول شققن الليلَ حتّى وصلْنَ إلى الصباح ، كما يُفرَج الرَّماد حتى يُوصَـلَ إلى الجمر . وهذا من بديـع التشبيه . والضمير في قوله : « فلين » يعود إلى الإبل، ولم يتقدَّم لها ذِكر؛ لأنّ ذكْر الرَّكب قد دلَّ عليه؛ كما يقال : مَن كذب كان شرًّا له . فيضمرون الكذب؛ لأن «كَذَبَ»(١) قد دلَّ عليه . وفي بعض النسخ : « فلينا » بالألف، يعني نفوسهم . وهذا أجود .

الخوارزمي : سيأتي .

٢٧ ﴿أَبَلَّ بِهِ الدُّجَى مِنْ كُلِّ سُقْمٍ   وَكَوْكَبُـهُ مَرِيضٌ مايُعَـادُ﴾

التبريزي : أبلَّ، أي خلص . وأصله من قولهم: بلّ من المرض . [وبلّ] وأبلّ واستَبلّ، بمعنى . قال الشاعر :

إذا بـلّ من داءٍ به ظَنَّ أنه   نَجَـا وبه الداءُ الذي هـو قاتلُه

ومثل هذا المعنى قول الآخر(٢) :

كانتْ قَنـاتى لا تلين لغامزٍ   فألانَهـا الإصـباحُ والإمساءُ

ودعوتُ ربِّي بالسَّلامة جاهدًا   لِيُصحَّني فإذا السـلامةُ داءُ

وقال الآخر :

يودُّ الفتى طولَ السَّـلامة والغِنَى   فكيف يَرَى طُولَ السلامة يَفْعلُ

ومعنى قوله : « أبلّ به الدجى » يريد أنّ قمـره ونجومه غائبـة ، فهي كمريضـة محضورةٍ(٣) لا تعاد، لتقارب أجلها ؛ وأضاء الدجى فصار كعليل انحسرت عنه العلة .

---

(١) حـ : « الكذب » والوجه ما أثبتناه من أ .

(٢) هو أحد شعراء الجاهلية، كما في الكامل ١٢٥ ليبسك .

(٣) محضورة : حضرها الموت . وفي الأصل : «محصورة» تحريف .

ويحتمل أن يكون قد حكم بمرض الكواكب والدجى، ولا مرضَ فيه، لكنّه جعله مريضا، لأنه من طول الليل كالناعس[١].

البطليوسى : يقال : بلّ من المرض وأبلّ واستبلّ، إذا أفاق . والدُّجى : جمع دُجية، وهى الظلمة . وقد ذكرنا فيما تقدّم[٢] أنّ هذا ممّا ورد فيه الاسم مخالفا لأصله؛ لأن القياس دُجْوة؛ لأنّها من دجا يدجو، فلذلك جاز أن يكتب الدجى بالألف والياء. وأما معنى البيت فإنّه شبّه اللّيلَ، لقوّة ظلامه وأنه لا نُور فيه يتخلّله فيُضعف ظُلمتَه، بالصّحيح الذى لاسَقَم به، وجعل الكوكب كالمريض الذى يُئس منه لمعنيين : إما لأنه قد سرى حتى كلّ وأعيا لطول الليل، وإما لأنه قد غرق فى بحر الظلام، فشبّهه بالغريق الذى يجود بنفسه؛ كما قال فى قصيدةٍ أخرى :

نحنُ غَرْقَى فكيف يُنقِذنا نجـ ـمانِ فى حومة الدجى غَرِقانِ

الخوارزمى : الإصباح هو الصُّبح، وعليه : ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾ . عنى بإبلال الدُّجى شدّةَ سوادها . الضمير فى «به» لليل، وكذلك فى «كوكبه» . فإن قلت : فى هذا الكلام نوعُ نظر؛ وذلك أنّ الضمير فى «كوكبه» إذا انصرف إلى الليل لزم أن يكون للّيـل كوكبٌ واحد، وذلك لا يكون، اللهم إلّا إذا أُريد بالليـل آخره، ومثل هـذه الإرادة قبيح . قلت : الضمير فى «كوكبه» ينصرف إلى الليـل مَفْليًّا عن الإصباح . وفَـلْىُ الليل عن الإصباح إنّما يكون فى أواخره لا فى أوائله وأواسطه . قوله : «وكوكبه مريض» أى فاتر الضوء، ضعيف ما به حَراك . «ما يعـادُ» أى فريد وحيد ليس معه كوكب . وهـذه عبارةٌ عن طول الليل وغروب سائر الكواكب .

(١) كذا فى الأصل .

(٢) انظر ماسبق من شرح البطليوسى ص ٢٦٣ .

٢٨ (ولَو طَلَع الصَّباحُ لفُكَّ عَنْهُ مِنَ الظَّلْماءِ غُلٌّ أو صِفَادُ)

التبريزى : الصِّفاد والصَّفَد : القيد ؛ يقال : صفدته أصفده صَفْدا ، وصفَّدته تصفيدا . وجمع صَفَد أصفاد . والصَّفَد: العطاء أيضا ؛ يقال: أصفدته إصفادا، إذا أعطيته . والهاء فى قوله : «لفُكَّ عنه» راجعة إلى «الكوكب» . أى كأنه مغلول أو مصفود، فلو طلع الصباح لكان كأسير قد أُطلق .

٥

البطليوسى : الهاء فى « عنه » تعود إلى الكوكب . والصِّفاد : الوثاق؛ يقال : صفَدت الرجل ، إذا أوثقته . يقول : كأنّ كوكبه مُوثَق لا يطيق البرَاح . وهو مأخوذ من قول امرئ القيس :

فيالكَ من ليلٍ كأنّ نجومَه بكُلِّ مُغار الفتل شُدّتْ بيَذْبُلِ

١٠

الخوارزمى : الصَّفدَ والصِّفاد هو الوثاق. الضمير فى «عنه» لـ«كوكبه» . يقول : ذلك الكوكب لضعفه كأنه مغلول يَقطِفُ[1]، أو مصفود يرسُف ، ولو طلع الفجرُ لحلّ إسارُه، وفُكّ وثاقه، أى لغاب .

٢٩ (تلوذُ بنا القَطَا مُسْتَجْدِياتٍ لِمَا ضَمِنَتْ مِنَ الماءِ المَزَادُ)[2]

التبريزى : يلوذ، أى يطوف . ومستجديات : مستعطيات، من الجدَا، وهو العطاء. والمراد أنّ القطا قد اشتدّ عطشها فهى تلوذ بنا ، لعلّنا نسقيها من مزادنا .

١٥

البطليوسى : تلوذ بنا ، أى تطوف حولنا وتفزع إلينا . والمستجديات : السائلات المستعطيات . يصف أنهم فى فلاةٍ لا ماء فيها ، فالقطا تلوذ بهم لتشرب[3] من الماء الذى فى مَزادهم . والمزاد : أوعية الماء، واحدها مَزادة . ومعنى ضَمِنتْ : حَوتْ وحَمَلت .

الخوارزمى : سيأتى .

٢٠

(١) يقطف ، من القطاف والقطوف ، وهو المشى الضيق . (٢) التبريزى : « يلوذ » .
(٣) حـ : « فتشرب » .

٣٠ ﴿يَكَدْنَ يَرِدْنَ من حَدَقِ المطَايَا ... مَــوَارِدَ ماؤُهَا أبداً ثِمَــادُ﴾

التــبريزى : المعنى أنّ القطا تحسَب أنّ عيون المطايا ماء، فتكاد تَرِدها لأنها تشبِّهها بالثِّمــاد، أى المــاء القليل . وهذا مثل قول القطامىّ فى صفة عيون الإبل:

* كأنّهــا قُلُبٌ عاديّةٌ مُكُلُ (١) *

والعاديّة : القديمة . ومُكُل : جمع مَكُول (٢)، وهى البئر القليلة المــاء .

البطليــوسى : الحدَق : العيون . والمطايا : الإبل وكلُّ ما امتُطى من غيرها . والموارد : مواضع المــاء التى تُورَد . والثِّماد : القليل من المــاء، وهو جمعٌ، واحده ثَمْد بسكون الميم ، وثَمَدٌ بفتحها ، والفتح فيــه أشهر . يقول : ترى القطا عيــونَ المطايا فتتوهّم أنّها مياهٌ ثِمادٌ، فتكاد تَرِدُ عليها لشدّة عطشها. وخصّ المياه الثِّمادَ إشارةً منه إلى أنّ عيون المطايا قد غارت لضعفها وهزالها . وهذا نحو قول القُطامىّ :

* كأنّهــا قُلُبٌ عاديَة مُكُلُ *

وقال الشمّاخ يصف حَمِير الوحش :

فظلّت بأعرافٍ كأنّ عيــونَهــا ... إلى الشّمس هل تدنُو رُكِىٌّ نواكِزُ (٣)

الخــوارزمى : القطا أبصر الحيوانات بمواضع المــاء ومعادنه، وربّمــا يحمل المــاءَ لفراخه من مسيرة ثلاثة أيّام . وإنّمــا يحمله بأصول ريشه لا فى حوصلته . كون حدق المطايا ذاتَ ثِمــاد كنايةٌ عن يبس المطايا وهُزالها ؛ وهــذا لأن حدَقة

---

(١) صدره كما فى الديوان ص ٣ :

* لواغب الطرف منقوبا محاجرها *

(٢) مكول، بفتح الميم . وفى الأصل : « مكل » تحريف .

(٣) الأعراف : الروابى، أو موضع بعينه . وفى الديوان : « فظلت بيؤرد » وهــو موضع . والركى : جمع ركية ، وهى البئر . والنواكز : جمع ناكز، وهى التى فنى ماؤها .

البعيرِ موصوفةً بكثرة الماء . ألا ترى إلى قولهم : « هم فى مِثل حَدَقة البعير » أى فى خصب وماء كثير . يريد أنّا سرنا فى مهامهَ قليلةِ الماء .

٣١ ﴿ فَكَمْ جَاوَزْنَ مِنْ بَلَدٍ بَعِيدٍ وَسَائِرُ نُطْقِنَا هِيدٌ وهَادُ ﴾

التبريزى : هَيد وهاد : زجر للإبل . قال الراجز :

* وقد حدوناها بِهَيْدٍ وهَلَا *

هكذا ذكره أهل اللغة . وقال أبو العلاء : هيد وهاد : صوتان يقالان فى حُداء الإبل . وقال ذو الرمة :

إذا حدوناها بهادٍ هِيدِ [(١)] صفحن للأزرارِ بالخُدودِ

والأزرار، يريد بها الأزِمَّة والبُرَى .

البطليوسى : هَيد وهاد : كلمتان تستعملان فى زجر الإبل . أنشد يعقوب :

حتى استقامت له الآفاقُ طائعةً فما يقال له هيد ولا هادِ [(٢)]

ويقال أيضا : هِيد هِيد، بكسر الهاء ؛ قال ذو الرمة :

إذا حداهنّ بهِيدٍ هِيدِ صفحن للأزرار بالخُدودِ

يريد أنهم يستحثّون الإبل للسير ، فأكثرُ ما ينطقون به زجرُ الإبل لتنهض .

وقوله : « وسائر نطقنا هيدٌ وهادُ » كلام فيه إشكالٌ ؛ لأنّ النحويّين قالوا : إنّ هذه اللفظة لا تُضاف إلّا إلى شيءٍ قد تقدّم ذِكر بعضه ، كقوله : رأيت فرسك وسائرَ الخيل . ولو قلت رأيت حمارك وسائر الخيل، لم يَجُزْ ؛ لأنّه لم يتقدّم للخيل ذكر . ولكن إن قلتَ : رأيت حمارَك وسائر الدوابّ ، جاز . ولم يتقدّم للنُّطق

(١) رواية الديوان ١٦١ : « إذا حداهنّ بهيد هيد » كما سيأتى فى رواية البطليوسى .

(٢) البيت لابن هرمة ، كما فى اللسان (هيد) ، ورُوى بالرفع فيهما . قال ابن منظور : « ويجوز أن يقال له هيد بالخفض » .

ذكر فى بيت المعرّى، وإنما جاز ذلك لأنّه جعل «سائر» بمعنى الأكثر والأعظم، فكأنه قال : وأكثر نطقنا هيد وهاد . وإذا كان أكثره هكذا، عُلِم أنّ أقلّه بخلافه . فهو كلام محمولٌ على المعنى، اتّكل فيه على علم المخاطب . والشيء إذا كان فى فَحواه ما يدلُّ على المراد جاز اختصارُ بعضِه .

الخوارزمى : سيأتى .

٣٢ ﴿وَمِنْ غَلَلٍ تَحِيدُ الرِّيحُ عَنْهُ مَخَافَةَ أَنْ يُمَزِّقَهَا الْقَتَادُ﴾

التبريزى : أى كم جاوزن من بلد بعيد ومن غَلَل . والغَلَل : ما يجرى فى أصول الشّجر . والرِّيح تحيد عنه خيفة أن يمزّقها شوك القَتَادِ . وهى مبالغة يستحسنُها الشُّعراء .

البطليوسى : الغَلَل: الماء الجارى بين الشّجر . وسُمّى غللا لأنّه ينغلّ بينها، أى يدخل . وتحيد : تميل فى شِق وتنفِر . والقَتاد : نوع من الشجر ذى الشوك . وإنما وصف أنّ الريح[1] يتعذّر عليها الوصول إليه ليؤكّد تعذّره على من رامه؛ لأنّ الريح إذا لم تصل إليه على شدّة تغلغلها ولطف مدخلها فغيرُها أحرى بذلك .

الخوارزمى : هَيد وهِيد، بالفتح والكسر: زجر للإبل، وكذلك هاد . الغلل، هو الماء الجارى بين أصول الأشجار، وقد غَلّ الماء بينها يَغُلُّ، بالضم، أى جرى . ومدار التركيب على الكُمون .

٣٣ ﴿وَكُنَّ يَرَيْنَ نَارَ الزَّنْدِ فِيهِ فَلَمْ يُبْصِرْنَ[2] إِذْ وَرَتِ الزِّنَادُ﴾

التبريزى : يقال وَرَى الزند يرى، إذا أخرج النار، وضدّه صلَد يصلِد، إذا لم يخرج ناره . وهذا أحد ما جاء على فعِل يفعِل، نحو وَلِى يَلِى[3]، ووَثِق يثِق،

(١) حـ : «كان الريح» . (٢) التبريزى : «ولم يبصرن» . (٣) بعدها فى الأصل: «وورِى يرِى» ، وليست من الباب . وانظر شرح لامية الأفعال ص ٣ — ٤ طبع ليبسك سنة ١٨٦٦ .

ووَفِق يفِق[1]، ووَمق يَمِق، ووَرِم يَرِم، ووَرِث يَرِث، ووَرِع يرِع[2]. وقد جاء فى وري الزند يرى وحدَها دون سائر هـذه الحروف فتحُ العـين فى المـاضى ، فقالوا ورَى الزند يَرِى، وقوله : «ورت الزناد» على هذا الوجه. وفى هذا البيت مبالغتان مكذوبتان : إحداهما الادّعاء للطىّ[3] أنّها ترى نار الزند من قبـل أن يخرج منه، والأخرى زَعْمه أنّهن كنّ يُبصرن [فلم يبصرنّ[4]] لمّـا ورت الزناد، أى ظهرت النار منها، من شدّة الظلام .

البطليـــوسى : يقال : ورى الزند يرِى، إذا قُدح فخرجت منه [النار]، وكبا يكبو وصلَد يصلُد، إذا قُدح فلم يخرج منه شىء. يقول : كانت هذه الإبل تَرى نارَ الزند، وهى فى الزند قبل أن تقدح، لحدّة أبصارها، فلما صارت فى هـذه المفازة المغبرّة المظلمة لم تَر شيئًا حين قُدحت النار، لشدّة الظلمة .

الخـــوارزمى : قوله : «فيه» فى محل النصب على أنّه حال من نار الزّند . أى كانت المطايا تَرى نار الزّند وهى فيه مستكنّة . وهذا تصريحٌ بكون النّار فى الزّند كامنة، يُبرزها الحكّ والخضخضة[5] . وهذا على مذهب العرب، وبه أخذ النظّام .
وفى عراقيّات الأبيوردىّ :

وقد كَنَتْ فى القلب منّى صبابةٌ إليها كُمونَ النّـارِ فى طَرَفِ الزّندِ

وقال : * أنا النار فى أحجارها مستكنّةٌ *

وفى أمثالهم : « فى كلّ شجـرٍ نار، واستَمجَدَ المَرْخُ والعَفار» . وأما الفلاسفة فلا يرضون هذا .

---

(١) وفق يفق : صار موافقا . وفى الأصـل : « وفق يفق » . صوابه من لامية الأفعال .
(٢) فى الأصل : « يرد » تحريف . (٣) فى الأصل : « للطلب » تحريف .
(٤) بمثل هذه يلتئم الكلام . (٥) انظر الحيوان (٥ : ٦ ـ ٢٣) والفصل (٥ : ٦١ ـ ٦٢) .

٣٤(لَوَ انَّ بَيَاضَ عَيْنِ المَرْءِ صُبْحٌ هُنَالِكَ مَا أَضَاءَ بِهِ السَّوادُ)

التبريزى : يريد شدّة الظلمة، فبالغ فى وصفها .

البطليوسى : يريد أنّ سواد الليل قد استولَى على هذا القفر ، ومَنع الصبحَ من أنْ يطور به[1]، أو يطلُعَ فيه . فلو كان بياض عين المرء السالكِ فيه صبحاً لطرده السّوادُ عن نفسه، ومنعه من مجاورته وصحبته . ولا أحفظ هذا المعنى لغيره .

الخوارزمى : رأيت سوادا، أى شخصا . وإضاءة الشّخص : ظهوره . والبياض مع السواد إيهام مليح . ونحوه بيت السقط :

* يجولُ كلُّ سَوادٍ فى عُيونهم[2] *

وفى كلام أبى النضر العتبىّ : «بطَرْد الغُواة وخَطْمهم، وتبييض تلك النواصى من سوادِهم » .

٣٥(وَأَرْضٍ بِتُّ أَقْرِى الوَحْشَ زَادِى بِهَا لِيَثُوبَ لِى مِنْهُنَّ زَادُ)

التبريزى : قوله : « أقرى » من قريت الضيف أقريه قِرْياً . ورجل مِقْرًى[3]: كثير القِرَى للنّاس . والمقرى، مقصور : الإناء الذى يُقْرَى فيه الضيف . وكذلك رجل مِهْداء : كثير الإهداء إلى الناس . والمِهْدَى، مقصور : ما يهدى عليه . ويثوب، أى يرجع . يقال : ثاب يثوب، إذا رجع . ومعناه أنّه يُطعم الوحش زادَه ليجعلها له طعاما . وقد بيّنه فيما بعد، وهو قوله :

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

(١) طار به يطور : دنا منه وقرب . ح : « يكون به » .

(٢) عجزه ، كما فى القصيدة ١٢٧ :

* كالأكم فى السير عند الأعين النعس *

(٣) يقال مقرى ومقراء، بالقصر والمد .

٣٦ (فَأَطْعِمُهَا لِأَجْعَلَهَا طَعَامًا وَرُبَّ قَطِيعَةٍ جَلَبَ الوِدَادُ)

التبريزى : أى جلبها الوداد ، لحذف المفعول . ومثله قول جرير :

أبحْتَ حِمَى تِهامةَ بعدَ نجدٍ وما شيءٌ حَمَيْتَ بمستباحِ

يريد : حميته .

٥ البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : قوله : «وأرض» معطوف على قوله : «ومن غَلَل» . تفرق عنه أصحابه ثم ثابوا إليه ، أى رجعوا . جَلَبَ الودادُ ، أى جلبها الودادُ ، لحذف الراجع . ومثله قول جرير :

* وما شيءٌ حميتَ بمستباحِ *

١٠ ومعنى المصراع الأخيرِ من قول أبى الطيِّب :

* وكم بُعْدٍ مُوَلِّدُه اقترابُ (١) *

والبيت الثانى تقرير للبيت المتقدّم .

٣٧ (تَرَكْتُ بِهَا الرُّقَادَ وَزُرْتُ أَرْضًا يُحاذِرُ أَنْ يُلِمَّ بِهَا الرُّقَادُ)

التبريزى : أى تركت الرُّقادَ بالأرض التى كنت أَقرِى بها الوحشَ ، وزُرتُ

١٥ أرضًا لا يُمكن بها الرقادُ . ويقال : أَلَمَّ به ، إذا زاره . والإلمام : الزيارة الخفيفة . يقول : زرتُ أرضًا يحاذر الرقادُ أن يزورها (٢) .

البطليوسى : أقرى : أُطعِم . وأصل القِرَى الضِّيافة ، تكسر قافه فيقصر ، وتفتح فيمدّ . ويثوب : يعود ويرجع . يريد أنّه يُخادِع الوحشَ ليصطادَها فيتّخذها زادًا له ، وأنّه يقطع فَلَواتٍ مَخوفةً لا ينام فيها .

٢٠ (١) صدره كما فى الديوان (١ : ٥٠) بشرح العكبرى :

* وكم ذنب مولده دلال *

(٢) فى الأصل : « تحاذر أرضا أن يزورها » .

الخوارزمى : يقول : غلب علىّ فى هذه الأرض السّهادُ ، فارتحلتُ إلى أرضٍ لا يتزل فيها على أحدٍ الرّقادُ . يريد أن الثانية أهْيَبُ من الأولى ؛ لأنّى فى الأولى كنتُ أخاف ، وفى الثانية يَخافُ النوم .

٣٨(رَأيتُكَ ساخِطًا ما جاءَ عَفْوًا ... ولَوْ جادَتْكَ بالذَّهَبِ العِهَادُ)

التبريزى : عَفْوًا ، أى سَهلا . والسُّخط : خلاف الرضا . كأنه قال : رأيتُك غيرَ راضٍ بما يجيئك عفوا . أى لا تريد سوى ما تُفيئه عليك الرِّماحُ والسيوف . والعهاد : إمطار فى إثره إمطار . قال أبو زُبَيد (١) :

هِبْرِزِىٌّ تسمو العيونُ إليه ... أَصْلَتِىٌّ كالبدرِ عامَ العُهودِ

يقال : عِهاد وعُهود ، كما يقال : كِعاب وكُعوب . والأصلتىّ : الذى ينصلت فى الأشياء . والانصلات : الإسراع .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

٣٩(فَما تَعْتَدُّ مالًا غَيْرَ مالٍ ... حَبَاكَ بِه طِعَانٌ أو جِلَادُ)

التبريزى : هذا تفسيرُ البيت الذى قبله . وتعتدّ : تعدّ . وحَباه يحبوه ، إذا أعطاه . والحِباء : العطاء . والطِّعان : مصدر طاعنه يطاعنه مطاعنةً وطعانا . والجلاد : مصدر جالده يجالده مُجالَدةً وجلادا . والطعان بالرماح ، والجلاد والمِصاع بالسُّيوف .

البطليوسى : العفو : السهل الذى لا كُلْفة فيه . وجادتك : أمطرتك . والجَوْد : مطرٌ فوق الدِّيمة (٢) ، ولذلك قال الراجز :

---

(١) هو أبو زبيد الطائى . وفى الأصل : «أبو زيد» تحريف . ورواية البيت فى اللسان (عهد) :

أصلتى تسمو العيون إليه ... مستنير كالبدر عام العهود

(٢) هو جهم بن سبل ، من بنى كعب بن بكر . قال أبو زياد الكلابى : «وقد أدركته يرعد رأسه» .

أنا الجوادُ ابنُ الجوادِ ابنُ سَبَلْ[1] إنْ دِيَمُوا جادَ وإنْ جادُوا وَبَلْ

والعهاد : جمع عَهْد وعَهْدة، وهو المطر يأتى بإثر المطر. ومعنى «حباك» خَصّك.

هذا يشبهُ قول أبى الطيّب المتنبّى، وإن لم يكنْهُ بعينه :

وَهَبَ الذى ورِثَ الجدودَ، وما رَأَى أفعالَهم لابْنٍ بلا أفعالِه[2]

٥ حتى إذا فَنِىَ التراثُ سِوى العُلا قَصَدَ العُداةَ من القَنا بِطِوالِه

الخوارزمى : «ما» جاء فى محل النصب على أنّه مفعول به ، والعامل فيه «ساخطا» . ونحوه :

* فارقتَ دهرك ساخطا أفعالَه *

والبيت الثانى تقرير للبيت المتقدّم .

١٠ ٤٠ (وتُنْفِدُ كُلَّ وَفْرٍ حُزْتَ قَسْرًا لِعِلْمِكَ أَنَّ آخِرَهُ نَفَادُ)

التبريزى : تُنفِد ، أى تُفنِى ، والوفر : المال الكثير. وحُزتُ الشيءَ أحوزُه، بمعنى جمعتُه . والقَسْر : القهرُ؛ يقال : قَسَرَه بمعنى قهره . يقول : تُفنِى ما تُفِيء عليك رماحُك وسُيوفك من المال، لعلمك أن آخرَه فناء .

البطليوسى : سيأتى .

١٥ الخوارزمى : هذا من قول أبى تمّام :

إذا ما أغاروا فاحتوَوْا مالَ معشرٍ أغارتْ عليهم فاحتوَتْه الصنائعُ[3]

(١) فى الأصل : « أن الجواد » صواب إنشاده من اللسان (سبل) والأزمنة والأمكنة للمرزوقى (٢ : ٨٨) .

(٢) يقول : لا يرى الافتخار إلا بفعله ، ورأى أن أفعال آبائه لا ترفعه ولا تنفعه حتى يفعل مثلها .

٢٠ انظر العكبرى (٢ : ٥٦) .

(٣) فى الأصل : «فاحتوتها» والضمير إنما يعود إلى المال، والصواب ما أثبتنا من الديوان ٢٧٤ .

٤١ (أَلِفْتَ الحَرْبَ حَتَّى قَالَ قَوْمٌ ... أَمَا لِصَلَاحِ بَيْنِكُمَا فَسَادُ)

٤٢ (تَمُوتُ الدِّرْعُ دونَكَ حَتْفَ أَنْفٍ ... وَيَبْلَى فَوْقَ عَاتِقِكَ النِّجَادُ)

التبريزى : يقال: ماتَ فلانٌ حتْفَ أنفه، إذا مات على الفِراش ولم يُصبه شىءٌ مِمَّا يصيب النّاس فى الحرب . يصفُه بأنّه لا يفارق السِّلاح، لإلْفِه الحرب، فسلاحُه أبدًا عليه، تيقُّظا وحَزْما .

البطليوسى : يقال: ماتَ فلان حتفَ أنفه، إذا مات على فراشه غيرَ مطعونٍ ولا مضروب . ومعناه أنّه مات الموتَ الذى تخرج معه النَّفَسُ من الأنف والفم خاصّة، لأنّ المطعون تَخرجُ النفسُ مِنْ جراحه . فضرب ذلك مثلاً للدِّرع، وجعل تمزُّقها من البلى، دون أن يهتِكَها بسيفٍ أو رمح، بمنزلة موت الإنسان حتفَ أنفه . والنِجاد : حمائل السَّيف . يقول للممدوح : أنت سببُ مشاهدةِ الدِّرع للحرب، وتمزيقها بالطّعن والضرب: لكثرة وَقَعاتك واتِّصال فَتَكاتك . وكلُّ درعٍ لا تلبسها للقاء أعدائك، أولا يلبسها أعداؤك للقائك، فإنّما يمزِّقها تقادُم الأعصار، وكُرور اللّيل والنّهار، لأنّها لا تُستعمَل فى حربٍ، ولا تعـرَّض لطعنٍ ولا ضرب . وقـد قال أبو الطيِّب المتنبّى نحوًا من هذا المعنى، ولكنّه فى صفة الرِّماح، وهو :

إذا جلبَ النّـاسُ الوَشـيجَ فإنّه ... بهنّ وفى لَبّـاتهن يحطَّـمُ[1]

وقال أبو العلاء فى قصيدة أخرى :

فيُفـنى الدِّرعَ لُبسًا واتِّمَـانِى ... صِحـابًا والـرُّدينىَّ اعتقـالا[2]

---

(١) أى يكسر الرماح بخيله طاعنة، وفى صدور خيل عدوه مطعونة . ويروى : « يحطِم » بفتح الطاء المشددة، وضمير «فإنه» على هذه الرواية للوشيج .

(٢) انظر ص ٦٧ .

الخوارزمى : فى أمثالهم : « ماتَ حتف أنفه » أى على فراشه ، من غير أن يقتل، فقد خَرجتْ من فمه وأنفه نفسُه . وأوّل مَن تكلّم به النبىّ عليه السلام.
يقول : إنّك مولَع بِقراع الكماة، فلذلك لا تفارق هذه الأدوات . وعليه بيت السقط :

فيُفنِى الدِّرعَ لُبسا واليَمانِى صِحابًا والرُّدينىَّ اعتقالا

٤٣ (رَكِبْتَ العَاصِفاتِ فما تُجَارَى وسُدْتَ العَالَمِينَ فَمَا تُسَادُ)

التبريزى : العاصفات : الرياح تهُبّ بِشدّة . يقال : عَصَفت الرِّياح تعصِف عصفًا ، إذا هبّت هُبوبًا شديدا . يقال : رِيحٌ عاصف وقاصف .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : يريد أنّ أفراسَك بمنزلة الرِّياح العواصف .

٤٤ (مَتَى أَرْمِ السُّهَا بِكَ أَنْتَظِمْهُ كَأنَّ هَوَاكَ فى سَهْمِى سَدَادُ)[1]

التبريزى : السُّها : نجم خفىّ . يقول : مع خفاء السُّها إن رميتُه على اسمك جاز أنْ أُصيبه ؛ لأنّ محبتك سدَّدَتْ سهمى . والسَّداد ، بفتح السين ، يُستعمل فى الرأى ، يقال : رأىٌ سديد ، بيِّن السَّداد . وكذلك يقال فى الرمى وما أشبهه .
والسِّداد [بكسر السين] يستعمل فى سِداد الشىء ؛ يقال : هذا سِدادٌ من عَوَز ، يراد أنّه يسدّ الفقر . وكذلك سِداد القارورة وغيرها . وفلان سِداد ثَغْرٍ ، أى يُسَدّ به الثغور ؛ قال[2] :

أَضاعُونى وأىَّ فتًى أضاعُوا ليومِ كَرِيهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ

هذا هو الجيِّد . وقد قالوا : سِدادٌ من عوز ، وسَداد ، بفتح السين وكسرها ؛ والأوّل أعلى .

(١) التبريزى فقط : « لك أنتظمه » . وفى حاشية الخوارزمى : « بك : أى بيمنك » .
(٢) البيت للعرجى ، كما فى اللسان (سدد) .

البطليوسى : العاصفات والمُعْصِفات : الرِّياح الشديدات الهبوب. يقال: عصفت الريح وأعصفت . ويروى : « مَتَى أرم السُّها لك » باللام . فمن رواه بالباء فمعناه متى أرم السُّها بسعدك ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . ومن رواه : « لك » فمعناه من إجلك . وخصَّ « السها » لخفائه وتعذُّر رؤيته . ويقال: رمَى فانتظم الغَرَض، إذا خرقه بسهمه . والسَّداد : القَصْد والإصابة . يقول : كأنَّ هواك يسدِّد سهمى إلى كلِّ ما أرميه ، فإذا رميتُ غرضًا انتَظَمه وقَرطَس فيه .

الخوارزمى : فى أساس البلاغة : « رمى صيدًا فانتظمه بسهم . وطعنه فانتظم [ساقيه أو] جنبيه »(١) . خصّ «السُّها» لأنّه من أخفى الكواكب . و إصابة الخفىّ بالسَّهم نادرٌ غريب .

٤٥ ﴿تَذُودُ عُلَاكَ شُرَّادَ المَعَانِى إلَىَّ فَمَنْ زُهَيْرٌ أو زِيَادُ﴾(٢)

التبريزى : يقال: ذاد الشىء عنه يذوده ، إذا منعه عنه . وذاد إليه الشىء يذوده ذَوْدًا وذِيادا ، إذا جمعه إليه . يقول : عُلاك تجمع إلىَّ ما شَرَد من المعانى على الشُّعراء، فإذا قلتُ الشِّعر فى علاك فَمَنْ زهيرُ بن أبى سُلْمَى! ومن زياد ! وهو النابغة الذبيانى . يعنى أنّ شِعره لكونه فى هذا الممدوح يفوق أشعارَ هؤلاء المتقدِّمين الموصوفين بالسَّبق فى حُسْن الشعر .

البطليوسى : يقول: إذا شردت عنِّى المعانى فتعذَّر صيدُها علىَّ، فإنّ معاليَك تقرِّبها منِّى وتدفعها إلىَّ، حتّى ينتظمها سهمى، وأَبْلُغَ من صيدها مُرادى وهَمِّى . وهذه استعارةٌ وتشبيه بفعل الصيّادين الذين ينصبون الحبائل للوحش ثمّ يطردونها

(١) التكلة من أساس البلاغة . (٢) التبريزى فقط : « يذود علاك » .

وينفِّرونها من مراعيها ومكانسها إلى مَوْضع الحبالة . وربَّما أوقدوا عُودًا وَرَمَوْه في الهواء فيلمع، فترى الوحش لمعانه فتتوهَّمه لمعانَ برق ، فتسير إلى ذلك الموضع فتُصاد . ويسمَّى ذلك العود العَقيقة . وهذا المعنى مأخوذٌ من قول ابن المعتزّ :

إذا ما مدَحْناه استعنَّا بفعله   فنأخذُ معنى مَدْحِه من فِعاله

٥ وقد قال ابن الخيّاط الأندلسيّ في نحو هذا مليحًا، وهو قولُه في عليّ بن حمّود[1] :

يقولون هذا أشعرُ النّاسِ كلِّهِمْ   فقلتُ المعالى علّمتنى المعانيا

وزياد : اسم النابغة الذبيانى، وكنيته أبو عقرب، وأبو أُمامة؛ وهما بنتاه .

الخوارزمى : سيأتى .

٤٦ ﴿إذَا مَا صِدْتُهَا قَالَتْ رِجَالٌ   ألم تَكُنِ الكَواكِبُ لا تُصَادُ﴾

١٠ التبريزى : يقول : إذا ما صدتُ شُرّاد المعانى وظفرتُ بها، شبّهوها بالكواكب لحسنها .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : زهير، هو ابن ربيعة المكنيّ بأبى سُلْمى . وعن عبد الملك بن مروان أنّه قال لجماعةٍ من الشعراء : أىُّ بيتٍ أمدح؟ فاتّفقوا على بيت زهير :

١٥ تَرَاه إذا ما جِئْتَهُ متهلِّلا   كأنّكَ تُعطيه الذى أنتَ سائلُهْ

وزياد ، هو نابغة بنى ذبيان، وكنيته أبو أمامة ، نبغ بالشعر بعد ما احتُنِك . وعن عمر بن الخطّاب رضى الله عنه أنّه قال لجماعةٍ[2] : أىُّ شعرائكم القائل :

ولستَ بمستَبْقٍ أخًا لا تَلُمُّه   على شَعَثٍ أىُّ الرجالِ المهذَّبُ

(١) هو رأس دولة بنى حمود بقرطبة، وأوّل ملوك بنى هاشم بالأندلس . وكان مقتله فى سنة ٤٠٨ .
٢٠ انظر القسم الثانى من أعمال الأعلام لابن الخطيب ص ١٤٩ — ١٥١ .

(٢) فى الأغانى (٩ : ١٦٩ بولاق) أن هؤلاء الجماعة من غطفان .

قالوا : هو النابغة . قال : هذا أشعر شعرائكم . وهو الذى ارتبطه[1] النعمان بن المنذر ؛ مات قبل زهير . والنوابغ ثلاثة ، هذا الذى ذكرناه ، ونابغة بنى جَعْدة ، ونابغة بنى شيبان[2] . قال الفرزدق :

* وهب القصائد لِى النّوابغ إذ مَضَوْا[3] *

لما وصف أبو العلاء معانىَ القصيدة بالشُّرود ، حسُن أن يعاملها معاملة الصُّيود . الأبيات من الشِّعر تشبَّه بالكواكب . ومنه بيت السَّقط :

إنّا بعثناكَ تبغِى القولَ من كَثَبٍ ... لجئتَ بالنّجم مصفودًا من الأُفُقِ

وبيتــه[4] :

ولقد غَصَبتُ الليلَ أحسَنَ شُهْبِهِ ... ونَظَمتُها عِقْـدًا لأحسَنِ لابِسِ

٤٧ (مِنَ اللّاتِي أمَدَّ بِهِنَّ طَبْعٌ ... وَهَـذَّبَهُنَّ فِـكْرٌ وانْتِقَادُ)

التبريزى : أمدّ ، من قولهم : أمددت الجيشَ بمَدَد ، كأنّه أُضيف إليه جيشٌ آخر ليقوى به . يقول : قوّاهنّ طبعٌ ، وهذّبهن فكر .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الباء فى « بهنّ » مزيدة . التنكير فى « طبع » و « فكر » و« انتقاد » للتفخيم والتعظيم ، كأنه قال : أمدّ تلك القصائدَ طبعٌ وأىُّ طبع . وعليه بيتُ السّقط :

وإن كنتُ ما سمّيتُهم فنباهة ... كفَتْنِيَ فيهم أنْ أُعرِّفَهم باسمِ

(١) ارتبطه : جعله فى رباطه وخاصته . (٢) عدّ فى المؤتلف ثمانية من النوابغ .

(٣) تمامه كما فى الديوان ص ٧٢٠ :

* وأبو يزيد وذو القروح وجرول *

وأبو يزيد هو المخبل ، وذو القروح هو امرؤ القيس ، وجرول هو الحطيئة .

(٤) أى بيت السقط .

وبيت الهذلىّ (١) :

فلا وأبى الطّيرِ المُرِبَّةِ بالضُّحى على خالدٍ لقد وقَعْتِ على لَحْمِ

وقوله « المربة » بالباء لا بالنون . وروى أنّ عليًّا كرم الله وجهه لمّا تزوّج فاطمة رضى الله عنها، ذهب إلى يهودى ليشترى ثيابًا، فقال له : بمن تزوجت ؟ قال : بابنة النبي عليه السلام . فقال : أنبيّكم هـذا ؟ قال نعم . قال : تزوّجت امرأة . ونحوه : لو أبصرتَ فلانًا لأبصرتَ رجلا . والمعنى : فنباهة وأيّة نباهة، ولحم وأىّ لحم، وامرأةً كاملة فيما يختصّ بالنّساء، ورجُلًا كاملا فيما يختصّ بالرّجال .

٤٨ ﴿وَلولَا فَرْطُ حُبِّكَ ما ازْدَهَانِي إلَى المَدْحِ الطَّرِيفُ ولا التِّلادُ﴾

التبريزى : ازدهانى : استخفّنى . والطريف : المال الحديث . والتّلاد : القديم . أى إنّما أمدحُك لحبّى إيّاك لا للرغبة فى المال .

البطليوسى : يريد : من المعانى اللائى أمدّنى بهنّ الطبع المستجاد، وهذّبها الفكر والانتقاد، فجاءت رائعة الفكر (٢) والطلاوة، فائقة الحلاوة . ثمّ أَخبر بعلوّ همّته، وأنّه لا يحمله الطمع على تقريظ ذى جاهٍ ومِدحته، فإنّما يمدح من يمدحُه للصّداقة والوداد، لا رغبةً فى الطّريف والتلاد . والطريف : الحديث الكَسْب من المال . والتلاد : القديم . والفَرْطُ : الإفراط وتجاوُز الحدّ . ومعنى ازدهانى : استخفّنى وحرّكنى .

الخوارزمى : قوله : « حبّك » من باب إضافة المصدر إلى المفعول . ونحوه : عجبت من ضرب زيدٍ عمرٌو، بالرفع . ازدهانى كذا، أى استفزّنى .

---

(١) البيت يروى لأبى خراش الهذلى، ويروى أيضا لابنه خراش، كما فى الخزانة (٢ : ٣١٦ — ٣١٨) .

(٢) كذلك فى حـ والتيمورية . وفى أ : « الفلك » .

٤٩ ﴿تُوَرِّى عَنْكَ أَلْسِنَةُ اللَّيَالِى كَأَنَّكَ فى ضَمَائِرِها اعْتِقَادُ﴾

التبريزى : يقال : ورّى عن الشىء ، إذا ستره وأظهر غيره وهو يريده . ومنه الحديث : « كان النبىّ صلّى الله عليه إذا أراد سفراً ورّى بغيره » .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : مَنْ جعل الهمزة فى «وراء» غير منقلبة ، قال فى تصغيره : وُرَيْئة.[1] ٥
وورّأت بكذا ، إذا كَنَيْت عنه ، وحقيقته جعلته وراء المنوىّ . وكان النبى عليه السلام إذا أراد سفراً ورّا بغيره . وأصحاب الحديث لم يضبطوا فيه الهمزة . ومن جعلها منقلبة قال فى تصغيره : وُرَيَّة ، كعَظَاءٍ وعُظَىّ ، وعَظَاءة وعُظَيّة ، وقال فى الفعل منه : ورّيت بكذا .

٥٠ ﴿فَإِنْ يَكُنِ الزَّمانُ يُرِيدُ مَعْنًى فَإِنَّكَ ذَلِكَ الْمَعْنَى الْمُـرَادُ﴾ ١٠

التبريزى : ... ...

البطليوسى : التورية : ستر الشىء وإخفاؤه . يقول : الزّمان قد اختصّك لنفسه واصطفاك ، فهو يورّى عنك بسواك ، فكأنّك اعتقادٌ فى فؤاده قد سكن إليه ، فهو يشحّ بأن يَطّلع أحدٌ عليه .

الخوارزمى : لمّا جعل فى البيت المتقدم مكنيًّا عنه حسن أن يجعله معنى ١٥
من المعانى .

---

(١) وذلك على القول بأن « وراء » مؤنث . وإنما ساق تصريف هذه الكلمة لأن بعض اللغويين ذهب إلى أن التورية مأخوذة من «وراء» . وقد نقل صاحب اللسان تعليقا على الحديث التالى وهو قوله : « وأصله من الوراء أى ألقى البيان وراء ظهره » . انظر اللسان (٢٠ : ٢٦٨) .

٥١ ﴿ يَكَادُ مُحَيَّنٌ لاَقَى المَنَايَا بِسَيْفِكَ لاَ يَكُونُ لَهُ مَعَادُ ﴾

التبريزى : المحيَّن : الذى حان حَيْنُه، أى حَتْفه. والمراد بما ذكره[1] المبالغة. ومن هذا قول المتنبّى :

لو كان صادفَ رأسَ عازَرَ سيفُه في يوم مَعْرَكةٍ لأعيا عِيسَى[2]

٥ البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : حَيَّنه، أى أهلكه. وحان، أى هلك. وهو من الحين بمعنى الوقت. ومثله بيت المتنبّى :

لو كان صادفَ رأسَ عازَرَ سيفُه في يومِ مَعركةٍ لأعيا عِيسَى

---

(١) فى الأصل : « بكره ».

١٠ (٢) عازر : رجل من بنى إسرائيل ، وهو الذى أحياه الله لعيسى بن مريم عليه السلام.

[القصيدة السابعة]

وقال أيضا فى الكامل الأول والقافية من المتدارك[1] :

١ (أَدْنَى الفَوَارِسِ مَنْ يُغِيرُ لِمَغْنَمٍ فَاجْعَلْ مُغَارَكَ لِلْمَكَارِمِ تُكْرَمِ)

التبريزى : مُغار ، هو مصدر أغار يغير إغارة ومُغارا . وأدنى الفوارس : أقربهم وأقصرهم همة . ويحتمل أن يكون المراد به أدنأ الفوارس؛ من قولهم : دنُؤ دناءة ، خفّف الهمزة .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : أدنى : أفعل تفضيل ؛ وقد دنُؤ دناءة بالهمزة؛ عن صاحب الديوان . المُغار ، هى الإغارة . يقول : ألأم الفرسان من يحارب لجرّ الغنائم ، لا لقهر الأعداء والذّبّ عن المحارم . وهذا من بيت عنترة :

يُخْبِرْكِ من شَهِدَ الوقيعةَ أنّنى أغشَى الوغَى وأعِفُّ عند المغنمِ

٢ (وَتَوَقَّ أَمْرَ الغَانِيَاتِ فَإِنَّهُ أَمْرٌ إِذَا خَالَفْتَهُ لَمْ تَنْدَمِ)

التبريزى : الغانيات : جمع غانية . والمراد به تجنّبهن . يعنى أنّ مخالطتهن ذلٌّ وندم ، ومخالفتهن عزّ وكرم .

البطليوسى : يقول: أخسُّ الفوارس همّةً من لا غَرضَ له إلاّ أخذُ المغانم ، وأعلاهم همّةً مَن غرضُه اقتناء المكارم ، فلا ترضَ لنفسك إلّا بأعلى المراتب ، ولا تكسِبْ إلّا أسنَى المكاسب . واحذَرْ أمرَ النساء[2] ؛ فإنّ الميل إليهنّ يعوق عن

(١) هذا من الخوارزمى . وفى البطليوسى : «وقال أيضا» . وفى التبريزية لم يفصل بين هذه القصيدة وسابقتها . (٢) أ : «من النساء» .

الترقّى إلى الرّتب السامية، ونَيل الخطط العالية . والمُغار ، بضم الميم : مصدرٌ بمعنى الإغارة . وقد ذكرنا الغانيةَ فيما تقدّم من كتابنا هذا مرارا .

الخــوارزمى : فى هــذا البيت إشارةٌ إلى قوله تعـالى : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ . يريد أنّ أوامر النبى عليه السلام ممّا يلزم بمخالفته الحذَر، أمّا أوامر النساء فالحذَر إنّمـا يلزم بموافقتها . ووجه ارتباط هــذا البيتِ بمـا قبله أنّ الغوانى يحرِصن على جمع الحُطام ، مع أنّ اجتنابَه من عادة الكِرام .

٣ ﴿أَنَا أَقْدَمُ الخُلّانِ فَارْضَ نَصِيحَتِي إنَّ الفَضِيلَةَ لِلْحُسَامِ الأَقْدَمِ﴾

التـبريزى : الخُـلّان : الأصدقاء ؛ يقال خليـل وخُلّان ، ويقال خاللته مُخالّة وخلالا . قال ابن دريد : الذى سمعت فى الخليل أنّه أصفى المودّة وأصحّها.[1] والخليل والخُلّة واحد . قال الشّاعر[2] :

ألَا أبلغَـا خُلّتى مالكًا بأنّ خليلك لم يُقْتَـلِ[3]

وأمّا قول زهير :

وإنْ أتاه خليلٌ يومَ مسـغبةٍ يقولُ لا غائبٌ مالى ولا حَرِمُ[4]

فالخليل يريد به المحتاج .

البطليـوسى : سيأتى .

(١) العبارة فى الجمهرة (١ : ٧٠) : «فأما الخليل فالذى سمعت فيه أن معناه أصفى المودّة وأصحها» .

(٢) هو أوفى بن مطر المازنى ، كما فى اللسان (خلل) .

(٣) رواية اللسان : «جابرا» وفى الأصل : «يقبل» محرفة .

(٤) رواية الديوان بشرح ثعلب : «يوم مسألة» . و«حرم» يروى بفتح الحاء والراء ، وهو اسم مثل الحرام . ويروى بفتح الحاء وكسر الراء ، وهو وصف من الحرام . انظر الديوان ص ١٥٣ .

الخــوارزمى : قِدَمُ الصّارمِ يُشعر بجودته وفضيلته . قال عنترة :(١)

[وسيفى كالعقيقة وهو كِمْعى   ســلاحى لا أَفَلَّ ولا نُطــارا](٢)

أى ليس سلاحى، يعنى سيفى، أفلَّ، أى ذا فلول، ولا هو فُطار، والفُطار هو الذى فُطر حديثًا أى طُبع حديثا . يعنى أن سيفه عتيق، وليس هو بحديث الصنعة .(٣)

٤(وَالْحَقْ بِتُبَّاعِ الأَمِيرِ فَكُنْ لَهُمْ(٤)   تَبَعًا لِتُصْبِحَ بِالْمَحَلِّ الأَعْظَمِ)   ٥

التــبريزى : تبــع الرجل : الذين يتبعونه . وتِبْع المرأة : الذى لا يفارقها فيتبعها ، مثل طِلْبها . والتبابعة : [ملوك اليمن](٥) لاتّباع(٦) بعضهم بعضا فى الملك . والتُّبَّع : الظلّ ؛ لأنه يتبع الشمس . قالت الجُهَنية :(٧)

يَرِدُ الميــاهَ حَضِــيرةً ونَفِيضةً   وِرْدَ القطاةِ إذا اسمألّ التُّبّــعُ

الحضيرة : من السبعة إلى العشرة يُغزَى بهم(٨) . والنفيضة : الذين يتقدّمون الجيش ينفضون الأرض، مثلُ الطليعة . واسمألّ : نقص .   ١٠

البطليــوسى : سيأتى .

الخــوارزمى : فسّر فى هذا البيت النصيحة المتقدّمة .(٩)

---

(١) فى الأصل : «قال أبو عميثل» وانظر الحاشية التالية .

(٢) تكلمة يتصل بها الكلام . وأثبتنا البيت من قصيدته فى الديوان ١٠٨ — ١١٠ . وانظر اللسان (فطر، كمع، عقق، فلل) والحيوان (٥ : ٨٨) .   ١٥

(٣) فى الأصل : «الصبغة» .   (٤) الخوارزمى : «وكن لهم» .

(٥) تكلمة يقتضيها الكلام .   (٦) فى الأصل : «الاتباع» .

(٧) هى سعدى بنت الشمردل الجهنية ترثى أخاها أسعد . انظر الأصمعيات ٤١ — ٤٣ واللسان (تبع) . أو الصواب أنها سلمى بنت مخدعة الجهنية، كما فى اللسان (حضر) .   ٢٠

(٨) فى الأصل : «يقوى بهم» .

(٩) يشير إلى قوله : «فارض نصيحتى» فى البيت المتقدّم .

٥ (واسْتَزْرِ بالبِيضِ الحِسَانِ ولا يَكُنْ(١) لَكَ غَيْرُ هِمَّةِ صَارِمٍ أو لَهْذَمِ)

التبريزى : استزر : استفعل من زريت عليه، إذا عبت عليه، وأزريت به، إذا قصرت به . واللَّهْذَم : الماضى . سنان لهذم، والجمع لهاذم . وهذا البيت يقوّى قوله : «وتوقَّ أمر الغانياتِ» . أى لاتكنْ لك همّةٌ فى غير السّيوف والرّماح .

٥ البطليوسى : الخُلّان : جمع خليل . ويحتمل أن يريد بالحسام الأقدم الأقدمَ من غيره، فتكون الألف واللام فيه معاقبة لِـ«من» ؛ لأن التى يراد بها المفاضلة لا تجتمع مع الألف واللام . ويحتمل أن يريد بالأقدم القديمَ ، فلا تكون هناك معاقبة ولا مفاضلة، فيكون كقول الآخر :

خالى أبو أنَسٍ وخالُ سَرَاتِهِمْ أوْسٌ فأيُّهما أدقُّ وألأَمُ

١٠ أراد فأيّهما الدقيق اللئيم . واللَّهذَم : الحادّ من الأسنّة . والصارم : القاطع من السيوف .

الخوارزمى : اللَّهذَم من الأسنة ، هو القاطع . وهو من الهَذْم ، مضموما إليه اللام .

(المُتَّقِى بالخَيْلِ كُلَّ عَظِيمَةٍ والمُسْتَبِيحِ بِهِنَّ كُلَّ عَرَمْرَمِ)

١٥ التبريزى : قوله : «المتقى» مجرور صفة للأمير فى قوله : «والحق بتبّاع الأمير» ، وكذلك قوله : «والمستبيح بهنّ» أى يتّقى بخيله كلّ أمرٍ عظيم ، ويستبيح بها كلّ جيش عرمرم، أى كثير .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : العرمرم، هو الجيش الكثير، من العُرام، بتكرير العين واللام .

٢٠ (١) الخوارزمى و ب من البطليوسى : «ولا تكن» .

٧ (ومُزيرِها الغَوْرَ الّذِى لَوْ سَلَّمَتْ رِيحٌ عـلى أرْجائهِ لم تَسْـلَمِ)

التبريزى : الغَور : ضدّ النّجد من الأرض . وكلُّ مهبِط من الأرض فهو غَوْر . والهاء فى «مزيرها» راجعةٌ إلى الخَيْل . يقول : يُزيرهذا الأمير خيلَه الموضعَ الشاقَّ البعيد، الذى لو سلّمت الرِّيح على أرجائه لم تَسْلَم، لصُعوبته وبُعده . والأرجاء : النواحى، واحدها رَجًا .

٥

البطليوسى : الاستباحة : أخذ الشىء مجاهرة . وأصلها أن يُغار على باحَة القوم، وهى ساحتهم وفِناء دارهم . والعرمرم: الجيش الكثير، فى قول الأصمعى، والشديد، فى قول أبى عبيدة . مشتقّ من العرامة والعُرام . وكِلا القولين يرجع إلى معنًى واحد؛ لأنّ كثرةَ عددِ الجيش تجعل له عُراماً، أى حِدّة . والغور: المكان المنخفض . والأرجاء: النواحى، واحدها رَجًا؛ مقصور . يقول: يزور هذا الممدوح بخيله كلَّ غورٍ مَخُوفٍ لا تسلَم الريح إذا هبّت به . وقد كرّر هذا المعنى فى مواضعَ من شعره، كقوله : ١٠

ومِنْ غَلَلٍ تَحِيدُ الرِّيحِ عنهُ مخافَةَ أن يمزّقها القتادُ

وكقوله فى موضع آخر :

وتكتم فيه العاصفاتُ نفوسَها فلو عصَفَتْ بالنَّبتِ لم يتأوَّدِ

الخوارزمى : الأرجاء : جمع رجًا ، وهو الجانب . وفى المثل : « لا يُرمَى به الرَّجوانِ »، لمن لا يخدع فيزال عن وجهٍ إلى وجه . ١٥

٨ (أو بكْرَ الوَسْمِىُّ يَطْلُبُ أرْضَهُ نَفِـدَ الرَّبيعُ وتُرْبُها لَمْ يُوسَمِ)[1]

التبريزى : الوسمىّ : المطر الذى يَسِم الأرضَ بالنّبات . يقول: هذا الموضع، لبعده، كما أنّ الريح لو سلّمت عليه لم تَسلَم، كذلك المطر لو طلبه لنفِد ولم يَصِلْ إليه .

(١) البطليوسى فقط : « لو بكر الوسمى » .

البطليوسى : الوسمى : أوّل المطر، لأنه يَسِمُ الأرض بالنّبات، أى يُظهر فيها علامةَ الخِصْب. ويقال: وُسِمت الأرض تُوسَم، إذا أصابها الوسمىّ، فهى موسومة والمطر واسم. والهاء فى قوله : «وتربها» يعود على الأرض. ولو قال : «تربه» فذكَّر الضمير حملاً على «الغَور» الذى تقدّم ذكره لجاز. أراد أنّ هذا الغورَ بعيد، فلو أراد الوسمىُّ أن يُمطِر أرضَه لنفِد الرّبيع وهو لم يصلْ إليها لبعدها. ويجوز أن ٥
يريد أنّه كان يضلّ فلا يَهْتدى إليه، فيكون كقوله :

بلاد يَضلُّ النّجمُ فيها طريقَه وتَثْنِى دُجاها طيفَها عن لِمامِهِ (١)

الخوارزمى : الوسمىّ : أوّل مطرٍ فى الربيع، نُسب إلى وَسْمِه الأرض بالنّبات. وهذا البيت ينبئُ عن صحّة هذا الاشتقاق.

١٠ ٩ (لا تَستَبِينُ بهِ النُّجومُ تَنَائيًا ويلُوحُ فيهِ البَدْرُ مِثْلَ الدِّرْهَمِ) (٢)

التبريزى : هذا تأكيدٌ لما تقدّمهُ من وصفه الموضعَ بالبُعد.

البطليوسى : يريد أنّه كثير الغُبار. والقفر إذا كثُر فيه الغبار الصّاعدُ فى الجوّ انطمست الكواكبُ فظهرت صِغارا. ويكون ذلك أيضًا لشدّة انخفاض الأرض وعُمقِها. وقد تكلّمنا على هذا المعنى فيما تقدّم عند قوله :

١٥ نهارٌ كأنّ البدرَ قاسَى هجيرَه فعاد بلونٍ شاحبٍ من سَمامِهِ (٣)

الخوارزمى : الضمير فى «به» و «فيه» للغور.

---

(١) من القصيدة ١٥ من سقط الزند.

(٢) الخوارزمى و أ من البطليوسى : «لا يستبين» ورواية التنوير فقط : «لا تستبين الشهب فيه تنائيا».

٢٠ (٣) من القصيدة ١٥ من سقط الزند.

١٠ (هَذا وكَمْ جَبَلٍ عَصَاهَا أهْلُهُ فَهَوَتْ عَلَيْهِ مَعَ الطُّيُورِ الحُوَّمِ)

التبريزى : قوله : « هذا » يعنى ما ذكره من إيصاله الخيل إلى الموضع الذى لا تصل إليه الرّيح والمطر . ومعناه أنّه كما وصلت خيلُه إلى الأراضى البعيدة، فكذلك وصلتْ إلى أعالى الجبال الشاهقة . والهاء فى : « عصاها » راجعة إلى الخيل . وقوله : « فهوت عليه » أى هوت الخيل كما تهوى الطّير على الشىء . يقال: هوى يهوى هُويًّا وهَوِيًّا . ويستعمل فى الطير وغيره، وفى النّزول والصعود . وقيل الهُوِىّ[1] للصعود ، نحو قوله[2] :

* يهوى مَخَارِمَها هُوِىّ الأجدلِ[3] *

والهَوِىّ : النزول، نحو قول زهير فى صفة حمارِ وحش :

* هَوِىّ الدَّلْوِ أسلمَها الرِّشاءُ[4] *

لأنّ الداو [إذا] وقعت فى البئر تهوى من فوقُ إلى أسفل ؛ وبها يُشبّه[5] الحمار . وقد قيل فى الهُوِىّ والهَوِىّ بضدّ ذلك . وحُوَّم: جمع حائم؛ يقال: حام الطّير على الماء وغيره يحوم، إذا دار حوله .

البطليوسى : سيأتى .

---

(١) يقال للصعود بالفتح ، وللنزول بالضم ، وقيل العكس . وانظر ما سيأتى .

(٢) هو أبو كبير الهذلى ، كما فى الحماسة ٣٧ — ٤٠ طبع بن .

(٣) يهوى مخارمها : أى فى مخارمها . وصدر البيت :

* وإذا رميت به الفجاج رأيته *

(٤) الرشاء : الحبل . وفى الأصل : « الرواء » ولا وجه له ، وصدره فى الديوان ٦٧ :

* فشج بها الأماعز وهى تهوى *

(٥) فى الأصل : « وقد يشبه الحمار » .

الخـــوارزمى : «هذا» فى محلّ الرفع على أنّه مبتدأ وخبره محذوف، وتقديره هذا الذى ذكرتُ على ما ذكرتُ . وإذا أصيب بـ «بهذا» هذا الموقعَ فله عند البلغاء شان، ومن البلاغة محلٌ ومكان . ومثله بيت السقط[1] :

فهذا وقد كان الشّريف أبوهمُ أميرَ المعانى فارسَ النّثرِ والنّظْمِ

٥ الضمير فى «عصاها» و«هوت» للخيل .

١١ ﴿ وَأَجَازَهَا قُذُفَاتِ كُلِّ مُنِيفَةٍ وَكْرُ العُقَابِ بِهَا وَبَيْتُ الأَعْصَمِ ﴾

التـــبريزى : قُذفات الجبل : نواحيه . والمنيفة : العالية . ووكر العقاب : موضعها، ولا يكون إلّا فى أعلى رءوس الجبال . والأعصم : الذى يعتصم برءوس الجبال من الأوعال . قال أهل اللغة : الأعصم الوَعِلُ الذى فى إحدى يديه بياض،

١٠ والأنثى عصماء . وكذلك الفَرَس . أى هـــذه الجبال شوامخ، فالعِقْبان توكر[2] فيهـا، وكذلك الوعل يتّخذ فيها بيتا .

البطليـــوسى : الحوّم : المســـتديرة ، والواحد حائم . يريد أن خيلَه تعـــدو فى السهول والجبال، كما قال أبو الطيّب :

* وهُنّ مع العِقبان فى النِّيقِ حُوَّمُ[3] *

١٥ وقوله : «أجازها» بمعنى جوّزها وأنفذها . والقُذفات : الأعالى . والمنيفة : الهضبة المشرفة . والوكر : العُشّ . والأعصم : الوعل الذى فى يديه عُصْـــمة ، أى بياض . وقيل سُمّى أعصم لاعتصامه بالجبال .

(١) من القصيدة ٢٤ فى سقط الزند . (٢) لم نجد التوكير ولا الإيكار بهذا المعنى فى المعاجم . وإنما ذكروا : وكر الطائر — من باب وعد — أتى الوكر . (٣) النيق، بالكسر : أعلى الجبل .

٢٠ وصدره كما فى الديوان (٢ : ٢٦٤) :

* وهن مع الغزلان فى الواد كُنّسٌ *

الخوارزمى : القُذفات : جمع قُذْفة ، وهى ما أشرف من رءوس الجبال ، وكذلك القُذَف ، ومثلها الغُرفات والغُرَف ، فإنهما جمعا غُرْفة . واشتقاقها من القَذف ؛ لأن الشىء متى كان مفرط العُلو لا يكاد يلحقه حيوان ، فكأنه يقذفه ، أى يرميه . ألا ترى إلى قول امرئ القيس :

* مُنيفًا يَزِلّ الطّيرُ عن قُذُفاتِه[1] *

الأعصم هو الوعل ؛ سمّى بذلك ، فيما ذُكر ، لاعتصامه برءوس الجبال . ويشهد له بيت السقط :

إذا ماطريد العُصْم وافى حَضِيضَهُ   تبوّأ فيه واثقًا باعتِصامِه

والأصحّ أنّ اشتقاقها من العُصْمة ، وهى بياضٌ فى ذراعَي الظبى والوعل ؛ ذكره الأصمعى . أوكار العِقبان وكُنُس الأوعال ، لا تكون إلا فى قُلَل الجبال .

١٢ (فَوطِئْنَ أَوْكَارَ الأَنُوقِ وروّعتْ   مِنْهَا وَبَاتَ المُهْرُضَيفَ الهَيْثَمِ)

التبريزى : الأنوق : الرَّخَم ، ويقال فى المثل : « هو أبعد من بَيْض الأنوق » ؛ لأنها تبيض فى مواضع لا يصل إليها النّاس . قال أبو دواد :

كأنّى إذا عاليتُ حَوْزَةَ مَتْنِه   أعلّقُ بَزّى عند بَيض الأنوقِ[2]

---

(١) فى الأصل : « منيف » وصواب إنشاده من اللسان (قذف) . وأنشد فى اللسان :

وكنت إذا ما خفت يوما ظلامة   فإن لها شعبا ببلطة زيمرا

منيفا تزل الطير عن قذفاته   يظل الضباب فوقه قد تعصرا

وهذان البيتان لم يرويا فى ديوانه .

(٢) الحوزة ، بالحاء المهملة : الناحية . وفى الأصل : « جوزة » ولا وجه له . والبز : الثياب والسلاح . وفى الأصل : « نزى » محرفة .

والهيثم : ولد العقاب ، وربّما قالوا ولد النسر . يقول : لمّا أجاز الخيلَ أعالىَ الجبال، وطئتْ أوكارَ الرَّخَم، فاختلطت مِهارُها بفراخ العِقبان، ووصلتْ الى أوكارها . جعل المُهر ضيفًا لولد العقاب ، لِمَا بينهما من التّشابه .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الأنوق، هى الرَّخَم؛ سمِّيت بذلك لتأنُّقها فى أمرها، وذلك لأنّها تحصّن بيضها ، وتحمِى فرخَها ، وتتألف ولدها ، ولا تمكِّن منها غيرَ زوجها . وفى أمثالهم : « أعزُّ من بيض الأَنوق » . الضمير فى « فوطئن » و « منها » للخيل . والهيثم : فرخ العقاب . ومعنى البيت من قول أبى الطيّب[1] :

تدوس بك الخيلُ الوكورَ على الذُّرَى ... وقد كثُرتْ حولَ الوُكور المطاعمُ
تَظُنُّ فِراخُ الفُتْخِ أنّك زرتَها ... بأُمّاتها وهى العِتاقُ الصَّلادِمُ[2]

١٣ (عَلِمَتْ وأَضْعَفَهَا الحَذَارُ فَلَمْ تَطِرْ ... مِنْ ضُعْفِها فَكَأَنَّهَا لَمْ تَعْلَمِ)[3]

التبريزى : أى علمتْ بوصول الخيل إليها ، ولكنّها ضعُفت عن الطيران لما روِّعت منها، فكأنّها لم تعلم .

البطليوسى : الأوكار: جمع وكر، وهو العُشّ . والأَنُوق : الذكَّر من الرخم، وقيل إنّه اسم يقع على الذكر والأنثى . والرخم تبيض فى رءوس الجبال؛ ولذلك قيل فى المثل : «هو أبعد من بيض الأنوق» و «أعزُّ من بيض الأنوق» . ويقال لمن يطلب الشيء الممتنع : هو يطلب بيض الأنوق . قال الشّاعر :

(١) أى يمت إليه بسبب . وانظر ما سيأتى من قول البطليوسى . (٢) الفتخ : جمع فتخاء، وهى العقاب ؛ سميت بذلك للين جناحيها . والأمات : جمع أم لما لا يعقل . وانظر الديوان (٢ : ٢٦٤) بشرح العكبرى . (٣) أ من البطليوسى : « فأضعفها » .

طلبَ الأبلقَ العقوقَ فلمّـا ... لم ينَـلْهُ أرادَ بيـضَ الأَنوقِ[1]

والهيثم : فرخ العقاب . وقوله : « علمت وأضعفها الحـذار » خلاف قول أبى الطيِّب :

تظنُّ فِراخُ الفُتْخِ أنكَ زُرتَها ... بأُمّاتها وهى العِتاقُ الصَّلادِمُ

لأنّ أبا الطيب ذكر أنّ فِراخ العقبان ظنَّت الخيلَ أمهاتِها فأنِستْ بها، وأبو العلاء ذكر أنّ الرخَم وفراخ العِقبان علِمتْ أنّ هذه الخيلَ ليست بأمّهاتها وارتاعت منها، وأنّها إنّما امتنعت من الطَّيران لضعفها عن ذلك .

الخـوارزمى : هذا البيتُ على أسلوبِ قول أبى تمّـام :

فنَعِمْتُ من شمسٍ إذا حُجِبَتْ بدَتْ ... من نُورِها فكأنّها لم تُحْجَبِ

١٤ (وبعيدةِ الأَطْرَافِ رُعْنَ بماجِدٍ ... يَرْدِينَ فَوْقَ أَسَاوِدٍ لَمْ تَطْعَمِ)

التبريزى : يقول : ربّ كتيبةٍ بعيـدة الأطراف لكثرتها ، راعتها هـذه الخيلُ بالممدوح . وقوله « يرِدين » من الرَّديان، وهو ضربٌ من العـدو . « وفوق أساود » أى فوق حيّات . والمـراد بهـا الرّماح . أى لمّـا راعت هـذه الكتيبةَ انهزمت، وألقت الرّماح، فهى تعدو عليها .

البطليوسى : سيأتى .

الخـوارزمى : قوله : « وبعيدة الأطراف » عطفٌ على الخيل، فى قوله : «المتّقى بالخيل» . عنى ببعيدة الأطراف خيولَ الممدوح . رُعْنَ : فعل مبنىّ للفاعل، والضمير فيه للخيول . عنى بـ«ماجِد» الممدوحَ . الضمير فى «يرِدين» للخيول . الأساود: جمع أسود، وهو العظيم من الحيّات فيه سواد . وعنى بالأساود هاهنا الرماح؛ لأنّ

(١) انظر الحيوان (٣ : ٥٢٢ — ٥٢٣) .

الرماح تشبَّه بالحيّات فى الطُّول والاضطراب . يقول : ويتّقى أيضا بخيلٍ أخرى متنازحة الأطراف، متباعدة الحواشى، قد كشَفَتْ بهَيْبة[١] الماجدِ عظيم الشأن رفيعِ المنزلةِ أعداءَها، فانكشفوا وقد ألْوَى بأيديهم الضَّعف والخور، حتّى خُذِلت صِفاحُها، وأُسلمت رماحُها. وهذه الخيل تتبع أعقابَهم عَدْوًا على الرِّماح الساقطة، فِعلَ الهازمِ فى أدبار المنهزِم .

١٥ ﴿تَرْعَى خَوافِى الرُّبْدِ فى حَجَراتِهَا ... سَغَبًا وتَعْثُرُ بالغَطَاطِ النُّوَّمِ﴾

التبريزى : خوافى الربد : ما خَفِى من الرِّيش. الرُّبد : النّعام. وحَجَراتها : نواحيها . والغَطاط : ضرب من القطا كُدر الظهور طِوالُ الأرجُل كِبارُ الأعين . والسَّغَب : الجوع . يصفُها بالصبر على الجوع والسَّير بالليل . ويحتمل أن يكون المراد بقوله : «ترعى خوافى الرُّبد فى حَجَراتها» تمنعُ النعام من الخروج عن مواضعها، والانتشارِ فى مَراعيها، فهى تبقى فى حَجَراتها ساغبةً لا تبرُز، خوفًا من هذه الخيل.

البطليوسى : قوله : «وبعيدة الأطراف» أراد فلاةً بعيدة الأقطار . ورُعن : أُفزِعْن . والماجد: الشريف . والرَّديان : سير سريع . والأساود : الحيّات . ولم تَطعَم : لم تأكل شيئا . والرُّبد : النّعام، سُمّيت بذلك لأنّ فى ألوانها غُبرة . يقال: ظليم أربد وأرمد، بالباء والميم . والخوافى، من ريش الجناح : ما يلى الكُلَى . والحَجَرات ، بفتح الحاء والجيم : النّواحى ، واحدها حَجْرة . والسَّغَب : الجوع . والغَطاط : ضربٌ من القطا . وقال الهذلى[٢] :

وماءٍ قد وردتُ أُميمَ طامٍ ... على أرجائِه زَجَلُ الغَطاطِ

(١) فى الأصل : «بهيئة» .

(٢) هو المتنخل الهذلى من قصيدة فى جمهرة أشعار العرب ١١٨ — ١٢١ .

وصف أنّها سلكت فلاةً لا يسلُكها الأنيس ، فلذلك ذكر الرّوع ، ووصَف أنّها مجدِبة لا تجد فيها شيئًا ترعاه إلّا خوافى النعام، وأنها لخفّة وطئها على الأرض وسرعة مَرِّها تمرّ بالقطا وهو نائمٌ فلا تُوقِظه من نومه؛ كما قال فى موضع آخر :

تدوسُ أفاحيصَ القطا وهو هاجدٌ ... فتَمضِى ولم تَقطَعْ عليـه غِرارا

وقال أيضـا :

ولو وَطِئَتْ فى سيرها جَفْنَ نائمٍ ... بأخفافهـا لم يَنْتَبِـهْ من مَنامِـهِ

وخَصّ القطا لأنّهـا تنفِر من كلّ شىء ؛ ولذلك قيـل فى المثل : « لو تُرِك القطا [ليلًا] لنام » . قال الشّاعر :

ألَا ياقومَنا ارتحِلوا وسيروا ... فلو تُرِك القَطا ليـلًا لنَـاما

الخـــوارزمى : الضميرفى : « ترعى » للخيل . الخوافى : ما دون الرِّيشات العشر من مقدّم الجناح، جمع خافية، وهى من الخفاء. نعامة ربداء، وظليم أربد، ونعام رُبْد ، أى فيها رُبْدة، والرُّبدة، نحو الرُّمدة، وهى لون الرماد . وحَجْرتا العسكر : جانبـاه، سمِّيتا بذلك لأنهما يحجُران ما بينهما . يقـول : خيل الممدوح لِسَـعة أطرافها تحيط بالمَهْمَهِ من جوانبـه فتنحجر بينها الوحوش ، ولانكبابها على القتال لا تُصيب للاعتلاف فُرصةً، فترعَى الرِّيش المتناثرَ بين العسكرِ من الظِّلْمـان، جوعًا . وخوافى الرُّبد، فى محل النصب على أنّه مفعول ترعى. «سغَبا وتعثُر بالغَطاط النُّوَّم» ، الغَطاط من القطا، هى الغُـبْرُ الأبدان ، السُّود بطونِ الأجنحة، الطِّوال الأرجل والأعناق ، اللطاف ، التى لا تجتمع أسرابًا بل اثنتين أو ثلاثا ، الواحدة غَطاطة . والقطاة تُوصَف بسرعة الانتباهِ والتيقُّظ بكرةً باكرة . دلّ عليـه بيت الحمـاسة[1] :

وأنتِ التى كلَّفتِنِى دَلَجَ السُّرى ... وجُونُ القَطَا بالجَلْهَتَينِ جُثومُ

(١) هو لابن الدمينة ، كما فى الحماسة ٦٠٤ بن .

يقول أبو العلاء : خيل هذا الممدوح تزحف إلى الأعداء فى الظّلام، والقطا لم تنتبه من المنام . وهذان البيتان من عويص أبى العلاء .

١٦ ﴿يَجْمَعْنَ أَنْفُسَهُنَّ كَىْ يَبْلُغْنَ مَا يَهْوَى فَمُجْفَرُهُنَّ مِثْلُ الأَهْضَمِ﴾[1]

التبريزى : المجفَر : الفرس العظيم الجنبين . والأهضم، ضدّه . والهضَم عيبٌ فى الخيل . يقول : تجمع هذه الخيلُ أنفُسَها لتبلغَ ما يهوى هذا الممدوح ، فالغليظ منها يرى كالدّقيق ، لما يجمع نفسَه فى هواه . والمعنى أنّ هذه الخيلَ قد ضُمرت، فهى تَسلُك فى الأماكن الضيِّقة ، وتركُض فى الموضع الذى يَسيب فيه الأرقم، أى ينساب .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الضمير فى : « يجمعن » و « يبلغن » و « مجفرهنّ » للخيل؛ وفى « يهوى » للممدوح . فرس مُجفَرٌ : عظيم الجُفْرة، وهى الوسَط .

١٧ ﴿ضُمِرَتْ وشَزَّبَهَا القِيادُ فأَصْبَحَتْ والطِّرْفُ يرْكُضُ فى مَسَابِ الأَرْقَمِ﴾

التبريزى : يقال : شزَب الفرسُ، فى أول ضُمره، والمصدر الشُّزوب والشّزيب، إذا قلّ لحمه ولحِق بطنُه بصُلبه . ويقال بمعناه : شصب وشَسَب، وفرس شازب وشاصب وشاسب . والأرقم : الحيّة . ومَسابها : موضعها الذى تَسيب فيه . والمصدر من قاد يقود قِيادٌ .

البطليوسى : يقول : إنّ خيله تُجهد نفوسها فى العَدْو ليبلغ ما يهوى[2] ، حتّى صار المجفَر منها فى الضّعف مثلَ الأهضم . والمجفَر : العظيم الجُفْرة، وهى الوسط ؛

---

(١) ب من البطليوسى : « تهوى » بالخطاب للممدوح .

(٢) ب من البطليوسى : « لتبلغ ما تهوى » .

والأهضم، ضدّه . وشنزّبها : أيبس لحومها وزادها ضُمْرا . والقياد : قَوْدُها إلى الحروب. والطِّرف : الفرس الكريم الطرفين. ومَساب الأرقم : طريقه الذى ينساب فيه، أى يذهب . والأرقم : الذى فيه شبه الرَّقْم من الحيّات . وكان الأصمعىُّ لا يجيز رَكَضَ الفرسُ، إذا عدا، ويقول: إنما يقال رُكِضَ الفرس، على صيغة مالم يُسَمَّ فاعله، وركضه الفارس . وأجاز ذلك ابن الأعرابىّ، وأنشد لزهير :

٥

* يَرْكُضْن ميلا وينْزِعن ميلا (١) *

الخــوارزمى : الضمير فى «ضمرت» و«شنزّبها» و«أصبحت» للخيل أيضا .

١٨ (مِنْ كُلِّ مُعْطِيَةِ الأَعِنَّةِ، سَرْجُهَا تَرْقَى فَــوَارِسُها إِلَيْهِ بِسُــلَّمِ)

التــبريزى : الأعنّة: جمع عِنان . يصفها بالطاعة ؛ لأنها إذا أعطت العنان راكبَها فهى مطيعةٌ (٢) له . و«سرجها» مبتدأ وما بعده خبر .

١٠

البطليــوسى : سيأتى .

الخــوارزمى : يعنى من كلِّ معطية رفيعة (٣) .

١٩ (غَرَّاءَ سَلْهَبَةٍ كَأَنَّ لِجَامَهَا نَالَ السَّمَاءَ بِهِ بَنَانُ المُلْجِمِ)

التــبريزى : السَّلهبة : السريعة ، ويقال الطــويلة . أى مُلجِمها يفــرح بأن يصل إلى ذلك . هــذا أقوى فى تفسير هذا البيت . أو إنمــا (٤) عنى علوّ هــذا الفرس وطولَه وطولَ رقبته، بدليل قوله : «ترقى إليه بسلم» . وما أحسن ماوصف زهيرٌ الفرسَ فى هذا المعنى، قوله :

١٥

(١) ينزعن : يكففن عن الركض . وصدر البيت كما فى الديوان ٢٠٤ :

* جوانح يخلجن خلــج الدلاء *

(٢) فى الأصل : « فهى معطية له » . (٣) أى عالية مرتفعة .

٢٠

(٤) فى الأصل : «وإنما» والصواب ما أثبتنا . وهذا التالى هو ثانى المعنيين وأضعفهما عند التبريزى .

ومُلْجِمُنا ما إن ينال قَذالَه ولا قَدماه الأرضَ إلّا أناملُهْ[(١)]

البطليوسى : المعطية : التى تُمكن فارسَها من عنانها لحُسْن أدبها . والغرّاء : التى لها غُرّةٌ . والسلهبة: الطويلة . وصفها بارتفاع الخَلْق، كما قال أبو الطيّب:

* كأنه فى رَيْدِ طودٍ شاهقِ[(٢)] *

٥ الخوارزمى : فرس سلهب : طويل على وجه الأرض . ورُمْحٌ سَلْهَبٌ . ويجوز أن تكون فيه الهاء مزيدة لقولهم : رمح سَلِبٌ .

٢٠ (ومُقَابَلٍ بَيْنَ الوَجِيهِ ولَاحِقٍ وافَاكَ بَيْنَ مُطَهَّمٍ ومُطَهَّمِ)

التبريزى : المقابل : الذى جدُّه من قِبَل أمّه كريم، وكذلك جدّه من أبيه. ووجيه ولاحق : فحلان من فحول العرب[(٣)] . والمطهّم : الذى يحسُن كلُّ شىءٍ منه .

١٠ البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : « مقابل » معطوف على « معطية الأعنة » . الوجيه ، فى : «أعن وخد القلاص»[(٤)] . لاحق : فرس كان لمعاوية بن أبى سفيان، وقيل لغنىّ ابن أعصُر . ومعنَى المصراع الأوّل أنّ هذا الفرس حسيب نسيب . ومعنى المصراع الأخير أنّ هذا الفرس قد أتاك بين طائفةٍ من الخيل ، كلُّ واحدٍ منها محتوٍ على

١٥ الكمال ، تامّ الخَلْق والجمال .

---

(١) يقول : لا ينال ملجمنا قذاله ولا تنال قدماه الأرض . أى يقوم على أطراف أصابعه ليلجمه . انظر الديوان ١٣٣ بشرح ثعلب .

(٢) الريد : حرف من حروف الجبل . والبيت من أرجوزة للمتنبى فى ديوانه (٢ : ٥٠٨ : ٤ – ٤٠٤ : ٢)

(٣) أى فحول خيلهم .

٢٠ (٤) انظر ص ٩١ .

٢١ (صَاغَ النَّهارُ حُجُولَهُ فَكَأَنَّمَا قَطَعَتْ لَهُ الظَّلْمَاءُ ثَوْبَ الأَدْهَمِ)[(١)]

التبريزى : يصف أدهم محجلا . جعل التحجيل، لأنه بياض، من النهار، وسائره من الليل . وما أحسن ما وصف الغُرَّةَ والتحجيلَ ابنُ نباتة فى قوله[(٢)] :

وكأنما لطم الصَّباحُ جبينَه فاقتصَّ منه فخاضَ فى أحشائه

البطليوسى : المقابَل : الذى عَتَق طرَفاه . والوجيه ولاحق : فرسان عتيقان تنسب إليهما الخيل العتيقة، وقد ذكرناهما فيما تقدم . والمطهَّم : الحسن الخَلْق، الذى ليس فيه عضوٌ يعيبه . والحُجول : البياض فى القوائم . وقد تقدم ذكره .

الخوارزمى : سيأتى .

٢٢ (قَلِقَ السِّماكُ لِرَكْضِهِ وَلَرُبَّمَا نَفَضَ الغُبَارَ على جَبِينِ المِرْزَمِ)

التبريزى : قلق يقلق قلقًا ، إذا اضطرب أشدَّ الاضطراب . والسِّماك والمرزم : نجمان . والمراد به المبالغة فى الركض حتى يثور الغبار إلى هذا الحدّ الذى ذكره .

البطليوسى : أراد أنه يسبق النجوم إذا جرى لسرعته ، كما يسبق الفرسُ الجوادُ الخيلَ ويحثو الترابَ فى وجوهها ؛ كما قال أبو الطيِّب :

لو سابَقَ الشمسَ من المَشارِقِ جاء إلى الغرب مجىءَ السابِقِ

وقال أيضا :

تُبارى نُجومَ القَذْفِ فى كلِّ ليلةٍ نجومٌ له منهنَّ وَرْدٌ وأدهمُ

---

(١) البطليوسى : « وكأنما » . أ من البطليوسى : « له الظلمات » .

(٢) هو ابن نباتة السعدى ، عبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد بن نباتة السعدى الشاعر . ولد سنة ٣٢٧ وتوفى سنة ٤٠٥ . وهو غير ابن نباتة المصرى الشاعر ، وهو أبو بكر محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن نباتة ، توفى سنة ٧٦٨ . وللسعدى ديوان مخطوط فى دار الكتب المصرية ، وللمصرى ديوان طبع مرارا . والبيت من قصيدة فى ديوانه المخطوط بدار الكتب الورقة ٣٤ ، يقولها فى سيف الدولة وقد حمله على فرس أدهم أغر محجل . وانظر نهاية الأرب (١٠ : ٦٤) .

والمِرزم : كوكبٌ مصاحبٌ للشِّعْرَى ، وهما مرزمان، لكلّ واحدةٍ من الشِّعريين مِرزم، ويحتمل أن يريد السِّماك الأعزل .

الخـــوارزمى : يقول: إنه أدهم محجَّل، يُضجر السماك فى رَكْضه، ويضرب على وجه المِرزم الغبارَ بإثارته ونَفْضه .

٥ ٢٣ (مِثْلُ العَرَائِسِ ما انْثَنَتْ من غَارَةٍ إلّا مُخَضَّبَةَ السَّنَابِكِ بالدَّمِ)

التـــبريزى : لمَّا جعلها مثل العرائس فى الحرب جعل الدِّماء لها خِضابا .

البطليـــوسى : العرائس : جمع عروس، وهو اسمٌ يقع على الرجل الناكح وعلى المرأة المنكوحة . وقد ذكرنا ذلك فيما مضى . والسنابك : جمع سُنْبُك، وهو مقدّم الحافر . أراد أنّ حوافرها اختضبت بالدِّماء، لطول السفر ، فشبّهها لذلك بنساءٍ

١٠ عرائسَ قد خَضَبن أيديهنّ بالحنّاء .

الخـــوارزمى : يقول:هذه الخيل عرائس، إلا أنّها متى رجعت من الهيجاء، فخضابُها الدمُ دون الحِنّاء .

٢٤ (سَهِرَتْ وقد هَجَعَ الدَّلِيلُ بِلابِسٍ بُرْدَ الحَبَابِ مُعِيدٍ فِعْلِ الضَّيْغَمِ)

التـــبريزى : الحبـاب : الحيَّـة . وبُردها : سَلْخها ، والمراد به الدّرع .

١٥ والضيغم : الأسد، واشتقاقه من الضَّغْم وهو العضّ . والواو فى قوله : « وقد هجع الدليل » واو الحال، أى سهرتْ هذه الخيلُ برجلٍ لِبس الدِّرع للأعداء، يفعل فعل الأسد عِزّةً وقد هجع الدَّليل .

البطليـــوسى : سيأتى .

الخـــوارزمى : الباء فى قوله : «بلابس» تتعلّق بقوله «سَهِرتْ» . الحباب،

٢٠ هو الحية . وعنى ببُرد الحباب الدِّرع ، وهو منصوبٌ على أنّه مفعول لابس ؛ فقد

أعمل اسمَ الفاعل لاعتماده على حرف الجر، وإنْ لم يعتمد على أحد الأشياء الخمسة.
ويشهد لصحّة هذا الإعمال بيت السقط (١):

* بنازلةٍ سَقَطَ العقيق بمثلها *

وبيته أيضًا:

أعندهُمُ علمُ السُّلُوِّ لسائلٍ ... بهِ الرَّكبُ لم يَعرِفْ أماكنَه قطُّ

وبيتُه (٢):

* بمنتظِرٍ مراقبةَ السَّوارى *

وقول ابن هَرْمةَ:

كتاركةٍ بيضَها بالعراءِ ... ومُلْبِسةٍ بيضَ أُخرى جَناحَا

والنحويّون لم يجيزوا إعمال اسم الفاعل إذا لم يعتمد على أحد الأشياء الخمسة. وهذه الأبيات حُجّة عليهم. «معيد فعل الضيغم»، مجرور على أنّه صفة «لابس».

٢٥ ﴿أَدْمَتْ نَوَاجِذَها الظُّبَا فَكَأَنَّمَا ... صُبِغَتْ شَكَائِمُها بِمِثْلِ العَنْدَمِ (٣)﴾

التبريزى: الظُّبا: جمع ظُبَةٍ، وهو [حدّ] السَّيف. والشكائم: حدائد اللُّجُم. وقد مرّ ذكرها (٤). والعندم: دم الأخوين. يريد أنّ أفواهها قد دميت لأنها تُضرَب مُقْدِمةً عند اقتحامها فى الحرب.

---

(١) من القصيدة ٦٨. وهذا صدر، وعجزه:

* دعا أدمع الكندى فى الدمن السقط *

(٢) هكذا استشهد الخوارزمى بالبيت على إعمال اسم الفاعل المسبوق بحرف الجر، مع أن الرواية «بمنتظر» بصيغة اسم المفعول، وقد فسر الخوارزمى نفسه البيت بما يعارض هذا الاستشهاد إذ قال: «بمنتظر متعلق بالهناء — فى بيت قبله — أى بمولود كما ترتقب ارتقاب السحاب السوارى». والبيت من القصيدة ٦٩ وعجزه:

* يهش لبرقها عصب تهال *

(٣) الخوارزمى: «بلون العندم». (٤) انظر ص ٤٩.

البطليوسى : يقول : سارت هذه الخيلُ ساهرةَ الجفون ، ودليلُها قد نام لِمَا كابده من قَطْع السُّهول والحزون ، حاملةً ملكاً يلبس بُرد الأرقم ، ويفعل فعل الضَّيغم . والحَباب : الحيَّة . شبَّه الدرع بجلدها . والضيغم : الأسد ، وهو مشتقّ من الضَّغْم ، وهو العضّ . والنواجذ : أقصى الأضراس ، واحدها ناجذ ، وهى آخرها نباتا . والظُّبا : أطراف السيوف . والشكائم : جمع شكيم ، وهو فأس اللجام . والعندم : دم الأخوين .

الخوارزمى : العندم : دم الأخوين . هذه كناية عن إقدامها فى الحرب .

٢٦ (وبَنَتْ حَوافِرُها قَتامًا ساطِعًا لَوْلَا انقيادُ عِداكَ لم يَتَهَدَّمِ)[1]

التبريزى : القَتام : الغبار الساطع المرتفع . يقول : أثارت حوافرُ هذه الخيلِ غبارًا مرتفعا فى الجو ، لولا انقيادُ عِداك إلى طاعتك لبَقِىَ الغبارُ على حالته . ولمَّا جعل الغُبار بناءً ، جعل ذَهابه هَدْما .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : ... ...

٢٧ (بَاضَ النُّسورُ بِهِ وَخَيَّمَ مُصْعِدًا حَتَّى تَرَعْرَعَ فِيهِ فَرْخُ القَشْعَمِ)

التبريزى : وَصَف الغبار بالكثافة . والمعنى أنَّه دام فى الجو حتَّى باض فيه النُّسور ، وترعرع فيه الفرخ ، أى كبر . والقشعم : المسِنّ من النَّسور .

البطليوسى : القتام : الغبار . والساطع : المرتفع فى الهواء . والمصعِد : المرتفع أيضا . وترعرع : شبَّ وقوى على الطَّيران . والقشعم : الكبير من النسور . أراد أنّ الغبار ارتفع فى الهواء وتكاثف حتَّى صار كالأرض ، فباضت فيه النسورُ

(١) التبريزى فقط : « فبنت » .

وأفرخَتْ ، وبقيتْ فراخها فيه حتى قويت على الطيران . وهذا أشدّ مبالغةً من قول أبى الطيب :

عَجاجًا تعثُرُ العِقْبان فيه   كأنّ الجو وَعْث أو خَبارُ[1]

الخوارزمى : سيأتى .

٢٨ (وَسَمَا إلَى حَوْضِ الغَمَامِ فمَاؤُهُ   كَدِرٌ بمُنْهَالِ الغُبَارِ الأَقْتَمِ)

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : سما : ارتفع . والغَمام : السحاب : والمنهال : المنصبّ المتساقط . والأقتم : الأغبر المقارب للسواد . يقول : صعِد غبارُ هذه الخيل فى الجوّ ، حتى وصل السّحاب ، فكدِر ماؤُها بكثرة ما انهال فيه منه .

الخوارزمى : الضمير فى : « به » و « فيه » للقتام . وكذلك فى «خَيَّم» و « سَمَا » .

٢٩ (جَاءَتْ بِأَمْثَالِ القِدَاحِ مُفِيضَةً   مِنْ كُلِّ أَشْعَثَ بالسُّيوفِ مُوَسَّمِ)

التبريزى : الأقتم : من القُتْمة ، وهى الكُدرة . وسما : ارتفع . أى جاءت الخيلُ برجال كأنّهم القداح قِداح الميسر إذ أُجيلت . يريد خفّتهم كخفّة القِداح ، عند الركوب وغيره . والأشعث : الذى لم يدهن شعره ولم يرجّله . والموَسَّم : الذى قد وسّمته السيوف ، أى أثّرت فى وجهه .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : أفاض بالقداح : ضرب بها . الباء فى قوله : «بأمثال القداح» تتعلّق بقوله : « مفيضة » . كانوا يَسِمُونَ القداح بعلامات تميِّزها . وفى كلام

(١) الوعث والخبار بمعنى ، وهما الأرض اللينة السهلة .

العجّاج « قد صدقتني وَسْم قِدْحهم »[1] . لمّـا شبه الفرسان فى الخفّة وكثرة الجولان بالقِداح، شبّه بوسمها ما عليهم من ضربات السيوف وطعَنات الرماح .

٣٠ (فوُجِدْنَ أَمْضَى مِنْ سِهَامِ التُّرْكِ بَلْ أَمْضَى وأَنْفَذَ مِنْ حِرَابِ الدَّيْلَمِ)[2]

التـــبريزى : سياتى .

البطليـــوسى : القداح : السهام ، واحدها قِـدْح . ويقال : أفاض بالسهام يُفيض إفاضةً، إذا دفع بها عند اللّعب والقِمار . يقول : جاءت هذه الخيل بفرسانٍ كالسّهام التى يُفيض بها الضارب، وكلُّ رجلٍ منهم أشعثُ لطـول السَّفر ، قـد وسّمته السيوف. والأشعث : الذى لا يَمتشط ولا يغتسل. والموسّم : الذى فيه آثارٌ من مقارعة الأبطال . وإنّمـا قال هذا لأنّ السهام التى يُلعب بها للقِمار، يُجعَل عليها علاماتٌ تعرف بها . ألا ترى إلى قول دريد بن الصِّمّة :

وأصفَر من قِداح النَّبع فَرْعٍ به عَلَمَانِ من عَقْبٍ وضَرْسِ

الخـــوارزمى : أخذوا الحراب لِحِراب[3] . الترك يجيدون الرمى، و بقوة يُرسلون السّهام . وفى شعر جمال العرب الأبيوردىّ :

ومِنْ أين يستولى من العُرب رامحٌ على بلدٍ فيـــه من الـتُّرك نابلُ[4]

---

(١) صدق ، يتعدى إلى مفعول و إلى مفعولين . يقال : صدقه وسم قدحه ، كما يقال : صدقه سن بكره . يضرب مثلا للرجل يكذب صاحبه فى الأمر فيدل بعض أحواله على الصدق . وأصل هذا الأخير أن رجلا أراد بيع بكر له فقـال للشترى : إنه جمل . فقال المشترى : بل هو بكر . فبينا هما كذلك إذ ند البكر ، فصاح به صاحبه : « هدع » وهذه كلمة يسكن بها صغار الإبل إذا نفرت ، وقيل يسكن بها البكارة خاصة ، فقال المشترى : « صدقنى سن بكره » . انظر اللسان (صدق) . وذكر الميدانى فى (١ : ٢٦٥) أن « سن » يروى بالنصب والرفع . وفى اللسان (قــدح) : « صدقنى وسم قدحه : أى قال الحق » وضبط : « وسم » بالرفع ضبط قلم . (٢) البطليوسى والخوارزمى : « إذ * نفضت وأنفذ » .

(٣) الحراب الثانية : مصدر حاربه محاربة وحرابا .

(٤) فى الديوان ص ٢٤٧ : « من القوم نابل » تحريف .

والدّيلم يُحسنون رمْىَ الحراب، يهزّونها هزًّا ثم يرمون بها، فلا يكاد يحجبها شىء .

وأنشد ابن جنّى :

* هَزَّ الغُلامِ الدَّيلمىِّ النَّيْزَكا (١) *

٣١ (حَتَّى تَرَكْنَ الماءَ لَيْسَ بِطَاهِرٍ والتُّرْبَ لَيْسَ بِحِلٍّ لِلْمُتَيَمِّمِ) (٢)

التبريزى : يعنى أنّ الغمام قد تكدّر بغبار هذه الخيل ، ووجهَ الأرض قد جرت عليه الدّماء . ٥

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : « ليس بطاهر » فى محل النّصب على أنّه حال من الماء ، وكذلك : « ليس يحلّ للتيمّم » فى محل النّصب أيضا على أنّه حال من الترب .

(١) النيزك : الرمح القصير . ١٠

(٢) هذا البيت ساقط من نسخة أ من البطليوسى .

[القصيدة الثامنة]

وقال أيضا فى الطويل الثانى والقافية من المتدارك[1] :

١ (إلَيْكَ تَنَاهَى كُلُّ فَخْرٍ وَسُودَدِ ... فَأَبْلِ اللَّيالِى وَالأَنَامَ وَجَدِّدِ)

التبريزى : أخبره أنّ المجد والسُّودد قد انتهيا إليه ، ثم دعا له بدوام البقاء[2]

٥ فيما هو [فيه] من السودد .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : يقول : انتهى إليك الفخر والسُّودد ثمّ لم يتجاوَزَاك ، فبقيتَ حتّى تُفْنِيَ الدّهرَ وبنيه ، وتستأنف غيرَ هذا الدّهرِ وذويه .

٢ (لِجَدِّكَ كَانَ المَجْدُ ثُمَّ حَوَيْتَهُ ... وَلابْنِكَ يَبْنِى مِنْهُ أُشْرُفَ مَقْعَدِ)

١٠ ٣ (ثَلاثَةُ أَيّامٍ هِىَ الدَّهْرُ كُلُّهُ ... وَمَاهُنَّ غَيْرُ الأَمْسِ وَاليَوْمِ وَالغَدِ)[3]

التبريزى : كما أنّ الدهر كلَّه من هذه الأيام الثلاثة ، كذلك المجد كلُّه لبيتكم : لك ولمن كان قبلك ، ويكونُ لمن بعدك[4] .

البطليوسى : يقول : كما أنّ الدهر يدور على ثلاثةِ أيامٍ لا يُوجد غيرها ، فكذلك المجدُ يدور عليك وعلى جدّك وعلى ابنك[5] ، لا حظَّ فيه لغيركم .

١٥ الخوارزمى : سيأتى .

---

(١) البطليوسى : « وقال أيضا يمدح الشريف أبا إبراهيم العلوى » .

(٢) فى الأصل : « ثم عاد بدوام البقاء » .

(٣) البطليوسى والخوارزمى : « غير اليوم والأمس والغد » .

(٤) هكذا عبر التبريزى ، كما نقله بهذه الصورة صاحب التنوير .

٢٠ (٥) فى الأصل : « ولأبيك » تحريف .

٤ (وَمَا البَدْرُ إلّا واحِدٌ غيرَ أنّه يَغِيبُ ويَأْتِى بالضِّياءِ المُجَدَّدِ)[١]

التبريزى : هذا يؤكد ما قبله . يقول : آخرُكم يُشبه أوّلَكم . وهذا كقوله :

* والبدرُ فى الوَهْن مثلُ البدرِ فى السَّحَرِ[٢] *

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى . ٥

٥ (فَلَا تَحْسَبِ الأقْمارَ خَلْقٌ كَثيرةً فجُملتُها مِن نَيِّرٍ مُتَرَدِّدِ)[٣]

التبريزى : يعنى أنّ الأصل واحد . وهذه الأبيات يؤكد بعضُها بعضا .
وقوله « نيّر » فَيْعِل من النُّور ، أصله نَيْوِر ، فلما اجتمعت الواو والياء وسبقت
إحداهما بالسكون [قلبت الواو ياءً ، وأدغمت الياء فى الياء ، وهذا قياس مطرد فى كل
كلمة اجتمعت الياء والواو فيها وسبقت إحداهما بالسكون[٤]] نحو سيِّد وميِّت ، ١٠
وطويته طيًّا ، وشويته شيًّا . وأيُّهما سبق من الياء والواو فهذا حكمه .

البطليوسى : هذا مثَلٌ ضربه لما تقدّم . يقول : كما أنّ البدر واحد
فى الحقيقة ، وإن كان الجاهل يتوهَّم بمغيبه تارةً وطلوعه أخرى أنّه بُدور كثيرة ،

(١) التبريزى : « إلا واحدا » وإعمال « ما » مع انتقاض النفى بإلا ، مذهب شاذ جاء منه قوله :
وما الدهر إلا منجنونا بأهله وما صاحب الحاجات إلا معذبا ١٥
انظر الخزانة (١ : ١٢٩) .
(٢) انظر ص ١٤٢ .
(٣) خلق ، فاعل « تحسب » . وكثيرة ، المفعول الثانى لتحسب . ورواية التنوير فقط : « خلقا
كثيرة » وفى ــ من البطليوسى : « يحسب » وفى التبريزى : « تحسب » بإهمال أولها .
(٤) تكلمة يتصل بها الكلام ، أثبتناها من اقتباس الديوان المخطوط من شرح التبريزى . ٢٠

فكذلك أنتَ وجَدُّك وابنك شيءٌ واحد، وإن ظُنِنتم ثلاثة . وقد توهّم قومٌ من الفلاسفة المتقدّمين أنّ الأقمار كثيرة، وكذلك الشُّموس، وأنّ عددها لا نهاية له . وهى نتيجةٌ أنتجوها من اعتقادهم أنّ جِرْم العالم لا نهايةَ له ،إمّا غلطًا و إما مغالَطة، حين أُلزِموا بغُروب الشّمس كلَّ يوم وطلوعِها من الغد أنّها تقطع جِرمًا متناهيا، ولولا ذلك لم تَعُد إلينا أبدا ، فاضطرّهم نصرُ مذهبِهم إلى القول بهذا الهوس العجيب .

الخوارزمى : معنى هذه الأبيات أنك تنوب مناب أبيك ، وابنُك ينوب مَنابك .

٦(وَلِلحَسَنِ الحُسْنَى فإِنْ جادَ غَيرُهُ فَذَلِكَ فِعلٌ لَيْسَ بِالمُتَعمَّدِ)[(١)]

التبريزى : يقول : الإحسان ما يُوليه هذا الممدوح ، فإن جاءَ من غيره إحسانٌ فذلك اتّفاق منه لا قصدٌ للإحسان .

البطليوسى : سياقى .

الخوارزمى : يقول : الحسنى كلُّها لحسَن ، فإن أحسن غيرُه فذاك شىءٌ اتّفاقى .

٧(لَهُ الجَوهَرُ السّارِى يَؤُمُّ شَخْصَهُ يَجُوبُ إِلَيْهِ مَحْتِدًا بَعدَ مَحْتِدِ)[(٢)]

التبريزى : يؤُمّ : يقصد . والمحتِد : الأصل . يقول : جوهره يقصده ويجوب إليه أصلًا بعد أصل ، أى يرجع إلى أجداده فى حسن أفعالهم ، ويسلُك طريقَهم فيما يكسب له المجد. فكأنّه من قولهم : « فيك نور يُنقل فى الأصلاب» .

(١) أ من البطليوسى : « ولحسن الحسنى » وفيها أيضا : « فذلك جود » .

(٢) البطليوسى : « السامى » وقد نبّه على الرواية الثانية .

البطليوسى : المتعمَّد : المقصود . يقول : جُود غيره إذا جاد خطأ(١)، ليس عن تعمُّدٍ وقصد، إنما هو عرَض يعرض لمعنًى من المعانى، لا عن طبعٍ وبصيرة. ويَعنى بالجوهر أصلَه . وكلُّ شىء خلَص فهو جوهر . والسَّامى : العالى ؛ ويروى : « السارى » وهو أحسن لما يقتضيه نظم البيت . ويؤمّ : يقصد . ويجوب : يقطع . والمحتِد : الأصل . يقول : سرى إليه الشَّرَف من أبٍ بعد أب حتّى وصل إليه . وإنما أراد بذلك أنّ مجده قديم ليس بمحدَث . وكانت العرب تسمّى من يشرُف بنفسه من غير قديم كان له « الخارجىّ » . قال كُثَيِّر :

أبا مَروانَ لستَ بخارجىٍّ وليس قديمُ مجدِك بانتحالِ

الخوارزمى : هذا من قوله عليه السلام : « كنتُ أنا وعلىٌّ نورًا بين يدى الله عزّ وجلّ مِن قبل أن يُخلَق آدمُ بأربعة عشرَ ألفَ عامٍ، فلما خلق الله آدمَ نَقل ذلك النُّور إلى صلبه ، فلم يزل ينقُله من صلبٍ إلى صلب حتى أقرّه فى صُلب عبد المطّلب، فقسمه قسمين، فصيَّر قِسْمى فى صُلب عبد الله، وقسم علىّ فى صلب أبى طالب، فعلىٌّ منى وأنا منه »(٢) . ومن قول العباس بن عبد المطلب يخاطب النبىّ عليه السلام :

مِن قبلها طِبتَ فى الظِّلال وفى مُستودَعٍ حين يُخْصَفُ الورقُ
ثمّ هبطتَ البلادَ لا بشرٌ أنتَ ولا مُضغةٌ ولا عَلَقُ
بل نُطفةٌ تَركب السَّفينَ وقد أَلجَمَ نَسرًا وأهلَه الغرَقُ
تُنقَل مِن صالبٍ إلى رحِمٍ إذا مضَى عالَمٌ بدا طبقُ

فى أساس البلاغة : « مضى طبَق بعد طبق : عالَم من الناس بعدَ عالَم » . يريد أبو العلاء أنّ ممدوحه علَوىٌّ .

(١) أ من البطليوسى : « جاء » . (٢) انظر تأويل مختلف الحديث ١٠٦ — ١٠٧ .

٨ (ولَـوْ كَتَمُوا أَنْسَابَهُمْ لِعزَتِهِمْ وُجُوهٌ وفِعْلٌ شاهِدٌ كُلَّ مَشْهَدِ)

التبريزى : عزّتهم : نسبتهم . يقول : لو كتموا أنسابَهم لظهر منه نسبُهم ، بما يُرى من وجوههم، وأفعالهم التى تُضاهى فِعلَ أجدادهم .

البطليوسى : يقال : عزوت الرَّجل إلى أبيه عَزْوًا، وعزيته عَزْيًا ، إذا ٥ نسبتَه إليه . يقول : قد بيّنَ آباؤهم صحةَ أنسابهم ، بما أورثوهم من مشابهتهم فى وجوههم وأفعالهم . ومثله قولُ الآخر :

وقد كتَبَ الشَّيخانِ لى فى صحيفتى شَهادةَ حقٍّ أَدحضت كلَّ باطلِ

يعنى بالشَّيخين أبويه ، أى بيَّنَا صحةَ نسبى فى وجهى . ونحوه قول أبى تمّام :

ألقَى عليـه نِجارَه فأتى به يقظانَ لا وَرِعًا ولا مُلْتَاثا[1]

١٠ ويحتمل أن يريد بـ«المَشْهد» الشهادة ، أى شاهدٌ كلَّ شهادة ، فيكون مصدرًا أتى على مفعل، كالمَضْرَب والمَقْتَل . ويحتمل أن يريد به المحضَر والمجلِس، فيكونَ ظرفا، أى شاهدٌ فى كلِّ مكان يشهده الناس .

الخوارزمى : «كلَّ مشهد»، منصوب على المصدر ، أى شهادة كلّية بليغة . ومثله أكرمته كلَّ إكرام ، وأوجعته كلَّ إيجاع . هذا كقول ١٥ أبى الطيِّب :

أفعالُه نسبٌ لو لم يَقُلْ معها جَدِّى الخصيبُ عَرَفْنا العِرقَ بالغُصُنِ

---

(١) الضمير فى : «نجاره» عائد إلى عمرو بن كلثوم فى بيت سابق له ، وهو :

عمرو بن كلثوم بن مالك الذى ترك العلا لبنى أبيه تراثا

وقول الآخر :

ارمِ بعينيكَ فى مَفارِقنا فَمَعْقِدُ التّاجِ غيرُ مُكتَتِمِ

وعليه حكاية أبى خليفة الجمحىّ [(١)] .

٩ (وَقَدْ يُجْتَدَى فَضْلُ الغَمَامِ وإنَّمَا مِنَ البَحْرِ فِيمَا يَزْعُمُ النَّاسُ يُجْتَدَى)

التبريزى : يجتدى : يفتعل من الجدا ، وهو العطيّة . يقول : هؤلاء أشبهوا آباءهم فى الكرم ، والفَرْعُ يتبع الأصل فيما يُبديه ويظهره . أى ما تراه من هذا الفرع هو الذى قد شُوهد من أصله ، كما أنّ فضلَ الغمام من البحر .

البطليوسى : يجتدى : يطلب ويسأل . والغمام : السحاب . وفضله : مطره . وكانت هذيل كلُّها ومن يليها من العرب المجاورين للبحر، يقولون : إن السحاب يرتفع من البحر . وكذلك قال أبو ذؤيب :

سَقَى أُمَّ عمرٍو كلَّ آخرِ ليلةٍ حَناتِمُ سُودٌ ماؤهن ثَجِيجُ [(٢)]

شَرِبن بماء البحرِ ثُمّ تَرفّعتْ متى لُجَجٍ خُضْرٍ لهنّ نئيجُ [(٣)]

ومن العرب من ينكر ذلك ويردّه . فممّن أنكره ابن مَيّادة فى قوله :

لو كان من لُجَجِ السواحل ماؤه لم يبقَ فى لُجج السّواحلِ ماءُ

يقول : إن جاد غير هذا الممدوح فإنّما يجود بما استفاده منه ، كما يجود الغمامُ بما يستفيده من البحر . ونحوه قولُ أبى الطيّب :

---

(١) يشير إلى ما ذكره عند قول أبى العلاء فى القصيدة ٦٠ :

والراح إن قيل ابنة العنب اكتفت بأب عن الأسماء والأوصاف

قال : «هذا من قول الجمحى وقد أتاه بعضهم يستشيره فى امرأة أراد التزوج بها : أقصيرة هى أم غير قصيرة؟ فلم يفهم ذلك ، فقال الجمحى : أردت القصيرة النسب تعرف بأبيها أو جدها » . (٢) الثجيج : السائل المنصب . (٣) النئيج : الصوت . والبيت من شواهد العربية فى الخفض بمتى .

يُعطِى فتُعطَى من لُهَى يده اللّهَا … وتُـــرَى برُؤية رأيه الآراءُ

الخـــوارزمى : سيأتى .

١٠ ﴿ وَيَهدِى الدّلِيلُ القَوْمَ واللّيلُ مُظلِمٌ … ولٰكِنّهُ بِالنّجْمِ يَهْدِى وَيَهْتَدِى ﴾

التـــبريزى : وهذا أيضا يؤكّد ما مضى من قوله .

البطليـــوسى : هذا البيت مَثَلٌ مؤكّد لمعنى البيت الذى قبله .

الخـــوارزمى : قوله : « فيما يزعم الناس » ، إيمـاء إلى أنه لا يدّعى أنّ الغمام يغترف من البحر ، فيؤاخذ بإثبات ذلك . والبيت الثانى تقريرٌ للبيت المتقدّم .

١١ ﴿ فَيَا أَحْلَمَ السّادَاتِ مِنْ غَيرِ ذِلّةٍ … وَيَا أَجْوَدَ الأَجْوادِ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدِ ﴾

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : قوله : «من غير ذلّة» تَتِمٌّ لمـا وصَفه به من الحلم ؛ لأنّ الحِلم إنما يُستحسَن إذا كان عن قدرةٍ ولم تعُدْ منه مَذلّةٌ على صاحبه ، فإذا كان فيه مذلّة عليه كان الجهلُ خيراً منه ؛ كما قال أبو الطيّب :

مِن الحِلم أنْ تستعمِل الجهلَ دُونَه … إذا اتّسعتْ فى الحِلم طُرْقُ المظالِمِ

وقال أبو تمّـام :

سَفِيهُ الرُّمح جاهِـلُه إذا ما … بدا فَضْلُ السّفيهِ على الحليِم

وأما قوله : « من غير موعد » فإنّ كثيراً من الناس لا يستحسنون ذلك ، بل يستحسنون أنْ يتقدّم الجودَ وعدٌ ، ليكون له موقعٌ من النفس بالتشوّف إليـه ؛ كما قال الآخر :

حلاوةُ الفضل بوعدٍ يُنجَزُ … لاخير فى الجودِ كنَهبٍ يُنهَزُ

الخـــوارزمى : سيأتى .

١٢ (وَطِئتَ صُرُوفَ الدَّهرِ وَطْأَةَ ثائِرٍ فأتلفتَ منها نفسَ مالم تُصَفِّدِ)(١)

التبريزى : يقول : أذللت الصعب من صروف الدهر ، فمنها ما ذللته بالتصفيد وهو التقييد، ومنها ما أهلكته .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : يريد أن حلمك لا يجر إلى مذلتك وأذاك، إذا كان بعض الأحلام يُفضِى إلى ذاك . وطئت صروف الدهر : أذللتها . قال عليه السلام : « اللهم اشْدُدْ وطأتك على مضر »(٢) . وهذا مجازٌ عن الوطء بالرجل .

١٣ (وعلّمتَهُ منكَ التأنّى فانثنى إذا رامَ أمرًا رامَهُ بتأيُّدِ)(٣)

التبريزى : التأنّى : التوقف والتثبت . و [التأيّد] : التشدد؛ وهو تفعّل من الأَيْد ، وهو القوة . ورجل أيّد أى قوىّ . ومثل الأَيْد الآد ؛ قال(٤) :

* مِنْ أن تبدّلتُ بآدِى آدًا *

يقول : كأنّ الدهر به هَوَجٌ وجنون، فلما أذللته تثبّت وعَقَل .

البطليوسى : أصل الوطء بالقدم ، ثم يستعمل بمعنى العلو على الشيء والقهر له ، وإن لم يكن هناك وطءٌ فى الحقيقة . وصُروف الدهر : حوادثه التى تتصرّف بأهله . والثائر : الآخذ بثاره، فهو لا يُبقِى غاية ؛ لحنقه على المثؤور منه . والتصفيد: التقييد. يقول: من لم تقتله منها أسرته(٥) وقيدته(٦)، حتى صار مملوكا لك.

---

(١) البطليوسى : « من لم تصفد » وكذا وردت فى شرحه ، وهو من تنزيل غير العاقل منزلة العاقل .

(٢) فى اللسان (وطأ) : « وذلك حين كذبوا النبى صلى الله عليه وسلم ، فدعا عليهم فأخذهم الله بالسنين » .

(٣) البطليوسى : « فاغتدى » موضع : « فانثنى » .

(٤) هو العجاج ، كما فى اللسان (أود ، أيد)، وليس فى أصل ديوانه المطبوع .

(٥) فى الأصل : « التثقيف » . (٦) فى الأصل : « وثقفته » .

والتأنّى : الترفّق، وكذلك التأيّد . وأصل التأيّد التشدّد؛ لأنه تفعُّل من الأَيْد وهو القوّة . وإنما قيل للترفّق تأيُّد لأنّ الترفّق فى الأمر تشدّد واستعدادٌ وقوة للتمكّن منه .

الخوارزمى : التأيّد، هو التأنّى والتثبّت ، تفعُّل من الأَوْد بمعنى الإثقال؛ لأنّ المثقَل لا يخلو عن التأنّى والتثبت . قال أبو الطيّب :

٥

* تَحِيِّ من خَطوِها تأيُّدها * (١)

ونظير التأيُّد من حيث الوزن التديُّر .

١٤(وأَثْقَلَتْهُ مِنْ أَنْعُمٍ وَعَوارِفٍ فَسَارَ بِهَا سَيْرَ البَطِيءِ المُقَيَّدِ)(٢)

التبريزى : يقول : إنما تثبّتَ الدّهرُ بعد الطّيش والخفّة، فيما بثّته(٣) فيه على أهله من عوارفَ ونِعَمٍ أسديتَها إليهم . وعوارف : جمع عارفة، وهى من العُرْف وهو المعروف .

١٠

البطليوسى : أنعُم ، عند سيبويه : جمع نِعْمة، كما قالوا شِدّة وأشُدّ . وهو جمعٌ قليل النظير، شاذٌّ عما عليه القياس . وأجاز غيره أن يكون جمع نُعْم ، وهو لغة فى النِّعمة؛ وهذا أيضًا قليل؛ لأنّ جمع فُعْل المضموم الفاء على أفْعُل لا يكاد يعرف. وقد قرأ بعض القراء : ﴿ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفُلُهَا ﴾(٤). وهو فى فِعْلٍ المكسور الفاء قليل أيضا، إلا أنه أكثر من فُعْل؛ قالوا ذئبٌ وأذؤب، وبئر وأبْؤُر، وضِرْس وأضْرُس. والعوارف : جمع عارفة، وهى المعروف .

١٥

الخوارزمى : الضمير فى «أثقلته» للدهر، كما أن الضمير فى «علّمته» لذلك .

(١) الضمير للناقة ، وصدره كما فى الديوان (١ : ١٨٧) :

* أشد عصف الرياح يسبقه *

٢٠

(٢) الخوارزمى و أ من البطليوسى : « سير البطى » بالتسهيل . (٣) هكذا فى الأصل . و «فى» سببية ، كما فى الحديث : «دخلت امرأة النار فى هرة حبستها» . (٤) هى من القراءات الشاذة، رواها ابن خالويه ص١٤٠ بدون نسبة ، وكذلك أبو حيان فى تفسيره (٨ : ٨٣) .

١٥ (وَدَانَتْ لَكَ الأَيَّامُ بالرَّغْمِ وانْضَوَتْ إِلَيْكَ اللَّيَالِى فَارْمِ مَنْ شِئْتَ تُقْصِدِ) [(١)]

التبريزى : الدِّين : الطاعة . يقول: أطاعتك الأيام بالرغم . وانضوت : [لجأت][(٢)] إليك . ويقال : رماه فأقصده، إذا قتله مكانه . ورماه فأشواه ، إذا أصاب شَواه؛ والشَّوى : الأطراف غير المَقَاتل . ورماه فأنْماه، إذا تحاملت الرمية بسهمه وغابت عنه . وفى الحديث : « كُلْ ما أصميتَ، ودَعْ ما أنميت » . والإصماء مثل الإقصاد .

البطليوسى : دانت : أطاعت . والرغم : الذلّ والقهر، وفيه ثلاث لغات : ضم الراء وفتحها وكسرها . وانضوت : أوت وانضمّت . وتُقصِد : تقتل؛ يقال : رماه فأقصده، إذا قتله مكانه .

الخوارزمى : سيأتى .

١٦ (بِسَبْعِ إِمَاءٍ مِنْ زَغاوَةَ زُوِّجَتْ مِنَ الرُّومِ فى نُعْمَاكَ سَبْعَةَ أَعْبُدِ)

التبريزى : زغاوة : قبيلة من السودان. والمعنى أن الأيام واللّيالىَ عبيدُك، والدّهر كلّه مبنىٌّ من سبعة أيام وسبع ليال ، فارم بهنّ مَن شئت فإنّهن يُهلكنه . وجُعِلت الأيّام كالعبيد من الروم، واللّيالى كالإماء من زَغاوة .

البطليوسى : زغاوة، بزاى مفتوحة، كذا رُوى لنا عن أبى العلاء . وحكى الخليل : « دُغاوة » بدال مهملة[(٣)] مضمومة[(٤)] ، وهما جيلانِ من السُّودان . يقول : الأيام السبعة بمنزلة سبعةِ عبيدٍ لك ، والليالى السبع بمنزلة سبعِ إماء ، فارْمِ بها من

(١) فى الأصل : «وانضافت» صوابه من نقل الديوان المخطوط عن التبريزى .

(٢) التكملة من مقتبسات الديوان المخطوط من شرح التبريزى . (٣) حـ : «غير معجمة» .

(٤) فى أ من البطليوسى سقط يبتدئ بما بعد هذه الكلمة وينتهى الى كلمة « والمسرد » فى شرح البيت ٢٢ من هذه القصيدة ص ٣٦٦ .

شئتَ تُهلكه فإنّها متصرّفة تحت أمرك . وشبّه الأيامَ بسبعة عبيدٍ من الروم، لأن الروم يُوصَفون بالبياض والحمرة، وكذلك الأيام بيض وأطرافُها حمر . وشبّه الليالى السبع بسبع إماءٍ من السودان لسوادها .

الخوارزمى : « رماه فأقصده وتقصّده أى قتله مكانه »[1] . الباء فى قوله : « بسبع إماء » من صلة قوله : « فارم » . زغاوة : نوع من السودان . عنى بسبع إماء من السُّودان ليالىَ الأسبوع ، وشبّهها بها لسوادها وتأنيثها . وعنى بسبعة أعبدٍ من الروم أيام الأسبوع، وشبّهها بالعبيد من الروم لبياضها وتذكيرها . وهذا تشبيهٌ مليح . ونحوه قول ابن هانئٍ المغربىّ :

كأنّ ضِياءَ الصُّبحِ خاقانُ مَعْشَرٍ   من التُّركِ نادَى بالنجاشىِّ فاستخفَى[2]

لمّا خاطبه فى البيت المتقدّم بأنّ الأيام خاضعةٌ لك، والليالى ملتجئة إليك، تدرّج من هذه المنزلة إلى رتبةٍ أقوى، فقال: إنّ الليالى لك إماءٌ سود، والأيام عبيدٌ بِيض، قد زُوِّجَت فى نعمتك إحداهما الأخرى . ويُشبه أن يكون معنى التزوّج هاهنا كونهما مزدوجتين متلازمتين .

١٧ (وَلَوْلاكَ لَمْ يَسْلَمْ أَفَامِيَةَ الرَّدَى   وَقَدْ أَبْصَرَتْ مِنْ مِثْلِها مَصْرَعَ الرَّدَى)[3]

التبريزى : أفامية: حصن . كان هذا الحصنُ سلِم من الرَّدَى بهذا الممدوح ، ولولاه قد أُلحِق بالقلعة التى هُدِمتْ . وهذا عكس قول أبى الطيّب :

وأَلْحَقْنَ بالصَّفصافِ سابورَ فانهوَى   وذاقَ الرَّدَى أهلاهُما والجلامدُ[4]

---

(١) هـذا التفسير من أساس البلاغة (قصـد) . (٢) الرواية فى ديوانه ص ٧٩ : « كأن عمود الفجر » . (٣) رواية البطليوسى : « موضع الردى » .

(٤) الصفصاف وسابور : حصنان منيعان للروم . وقد ورد البيت فى الأصل محرفا على النحو التالى وقد سقطت منـه الكلمة الأخيرة : « وألحقن بالصفصاف وسابورما تهوى وذاق الردى كلتاهما » وهو تحريف مجهد ونقص . وصوبناه من الديوان (١ : ١٧١) .

وقوله : « لولاك » يجوز أن تُوضع الكاف موضع أنت، وكذلك لولاى .

قال يزيد بن الحكم الثقفى :

وكم موقفٍ لولاىَ طِحْتَ كما هوَى ... بأجرامه من قُلّة النِّيق مُنْهوى [1]

وهذا البيت يروى لعمرو بن العاص [2] :

أيطمع فينا مَنْ أراق دِماءنا ... ولولاكَ لم يَعرِضْ لأحسابنا حَسَنْ [3]

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : أفامية، بفتح الهمزة وكسر الميم: حصن. سلِم من البلاء. وأسلمه للهلَكة، أى تركه لها. يريد: لولاك لم يترك هذا الحصنَ الردَى؛ أى لولاك لما سلِم هذا الحصن؛ لأنّ كلّ من تركه الرَّدَى فقد سلِم . أو لولاك لما أُسلم هذا الحصنَ الهلاكُ ؛ لأنّ الفعل الثلاثى إذا كان لازما فإنه بالهمزة يُعدّى ؛ وهو قياس .

١٨ (فأنقذْتَ منها معقِلا هَضَباتُه ... تلفَّعُ من نَسْجِ السَّحابِ وترتدى)

التبريزى : أى أنقذت من أفامية [4] ، أى خلّصت منها معقِلا . والمعقل : الموئل على رأس الجبل. وبنو فلان على مَعَاقِلهم فى الجاهلية [5] ؛ أى على مراتب آبائهم. ثم قيل للحصون معاقل تشبيها بذلك [6] . وهَضَبات : جمع هَضْبة ، وهى القطعة العظيمة من الجبل . يصفها بالعلو ، فكأنها ترتدى بالسّحاب لعلوّها .

(١) انظر خزانة الأدب (٢ : ٤٣٠) .

(٢) يعنى البيت التالى، فإن البيت السابق لاخلاف فى نسبته إلى يزيد بن الحكم، كما أن البيت التالى قد جرد من عبارة الإنشاد المعتادة قبله . وانظر مثل هذا التعبير فى شرح التبريزى للبيت ٢٢ من هذه القصيدة .

(٣) فى الإنصاف ٢٨٨ : « أتطمع » بتاء الخطاب المضمومة . وهو الأظهر فى الرواية .

(٤) فى الأصل : « من إقامته » .

(٥) فى الأصل : « مراقب » وصوابه من اللسان (١٣ : ٤٨٩) .

(٦) أى بالموئل على رأس الجبل .

البطليوسى : أفامية : مدينة من مدن الثَّغر ، كانَ العدوُّ قد حصرها وهمّ بأخذها، فكان لهذا الممدوح فى الدّفاع عنها بلاءٌ مشكور، وسعىٌ مبرور . والرَّدَى : الهلاك . والرَّدِى : الهالك . يقول : قد كانت أبصرَتْ مثلَها من حصون الثّغر قد استولى عليه العدوّ، وكانت ترتقب[1] أن يصيبها ما أصابه . والمعقل : الملجأ الذى يُمتنَع فيه . والهضبات : الصخور العالية، واحدتها هَضْبة . وتَلَفّع : تكتسى وتشتمل؛ يقال : تلفّع بالثوب، إذا اشتمل به . يقول : لشدّة ارتفاعها يُحدِق بها السّحاب فيصير كاللِّباس عليها؛ كما قال امرؤ القيس :

مُكَلَّلَةً حمراءَ ذاتَ أِسرَّةٍ لها حُبُكٌ كأنّها مِنْ وَصَائِلِ[2]

وقال بعض رُجّازطيّئ :

تَلوذ فى أُمٍّ لنا ما تُقتَضَبْ[3] سَمَا لها أنفٌ عزيزٌ وذَنَبْ

* مِن السَّحاب ترتدى وتَنْتقِبْ *

يريد سَلْمَى، وهو أحد جبلى طيّئ .

الخوارزمى : سيأتى .

١٩ (وَحِيدًا بِثَغرِ المُسْلِمِينَ كَأنَّهُ بِفِيهِ مُبَقًّى مِنْ نَواجِذِ أَدْرَدِ)

التبريزى : الأدرد : الذى تحاتّتْ أسنانه . والنواجذ : أقصى الأسنان . وقوله : « بفيه » : راجعة إلى الثغر . أى بِفِى الثغر : شُبّه لتوحُّده بالثغر — إذ لا يقوم مقامه، ولا يسدّ مسدّه غيرُه — بناجذ قد بقى فى فمِ أدرد .

---

(١) فى الأصل : « ترتعب » .

(٢) مكللة، حال من رءوس المجادل فى بيت قبله . الأسرة : الطرائق فى النبت . والحبك أيضا الطرائق، مفردها حبيكة . وفى الأصل : «حسب» . والوصائل : جمع وصيلة، وهو ثوب مخطط يمان . ورواية الديوان ١١٨ : « من حبائل » وهى ضرب من البرود شبه حسن النبات بها . وقبل البيت :

تلاعب أولاد الوعول رباعها دوين السماء فى رءوس المجادل

(٣) ما تقتضب : ما تمتطى، من قولهم : اقتضب فلان بكرا، إذا ركبه ليذله قبل أن يراض .

البطليوسى : النواجذ : أقصى الأضراس ، واحدها ناجذ . والأدرد : الذى سقطت أسنانه . كأنه يقول : هذا الحصنُ منفردًا فى ثغر المسلمين، قد أُخذ جميعُ ما كان حولَه من الحصون، شبيه بسنٍّ مفردةٍ بقيت فى فم رجلٍ أدرد ؛ لأنّ الثغر يشبَّه بالفم . ألا ترى إلى قول زُهَيْر :

وإنْ سُدَّتْ به لَهَوَاتُ ثغرٍ يُشار إليه جانبه سقيمُ [1]

الخوارزمى : «مِن» فى قوله "منها" للتجريد . هضباته، مرفوع على أنه مبتدأ . وقوله : « تلفّع من نسج السّحاب وترتدى » فى محل الرفع بأنه خبره . ثم هذه الجملة فى محل النّصب على أنّها صفة «معقلا» . وقوله : «وحيدا» أيضا صفة لقوله «معقلا» . الثغر : موضع المخافة من فروج البُلدان، مأخوذ من الثُّغرة، وهى الثُّلمة . الضمير فى قوله : «بفيه» للثغر . يقول : أقامية فى الانفراد، بعد تخريب سائر البلاد، بمنزلة الباقى من الثّغر، فى عَرْصة ذلك الثغر . و«الفم» و«النواجذ» و«الأدرد» مع «الثغر» إيهام . الاستعارة على ضربين : أحدهما أن تستعير الشىء للشىء وليس به . والثانى أنْ تستعير الشىء للشىء وليس له . فالأوّل كقولك رأيت أسدًا، وأنت تعنى رجلا ؛ وعنّت لنا ظبية، وأنت تعنى امرأة . والثانى كقول لبيد :

وغداةَ ريحٍ قد كشفت وقِرّةٍ إذ أصبحت بيَدِ الشّمال زِمامُها

ألا ترى أنه قد استعار اليد للشمال ، والزّمام للغداة، وليسا لها . والذى يفرق بين ضَرْبى الاستعارة أنّه ليس فى الضرب الثانى ما يُجْرَى عليه اليدُ والزمام ، إجراء الأسد على الرجل ، والظّبية على المرأة . واستعارة الفم للثّغر هاهنا من قبيل الضرب الثانى .

---

(١) لهوات الثغر : أفواهه ومداخله . يشار إليه : يتحاذره الناس من خوفه . سقيم : يخشى القوم أن يؤتوا منه . ورواية الديوان ٢١٠ : « متى تسدد به » بالبناء للفاعل والمفعول .

٢٠ (بِأَخْضَرَ مِثْلِ البَحْرِ لَيْسَ اخْضِرَارُهُ ... مِنَ المَاءِ لَكِنْ مِنْ حَدِيدٍ مُسَرَّدِ)

التبريزى : يريد كتيبةً خضراء . والمسرَّد المنسوج بالحديد ، يوصف بالسواد والخضرة .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الباء فى «بأخضر» تتعلّق بقوله «فأنقذت» . «عنى» بأخضر جيشًا يَضرب ما عليه من الأسلحة إلى الخضرة . يقال : كتيبة خضراء . قال أبو دواد :

وَلَتْ رجالُ بنى الشَّهْران يَتْبَعُها ... خضراءُ يرمونها باللّيل من شَمَمِ[1]

يقال : رأيته من أَمَمٍ وزَمَمٍ وشَمَمٍ[2] . وفى كلام أبى نصر العتبى : « فانحدر إلى طوس فى البحر الأخضر من رجاله وأفياله » .

٢١ (كَأَنَّ الأَنُوقَ الخُرْسَ فَوْقَ غُبَارِهِ ... طَوَالِعُ شَيْبٍ فِى مَفَارِقِ أَسْوَدِ)

التبريزى : الرخم توصف بقلّة الأصوات ، ويقولون فى المثل للرخمة : «إنّك من طير الله فانطق»[3] ، أى صِيحى كما يصيح غيرك من الطيور . ويقال ذلك للرجل إذا كان يُكثر السكوت . شبه الرَّخَم البِيضَ فوق الغبار الأسود بالشَّعرات البِيض فى مَفارِقِ أسود .

البطليوسى : يعنى بالأخضر جيشًا . جعله أخضر لسواده من الحديد . والخُضْرة عند العرب سواد ، قال ذو الرمة :

قد أَعسِفُ النازحَ المجهولَ مَعْسِفُه ... فى ظِلِّ أخضَرَ يدعو هامَهُ البُومُ[4]

(١) هم بنو شهران بن عفرس . وشمم ، بالشين المعجمة ، كما فى معاجم اللغة . وفى الأصل : «سمم» بالسين المهملة ، تصحيف . (٢) فى الأصل : «سمم» . وانظر التنبيه السابق .

(٣) انظر المثل فى الدميرى (رخم) والحيوان (٣ : ٥٢٠) .

(٤) رواية البيت فى الديوان ٥٧٤ : «فى ظل أغضف» .

أى فى ستر ليلٍ أسود . والمسرّد : المنسوج المنظوم بالحلق . والأنوق : الرَّخَم . وجعلها خُرْسًا لأنّها تُوصف بقلّة الأصوات؛ ولذلك [قيل] فى المثل : « إنّك من طير الله فانطق » ؛ يقال ذلك للرجل الطويل السكوت . وشبّهها لبياضها فى سواد الغُبار ، بشَيْبٍ طلع فى مفارق رجلٍ أسود . والمفارق : حيث يَفْتَرِق الشعر من الرأس .

٥

الخوارزمى : الأنوق: هو الرخم، واشتقاقه فى: «أدنى الفوارس»[١] . الرخم أبقع يُشْبه النَّسر ؛ قال الكُمَيْتُ يصف الرخم :

* وذات اسمين والألوانُ شَتّى[٢] *

فى الأمثال : «إنّكِ من طير الله فانطقى» ؛ الخطاب للرخَم . أى صِيحى كغيرك من الطير . وإنّما تُؤمَر بالصياح لاتّصافها بالخَرَس . يُضرب للكثير السكوت . وإنّما وصف بالخرس الرخَمَ هاهنا تتمّيًا للتشبيه . وقد ألمّ فى هذا التشبيه بقول الأمير أبى فِراس :

١٠

إلى أنْ بدا ضوءُ الصّباح كأنّه مَبادِى نُصولٍ فى عِذارٍ خضيبِ

٢٢ (وليس قَضِيبُ الهِنْدِ إلّا كَتَائِبٍ مِنَ القَضْبِ فى كَفِّ الهِدَانِ المُعَرِّدِ)

١٥

التبريزى : القضب : الذى يسمى القَتّ ؛ قال الله تعالى : ﴿وَقَضْبًا.وزَيْتُونًا﴾ . والهِدان يقال هو الجبان ، ويقال هو الضعيف الذى لا يبكّر فى حوائجه . والمعرِّد : الذى يفرّ فرارًا يُبْعِد فيه ؛ يقال : عرّد النجم إذا بعُد . وهذا البيت ينسب إلى حاتم[٣] :

(١) انظر البيت ١٢ من القصيدة السابعة .

(٢) تمامه كما فى الحيوان (٧ : ٨ ساسى) واللسان (٣ : ٢٠٦) :

* تحمّق وهى كيّسة الحويل *

٢٠

(٣) البيت من قصيدة له فى ديوانه برواية ابن الكلبى ص ١٠٩ .

وعاذلةٍ هبّتْ بليـلٍ تلومُـنى — وقد غابَ عيُّوقُ الثُّريّا فعرّدا [1]

البطليـوسى : القضيب : السيف القاطع، وهو القاضب والقضوب أيضا. والقضب : ضرب من النبات يقال له الرَّطْبة والفِصْفِصة. والهدان [2] : الجبان. والمعرّد : الذى يعرِّد عن قِرنه أى يحيد ويفرّ. يقول : مضاء السيف لا يُنتفع به إذا لم يكن الضاربُ به ماضيًا، كما قال البحترى :

وما السّـيفُ إلا بَزُّ غادٍ لزينـةٍ — إذا لم يكنْ أمضَى من السيف حامِلُهْ [3]

الخـوارزمى : النابت من القَضْب، هو الغضُّ الطرى، وخصّه لأنه أضعف وأخْوَر، وعليه بيتُ الحماسة :

* وطءَ المقيِّد نابِتَ الهَرِمْ [4] *

ولأنه أخضَر، والسيف يوصف بالخضرة. ألا ترى إلى قوله :

مهنّـدٍ كأنمـا طَبّاعُـه — أشربَه بالهنـدِ ماءَ الهِندَبا [5]

و «القَضيب» مع «القَضْب» تجنيس. الهِدان فى «مَعانٍ من أحبّتنا» [6].

---

(١) العيوق : كوكب أحمر مضىء بحيال الثريا ؛ سمى بذلك لأنه يعوق الدبران عن لقاء الثريا.

(٢) إلى هنا ينتهى السقط الذى نبهنا عليه فى ص ٣٥٩ .

(٣) فى حـ : «ضاربه». والبيت من قصيدة لامية فى ديوانه ص ١٦٣ يمدح بها الفتح بن خاقان.

(٤) البيت للحارث بن وعلة الذهلى من أبيات فى الحماسة ٩٧ — ٩٩ طبع بن. وصدره :

* ووطئتنا وطأً على حنـق *

والهرم : شجرة ضعيفة. وأراد بالنابت الحديث ؛ وهو أغض له وأرق. ويروى : «يابس الهرم».

(٥) الهندبا : بقلة من البقول، وهى مكسورة الهاء، وفى دالها الفتح والكسر، ويقال فيها الهندب ؛ بكسر الهاء، وفتح الدال وكسرها.

(٦) انظر ص ٢١٧ .

٢٣ (مَتى أنا فِي رَكْبٍ يَؤُمُّونَ مَنزِلًا   تَوَحَّدَ مِن شَخْصِ الشَّرِيفِ بِأَوْحَدِ)

التبريزى : لمّا كان صاحبُ المنزلِ أوحَدَ توحّد المنزلُ به، وتميّز من سائر المنازل. والرَّكْبُ لا يكون إلّا أصحابَ إبل، والواحد راكب، نحو صاحب وصَحْب، وتاجر وتَجْر .

البطليوسى : سباق .

الخوارزمى : سباق .

٢٤ (عَلَى شَدْقَمِيَّاتٍ كَأَنَّ حُدَاتَهَا   إِذَا عَرَّسَ الرُّكْبَانُ شُرَّابُ مُرْقِدِ)

التبريزى : شدقميات : منسوبة إلى شَدْقَم، وهو فحلٌ من الإبل . وعرّسوا : نزلوا ليناموا . وسُمّى الفَحْل شَدْقَمًا لسعة شِدْقه، والميم زائدة، كما زيدت فى زُرْقُم وحُلْكُم[1] . والمعنى أنّ هذه الإبل إذا عرّس رُكبانُها، أى نزلوا ليناموا ساعة، فكأنّ حُداتَها الذين يمشون خلفَها شُرّاب مُرقِد، لما هم فيه من التّعب والحاجة إلى النوم .

البطليوسى : يؤُمّون : يقصِدون . وشدْقَميّات : إبل منسوبة إلى شدقم، وهو فحل قديم تنسب إليه الإبل العتيقة؛ قال الشاعر :

* نجائب من آل الجَديل وشدقم *

والحُداة : الذين يحدون الإبل، أى يسوقونها، واحدهم حاد . والتعريس : النزول فى آخر الليل للراحة . وشبّههم بشرّاب المُرقِد لكَلِّهم[2] وغَلَبَة النوم عليهم .

---

(١) الزرقم، بضم أوله وثالثه : الرجل الأزرق العين . وفى اللسان : «الأصمعى : ومما زادوا فيه الميم زرقم للرجل الأزرق . الليث إذا اشتدت زرقة عين المرأة قيل إنها لزرقاء زرقم» . وفى الأصل : «أرقم» تحريف . والحلكم بضم أوله وثالثه : الأسود من كل شيء .

(٢) حـ : «كركم» تحريف . وفى ا : «لكلالهم» وإنما المصدر من ذلك الكل والكلال والكلالة .

الخــــوارزمى : من، فى قوله : «من شخص الشريف» للتجريد. الشَّدقىّ : منسوب إلى شَـدْقَم ، فحلٌ كان للنُّعمان بن المنذر، منقول من الشَّدْقَم بمعنى الواسع الشِّدْق . وهو فى أحد القولين فَعْلَم، وهو القياس ، لمكان الاشتقاق . وعلى القول الثانى فعلل، لقلة زيادة الميم غيرَ أوّل . وهذا استحسان؛ وبالقياس أخذ الخليل، وبالاستحسان المـازنىّ . قال ابن جنّى رحمه الله : وكلا القولين مذهب ، وقولُ ٥
الخليل أسيَرُ على الأصول، وقول المـازنىّ أغمض . ونظيره حُلقوم وبُلعوم .

٢٥(تُلَاحِظُ أَعْلَامَ الفَلَا بنَوَاظِرٍ كُحِلْنَ مِنَ اللَّيْلِ التِّمَـامِ بِإِثْمِـدِ)

التـــبريزى : هذا مأخوذٌ من قول الآخر :

كثيرٌ سُراهُ يَجعل الليلَ إثمــدًا ويضحى نهـارًا مشرقًا غيرَ واجِمِ

البطليــوسى : الملاحظة : النظر باللَّحظ . والأعلام : الجبال . والنواظر : ١٠
العيون . والليل التِّمام : ما زاد على آثنتى عشرة ساعة ، هذا قول الأصمعى . وقال ابن الأعرابىّ : هو الذى يطول علَى من قاساه، وإن كان قصيرا . وهذا أصحُّ قولٍ قيل فيه . وشبّه الليل بالإثمد كما قال الآخر :

كثير سُراه يجعلَ اللّيــل إثمِدًا ويضحى نهـارًا مشرقًا غيرَ واجِمِ

الخــــوارزمى : الضمير فى : « تلاحظ » للشّدقيات . وقد لمّح إليه جمـال ١٥
العرب الأبيوردىّ فى قوله :

تَحَـدِى بأروعَ لا يُخْفِى وناظرُه[1] بإثمـد اللّيل فى البيداء مكحولُ

---

(١) الإخفاء : النوم، وفى الأصل : «يغفى» صوابه من الديوان ص ٣٧٢ .

٢٦ ﴿وَقَدْ أَذْهَبَتْ أَخْفَافَهَا الأرْضُ وَالوَجَى دَمًا وَتَرَدَّى فِضَّةً كُلُّ مُزْبِدِ﴾

التبريزى : أذهبت أخفافها : أدمتها فسالت دمًا [فكأنه ذهب][1] . واللُّغام يوصف بالبياض، ولذلك شبّهوه بجَنَى العُشَر؛ لأن العُشَر يكون فيما يُجتَنَى منه شىءٌ أبيض كأنه قُطن، قال ذو الرمّة :

تُطِيرُ اللُّغامَ الهَيَّبانَ كأنّه جَنَى عُشَرٍ تَنْفيه أشداقُها الهُدْلُ[2]

الهيَّبان : الذى جوفه خال، فكأنّه ليس له فؤاد .

البطليوسى : أذهبتْ : جَعلت عليها من الدم شِبه الذّهب . يريد أنّ طول السّيرِ أدمى أخفافَها وجَرَحها . والوجَى : الحَفَا. ويقال: أزبد البعير فهو مُزْبِد، إذا رمى من فمه الزَّبَد، وهو اللُّغام؛ وشبّهه لبياضه بالفضّة، كما شبّهه الآخر[3] بالقطن فقال:

كأنّه بالصَّحصحان الأنْجَلِ[4] قُطْنٌ سُخامٌ بأيادِى غُزَّلِ[5]

الخوارزمى : قوله : «دما» انتصابه على التمييز. وهذا لأنّ إذهاب الأرض أخفافَها يحتمل وجوها : إذهابَها بإذهاب نفوسها ، و إذهابَها بإذهاب لحمها، و إذهابَها بإذهاب دمها . فإذا نصَصت على أحد هذه المحتملات فقد ميّزت . والمُذهَب فى الحقيقة هاهنا هو الدم ، كما إذا قلت أشعلت البيتَ نارًا، فالمُشْعَل

(١) التكملة من مقتبسات الديوان المخطوط من شرح التبريزى .

(٢) رواية الديوان ص ٤٥٨ واللسان (هيب) : «تمج اللغام» . والهدل : جمع أهدل وهدلاء، وهى المسترخية المشافر . وفى الأصل « الهدر » تحريف .

(٣) هو جندل بن المثنى الطهوى . قال بعضهم : يصف بالرجز الثلج ، ونقل صاحب اللسان عن ابن برى أن الصواب أنه يصف سرابا ؛ لأن قبله :

* والآل فى كل مراد هوجل *

(٤) الصحصحان : ما استوى من الأرض . والأنجل : الواسع .

(٥) السخام من الشعر والريش والقطن والخز ونحو ذلك : اللين الحسن .

فى الحقيقة هى النار . وقوله : «تردّى فضّةً كلَّ مُزْبِدِ» إشارة إلى ما يبدو على أفواهها من اللُّغام؛ لأنه أبيض كالفضّة .

٢٧ (يُخَلْنَ سَمَاماً فى السَّماءِ إذا بَدَتْ لَهُنَّ عَلَى أَيْنٍ سَمَاوةُ مَوْرِدِ)

التبريزى : السَّمام[(1)] : ضرب من الطير سريع . وسَماوة موردٍ : أعلاه ؛ وسماوة كل شىء : أعلاه . والمعنى أنّهن يُسرعن فى السير لمّا طمعن فى وُرود الماء .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : السَّمام : ضَرب من الطير، وتُشبّه به النُّوق السِّراع . سماوة كلِّ شىء : أعلاه . الطّير إذا أبعدت فى الهواء أُضيفت إلى السّماء . وفى شعر أبى الخطاب الجبلىّ يصف مهمهًا :

يشقّ على طير السماءِ سلوكُه ويوحش جِنّانَ الفَلاةِ نزولُه

وفى البيت إيماءٌ إلى أنّ ذلك المورد على يَفاع . والسَّمام مع السّماء تجنيس ، ومع سَماوة أيضا .

٢٨ (تَظُنُّ بِهِ ذَوْبَ اللُّجَيْنِ فإِنْ بَدَتْ لَهُ الشَّمْسُ أَجْرَتْ فَوْقَهُ ذَوْبَ عَسْجَدِ)

التبريزى : تظن به ، أى بالمورد . ذوب اللُّجين ، أى الفضّة؛ لأنّ الماء يُشبّه بها لبياضها . والعسجد : الذهب . يقول : هذا الماء يُرى أبيضَ، فإذا طلعت الشمسُ حال لونُه من البياض إلى لون الذهب .

البطليوسى : السَّمام : طير خفاف ، شبّه بها الإبل فى سرعتها . وبدت : ظهرت . والأين : الإعياء والكلال . والمورد : الموضع الذى يُورَد فيه الماء .

---

(1) لم يذكره صاحب القاموس . وفى اللسان : « والسمام بالفتح : ضرب من الطير نحو السمانى ، واحدته سمامة . وفى التهذيب : ضرب من الطير دون القطا فى الخلقة » .

وسماوته : أعلاه . يقول : إذا رأت الماءَ على بُعد أسرعَتْ نحوه كإسراع السِّهام، لشدّة عطشها . وذَوب اللجين : ماذاب منه . واللُّجين : الفضة . والعَسجد : الذهب . يقول : تحسَب الماء لبياضه فِضّةً ذائبة ، فإذا طلعت عليه الشمس حَسِبتَه فضةً جرى عليها ذهب .

الخوارزمى : لمحه الأستاذ أبو إسماعيل الكاتب فى قوله :

إذا فطَمَتْه الشّمسُ فهو مُفَضَّضٌ وإنْ أرضعتْهُ مسَّ قُطْرَيهِ تذهيبُ

٢٩ (تَبِيتُ النُّجومُ الزُّهْرُ فى حَجَراتِهِ شَوارِعَ مِثْلَ اللُّؤلُؤِ المُتَبَدِّدِ)

التبريزى : الزُّهر : البيض، جمع أزهر وزهراء . وحَجَراته : نواحيه . وشوارع ، مِن شَرَع فى الماء إذا دخل فيه . معناه أنّ الإنسان إذا أشرف على الماء بالليل يَرَى النُّجوم فيه كما يراها فى السماء .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : هذا من قول العجّاج[1] :

باتت تظُنّ الكوكب السيارا لؤلؤةً فى الماء أو مِسْمارا

٣٠ (فَأَطْمَعْنَ فى أشْباحِهِنَّ سَوَاقِطًا عَلَى المَاءِ حَتَّى كِدْنَ يُلْقَطْنَ بِاليَدِ)

التبريزى : الهاء فى «أشباحهنّ» راجعةٌ إلى النجوم . والمعنى أنّها تلوح فى الماء على وجهه . وهذا المعنى مبنىٌّ على قول العجّاج :

باتتْ تظُنُّ الكوكبَ السّيّارا لؤلؤةً فى الماء أو مِسمارا

البطليوسى : الحَجَرات : النواحى . والشوارع : التى شرعت فى الماء أى دخلت فيه ، كما تشرع الدوابّ إذا وردت الماءَ لتشرب . واللؤلؤ : ماعظُم

(١) قبله كما فى الديوان ٢٣ :

يلمس الا الضفدع القرارا يركضن فى عرمضه الظرارا

من الجوهر. والمتبدِّد : المتفرق . والأشباح : الأشخاص ، واحدها شَبَح وشَبْح، بفتح الباء وتسكينها . شبّه النجوم الظاهرة فى الماء بلؤلؤ قد تبدّد . وهذا المعنى قد تداولته الشعراءُ قديمًا وحديثا؛ قال العجاج :

باتت تظنُّ الكوكبَ السيّارا فريدةً فى الماءِ أو مِسمارا

وقال البحترى يصف بركة الجعفرى[1] :

إذا النّجومُ تراءت فى جوانبها ليلًا حسبتَ سماءً رُكِّبتْ فيها[2]

وقد كرّر أبو العلاء المعرّى هذا المعنى فى مواضع كثيرةٍ من شعره ، ستراها إن شاء الله تعالى .

الخوارزمى : الضمير فى : « فأطمعن » و « أشباحهنّ » و « كدن » و « يلقطن » للنجوم .

٣١ (فَمَدَّتْ إلَى مِثْلِ السَّماءِ رِقَابَهَا وَعَبَّتْ قَلِيلًا بَيْنَ نَسْرٍ وَفَرْقَدِ)[3]

٣٢ (وَذُكِّرْنَ مِنْ نَيْلِ الشَّرِيفِ مَوَارِدًا فَمَا نِلْنَ مِنْهُ غَيْرَ شِرْبٍ مُصَرَّدِ)

التبريزى : الشِّرب : النصيب . والمصرَّد : المقلَّل ، والمنقَّص أيضا . أى إذا ذُكِّرن ما ترِده من نَيل هذا الممدوح قلّت[4] من شرب الماء .

(١) الجعفرى : قصر من قصور الخليفة جعفر المتوكل بن المعتصم قرب سامرا . وفيه قتل المتوكل سنة ٢٤٧ . و يقول فيه البحترى :

قد تم حسن الجعفرى ولم يكن ليتم إلا بالخليفة جعفر

و يقول فى مرثيته للمتوكل :

تغير حسن الجعفرى وأنسه وقوض بادى الجعفرى وحاضره

(٢) ب : « حسبت نجم سماء » صوابه فى أ والديوان ٣١٩ .

(٣) أ من البطليوسى : « السما برءوسها » حـ : « السماء رءوسها » .

(٤) فى الأصل : « فقللت » .

البطليوسى : شبّه الماء لمَا يبدو فيه من النجوم بالسماء ، وجعل الإبل قد عبّت بين النّسر والفرقد حين عبّت فى الموضع المقابل لهما من الماء . والنّيل : العطاء . والموارد : المواضع التى تُورَد من الماء . والمصرَّد : المقطوع . ويقال شرِب يشرب شَربا وشِربا وشُربا ، بالفتح والكسر والضم؛ وقرئ : ﴿ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الهيم ﴾ بالأوجه الثلاثة . فإذا أردت الماء فهو شِرب، بالكسر لا غير . ٥

الخوارزمى : الضمير فى : « فمدّت » للإبل . عنَى بمثل السماء موردًا شبيهًا بالسماء فى الرفعة والزرقة ، وفى ظُهور الكواكب فيه ، وفى الحَبَب الطافى عليه . ونحوه بيت العراقيّات[1] :

كأنّ السّماءَ لها منهلٌ عليه من الحَبَب الكوكبُ
فليس إلى نَيلها مطمحٌ[2] ولا لكواكبها مطلبُ ١٠

صَرّد السّقىَ : قَطعه دون الرِّى؛ وشِرْبٌ مصرّد . ولقد أصاب حيثُ وصفَها بتقليل الشُّرب من ذلك الماء، وإن كان أزرق ساميًا ذا نجومٍ كالسّماء ؛ لأنه يريد أنّ رغبتها عنه لرغبتها فى موارد الشريف .

٣٣ ﴿ وَلاحَتْ لَهَا نَارٌ يُشَبُّ وَقُودُهَا لِأَضْيَافِهِ فى كُلِّ غَوْرٍ وَفَدْفَدِ ﴾

التبريزى : الوَقود : الحطب . والوُقود : المصدر، بضم الواو؛ وَقَدتِ النّارُ تَقِدُ وُقودا . والفدفد : الغليظ من الأرض المرتفع . ١٥

---

(١) يعنى عراقيات الأبيوردى .

(٢) فى الأصل : « مطمع » والوجه ما أثبتنا من الديوان ص ٢٨ . وعجزه فى الديوان :

* وليس لكوكبها مقصد *

البطليوسى : لاحَتْ لهـا ، أى ظهرت . ويُشَبّ : يوقد . والوَقود، بفتح الواو : الحطب ؛ فإذا أردت المصدر جاز فتحُ الواو وضمّها. والغَوْر: المكان المنخفض . والفَدْفَد : المرتفع .

الخوارزمى : الضمير فى « لهـا » للإبل الشدقميّات. الفدفد، هى الأرض المرتفعة ذات الحصَى .

٣٤ (بِخَرْقٍ يُطيلُ الجُنْحُ فِيه سُجودَهُ وَلِلأَرْضِ زِىُّ الرَّاهِبِ المُتَعبِّدِ)

التبريزى : الخَرق من الأرض : الفلاة الواسعة تنخرق فيها الريح (١) . والجُنح : الليل، بضم الجيم وكسرها . وإطالة سجوده : طول لُباثه (٢) . وللأرض زىّ الراهب، يعنى السواد ؛ والمراد به شدّة الظلمة . والمتعبّد : المتذلّل . والواو فى قوله : « وللأرض » واو الحال .

البطليوسى : الخَرق من الأرض : الذى يُتخرّق فى الفلاة، وقيل هو الذى تنخرق فيه الرياح . وجِنح الليل وجُنحه، بالكسر والضم : ما أقبلَ منه وغشّى الأرض . وشبّه الليل لطوله بالساجد الذى قد أطال السجودَ لا يرفع رأسه . وجعل للأرض (٣) زىّ الراهب المتعبّد لاسودادها بالظّلام ؛ لأنّ من شأن الرُّهبان أن يلبَسوا المُسُوح .

الخوارزمى : الباء فى قوله : «بخرق» تتعلّق بقوله : « ولاحت» . الخرق، هى الأرض الواسعة ، فيها تنخرق الرياح . حسن وصفُه الجنحَ بالسُّجود لأنّ أعلى الجوّ بما فيه من أنوار النجوم وأضواء الكواكب يمازجه من البياض شىء ،

(١) انخراق الريح : شدّة هبوبها وتخللها المواضع .

(٢) اللباث، بالكسر والضم واللباثة أيضا بالضم : المكث . (٣) فى الأصل : «الأرض» .

فيُرى غيرَ مُظلم ، فكأنّ الجنح قد انخفض والتصق بالأرض حتى خَرَّ ساجدا .
وكثيرا مايجيءُ فى الشّعر أنّ أيدى الإبل تفلِى رءوس الظلام ، وعليه بيت السقط :

يعيس مثلِ أطراف المدارَى يخضن من الدُّجى لِمَمًا جِعادا

وإنّما يكون رأسُ الدجى كالمفلى بسنابك المطى أن لو كان رأسها على الأرض
موضوعا . وهذا معنى السجود . وبيت العراقيّات (١) :

فوطئتُ خَدّ اللّيلِ فوقَ مُطَهَّمٍ هُوجُ الرياح وراءه تَستحسِرُ (٢)

يقول : تلك الأرض لسعتها لا يقطعها الليل ألا بأناةٍ ولُبْث ، أو لأنّها مَهيبة لايَغْشَى
قاطعَها النّومُ ، فكأن الليل يطول . وكذا الجنح ، مع كونه مَخُوفا فيها ، يسجد لله تعالى ،
فكأنّه فيها يخاف . وهكذا الأرض فيه تترمّل (٣) بلباس المتعبدين ، وهو المِسْح ؛ فكأنّها
تَخاف . ونحوه بيت السقط .

يبيت مسهّدا والليلُ يدعو بضَوء الصُّبح خالِقَه ابتهالا (٤)

٣٥﴿ وَلَوْ نَشَدَتْ نَعْشًا هُنَاكَ بَنَاتُهُ لَمَاتَتْ وَلَمْ تَسْمَعْ لَهُ صَوْتَ مُنْشِدِ ﴾

التبريزى : النعش (٥) ، هو الكواكب الثلاثة التى تحتها أربعة كواكب ، التى
يقال لها بنات النّعش . شبّهت بحَملة النعش فى تربيعها . وهما حيِّزان من النجوم ،
يقال لأحدهما بنات النعش الصغرى ، والآخر بنات النعش الكبرى . وأراد لبيدٌ
أن يقول : «بنات نعش» فلم يستقم له الوزن فقال : «آل نعش» ، وذلك قوله :

(١) انظر ديوان الأبيوردى ١٤٢ . (٢) الاستحسار : الإعياء .

(٣) فيه : أى فى الجنح أو الليل . تترمل : تتلفف . وفى الأصل : « فيها يترمل » .

(٤) انظر ما سبق ص ٦٠٨ .

(٥) دخول « أل » فى مثل هذا نبه الأصل ، كما دخلت فى الحسن والعباس . والمألوف تجريده
من الكلام .

وإلّا الفَرْقَدَين وآلَ نَعْشٍ خَوالِدَ ما تحدَّثُ بانصرامِ (١)

والمعنى أنّ هـذا الليل من ظُلمته وأهواله ، لو نشـدت بناتُ نعشٍ نعشًا لم يُعْلِمها مُنْشِدٌ بمكانه . ويقال : نَشَدت الضّالّةَ ، إذا طلبتَها ، وأنشدتُها ، إذا عرّفتها . والطالب : [ناشد] (٢) ، والمعرِّف منشد . قال الشّاعر (٣) يصف بقر وحش :

٥ يُصيخ للنَّبْأة أسماعَه إصاخةَ النّاشد للمُنْشِدِ

الإصاخة : الاستماع إلى الشيء . والنَّبْأة : الصوت .

البطليوسى : يقال : نشدت الضالة نِشْدانًا فأنا ناشدٌ ، إذا طلبتها ؛ وأنشدتها فأنا مُنْشِد ، إذا عرّفتَ طالبَها بمكانها وهديتَه إليها . يقول : لو ضلّ نعشٌ بهذا الخَرْق لطلبتْه بناتُه إلى أن تموت ، ولم تجِدْ من يعرِّفها بمكانه . يريد أنّها ١٠ أرضٌ مَضَلّة ، إذا سلكها سالكٌ لم يهتدِ فيها السَّبيلَ ، وإذا فُقد فيها لم يُوجَد .

الخوارزمى : بنات نعش اثنتان ، إحداهما هى الصغرى ، والأخرى هى الكبرى . أما الصُّغرى فهى سبعةٌ من الكواكب ، أربعة منها نعش وهى : المتقدّمتان المضيئتان ، وتسمّيان الفرقدين ، والخفيّتان وراءهما ، وثلاثة بنات نعش ، وآخرها الجَدْىُ وهو المضيء الذى به تُتوخّى القِبْلة ؛ لأنّه لا يزول . وأما ١٥ الكبرى فهى أيضا سبعةُ أنجم إلا أنّها أضوأ من الصغرى ، أربعة منها نعش ، وثلاثة بنات ، وإلى جانب الأوسط منها السُّها ، وهو الذى به تُمتحَن الأبصار . وخَصّ منها بناتِ نعشٍ لأنّهم بها يجعلون الاهتداء ، إذْ لا تكاد تغيب . ولهـذا خُصّ فى بيت السقط :

---

(١) رواية الديوان ١٣٥ طبع فينا سنة ١٨٨٠ : « ما تحدث بانهدام » . وقبله :

٢٠ فهل نبئت عن أخوين داما على الأيام إلا ابنى شمام

(٢) فى الأصل : «والمعروف» . (٣) هو المثقب العبدى كما فى الكامل ٦٢ ليبسك والبيان للجاحظ (٢ : ٢٠٥) . وانظر الأمالى (١ : ٣٤) .

* غادرتنى كبناتِ نَعْشٍ ثابتـا (١) *

ومن ثَمَّةَ عيّنه بِشْرٌ فى قوله :

* أُراقب فى السّماء بناتِ نعشٍ (٢) *

نشـد الضالّة نِشدةً ونِشدانًا ، إذا طلبها ؛ وأنشدها ، أى عرّفها ، فالهمزة فيه للسلب ؛ لأنّ من أصاب ضالّته وعرَفها لم يطلُبها بعد ذلك . اللام فى قوله : « لــه » تتعلّق بمنشد ، وتقديمها على المنشـد وعلى الصوت المضاف إليه، ممـا لا يستطيبه الذوق .

٣٦ (وَتَكْتُمُ فِيهِ العَاصِفَاتُ نُفُوسَهَا فَلَوْ عَصَفَتْ بِالنَّبْتِ لَمْ يَتَأَوَّدِ) (٣)

التـبريزى : الهـاء فى قوله : « فيه » راجعة إلى الخَرْق . وكتْمُ الرياح العاصفاتِ [نفوسَها] فيه : ضعفُها فيـه للبعد . فلو عصفت بالنّبت لم يتأود : لم ينعطف ، لضعفها عن شدّة الهبوب .

البطليـوسى : يريد أنّها أرض مخوفة، لا يُقدم فيها أحدٌ على رَفْع صوته توقّيًا (٤) على نفسه، فإذا مرّت بها الرياحُ العاصفات ــ وهى الشديدة الهبوب ــ خفضت أصواتَها ، وسـتَرت نفوسها ، ولم تُقدم على أن تحرّك شـيئا من نباتها، لئلّا يُعلَم باجتيازها عليها . وقد كرّر هذا المعنى فى مواضعَ من شعره، (٥) كقوله :

(١) البيت من القصيدة ٥٤ فى سقط الزند . وعجزه :

* وجعلت قلبى مثل قلب العقرب *

(٢) من قصيدة لبشر بن أبى خازم فى المفضليات (٢ : ١٣٨ — ١٤٥) وهو البيت الخامس عشر . والقصيدة أيضا فى منتهى الطلب (١ : ١٥٥ — ١٥٨) مخطوطة دار الكتب . وتمام البيت :

* وقد دارت كما عطف الصوار *

(٣) الخوارزمى : « ولو عصفت » . (٤) فى الأصل : « توقعا » .

(٥) من القصيدة ١٥ من سقط الزند .

كأنّ الصَّبَا فيه تُراقِب كامنا يثور إليها من خِلال إكامِه

ومعنى يتأوّد : يتعطّف .

الخوارزمى : فى هذا البيت لطيفة ، وهى أنّ أبا العلاء وإن كان يذكر فى الظاهر مَهابةَ الأرض، بحيث تختفى فيها الرياح وتتنكّر فيها[1]، فإنّه يشير فى الباطن إلى سَعَتها . وهذا لأنّ المَهبّ إذا كان ذا سَعةٍ وانفراج فالرياحُ فيه تتفرّق وتتلاشى، فلا تؤثّر فيه تأثيرَها فى المهبّ الضيّق . والدليل عليه بيت السقط :

* ومَحْواةِ أرضٍ صَدّ مَحوةَ بُعْدُها[2] *

وقول رُؤبة :

* يُكِلُّ وَفْدَ الرِّيح من حيثُ انْخَرَقْ[3] *

فأبو العلاء يُرى فى الظاهر معنًى وفى الباطن معنًى آخر .

٣٧ (ولَمْ يَثْبُتِ القُطْبَانِ فيهِ تَخَيُّراً وَمَا تِلْكَ إلَّا وَقْفَةٌ عَنْ تَبَلُّدِ[4])

التبريزى : القطبانِ : قطب الشمال وقطب الجنوب ؛ وقطب الشمال ظاهر، وقطب الجنوب لا يظهر . والتبلّد : أن يعجز الإنسانُ وغيره عمّا يريد ، فلا يُسرِع ولا يبرح من مكانه ، وذلك مِن قولهم بَلَّدَ بالمكان، إذا أقام به .

البطليوسى : يقول : ليس ثباتُ القطبين فى هذا الخَرْق عن اختيارٍ منهما وموافقةٍ لهما، ولكنّها وقفةُ مَنْ قد حار وتبلّد لهول هذا القفر وتعذّر المخلص[5] منه لمن حصل فيه . ووَصْفُه هذا القفرَ بثبوت القطبين معا فيه ، يوجِب أن يكونَ تحت

(١) فى الأصل : « فيه » . (٢) محوة : اسم معرفة لريح الشمال . والبيت من القصيدة ٦٧ . وعجزه : * وحى المنايا من أساودها نشط *

(٣) وفد الريح : أولها . حيث انخرق ، أى حيث صار خرقا . وفى الأصل : «انخرق» صوابه من ديوان رؤبة . (٤) التبريزى والتنوير والمتن المخطوط : « تحيرا » وهى رواية ضعيفة ، أشار إليها الخوارزمى فى شرح هذا البيت . (٥) ا : «التخلص» .

خط الاستواء؛[1] لأنّ القطب الجنوبيّ والقطب الشماليّ لا يُرى موضعُهما معًا إلّا هناك . وقد يمكن أن يكون أراد القُطب الشمالى الذى نشاهده، وقطب دائرة فلك البروج الذى تدور حولَه . وذلك أنّ دائرة فَلَك البروج تُقاطع دائرة فلك معدّل النهار على نقطتين : إحداهما رأس الحَمَل، والثانية رأس الميزان . ويدور قُطباها حول قُطبَىْ معدّل النهار . وقطبا دائرة معدّل النهار ثابتان، لا حركة لها . فإن قيل: كيف جعل قطب دائرة فلك البروج ثابتًا وهو متحرّك حول قطب دائرة معدّل النهار؟ فالجواب عن هذا من وجهين : أحدهما أنّه لازمٌ لمكانه من دائرة فلك البروج وإن تحرّك حول قطب النهار . والثانى أنّ لزوم الشىء بحالةٍ واحدة يسمّى ثباتا وسكونا ، وإن كان متحرّكا . وبهذا الوجه يصحّ أن يُقال للمتحرّك الذى لا ينتقل عن طبيعته ساكن . وإنّما استحال كلامُه إذا حُمل على أنّه أراد قُطبى دائرة معدّل النهار لبُعْدِ ما بينهما ، وأنّه لا يمكن أن يشتمل عليهما موضعٌ واحد ؛ لأنّ أحدهما فى الشمال حيث مدارُ بنات نعش، والثانى فى الجنوب حيث مدار سهيل؛ ولا يُريان معًا إلا تحت خطّ الاستواء. ولم يَدخُل المعرىّ فى ذلك الموضع ولا قارَبه. وقد يمكن أن يريد القطب الجنوبىّ والشمالىّ ، كأنّه أراد أنّ هذا القَفْر لسَعته وبُعد أقطاره كأنّه قد اشتمل على القُطبين معًا وإن لم يكن كذلك . على أن كل دائرةٍ فى الفَلَك لها قُطبان متوهَّمان ؛ وبهذا الوجه تكثر الأقطاب . غير أنّهم إذا قالوا القطبان فإنّما يشيرون إلى قُطبَى معدّل النهار، وهما قطبا الحركة الأولى .

الخوارزمى : القطبان هما الشمالىّ وحوله بناتُ نعشٍ الصغرى ، والجنوبىّ وهو يقابل الشمالىّ ويدور حوله كوكبُ أسفل من سُهيل . قوله : «تخيرا»

(١) أى تحت خط الاستواء السماوى .

بالخاء المعجمة، أى اختيارا. وكان الأستاذ البارع[1] — جزاه الله عنى خيرا — قد أسمعنيه بالحاء، وهو تصحيف. تبلّد، أى تكلّف البلادة. يقول: ثبوت القطبين فى هذه المفازة ليس لأنّهما اختارا ذلك، بل لأنهما لا يدانِ لهما بقطعها، فكأنّهما يتبلّدان. وفيه تصريحٌ بأن تلك المفازة لسعتها تشتمل على القطبين.

٣٨ (فَمَرَتْ إذَا غَنَّى الرَّدِيفُ وَقَدْوَنَتْ تَزِفُّ زَفِيفًا كالنَّعَامِ المُطَرَّدِ)[2]

التبريزى: الرديف: الذى يكون خلف الراكب يشاركه فى ركوب المطيّة، يقال له رِدْف ورَدِيف. وزَفّت النّعام، إذا مشتْ مَشْيًا متقاربَ الخطو سريعًا. وقد يستعمل ذلك فى الإنسان.

البطليوسى: ونت: فترت وأعْيت. وزَفّتْ: أسرعت. يقول: إذا ونَتْ فى السير، ثمّ سمِعت غناءَ الرّديف بمدح الشريف طرِبت وزال إعياؤها، وأسرعت كإسراع النّعام المطرود. وهذا نحوٌ من قول أبى الطّيب المتنبى:

نَضَحْتُ بِذِكراكُمْ حَرارَةَ قلبِها فسارتْ وطُولُ الأرضِ فى عَينها شِبْرُ[3]

وقولِه:

شَدَوْا بِابنِ إسحاقَ الحُسينِ فَصافَحَتْ ذَفارِيَها كِيرانُها والنَّمارِقُ[4]

(١) هو أستاذه شمس الدين ناصر بن عبد السيد بن على المطرزى المتوفى سنة ٦١٠. انظر ما سبق فى ص ١٨ من هذا الجزء.

(٢) البطليوسى والخوارزمى والتنوير: «بذكراه زفت كالنعام».

(٣) النضح: الرش بالماء. والضمير فى «قلبها» للعنس فى بيت قبله.

(٤) الذفارى: جمع ذفرى، وهو موضع العرق خلف الأذن. والكيران: جمع كور الرحل. والنمارق: جمع نمرقة، وهى الوسادة تكون تحت الراكب. قال العكبرى (١ : ٤٥٤): «يقول: لمّا غنوا بمدح الممدوح نشطت الإبل للسير فرفعت رءوسها حتى ضربت بذفرياتها كيرانها».

الخوارزمى : قوله : « فمرّت » معطوف على قوله : « ولاحت لها نار » . الضمير فى «مرّت» و «زفّت» و «ونت» ، للإبل . الباء فى قوله : « بذكراه » تتعلّق بقوله : «غنّى» . فى أمثالهم : «أشرَدُ من خَفَيْدَد، ومن ظَليم، ومن نَعام» كلّها بمعنى .

٣٩ (يُحَاذِرْنَ وَطْءَ الْبِيدِ حَتَّى كَأَنَّمَا يَطَأْنَ بِرَأْسِ الْحَزْنِ هَامَةَ أَصْيَدِ)

التبريزى : المعنى هذه الإبل يجتهدن ألّا يطأن الأرضَ بأخفافهنّ، لسرعتهنّ[1] فى السير، فكأنّ الرّابيةَ التى تلقاهنّ هامةُ أصيَد ، وهو الملك الذى فى رأسه صَيَدٌ، أى مَيَلٌ من الكِبْر .

البطليوسى : يقول : لخفّة وطئها وسُرعة مَرِّها[2]، كأنها تخاف أن تطأ القفار، ويُخيَّل إليها أنّها إذا وطئت حَزْنًا فقد وطئت هامة ملكٍ أصيد ، فهى لا تمس بأخفافها الأرض . والبيد : الفلوات التى تُبيد من سَلَكها، واحدتها بيداء . والحَزْن : المرتفع من الأرض . والهامة : الرأس . والأصْيد : الملك الذى لا يلتفت لعِظَم نَفْسه، شُبّه بالبعير الأصيد، وهو الذى لا يستطيع أن يَثْنى عُنُقَه لِدائه . وهذا البيت نحوٌ من قوله فى موضع آخر :

ولو وَطِئَتْ فى سَيرها جَفْنَ نائمٍ[3] لمرَّتْ ولمّا يَنْتَبِهْ من منامِه

الخوارزمى : الباء فى «برأس الحزن» للتجريد . وخصّ رأسَ الحَزْن لأنّه بحصاهُ يؤذى أخفافَ الإبل، فلا تكاد تُوقِع فيه خُفًّا إلاّ رفعَتْه بسرعةٍ مخافة الحفا . ومحصولُ معنى البيت أنّ هذه الإبل فى سيرها تُسرِع . ولقد أحسنَ حيث استعار للحَزْن رأسا؛ لأنّ هذه استعارةٌ تفيد المشبَّه تقريبا من المشبَّه به .

(١) فى الأصل : «لرغبتهنّ» . (٢) فى حـ : «سيرها» .
(٣) انظر البيت ٣٤ من القصيدة ١٥ .

٤٠ (وَيَنْفِرْنَ فِي الظَّلْمَاءِ عَنْ كُلِّ جَدْوَلٍ نِفَارَ جَبَانٍ عَنْ حُسَامٍ مُجَرَّدِ)

التبريزى : الجدول : النهر الصغير ، يشبّه بالسيف، ويشبّه السيف به .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الجدول يشبه بالسَّيف لبياضه وامتداده . وفى عراقيّات الأبيوردىّ يصف نهرًا قد أظلّته الأزاهرُ :

وتُظهرهُ طورًا وطورا تُجِنُّه فتحسَبه سَيْفًا يُسَلُّ ويُغمدُ[1]

وعلى خلاف ذلك يشبّه السيفُ بالجدول . ومنه بيت السقط :

أقْبلوا حاملِي الجداولِ فى الأغْ ـمادِ مُستلئمين بالغُدرانِ

يقول : هذه الإبل لسرعة سيرها تنفر عن كلّ جدولٍ . وكيف لا تنفر وظاهرُه ظاهرُ حسامٍ عن غِمده معرًى .

٤١ (تَطَاوَلَ عَهْدُ الوَارِدِينَ بِمَائِهِ وَعُطِّلَ حَتَّى صَارَ كالصَّارِمِ الصَّدِى)

التبريزى : المعنى أنّ هذا الجدول لا يُورَد ، فعليه طُحْلُبٌ[2] ، فكأنّه صارمٌ صدِئٌ . يقال : صدِئَ السيف يصدأ صَدَأً فهو صدِئٌ . وقد خفف الهمزة فى « الصَّدِى » .

البطليوسى : الجدول : النهر . يقول : إذا أُورِدَتْ جداولَ الماء فى الظلام نَفرت منها نِفار الجبان[3] عن السَّيف المسلول . فجمع فى هذا الكلام شيئين : أحدهما تشبيه الجدول بالسَّيف المسلول . والثانى أنّه وصفَها بقلّة حاجتها إلى شرب الماء وإعراضها عنه . ونحوه قوله فى موضعٍ آخر :

(١) قبله كما فى الديوان ص ١٠٥ :

ونحن على أطراف نهر تظله أزاهيرها والشمس فيه توقد

(٢) فى الأصل : « ضب » بهذا الإهمال . (٣) حـ : « بعدت منها بعاد الجبان » .

إذا اشتاقت الخيلُ المناهلَ أعرضَتْ عن الماء فاشتاقتْ إليها المناهلُ

وقوله : «وعُطِّل» ، أى تُرِك ولم يُسْتَقِ[1] منه شيء . والصّارم : السيف القاطع . والصّدِى : الذى علاه الصدأ ، وأصله الهمز نخفف . شبّه الماء حين علاه الطحلبُ بسيف قد علاه الصدأ .

الخوارزمى : لمّا شبه الجدول بالسيف المجرَّد شبّهه ثانيا وقد علاه العِرْمِض بالسَّيف الصّدِى ؛ لأنّ كلَّ واحدٍ منهما مَنفورٌ عنه ، أخضرُ من حيث الظّاهرُ ، أبيضُ من حيث الباطن . والصّدِى مع تطاولَ عهدُ الواردين بمائه ، إيهام .

٤٢ (إلَى بَرَدَى حَتَّى تَظَلَّ كَأَنَّهَا وَقَدْ شَرَعَتْ[2] فِيهِ لَوَاثِمُ مِبرَدِ)

التبريزى : بَرَدَى : اسم نهر ، فَعَلَى مؤنثة . فى شعر حسّان :

يَسقُون مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عَليهِمُ بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرّحيقِ السَّلسلِ

بريص[3] : موضع بدمشق . وقال : « بردى » فأنّث ، ثم قال « يصفّق » فأخبر عن مذكّر ، فكأنه أراد ماء بردى[4] . يصفّق : أى يُمزج . والرحيق : الخمر الصافية ، وقيل الدِّيمة[5] . والسلسل : السهل الدُّخول فى الحلق .

البطليوسى : بردى : اسم نهر قد ذكره حسّان بن ثابت فى قوله :

يَسقون من ورد البريص[6] عليهم بَرَدَى يصفّق بالرحيق السّلسلِ

(١) حـ : «يشتق» تحريف .

(٢) رواية الخوارزمى : «شرعت» بتشديد الراء وضم الشين . ورواية البطليوسى والديوان المخطوط : « كرعت » .

(٣) بريص ، بالصاد المهملة فى آخره . وقد ورد فى الإنشاد والشرح بالضاد المعجمة ، وهو تحريف .

(٤) فى الأصل : « ما برد » .

(٥) كذا فى الأصل ، ولم نجد هذا المعنى فى المعاجم .

(٦) فى الأصل : « البريض » صوابه بالصاد المهملة .

وتظلّ : تُقيم . والكُروع : الدخول فى الماء لتشرب، وأصله فى ذوات الأكارع من الحيوان، ثم استُعير فى غيرها . وشبّه الماءَ لتكسُّره وما فيه من الطرائق بالمبْرَد .

الخوارزمى : قوله : « إلى بردى » من صلة «ينفرن» . بَرَدَى، بفتحات : نهر بدمشق . وفى شعر حسان :

* بَرَدَى يصفَّقُ بالرَّحيق السَّلسلِ *

سمّى بذلك لبرودة مائه[1] . شُرِّعَت : فعل مبنىٌّ للفعول من التشريع[2] . الضمير فى « فيه » ينصرف إلى كلّ جدول لا إلى بردى . شبّه الماء بالمبرد لأنّ كلّ واحدٍ منهما عند الإبل مُحترَزٌ عنه محذور، ولأنّ الماءَ عند مرور الصَّبا بِهِ يظهر فيه تكسّر شبيه بتكسّر المبرد . وفى عراقيات الأبيوردى :

وأَجْنُبُه الرِّىَّ الذّليلَ وقد جَلَتْ على الوِرْدِ أنفاسُ الصَّبا مَتْنَ مِبْرَدِ[3]

« وبردى » مع « المبرد » تجنيس .

٤٣ (أَرَى المجدَ سيفًا والقَرِيضَ نِجَادَهُ ولَوْلا نِجادُ السَّيفِ لَمْ يَتقلَّدِ)

٤٤ (وخَيْرُ حَمَالاتِ السُّيُوفِ حَمَالةٌ[4] تَحَلَّتْ بِأَبْكارِ الثَّناءِ المُخَلَّدِ)

التبريزى : حِمالة السيف ، بالكسر : عِلاقته . والحَمالة [بالفتح] : ما تحمله من غُرم أودية .

(١) فى الأصل : « سميت بذلك لبرودة مائها » .

(٢) التشريع : إيراد الإبل شريعة لا يحتاج معها إلى نزع بالعلق ولا سق فى الحوض . والعلق، بالتحريك : جمع علقة، وهى البكرة وأداتها، أى الخطاف والرشاء والدلو .

(٣) أى لا أورد هذا الفرس موردا فيه الذل . وقبله : كما فى الديوان ص ٩٣ :

أفيض عليه شكتى وأخيضه دجى الليل والأعداء منى بمرصد

وفى الأصل : « الرى الدليل » صوابه بالذال المعجمة ، كما فى الديوان .

(٤) فى الأصل : « حمالات السيوف » .

البطليوسى : المجد : الشرف . والقَريض : الشِّعر . والنِّجاد : حمائل السّيف ، واحدها حِمالة . يقول : القريض للمجد كالحمائل للسيف ، ومن شأن حمائل السيوف أن تُحلَّى وتزيَّن ، وخير ما زُيِّنت به ثناءٌ بكرٌ لم يتقدّم له نظير ، يكون مخلَّدا على الأيام .

الخوارزمى : قال الغورىّ : النجاد : ما وقع على العاتق من حِمالة السّيف . ٥

٤٥ (وَأَعْرَضَ مِنْ دُونِ اللِّقَاءِ قَبَائِلٌ يَعُلُّونَ خُرْصَانَ الوَشِيجِ المُقَصَّدِ) (١)

التبريزى : الخُرصان : الأسنّة . والوشيج : أصول الرِّماح . والمقصَّد : المكسَّر، والكِسَر يقال لها القِصَد، واحدتها قِصْدة . ويعُلّونها : يسقونها . والعَلَل : الشُّرب الثانى؛ والنَّهَل، الأوّل . يقال : علّه يَعلّه ويعُلّه . ١٠

البطليوسى : يقال : أعرض الشيءُ، إذا ظهر . وأصله أن يُظهر إليك عَرْضه، أى سعته، أو عُرْضه، وهو جانبه . وقوله : « يَعُلّون » أى يسقونها من الدم مرّة بعد مرّة . والخرصان : أسنّة الرماح، واحدها خُرص وخَرص وخِرص، بالضم والفتح والكسر . والوشيج : الرماح، وأصله أصول الرماح، ثم سمّيت الرماح كلُّها وشيجاً . والمقصّد : المكسّر من كثرة الطعن به . ١٥

الخوارزمى : فى أساس البلاغة : « أعرض لك الشيء ، إذا أمكنك من عُرضه» . احتذى أبو العلاء فى المصراع الأخير بقول أبى فراس رحمه الله :

---

(١) رواية الخوارزمى : « يقنون » . أقنى الشيء : حمله ورفعه .

هُمُ عضَلوا عنـد العداء وأصْبحُوا (١) يهزّون أطرافَ العريضِ المقصَّدِ

وقد احتذى بهما جمال العرب الأبيوردىّ فى قوله :

لَكَ اللهُ من ماضٍ على الهَول والعِدَى يهزّون أطرافَ الوشيجِ المسدّدِ

والخرصان : جمع خرص ، بتحريك الخاء على الحركات الثلاث ، وهو السنان .

٤٦ (غُوَاةٌ إذا النَّكْبَاءُ حفَّتْ بُيُوتَهُمْ أقَامُوا لَهَا الفُرْسَانَ فى كُلِّ مَرْصَدِ)

التبريزى : غُواة : جمع غَوِىّ (٢) . وحفّ [الشىءَ (٣) و] بالشىء واحتفّ به ، بمعنى واحد . والنّكباء : كلّ ريح تهبّ بين مهبّى ريحين . وإنما أقاموا الفرسان ليصطادوها ، كأنه أراد مبالغةَ غَيِّهم (٤) .

البطليوسى : الغواة : الضُّلّال ، واحدهم غاوٍ . والنَّكْباء : الريح التى تنحرف عن مَهَبّ الرياح . والمرصد : الموضع الذى يُرصَد فيه . وأخذ هذا من الحديث المروىّ : «أنّ عادًا لمّا أرسل الله عليهم الريحَ العقيمَ برزوا إليها ليدفعوها عن بلدهم» .

الخوارزمى : النكباء ، هى الريح التى تَنَكّب عن مهابّ الرياح . وكأنّه يعنى بها هاهنا التى بين الصبا والشمال . يروى : «فى كل مرصَد» ويروى «فى كلّ مَقْصد» .

---

(١) كذا ورد استشهاد الخوارزمى بهذا البيت . وصواب روايته :

هم عضلوا عنه الفداء وأصبحوا يهذون أطراف القريض المقصد

والبيت من قصيدة يطلب فيها من سيف الدولة أن يفتديه من إساره ؛ وإلا كان موقفه منه موقف الزراريين من معبد بن زرارة حين أبوا أن يفتدوه . وقبل البيت :

فإن مت بعد اليوم عابك مهلكى معاب الزراريين مهلك معبد

يهذون ، يقال : هذ القرآن والحديث ، إذا أسرع فى قراءتهما ، والقريض : الشعر ، والمقصد : الذى جمل قصائد . وهو فى ذلك اللفظ يلمح قول شريح بن الأحوص فى تعييرلقيط أخى معبد لتقصيره فى افتداء أخيه :

رفعت برجليك فوق الفراش تهذ القصائد فى معبد

انظر الأغانى (١٠ : ٣٢) .

(٢) كذا ، فيكون من شواذ هذا الباب ، وقياسه أن يكون جمع « غاو » . (٣) تكملة يقتضيها نظام شرح البيت . (٤) أى إفراطهم فى الغى . وفى الأصل : « مبالغة عنهم » .

٤٧ ﴿يُطيعونَ أَمرًا من غَوِىٍّ كأنَّهُ عَلَى الدَّهرِ سُلطانٌ يَجُورُ ويَعتَدِى﴾

التبريزى : يعتدى : يفتعل، من العُدوان، وهو الظّلم .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : مِن غوىٍّ ، أى من أميرٍ غوِىّ .

٤٨ ﴿إذا انفرتْ من رَعْدِ غَيْثٍ سَوامُهُ سَعَى نَحْوَهُ بالمَشْرَفِىِّ المُهَنَّدِ﴾

التبريزى : سوامه : إبله السائمة . وهذا يؤكّد المبالغة فيما تقدّم من وصفهم بالغَىّ .

البطليوسى : الغَوِىّ والغاوى : الضالّ . ويعتدى : يظلم . والغَيث : المطر . والسَّوام : المال الذى يَسرح فى المرعى . والمشرفىّ : السيف ، نُسب إلى المشارف، وهى قُرًى من بلاد العرب كانت تُشرف على الرِّيف، وكانت السيوفُ تُطبَع بها ؛ هذا قول الأصمعىّ . وقال أبو عبيدة : نُسبت إلى رجلٍ كان يَطبع السّيوفَ يسمَّى مَشْرَفًا .

الخوارزمى : المشرفىّ فى : «أعن وخد القلاص»[1] . ومعنى البيت مثل قوله :

غُواةٌ إذا النكباءُ حَفّتْ بيوتَهم أقاموا لها الفُرسانَ فى كلّ مَرصَدِ

٤٩ ﴿وقد علمتْ هذى البَسيطةُ أنَّها تُراثُكَ فَلتَشْرُف بذاكَ وتَزْدَدِ﴾

التبريزى : هذى البسيطة ، أى هذه البسيطة، وهى الأرض . وقوله : « فلتشرف » أى البسيطة بكونها تُراثك . والتراث : [الميراث]، والتاء منقلبة من واو ورث .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : التاء فى « تراث » بدل من الواو، ونظيره تُجاه .

(١) انظر ص ١٠٢ .

٥٠ (وإنْ شئتَ فازعُمْ أنّ مَنْ فوقَ ظهرِها عَبيدُكَ واستشهدْ إلهَكَ يَشْهَدِ)[(١)]

التبريزى : قال[(٢)] : إلهك بمعنى هواك ؛ قال الله تعالى : ﴿ أفرأيتَ مَنِ اتّخذَ إلهَهُ هواهُ ﴾ .

البطليوسى : سياتى .

الخوارزمى : أضمر مفعول «شئتَ» استغناءً عنه بذكره فى مقام الجزاء . وتقديره : فإن شئتَ أن تزعم أنّ مَن فوق ظهرها عبيدُك فازعُم . وتَرْكُ مفعولِ المشيئة بعد حروف الجزاء فى الكلام البليغ كثير ؛ ومنه : ﴿ولَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الهُدَى ﴾ ، وقولُ البحترى :

لو شئتَ لم تُفسِدْ سماحةَ حاتمٍ كرَمًا ولم تَهدِم مآثرَ خالدِ

وقولُ طرفة :

إذا شئتُ لم تُرقِلْ و إن شئتُ أرقلَتْ مخافةَ مَلْوِىٍّ من القِدِّ محصَدِ

وأمّا قولَه[(٣)] :

* فلو شئتُ أن أبكى دمًا لبكيتُه[(٤)] *

فإنّ مفعول المشيئة هاهنا لمّا كان أمرًا غريبًا صرّح بذكره ليقرِّره فى نفس السامع ، كما لو قلت : لو شئتُ أن أملكَ الدّنيا لملكت . ومثله قولُ الجوهرى :

فلم يبقِ منّى الشّوقُ غيرَ تفكّرى فلوشئتُ أن أبكى بكيتُ تفكّرا

وفيه سرٌّ ، أرى فى الظاهر أنّه أراد بقوله «إلهك» الله تعالى ، ولعلّه تأوّله على ما ذكره فى شرح الخطبة[(٥)] بالهوى ؛ قال الله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إلهَهُ هواهُ﴾.

---

(١) الخوارزمى : « فاستشهد إلهك » بالفاء . (٢) أى أبو العلاء .

(٣) هو أبو يعقوب الخريمى ، كما فى الكامل ٣ ٠ ٧ ليبسك وديوان المعانى (٢ : ١٧٥) .

(٤) تمامه : * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع *

(٥) لعله يعنى شرح أبى العلاء لخطبة الفصيح . انظر تعريف القدماء بأبى العلاء ص ٤١ .

٥١ ﴿وَذِكْرُكَ يُذْكِي الشَّوقَ فِي كُلِّ خَاطِرٍ وَلَوْ أَنَّهُ فِي قَلْبِ صَمَّاءَ جَلْمَدِ﴾

التبريزي : يقول : لو خَطَر[1] ذِكرك فى قلب صخرةٍ لالتهبتْ شوقًا إليك .

البطليوسي : البسيطة : اسمٌ واقع على الأرض كلِّها سهلِها وجبلِها ؛ لقوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ . والخاطر : الذهن ، وما يخطرُ بالقلب . والصماء : الصخرة الصُّلبة ، وكذلك الجَلْمَد ، بفتح الجيم والميم ؛ فإذا زِدتَ فيه واوًا ضممْتَ الميم والجيم فقلت جُلمود . ومعنى شهادة الله تعالى أن الله جعل قريشًا وُلاةَ الأمر بعد نبيِّه صلى الله عليه وسلم ، فالإمامة لهم لا يُنازعهم فيها منازع . وقد قال صلى الله عليه وسلم : «الأئمة من قريش» . وقد قال فى علىّ عليه السلام : يوم غدير خُمّ[2] : « مَن كنتُ مولاه فعلىٌّ مولاه » .

الخوارزمي : ... ...

(١) فى الأصل : « لو نظر » .
(٢) هو بضم الخاء ، غدير معروف بين مكة والمدينة بالجحفة .

[القصيدة التاسعة][1]

وقال أيضا فى الطويل الأوّل والقافية متواترة[2] :

١ ﴿أَعَارِضَ مُزْنٍ أَوْرَدَ البَحْرَ ذَوْدَهُ ۝ فَلَمَّا تَرَوَّتْ سَارَ شَوْقًا الَى نَجْدِ﴾

التبريزى : العارض : السحاب يعرض فى السماء . أورد البحر ذَودَه ، أى استقَى من ماء البحر . يقال غمامة بَحْرِيّة . وفى الحديث : « إذا نَشَأَتْ بَحرِيّةً ثمّ تشاءمتْ فهى سحابةٌ غزيرة[3] » . قال قيس بن الخطيم :

كَشَقِيقةِ السِّيَراء أو كغمامةٍ[4] ۝ بَحْرِيَّةٍ فى عارضٍ مجنوبِ

الخوارزمى : سيأتى .

٢ ﴿سَمَا نَحْوَهُ مَلْكُ الرِّيَاحِ بِجُنْدِهِ ۝ فَمَزَّقَــهُ دُونَ الإِرَادَةِ والوُدِّ﴾

التبريزى : كأنّه مزّقه قبل أن يصل إلى هذه الأرض التى تعمّدها .

الخوارزمى : الهمزة فى : « أعارض مزن » للإنكار . والفعل المنكر فى البيت الثالث يجىء . و «عارضَ مزن» منصوب على المفعوليّة ؛ لأنّ محصول الكلام : أعارضَ مزن بكيتَ له . وهذا كما تقول زيدًا سمّيت به . وكان الأستاذ البارع — جزاه الله عنّى خيرا — قد أسمعنيه بالرفع ، وهو ليس بشىء . وقوله : « أورد البحر ذوده » ... البيتين ، إمّا فى محل النصب على أنهما صفة عارض ، وإمّا فى محلّ الجرّ على أنّهما صفة مُزْن . مَلْك : تخفيف مَلِك .

---

(١) هذه القصيدة لم نجدها فى لدينا من نسخ شرح البطليوسى . (٢) فى شرح الخوارزمى : « والقافية من المتواتر » . (٣) تشاءمت : أخذت نحو الشأم . وفى الأصل : « تشامت » تحريف . ورواية الحديث فى اللسان (شأم) : « فتلك عين غديقة » .

(٤) السيراء، بكسر ففتح : نوع من البرود فيه خطوط صفر ، أو يخالطه حرير . والعارض : السحاب يعترض فى الأفق . والمجنوب : الذى تسوقه ريح الجنوب . فى الأصل : « أو كهامة » صوابه ما أثبتنا .

٣ (بَكَيْتُ لَهُ إذْ فَاتَهُ ما يُرِيدُهُ وماشَوْقُهُ شَوْقِي ولا وَجْدُهُ وَجْدِي)

التـبريزى : ... ...

الخـوارزمى : « بكيتُ له » هو الفعل المنكَر . يقول : كيف بكيتُ لذلك العارض، وتركتُ نفسي وما بها من العارض، مع أنَّ ما عنده من الشّوق يقصر عما عندى، ووَجْدُه ألبتّة لا يُوازى وَجْدى .

٥

٤ (كَذَاكَ اللَّيالِي لا يَجُدْنَ بمَطْلَبٍ لِخَلْقٍ ولا يُبْقِينَ شَيْئاً عَلَى عَهْدِ)

التـبريزى : ... ...

الخـوارزمى : يعنى لا يتركن شيئاً على ما عهد عليها من الحال .

[القصيدة العاشرة]

وقال أيضا فى الطويل الثالث والقافية من المتواتر :

١ (وَرَائِى أَمَامٌ والأَمَامُ وَرَاءُ إِذَا أَنَا لَمْ تُكْبِرْنِى الكُبَرَاءُ)

التبريزى : المعنى أنّى إذا كنت مستقبِلًا أمرًا فلم تكبِرْنى الكبراء، رجعتُ إلى خَلْفى ؛ وكذلك أفعل فى جميع الأمور . وإذا : ظرفٌ وقع موقعَ الحال ، والعامل فى الظرف ما دلّ عليه الكلام المتقدّم مِن معنى الفعل . ألا ترى أنّ معناه : يستوى عندى الأمران إذا لم أُكرم .

البطليوسى : يقول : إذا الكبراء لم يوفُّونى حقّى، ولم يَعلموا لى مكانى من الفضل وسبْق، فارقْتُهم مُجِلا، وأدبرتُ عنهم مرتحلا بعد أن كنت مُقْبِلا ، فصار أمامى وراءً، وورائى أماما . ويمكن أن يريد: جَعل اللهُ أمامى وراء، وورائى أماما، إذا لم أكنْ أهلًا لأن أُكْبَر وأُعَظَّم ، وحقيقًا بأن أُوثَر وأُقَدَّم ؛ فيكون كلامًا خرج مَخرج الإخبار ومعناه الدّعاءُ على نفسه؛ كما تقول : غفر الله لزيد، وأنت غير مخبرٍ بأنّ المغفرةَ قد حصلت له ، إنّما أنت راغبٌ إلى الله وداعٍ له بأنْ يَهَبَ له المغفرة .

ونحوٌ من هذا الدّعاء قول المتنبّى :

١٥ عيونُ رواحلى إن حِرْتُ عينى وكلُّ بُغَامِ رازحةٍ بُغَامِى[1]

الخوارزمى : المِصراع الأوّل يحتمل ثلاث معانٍ، إحداها: ينعكس أمرى ولا ينتظم حالى . الثانية : تستوى جميع الأمكنة والآفاق لدىّ لا يُلِيقنى[2] بلد دون

(١) حرت : من الحيرة، أى تحيرت . والرازحة : الناقة التى سقطت من الاعياء . انظر الديوان (٢ : ٣٧٢) . (٢) ألاقه يليقه : أمسكه . يقال : ما يليق درهما من جوده، أى ما يمسكه .

بلد، ولا منزلٌ دونَ منزل . الثالثة : أتحيَّر وأتردّد إذا لم يَعرف قدرى ومنزلتى كُبراءُ الناس . قال :

وأصبح لا يَدرِى و إن كانَ حازماً أَقُدّامُه خـيرٌ له أم وراؤُهُ

٢ ﴿بِأَىِّ لِسَانٍ ذَامَنِي مُتَجَاهِلٌ عَلَيَّ وَخَفْقُ الرِّيحِ فِيَّ ثَنَاءُ﴾

التبريزى : يقال : ذامه يَذيمه، إذا عابه . والذام والذَّيْم : العيب، وكذلك الذّان والذَّيْنُ ، والذابُ والذَّيْبُ . قال (١) :

* بها أَفْنُها وبها ذَانُها *

يقول : إذا مرّتْ بىَ الرّيح أثنتْ علىّ، فكيف يذمُّنى من يجهلنى أو لا يعرفُ قـدرى .

البطليوسى : يقال ذامه يَذيمه ذَيْمًا، وذأمه بالهمز يذأمه ذَأْمًا، إذا عابه وتنقّصه . قال الله تعالى : ﴿ اُخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا ﴾ (٢) . والمتجاهل : الذى يظهر أنه جاهل بالأمر وهو عالم به . وخَفْقُ الريح : صوتها وحنينها عند الهبوب . يقول : كيف استطاع هذا الجاهل أن يَذيمنى، وأىُّ لسانٍ ساعَدَه على أن يَعيبنَى، وكل شىءٍ (٣) يعترف لى بالفضل، ويشهد لى بالنباهة والنبل . وكان اللائق (٤) أن يقول: وخفق الريح علىّ ثناء؛ لأن المستعمل فى اللغة أن يقال أثنيت عليه، ولا يقال أثنيت فيه . ولكن وضع " فى " موضع " على " ، وجاز ذلك لأنهما يَؤُولان فى هـذا الموضع إلى معنى واحد . ألا ترى أنها إذا أثنت عليه فقد ذكرتْ ما فيه من

(١) هو قيس بن الخطيم من قصيدة له فى ديوانه . وصدر البيت :

* رددنا الكتيبة مفلولة *

(٢) انظر الآية ١٨ من سورة الأعراف . (٣) ا : « وكل أحد » .

(٤) ب : « وكان ينبغى » .

المحاسن. ومثله قولُه تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ أى على جذوع النخل؛ لأنّ مَن صُلب عليها فقد صار فيها. وهذا البيت مخالفٌ لسائر أبياتِ هذه القطعة؛ لأنه التزَمَ فى جميعها الراءَ والهمزة، إلّا فى هذا البيتِ وحدَه.

الخوارزمى : عنى بالمتجاهل المتسافِهَ . فى كلام جار الله : « هو يتطغّم على الناس ، أى يتجاهل عليهم » .

٣ ﴿تكَلَّمَ بالقَوْلِ المُضَلَّلِ حَاسِدٌ وَكُلُّ كَلَامِ الحَاسِدِينَ هُرَاءُ﴾

التبريزى : الهُراء من القول : الذى لا نظام له . قال ذو الرمّة :

لها بَشَرٌ مثلُ الحريرِ ومنطقٌ رخيمُ الحواشِى لا هُراءٌ ولا نَزْرُ

البطليوسى : سيأتى .

١٠ الخوارزمى : منطق هُراء : فاسد .

٤ ﴿وَمَنْ هُوَ حَتَّى يُحْمَلَ النُّطْقُ عَنْ فَمِي إِلَيْهِ وَيَمْشِي(١) بَيْنَنَا السُّفَرَاءُ﴾

التبريزى : السُّفراء : جمع سفير، وهو الذى يمشى [بين] القوم، والمصلح بين الرجُلين . قال الشاعر :

ولا أدَعُ السِّفارةَ بين قومى ولا أمشى بغِشٍّ إن مشيتُ

١٥ البطليوسى : يجوز كسر اللام من « المضلَّل » وفتحها . فمن كسرها أراد القول الذى يضلِّل قائلَه أو سامعه، ومن فتحها أراد القول المنسوب إلى الضلال . يقال: ضلّلت الرجل وفسّقته وفجّرته ، إذا نسبته إلى الضلال والفسق والفجور . وكذا يروى بيت النابغة على الوجهين :

---

(١) البطليوسى : « تمشى » بالتاء .

لَعَمْرُك ما خشيتُ على يزيدٍ من الفَخْر المضلّلِ ما أتانى[1]

والهراء : الكلام الكثير مع فسادٍ وقلة تحصيل . والسُّفراء : جمع سفير ، وهو الرسول .

الخوارزمى : السفراء : جمع سفير؛ يقال : مشى بينهم السَّفير والسُّفراء .

٥ (وإنّى لَمُثْرٍ يابْنَ آخرِ لَيْلَةٍ وإنْ عزّ مالٌ فالقُنُوعُ ثَرَاءُ)[2]

التبريزى : قوله : « يابن آخر ليلة » يريد آخر ليلةٍ من ليالى الطُّهر . ويقال : إنّ المرأة إذا حملت بالولد فى آخر ليلةٍ من طُهرها كان مذموما ، وهو الذى يقال [له] حملتـه أمه تُضْعا مَوْضَعًا[3] . و إذا حملتـه فى أوّل الطُّهر كان محمودا . قال الشاعر :

حملته غَرّاءَ فى أوّل الطُّهـ ـر وقد لاحَ للصَّباح بشيرُ

والقُنوع هاهنا بمعنى القناعة ، وفى غير هذا الموضع يكون بمعنى السؤال؛ يقال: قنَع قنوعا، إذا سأل، وقنِع قناعةً، إذا رضى[4] .

البطليوسى : المثرى : الذى له مالٌ مثل الثَّرى كثرة . يقال: أثْرَى الرجلُ إثراء . فإذا أردت الاسمَ قلت ثَراء، كما يقال الإعطاء والعَطاء . وقوله : «يابن آخر ليلة » أراد أنّ أمّه حملتْ به فى آخر ليلةٍ من طُهرها حين استقبلت الحيض، وذلك مذمومٌ من فعل النّاكح ومُفسِد للولد ، و إنّما المحمود والمُصلح للولد أن تحمل به

(١) من قصيدة له فى ديوانه ص ٧٦ يهجو بها يزيد بن عمرو بن الصعق . و بعد البيت :

كأن التـاج معصوبا عليه لأذراد أصبن بذى أبان

وفى الأصل : « ما أتانى » تحريف . (٢) التبريزى فقط : « فإنى لمثر » .

(٣) تضع ، بالضم ، و بضمتين . و وضع ، بالضم و بالفتح .

(٤) فعل القنوع من باب منع ، وفعل القناعة من باب فرح .

فى آخر حيضها إذا استقبلت طُهـرَها ، فيجيءَ الولدُ محكم البِنْية ، صحيح الجِبلّة .
ولذلك قال أبو كبير الهذلىّ :

ومُبَرَّإٍ من كلِّ غُبَّرِ حيضةٍ وفَسادِ مُرضعةٍ وداءٍ مُغْيِلِ

وقال آخر :

حملته غرّاءَ فى أوّل الطُّهـ ـر وقد لاح للصّباح بَشيرُ

وقوله : « وإن عزّ مالٌ » أى تعذّر وقلّ ، من قولهم شىء عزيز، إذا كان قليلاً لايكاد يوجد. واستعمل القُنوع بمعنى القناعة، والمشهور أن يقال: قنِـع يقنَع قناعة، إذا رضى، وقنَع، بفتح النون، يقنَع قنوعا، إذا سأل. وحكى ابنُ الأعرابىّ القنوع بمعنى القناعة، وذلك نادر . وأنشد :

أيذهبُ مالُ الله فى غير حقّه ونَظْمأُ فى أظلالِكمْ ونجـوعُ
أنرضَى بهـذا منكمُ ليس غَيْره ويُقنعنا ما ليس فيـه قُنـوعُ

وذكر ابن جنّى أنّ أبا الطيّب المتنبى كان يُنشد :

ليس التعلُّل بالآمال من أرَبى ولا القَناعةُ بالإقلال من شِيَمى

وكان ربّمـا أنشد :

* ولا القُنوع بضَنْك العيش من شِيَمى *

الخـــوارزمى : أثْرَى الرجل من الثّروة، لا من الثّرَى، كما أنّ أحصى من الحَصْو، وهو المنع، لا من الحَصَى . الأُمّ إذا حملت الولدَ فى الحيض جاء مشـوّها مخبّلا أو ناقص الجسد، أو أصمّ، أو أعمى. وهذه إحدى المعانى الواردة بالنّهى عن مجامَعة الحوائض، وكذلك إن حملته فى آخرِ ليـلةٍ من طُهرها لم يكدْ يخلو عَن ذلك أيضا، بمجاورة هذه الحالة الحيض. وهذا هو المراد بقولهم: ماحملته أمه وُضْعًا بالضم.(١)

(١) انظر الحاشية رقم ٣ من الصفحة ٣٩٥ .

قال الجوهرىّ : «الوُضع أن تحمل المرأةُ ولدها فى آخر طهرها عندمُقْبَل الحيضة» .
وفى مقطّعات الأبيوردىّ :

واكِنْ رمَتْنى يابنَ آخرِ ليـلةٍ خطوبٌ أذلّت مِذرَه القومِ للفمر (١)

عنى بالقُنوع هنا الرّضا والقناعة . وخير الغِنَى القُنوع ، وشرُّ الفقر الخضوع .

٦ (وَمُذْ قَالَ إنّ ابْنَ اللّئِيمَةِ شَاعِرٌ ذَوُو الجَهْلِ مَاتَ الشِّعْرُ والشُّعَرَاءُ) ٥

التـبريزى : سيأتى .

البطليـوسى : ...

الخـوارزمى : « ذوو الجهل » مرفوع على أنه فاعل « قال » .

٧ (تُسَاوِرُ فَحْلَ الشِّعْرِ أولَيْثَ غَابِهِ (٢) سَـفَاهاً وأنتَ النّـاقَةُ العُشَرَاءُ)

التـبريزى : تقديره : ومذ قال ذُوو الجهل إنّه شاعر مات الشِّعر والشعراء . ١٠
وتساور : تواثب (٣) . والناقة العُشَراء : التى قد أتى عليها من حملها عشرةُ أشهر ،
وجمعها عِشَار . ويبقى عليها هذا الاسمُ إلى أن تُنتَج وبعـد النّتاج . وإذا كانت
عُشَراء كانت مُثْقلة بالحمل ضعيفة القوّة .

البطليـوسى : ووقع فى بعض النسخ : «فحل الشَّوْل أوليث غابة» . والشول :
الإبل التى جفّت ألبانها ، واحدتها شائلة . فأما الشّائل بغير هاء فالتى شالت بذنبها ١٥
للقّاح والجمع شُوّل ، بضم الشين وتشديد الواو . والمساورة : المواثبة . والليث :
الشديد من الأُسْد ، مأخوذ من اللُّوثة ، وهى القُوّة . ويجوز أن يكون مشتقاً من
قولهم ناقة ذات لَوث ، إذا كانت كثيرةَ اللّحم . قال الأعشى :

---

(١) فى الأصل : « يا ابن آخر » والصواب ما أثبتنا من الديوان ١٥٤ . وبعده : ٢٠

يفل يديه الصحو حتى إذا انتشى حبـا بالقليل النزر فالشكر للشكر

(٢) التـبريزى : « غابة » . (٣) فى الأصل : « تاوب » تحريف .

بذات لَوْثٍ عَفَرْناةٍ إذا عثَرتْ فالتَّعْسُ أدنى لها من أن أقول لَعَا[(١)]

وهذا الاشتقاق يوجب أن تكون عين الفعل منه واوا ، أو أن يكون أصله لَيْوِثًا ، ثم قُلبت واوه ياءً لمجاورتها الياء الساكنة ، ثم خفّفت ، كما قيل مَيْت وهَيْن . وذكر صاحب كتاب العين أنّ عين الفعل منه ياء ، وحكى لا يَثُتُ الرجلَ ، إذا زاولتَه مزاولة اللّيث . وفى القولين جميعًا نظر ليس هذا موضعَه . والغابة : الأجمة وجمعها غاب . والهاء فى « غابه » تعود على الشِّعر ، كأنه قال : لخِل الشعر أو ليث غاب الشِّعر . والعُشَراء من النوق : التى أتى عليها عشرة أشهر من وقت حملها ، فأقربتْ[(٢)] أو عظم بطنها ، وجمعها عُشَراوات وعِشَار .

الخوارزمى : العُشَراء هى الناقة التى أتت [عليها] من يوم أُرسل عليها الفحلُ عشرة أشهر .

٨ (أَتَمْشِي القَوَافِي تَحْتَ غَيْرِ لِوائِنَا وَنَحْنُ عَلَى قُوَّالِهَا أُمَرَاءُ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : العرب تسمِّى البيت من الشعر قافية ، وربما سمّوا القصيدة قافية ، ويقولون : روّيت لفلان كذا وكذا قافية .

٩ (وأَىُّ عَظِيمٍ رَابَ أَهْلَ بِلَادِنَا فَإِنَّا عَلَى تَغْيِيرِهِ قُدَرَاءُ)

التبريزى : رابنى يريبنى ، إذا علمتَ الرِّيبة منه ، وأرابنى يُريبنى ، إذا أوهمك الرِّيبة . [وأنشد][(٣)] :

(١) العفرناة : القوية . فى الأصل : « عفرنات » تحريف . ولعا : كلمة تقال للعاثر ، دعاء له بالإقالة من عثرته . انظر ديوان الأعشى ص ١٣ .

(٢) أقربت الحامل : دنا ولادها . وفى الأصل : « فقربت » .

(٣) بها يتصل الكلام . والقائل هو بشار أو المتنبى ، كما فى اللسان (١ : ٤٢٧) .

أخوكَ الذى إن رِبتَه قال [إنّما] أربتُ و إن عاتبتَه لان جانبُه [1]

البطليوسى : القوافى هاهنا القصائد ؛ وأصل القافية عجز البيت الذى يبنى عليه الشاعرُ شعرَه . وحدُّها على رأى الخليل ما بين آخر ساكنٍ فى البيت إلى أقرب ساكنٍ يليه . وقد حدها غيرُه بحدودٍ لا تصحّ . وقيل لها قافية لأنها تقفو البيت . ثمّ سمِّيت القصيدة قافيَة لأنّها تعتمِد على قوافيها ، كما قالوا للطّليعة « عين » لاعتماده على عينه ، وللذى يسمع كلَّ مايقال « أُذُن » لاعتماده على أذنه . ويقال رابنى الشىء وأرابنى ، إذا شككتَ فيه وظننتَ به الشّرّ . وقال بعضهم : أرابنى ، إذا لم تحقّق منه الريبةَ ، ورابنى ، إذا تحقّقتَها منه . وأنشد :

أخوك الذى إن رِبته قال إنّما أربت و إن عاتبتَه لان جانبُه

١٠ ﴿وَمَا سَلَبَتْنَا العِزَّ قَطُّ قَبِيلَةٌ ولَا بَاتَ مِنَّا فِيهِمُ أُسَرَاءُ﴾

التبريزى : ... ...

البطليوسى : أسراء ، من الجموع النادرة ؛ لأن فعيلا إنما يجمع على فُعَلاءَ إذا كان فى تأويل فاعل ، نحو كريم وكرماء ، فإذا كان فى تأويل مفعول فبابه أن يجمع على فَعْلَى ، نحو جريح وجَرحى . فلما كان أسيرٌ فى تأويل مأسور ، كان قياسه أَسْرَى ، كما قال عزّ وجلّ : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى ﴾ . ومجاز قولهم فى جمعه أُسَراء ، أنّهم يقولون استأسر الرجل ، فيجعلونه فاعلا بمطاوعته لآسره . ويقولون فيما لم يسمّ فاعله أَسِر الرّجلُ [2] ، فيحدِّثون عنه كما يحدثون عن الفاعل . فكما جاز أن يعرب كأعراب الفاعل ، كذلك جاز أن يجمع جمعَه .

الخوارزمى : «منّا» فى محل النصب على الحال من « أسراء » .

(١) فى الأصل : « إن ريبة قال » كما أن كلمة « إنما » ساقطة ، وصحة البيت من شرح البطليوسى واللسان . و «أربت» يروى بفتح التاء وضمها . وانظر توجيه الروايتين فى اللسان .

(٢) لم نجد هذا الفعل فيما لدينا من المراجع بهذا الوجه الذى ذهب إليه البطليوسى .

١١ ﴿وَلَا سَارَ فِى عُرْضِ السَّمَاوَةِ بَارِقٌ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ قَوْمِنَا خُفَرَاءُ﴾

التبريزى : معناه أن السَّماوة، وهى الأرض التى تنسب إلى كلب فيقال بَمَاوة كلب ، لا يسير فيها بارقٌ إلّا وله خفيرٌ منّا . وهذه من المبالغة فى الشعر التى ترغّب فيها الشعراء .

٥ البطليوسى : السَّماوة : من بلاد كلب . وعُرْضها : جانبها . والبارق ، هاهنا، يجوز أن يريد به البرق نفسه، ويجوز أن يريد به السحاب الذى فيه البرق. وخُفَراء : جمع خفير ، وهو المجير ؛ يقال خفرتُ الرّجلَ . وهذا إفراطٌ وغلوّ فى وصفه لقومه بالعزّة والمَنَعة . ونحو منه قولُه فى قصيدةٍ أُخرى (١) :

أوَ ما رأيتِ اللّيلَ يُلقِى شُهبَه حتّى يُجاوِزَها بحُلّةِ عاطلِ

١٠ الخوارزمى : سَماوةُ : موضع بالبادية إلى ناحية العواصم . قال الخارزنجى: « هى مفازة بين الكوفة والشام ، يُحمل فيها الماء لأيّام، وهى منقطعة الماء » . قوله : « وليس له من قومنا خفراء » جملة فعليّة فى محل الرفع بأنّها صفة بارق . فإن قلت : فما هذه الواو الداخلة عليها ؟ قلت : هى الواو التى تدخل على الجملة الواقعةِ صفةً لنكرة، كما تدخل على الجملة الواقعة حالاً عن المعرفة، فى نحو : جاءنى

١٥ ومعه آخر، ومررت برجل وفى يده سيف . وفى نجديّات الأبيوردىّ :

* والثّغرُ منها كعِقدٍ وهو منتظمٌ (٢) *

ومنه : ﴿ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ . وفائدة هذه الواو توكيد لُصوق الصّفة بالموصوف ، والدّلالةُ على أنّ اتّصافَه بها أمر مستقرّ .

(١) البيت من القصيدة ٢٩ فى سقط الزند .

٢٠ (٢) هذا صدر بيت له فى ديوانه ص ٣٣٠ . وعجزه :

* والدمع منى كعقد غير منتظم *

١٢ ﴿ وَلَسْنَا بِفَقْرَى يا طَغَامُ إِلَيْكُمُ وَأَنْتُمْ إِلَى مَعْـرُوفِنَا فُقَـراءُ ﴾

التـبريزى : الطَّغام : جمع ، وهم الذين لا يفهمون ، واحدهُ طَغامة . ولم يتصرَّف منه فعل .

البطليـوسى : الطَّغام : سُقَاط الناس ومَن لا عقل عنده ولا معرفة . ومن قال فى جمع فقير فَقْرَى ، جعله فى تأويل مفعول ، من قولك فقَرته إذا كسرتَ فَقاره ، أو من قولك فقَرت أنف البعير ، إذا حزرتَ أنفه بحديدة ، ثم وضعتَ على موضع الحزّ الجَرِيرَ (١) وعليه وَتَرٌ ملوىّ ، لتُذلّه وتروضه . ومن قال فى جمعه فقراء ، جعله فى تأويل فاعل ؛ لأنه يقال فَقُر الرجل فهو فقير ، كما يقال ظَرُف فهو ظريف ، فيُنسب إليـه الفعل . والأكثر افتقر يفتقر (٢) .

٥

الخـوارزمى : الفقْرَى : جمع فقير ، ونحوه مَرْضَى فى جمع مريض .

١٠

---

(١) الجرير : حبل يجعل للبعير بمنزلة العذار للدابة ، والزمام .

(٢) هـذا يوافق ما فى اللسان (٦ : ٣٦٧ س ١) لكن فى س ١٩ منه أن « الفقير مبنى على فقُر قياسا ، ولم يقل فيه إلا افتقر يفتقر فهو فقير » .

[القصيدة الحادية عشرة]

وقال أيضا فى الكامل الأول والقافية من المتدارك مما كتب على ستر فيه صور[1]:

١ ﴿الحُسْنُ يعلَمُ أَنَّ مَنْ وارَيْتَهُ قَمَرٌ تَسَتَّرَ فِى غَمَامٍ أَبيَضِ﴾

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : يقول : قد علم الحُسْن أن المخدَّرة التى سترها عن الأعين قَمَرٌ تستَّر من هذا السِّتر بالغمام الابيض. عدّى « تستر » بفى لأنه بمعنى « استكن » .

٢ ﴿غَشَّى الطُّيُورَ غَوَافِلاً فتحيَّرَتْ مِنْهُ فَلَمْ تَبْرَحْ وَلَمْ تَتَنَفَّضِ﴾

التبريزى : قوله : « غشّى الطيور » أى غشّى الغمام الطيور . والمراد به الستر الذى وراءه شخص كالقمر تَستَّر من هذا السِّتر بالغمام الأبيض. كأنّ السِّتْر كان أبيضَ وعليه صور الطير .

البطليوسى : واريته : سترته . والغمام : السحاب. شبّه الطيور اللاتى تضمّنها السترُ بغمام أبيضَ غشّى طيرًا وهى غافلة، فنشبت فيه ولم تقدر على التخلّص منه .

الخوارزمى : الضمير فى « غشّى » للغمام .

---

(١) هذا ما فى الخوارزمى . وفى التبريزى : « وقال على لسان ستر عليه صور » . والبطليوسى : « وقال أيضا وقد سئل شعرا يكتب على ستر أبيض فيه طير مصوّر » .

[القصيدة الثانية عشرة]

وقال أيضًا فى الكامل الأول والقافية من المتدارك :

١ (بِتْنَا فَرِيقٌ فى سُرُوجِ ضَوَامِرٍ ... مِنَّا وَآخَرُ فى رِحَالِ عَرَامِسِ)

التبريزى : العرامس : جمع عِرْمِس، وهى الناقة الصُّلْبة . يقول : بِتْنا فريقين، فريقٌ على سروج الخيل الضوامر، وفريق على رِحال النُّوق الصِّلاب .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : العرامس : جمع عرمس، وهى فى الأصل الصخرة، ثم يستعار للناقة الشديدة . وقوله : « فريق فى سُروج ضوامر » جملة اسمية فى محلّ النصب على أنها خبر بات . ونظيرها الجملة الاسمية إذا وقعت بدون الواو موضع الحال، قال:(١)

* نَصَفَ النَّهارُ الماءُ غامِرُهُ(٢) *

وهذه الجملة الابتدائية بدون الواو فى مقام الخبر أحسن منها فى مقام الحال ، ولو رُوى « بَيْنَا » كقوله :

* فبينا نحن نرقبه أتانا *

لكان وجها . والرواية الأولى أوجه لقوله : « ولقد أظَلُّ(٣) » .

٢ (سَلَبَ الكَرَى أَلْبَابَ مَنْ ذَاقَ الكَرَى ... مِنَّا وَطَارَ بِبَعْضِ لُبِّ النَّاعِسِ)

التبريزى : سيأتى .

البطليوسى : سيأتى .

---

(١) هو المسيب بن علس يصف غائصا فى البحر على درة . اللسان (١١ : ٢٤٤) .

(٢) عجزه : * ورفيقه بالغيب لا يدرى *

(٣) يشير الى ما سيأتى فى البيت السابع .

الخـــوارزمى : الإنســان إذا ركبته نومة غَرقة فكأنه ذهب لُبُّــه ؛ لأنه لا يكاد يحس بشىء، وإذا غلبته نَعْسةٌ فقد ذهب بعض لُبِّهِ .

٣ ﴿فَالْمَرْءُ يَلْثِمُ سَــيْفَهُ وَقِرَابَهُ وَيَظُنُّهُ وَجَنَاتِ أَغْيَدَ مَائِسِ﴾ (١)

التـــبريزى : الأغيد: المتثنّى للينه. والمـائس : المـائل فى مِشيته. والمعنى أنّ النائم يتغيّر عقله ، فيُريه النومُ أنه يلثَم حبيبًا له ، وإنّما يلثَم السيفَ والقِراب . وقراب السيف : جِلْدٌ يكون فيه السيفُ بِغِمْدِه، وليس بِغمد ، والجمــع قُرُب . قال (٢) :

يا رَبّةَ البيتِ قُومِى غيرَ صاغرةٍ ضُمِّى إليك رِحالَ القوم والقُرُبا

البطليـــوسى : الضوامر من الخيل : التى قد أضمرها طولُ السَّفر والركوب . والعَرامس : جمــع عِرمس وهى النّاقة الشديدة . وصَفَ أنّهــم باتُوا فى سروج خيلهم و رحالِ إبلهم، ولم ينزلوا للتعريس، لِمـا هم عليه من الانحفاز فى السَّــير ، ولأنهم فى فلاةٍ مخوفة؛ كما قال فى موضع آخر :

هَمَمْنَ بِدُلْجَةٍ وخشِين جُنحا فبِتْنـا فوق أرحُلها جُنوحا (٣)

والكَرَى : النوم . والقِراب : غمد السيفُ، و يقال هو ما يُدخَل فيه السيفُ وغمدُه معا . والأغيد : الناعم الجسم؛ والأغيد أيضا : اللّيِّن العنق، ومنه قيل نبات أغيد؛ قال طَرَفة :

* حدائقَ مَوْلِىِّ الأسِرّةِ أغيدِ * (٤)

---

(١) التبريزى والخوارزمى : « والمرء » بالواو .

(٢) هو مرة بن محكان التميمى ، كما فى حماسة أبى تمـام (باب الأضياف) .

(٣) انظر ص ٢٦١ .

(٤) من معلقته . وصدره : * تربعت القفين فى الشول ترتعى *

والمائس : الذى يتبختر فى مشيه؛ يقال : ماس يميس، وراس يريس، وماد يميد، وماح يميح، كلٌّ بمعنى واحد . يقول : من نام منّا سلب النومُ لُبَّه أجمع، ومن نَعَس نَعسة خفيفة سلَب النّعاسُ بعضَ لبِّه، فهو يخيَّل إليه فى نومه ونُعاسه أنّه يقبِّل أحبابه، وإنما يقبِّل سيفَه وقِرابه .

الخوارزمى : قراب السيف : جلد يكون فيه بغمده وحمائله، وليس بالغمد . كذا قاله الغورى . ٥

٤ (حَيْثُ الشِّمَالُ عَنِ العِنَانِ ضَعِيفَةٌ ... والسَّوْطُ يَسْقُطُ مِنْ يَمِينِ الفَارِسِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : بيّن فى هذا البيت والبيت المتقدّم سَلْبَ النوم لُبَّ النائم . ١٠

٥ (لَا تَحْسَبِى إِبِلِى سُهَيْلًا طَالِعًا ... بِالشَّامِ فَالْمَرْئِىُّ شُعْلَةُ قَابِسِ)

التبريزى : سهيل لا يطلع بالشام، فلذلك قال : يا إبلى لا تحسبى سهيلا يطلع بالشام . كأنها إبل يمانية؛ فإذا رأت سهيلا حنّت إليه .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : خصّ سُهيلا لأنّه يقال : إذا طلع سهيل و رآه البعيرُ مات، أو لأنه إذا طلع بسَحَر فُصلت عن النّوق الأولاد، وكثُر فيها الموت . وفى أسجاعهم : «إذا طلع سُهيل، بَرَدَ اللّيل، وخيف السّيل، وكان للحُوار الوَيْل»[1]، ويروى : «فلأمِّ الحُوار الويل» ويروى : «لأم الحوار الويل» . وعن العرب : «قال سُهيل : لَأُغَرِّتَنّ أحمق عن فصيله»[2] . يريد أنّه يمنعه من الرضاع والقيام عليه، فيقتله الحر . وفى شعر أبى الطيِّب : ١٥ ٢٠

---

(١) انظر الأزمنة والأمكنة لمرزوقى (٢ : ١٨٢) . (٢) فى الأصل : «من فصيله» .

وتُنكر موتهـــم وأنا سهيلٌ طلعتُ بِمَوْتِ أولادِ الزِّناءِ (١)

يقول : يا إبلى ، لا تُبغضى الشام بمـا يلوح من قِبَلها ، فإنّ تلك نارٌ لا سهيل .

٦ (هٰذى العَوَاصِمُ فَاسْأَلِينَا مَا بِهَا وَذَرِى مَآرِبَ مِنْ زَرُودَ ورَاكِسِ)

التــبريزى : زرود وراكس : موضعان. أى لا تسألينا أن ننظر إلى سهيل بالشام لأنّه يمان ، وإنّمـا يُبصَر فى موضع يقرب من اليمن . والعواصم من الشام ، من حلب إلى حماة ؛ سُمِّيت عواصم لأن فيها مواضعَ يعتصم بها .

البطليــوسى : القـابس : الذى يقبس النـار . سهيل : كوكب منفرد عن الكواكب ، لا يرتفع عن الأفق كارتفاع الكواكب ، وهو من الكواكب اليمانية ؛ ولذلك قال ابن أبى ربيعة :

أيُّها المُنكِحُ الثّريّا سُهيلاً عَمْـرَكَ اللهَ كيفَ يلتقيانِ

هى شاميّةٌ إذا ما استقلّتْ وسُهيلٌ إذا استقلّ يمـانى

ويزعمون أنّ سهيلا إذا طلع ماتت الإبل ووقَع فيهـا الوباء ، فالإبل تكرهه . فأراد أنّ إبله رأت قبسًا بالشام ففزِعت منه وحسِبته سُهيلًا ، فقال لهـا : ليس سهيل من الكواكب الطالعـة بالشام فتخافى الموت ، وإنّمـا رأيتِ قبسًا مُوقدًا ؛ فاطمئنّى ولا ترتاعى . والعواصم : موضع بالشام بجهة حلَب . وزَرود وراكس : موضعان بالعراق . قال جرير يهجو الفرزدق :

فلَيس بصابرٍ لكمُ وُقَيْـطٌ كما صَبَرتْ لسوءتكم زَرودُ (٢)

---

(١) انظر الديوان (١ : ١٠) .

(٢) وقيط ، بالطاء المهملة وبهيئة التصغير : ماء لبنى مجاشـع بأعلى بلاد بنى تميم إلى بلاد عامر ، وليس لبنى مجاشع بالبادية إلا زرود ووقيط .

وقال النابغةُ حين هرَب من العراق إلى الشام :

وعيــدُ أبِى قابوسَ فى غَير كُنْهِه أتانِى ودُونى راكِسٌ فالضَّواجعُ

وإنّما أراد أبو العلاء أنّ إبله حنّت إلى العراق وهى بالشّام، وأنها لكراهِيَتِها الشّام تخيَّلَتْ قبسَ النّار حين رأتهُ سهيلا ، فكان ذلك زائدًا فى حنينها ، وباعثًا لشَجْوها . والمآرب : جمع مأرُبة ومأرَبة ، بضم الراء وفتحها ، وهى الحاجة . ٥

الخوارزمى : « العواصم » فى : « أعن وخد القلاص » (١) . زرود : موضع . وراكس : وادٍ .

٧ ﴿وَلَقَدْ أَظَلُّ تُظِلُّنِي وَصَحَابَتِي وَالشَّمْسُ مِثْلُ الأَخْزَرِ المُتَشَاوِسِ﴾

التبريزى : الأخزر : الذى ينظر بمُؤْخِر عينه الذى يلى الأنف . هكذا ذكره . والمعروف أنّ المُؤْخِر هو الذى يلى الصدغ ، والموق الذى يلى الأنف . ١٠ والمتشاوس : الذى يضيّق أجفانَه إذا نظر بعينَيه . أى مالت للغروب فهى ضعيفة لم يبقَ منها إلا الشىءُ اليسير . هذا الذى ذكره أبو العلاء . والواو فى قوله : « والشمس » واو الحال . ولو أراد أنّ الشمس مثل الأخزر للزوال لا للغيب ، لكان بليغا ؛ لأن الحاجة إلى الظلّ فى ذلك الوقت أكثر؛ وكأنّه على ما ذكره أرادَ سير نهاره أجمع ونزولَه عند الغروب . ١٥

الخوارزمى : « تظلنى » جملة فعليّة فى محل النصب على أنها خبر « أظَلّ » . قوله : « وصحابتى » معطوفٌ على الضّمير المنصوب فى « تظلنى » . الخَزَر فى : « يرومك والجوزاء » (٢) . الشّوَس والتّشاوُس هو النظر بشِقّ العين . والمصراع الأخير كنايةٌ عن قيام قائم الظهيرة . جعل الخَزَر والتّشاوُس للشمس على المجاز ، وهما للناظر إليها . ونحوه : ٢٠

---

(١) انظر ص ٨٥ . (٢) انظر ما سيأتى فى البيت ٤٩ من القصيدة الخامسة عشرة .

له طَعناتٌ إن سُبِرْن تخاوَصتْ إلى من يُداويهنّ أعينُها الخُــزرُ

ولذلك تسمّى الشمسُ لزوالها فى نصف النهار دالكة؛ لأن الناظر إليها يدلُك عينيه . لمّا وصف السُّرى أخذ يصف سيرَ النهار . « وأظلّ » مع « يُظلّنى » تجنيس .

٥ ٨ (خَيلٌ شَوامِسُ فِى الجِلالِ إذا هَفَتْ رِيحٌ وَإنْ رَكَدَتْ فَغَيرُ شَوَامِسِ)[1]

التبريزى : معنى هذا البيت متعلّق بما قبله ؛ لأنّ «خيلا» فى أوّل البيت فاعلةُ «تظلّنى» . وكانوا — وهم يفعلون ذلك إلى اليوم — إذا حَميتْ عليهم الشمسُ نزلوا وجَعلوا سيوفَهم فى الأرض قائمةً ، وكذلك قِسيّهم ، وظلّلوها بشىء ، ودخلوا تحتها . قال الشاعر :

١٠ وفِتيانٍ بنيتُ لهم ردائِى على أسيافنا وعلى القسىِّ

وكانوا يجعلون ثيابَهم على القِسىّ والسيوف ، فإذا هبّت الريحُ شبّهوها بالخيل الشَّوامس ، وإذا سكنت فقد ذهب عنها الشِّماس . ومنه قولُ جريرٍ يصف ريحا دائمةَ الهبوب :

ظَلِلْنا بمُسْتَنِّ الحَرورِ كأنّنا لدَى فرسٍ مُستقبِلِ الرِّيحِ صائمِ

١٥ من البُلْق رمّاحٍ يظلُّ يشُــنُّه أذَى البَقِّ إلا ما آحتمَى بالقوائمِ

البطليوسى : الأخزر : الذى ينظر بمُؤْخر عينيه . والمتشاوس : الذى يُغلق عينَه الواحدة وينظر بالأخرى ويُميل وجهَه فى شِقّ العين التى ينظر بها . أراد أنّ الشمسَ كانت قد مالت للغروب ، فلذلك شبّهها بعين الأخزر ، كما قال أبو النجم :

والشّمس قد صارت كعَين الأحْوَلِ صفراءَ قد كادتْ ولمّا تفعَلِ

٢٠ (١) التبريزى فقط : « فإن ركدت » .

وقوله : «خيل شوامس»، أراد أنه آستظلّ من الشمس بثياب صُيِّرت كالخباء فوق الرماح والقِسيّ ، فهى تضطرب بالرِّيح تارةً وتَسكن تارة ؛ فشبّهها بخيلٍ تشمُس تارة وتسكن أخرى . وإنما أخذ هذا من قول جرير :

ظَلِلنا بمستَنّ الحَرورِ كأنّنا ... لدى فَرسٍ مستقبِلِ الريح صائمِ

أغرَّ من البُلقِ العتاق يَشُفّه ... أذَى البقّ إلا ما آحتمى بالقوائمِ ٥

والجِلال : الأكسية التى تُجلَّل بها الخيل ، واحدها جُلّ . ومعنى «هفت» تحرّكت وخفّت . وركدت : سكنت . وصحابة : جمع صاحب .

الخوارزمى : «خيل» فاعل «تظلّنى» . الشوامس : جمع شامسة . وشَمَس يشمُس بالضم والكسر شِماسًا، واسم الفاعل قياسًا شامس، إلا أنّ السماع شَموس؛ وهو من الخيل ما لا يُمكن من ظهره ولا يكاد يستقرّ ؛ ومن الرِّجال الصعبُ الُخلُق السيِّئُه . وأبو العلاء قد عدل هاهنا إلى القياس المهجور . وقد آقتدى فى ذلك بابن الرومىّ، حيثُ يقول : ١٠

* نَوائر من هُجْرِ الكلام شوامسُ * (١)

السَّفْر إذا حِميتْ عليهم الشَّمْس ولم يكن هناك شجرةٌ يُلاذ بظلّها ، أو خيمة يُلتجأ إليها، نزلوا ونَصبوا سيوفَهم، وغشَّوها الثيابَ وتظلّلوا بها . ومن أبيات الحماسة: (٢) ١٥

وفِتيانٍ بنيتُ لهم ردائى ... على أسيافِنا وعلى القسىِّ

فظلُّوا لاثذِين به وظلّت ... مَطاياهم ضواربَ بالثُّحِىّ

(١) من قصيدة فى ديوانه المخطوط بدار الكتب الورقة ١٤٤ . نوائر : نافرات، جمع نائرة ، ويقال أيضا نُوور ونوار ، كسحاب، للمرأة النافرة . وفى الأصل : « نوافر » وأثبتنا رواية الديوان . وصدر البيت : * غرائر ما لم يدرين لريبة * ٢٠

(٢) فى باب السير والنعاس غير منسوب .

وقال :

ولقد بَنَيْتُ البُرْدَ منه جانب ضاحٍ وآخرُ للمَقِيلِ ظليلُ
أسيافُنا أعْماده وسُقوفه خَشَبُ القِسِيِّ نُميلُه ونَمِيلُ

وتُشَبَّه تلك المِظلّة بالفَرس؛ قال جرير :

٥ إذا العُفْرُ لاذتْ بالكِناس وهَجَّجَتْ عُيونُ المَهارِي من أَجيجِ السَّمائم[1]
ظِللنا بمُستَنِّ الحَرورِ كأنّنا لَدَى فرسٍ مستقبِلِ الرِّيحِ صائمِ

هَجَّجت عينه ، إذا غارت . وقال :[2]

ومُجَوَّفٍ خَطِلِ المناكبِ شامخٍ تَهفُو قوائمُه ولَمّا يَبرَحِ
سَلِسِ القِيادِ متى تُنازِعْ جانباً منه يَرُعْكَ شِماسُه أو يَرمَحِ

١٠ وهذا هو المراد بقول أبى العلاء هاهنا .

٩ (والذِّئبُ يَسأَلُنَا الشِّراكَ ودُونَهُ طَيّانُ أَشْعَثُ كالفَقيرِ البائِسِ)[3]

التبريزى : المعنى أنّ القوم إذا نزلوا بموضع وأوقدوا نارا، جاءهم [الذئب] يلتمس أن يطعم شيئا . وقد تردّد فى الشِّعر القديم ؛ قال المرقِّش الأكبر :

ولما أَضَأْنا النارَ عند نُزولِنا عَرَانا عليها أطلسُ اللّونِ بائسُ
١٥ نَبَذتُ إليه فَلْذةً من شِوائنا حَياءً وما فُحْشِى على مَن أُجالسُ
فآضَ بها جَذْلانَ ينفُضُ رأسَه كما آضَ بالنَّهبِ الكَمِيُّ المُحالِسُ[4]

والشِّراك : المشاركة . والطّيّان: فعلان من الطَّوَى، وهو الجوع .

---

(١) السمائم : جمع سموم، وهى الريح الحارة . والأجيج : شدة الحر، وفى الأصل : « رجيج » صوابه من الديوان ص ٥٥٤ . (٢) انظر معانى الشعر ٤٠ — ٤١ . يصف ثيابا نصبوها على رماح وقسى فاستظلوا بها . والبيتان يوهمان أنهما فى صفة فرس . (٣) روى هذا البيت
٢٠ فى البطليوسى بعد تاليه . (٤) المحالس : الشديد الذى لا يبرح مكانه فى الحرب . ورواية المفضليات (٢ : ٦ : ٤) : « كما آب» .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : عنى بالشِّراك المشاركةَ فى الأكل . ألا ترى إلى ما أنشدنى بعض إخوانى من الأفاضل للفرزدق فى صفة ذئب :

فلما بدا قُلتُ ادْنُ وَيْحكَ إنّنى وإيّاك فى زادِى لَمُشْتَرِكانِ

ويحتمل أن يريد به شراك النعل . وهذا كقول أبى العلاء : ٥

وأطلسَ مُخْلِقِ السِّربالِ يَبْغِى نوافلَنَا صَلاحًا أو فَسادا

كأنّى إذْ نَبَذْتُ له عِصامًا وهبتُ له المطيّةَ والمَزَادا

الضمير فى « دونه » للشراك ، أو الذئب . الطيّان : فعلان من الطوى ، وهو الجوع .

١٠ ﴿لِتُرِحْ مَنَاسِمَهَا فإنَّ وَرَاءَهَا عَجُزَ النَّهارِ وَصَدْرَ لَيْلٍ دامِسِ﴾ ١٠

التبريزى : مناسم : جمع مَنْسِم . والمنسِم من خُفّ البعير[1] بمنزلة الظفر من الإنسان . والدامس : المظلم الشديد الظلمة . وعجز النهار : بعد العصر . وصدر النهار : أوله .

البطليوسى : المناسم : مَقادم أخفاف الإبل ، واحدها مَنْسِم . والدّامس : المظْلم . والشِّراك : ما تشدّ به النعل . وقوله : « ودونه » ، أراد دون الشِّراك . ١٥ والطيّان : الجائع . والأشعث : المغبرّ المتغيّر من الهزال . والبائس : ذو البؤس . أراد أنّهم نزلوا بفلاةٍ لا تجد فيها الذئاب ما تأكل ، فهى تستطعمُهم . وهذا كقوله فى موضعٍ آخر :

---

(١) فى الأصل : « الطير » .

وأطلَسَ مُخْلِقِ السِّربالِ يبغى نوافلَنا صلاحاً أو فَسادا
كأنّى إذ نَبَذتُ له عِصاماً نَبَذْتُ له المطيّة والمزادا

الخوارزمى : الضمير فى «لترح» للجمّال، وفى « مناسمها » للإبل وإن لم يجر لها ذكر.

٥ ١١ (وَلَقَدْ غَصَبْتُ اللّيلَ أَحْسَنَ شُهْبِهِ وَنَظَمْتُهَا عِقْدًا لِأَحْسَنِ لَابِسِ)

التبريزى : يحتمل أن يكون قد سهر فى اللّيل وعمل قصيدةً . والأجود أن يكون جعلَ أبياتَ القصيدةِ كالكواكب، مثل ما قال فيما تقدّم [من] قوله :

* ألم تكن الكواكبُ لا تصادُ (١) *

البطليوسى : سيأتى .

١٠ الخوارزمى : شبّه الأبيات بالكواكب . ونحوه بيت السقط :

إنّا بعثناك تَبغِى القول من كَثَبٍ فجئتَ بالنّجم مصفودًا من الأفقِ

١٢ (وَأَفَدْتُها القِدْحَ المُعَلَّى فَائِضًا يَجْرِى ولم أَقْنَعْ لها بالنَّافِسِ) (٢)

التبريزى : المعلّى من القداح له سبعة أنصباء، والنافس له خمسة. يقول: إنه قد بذَل مجهودَه فى تنقيحها وتهذيبها .

١٥ البطليوسى : الشهب : النجوم، شبّه بها معانى شعره؛ كما قال أبو الطيّب :

كأنّ المعانى فى فصاحة لَفظِها نجومُ الثريّا أو خلائقُك الزُّهرُ (٣)

(١) هو البيت ٤٦ من القصيدة السادسة .

(٢) فى ب من البطليوسى : « فائضا بحرى » بالحاء المهمله ، وسيشير إليها الخوارزمى ويذكر أنها تصحيف .

٢٠ (٣) من قصيدة له يمدح بها على بن أحمد بن عامر الأنطاكى فى ديوانه (١ : ٣٢٩) .

والقدح المعلى، هو السهم السابع من سهام الميسر، وهو أعظمها حظًّا، فضربَه مثلًا لمـا أودعه شعره هـذا، مِن جودة الألفاظ وحُسن المعانى . والنافس : الخامس من قداح الميسر، له خمسة أنصباءَ من الجَزُور ، وللمُعلَّى سبعة .

الخـــوارزمى : للمعـلَّى سبعة أنصباء ، وللنافس خمسة . ولعـلَّ النافس من النفاسة ، كما أنَّ المعلَّى من العلو. أفاض بالقداح، إذا أجالها وضرب بها. وأما فاض القِـدْح فلم أسمعه إلَّا ها هنا . الرواية « يجرى » بالجيم ، وهو فعـل مضارع من الجَريان . وجاء فى الحديث : « وجعلوا السِّهام تَجْرى » . وروى « يحرى » بالحاء المهملة، وهو تصحيف .

٥

[القصيدة الثالثة عشرة]

وقال أيضا فى الرجز الأول والقافية من المتدارك :

١ ﴿أَهَاجَكَ الْبَرْقُ بِذَاتِ الْأَمْعَزِ بَيْنَ الصَّرَاةِ والفُرَاتِ يَجْتَزِى﴾

التبريزى : الأمعز : الأرض الغليظة فيها حصًى، والأنثى مَعْزاء . و يجتزى، من جَزَأ الوحش، إذا لم يَرِدِ الماء استغناءً بالرِّعْى . والمعنى أنَّ البارق بين الصَّراة والفرات لايَرد واحدًا منهما، كأنَّه يجتزئ بما فى الغَيم من الماء .

٥

البطليوسى : الأمعز والمعزاء من الأرض : المجدبة الغليظة، ذات الحجارة الكثيرة، والجمع مُعْز وأماعز ومَعْزاوات؛ فإنّهم يُجرونها مُجرى الأسماء تارةً ومجرى الصفات تارة، كما يفعلون بالأبْرَق والأبطح . قال الشمّاخ، فى إجرائها مُجرى الأسماء:

١٠ طَوَى ظِمْأها فى بَيْضةِ القَيظ بعدما جَرَتْ فى عِنان الشِّعرَيَينِ الأماعزُ

وقال طَرَفة، فى إجرائها مُجرى الصفات :

جِمادٌ بها البَسْباسُ تَرْهَصُ مُعْزُها[(١)] بناتِ اللَّبون والسَّلاقِمَةَ الحُمْرا

والصَّراة : موضع يجتمع فيه دِجلةُ والفرات . ودِجلة، نهر بغداد . والفُرات، نهر العراق . وقوله : « يجتزى » أراد يجتزئ بالهمزة ، فخفف الهمزة تخفيفا بدليًّا

١٥ لا قياسيًّا، [و إلّا] لم يجز أن يكون إطلاقا . والتخفيف البدلىّ هو أن تبدل الهمزة حرف لين محضًا، والقياسىّ أن يُجعل بين الهمزة وحرف اللّين الذى منه حركتها؛ وهذا بمنزلة قول الآخر[(٢)] :

---

(١) الجماد، بالكسر : جمع جمد، وهى الأرض الغليظة . والبسباس : نبت . ترهص، من قولهم خف رهيص أصابه الحجر . السلاقم : جمع سلقم، وهو العظيم من الإبل .

٢٠ (٢) هو عبد الرحمن بن حسان، كما فى اللسان (رجأ) .

وكنتَ أذلَّ من وَتِدٍ بقاعٍ يشجِّج رأسَــه بالفِهْر وَاجِى[1]

ويقال: جَزَأ الوحش جزءًا، واجترأ اجتزاء، إذا رعى النبات ولم يَرِد المــاء. فضرب ذلك مثلًا للبرق، للمعانه بين الصَّراة والفرات، وهو غنيٌّ عن وُرودِ كلٍّ واحدٍ منهما .

الخــوارزمى : ساروا فى الأمعز والمَعْزاء، وهى الأرض الصُّلبة ذات الحجارة، ومنه : «ما أمعَزَ رأيَه» أى ما أصلبه ؛ واستمعزَ فى أمره إذا صلُب وجدّ . وأصل التركيب هى الشدّة والصلابة . الصَّراة والفُرات فى : «تفديك النفوس»[2] . واجتزأت بالشيء أى اكتفيت به، وهو مهموز فليّنه بضرورة القافية . يقول : ذلك البرق فى لمعانه يقتصر بين ذينك النهرين، ولا يتجاوزهما .

٢ ﴿مِثْلُ السُّيُوفِ هَزَّهُنَّ عَارِضٌ والسَّيْفُ لا يَرُوعُ إنْ لَمْ يُهْزَزِ﴾

التــبريزى : شبَّه البارق فى لمعانه واضطرابه بالسيوف إذا هُزّت .

البطليــوسى : هذا كلامٌ فيه حذفٌ واختصار، وتقديره : «هزهن عارضٌ ليروع بها؛ إذ كان السيف لا يروع وهو مغمدٌ حتّى يُسَلَّ من غمده ويهزّ» . وجعل البرقَ لكثرته وانتشاره فى الأفق واستطارته به ، كسيوف كثيرةٍ هزُّها عارضُ السحاب . والعارض : السحاب المعترِض فى الأفق . ويجوز نصب « مثــل » على الحال، ورفعه على إضمار مبتدأ يبنى عليه .

الخــوارزمى : العــارض هو السحاب . واشتقاقه فى «مَعانٍ من أحبتنا»[3] .

(١) أراد واجئ بالهمز، وجاء ضربه، فحوّل الهمزة ياء للوصل، ولم يحملها على التخفيف القياسى لأن الهمز نفسه لا يكون وصلا، وتخفيفه جار مجرى تحقيقه، فكما لا يصل بالهمزة المحققة، كذلك لم يستجز الوصل بالهمزة المخففة؛ إذ كانت المخففة كأنها المحققة . انظر لسان العرب .

(٢) هذا بناء على ترتيب الخوارزمى لسقط الزند ، إذ أن هذه القصيدة تقع الثالثة والثلاثين من ترتيب التبريزى ، والرابعة والعشرين من ترتيب الخوارزمى . والخوارزمى يشير إلى البيت ٢٤ منها .

(٣) انظر البيت رقم ٣٣ من القصيدة الثالثة ص ١٩٦ .

٣(بَدَتْ لَنَا حَامِلَةً أَغْمادَهَا حَمَائِلٌ منَ الدُّجَى لم تُخْرَزِ)

التبريزي : أى بدت لنا حمائل من الدجى، تحمل أغماد هذه السيوف . أو المراد به البرق .

البطليوسي : الحمائل : ما يُتقلَّد به السُّيوفُ إذا حُملت؛ ولذلك سُمِّيت حمائل ومحامل . والدُّجَى : جمع دُجية ، وهى الظلمة ، وهذه لفظةٌ من التصريف نادرة ؛ لأنّهم قالوا فى واحد الدُّجَى دُجْية بالياء ، وقالوا فى تصريف الفعل منها دجا الليل يدجو بالواو ، فيجوز على هذا أن تُكتَب الدُّجَى بالياء والألف . شبّه البرق بسيوف تقلّد حمائلَها الّليلُ ، إلا أنها مخالفة لحمائل السيوف ؛ لأن حمائل السُّيوف احتاجت إلى خارزٍ يخرِزها، وهذه لم تحتج إلى ذلك .

الخوارزمى : الضمير فى : « بدت » للسيوف .

٤(فِى بَلْدَةٍ نَهارُهَا لَيْلٌ سِوَى كَوَاكِبٍ إِلَى النَّهار تَعْتَزِى[1])

التبريزى : يقول نهارُها ليلٌ ، أى قد طال ليلُها فكأنه قد وُصِل بالنّهار ، وصار النّهار مثلَه مظلمًا، إلّا كواكبَ تعتزِى إليه، أى تَنتسب .

البطليوسى : وصفَ طولَ الليل فى هذه البلدة ، وأنّها لا يُرى بها ضياءُ الكواكب التى تَنتسِب إلى النهار بنورها . والاعتزاء : الانتساب . و إنّما جعلها منتسبةً إلى النهار لأنّ نورها مقتبَس من نور الشمس، على ما زعمه مَن تكلّم فى علم الهيئة . وقد تقدّم ذلك[2] فى تفسير قوله :

تأخّر عن جَيْش النهار لضعفِهِ فأوثَقهُ جَيْشُ الظّلامِ إسارا

(١) البطليوسي والخوارزمى : « زمانها » بدل « نهارها » وما أثبتناه هو رواية التبريزى والتنوير والديوان المخطوط . (٢) هذا مبنى على ترتيب البطليوسى للديوان . والبيت هو ١١ من القصيدة التاسعة عشرة .

الخوارزمى : يريد أن ظُلْمتَها لا تتكشف ليلاً ونهارا؛ ومنه بيت السقط :

لا تستبين به النُّجومُ تنائيًا ويلوحُ فيه البدرُ مثلَ الدِّرهمِ

و بيتاه :

يمرُّ به رَأْدَ الضُّحى متنكِّرًا مخافةَ أن يغتالَه بقتامِه
نهارٌ كأنَّ البدرَ قاسى هجيرَه فعادَ بلونٍ شاحبٍ من سَهامِه

ويحتمل أن يكون استطالةً للَّيل .

٥ (كأنَّها سِرْبُ حَمامٍ واقِعٍ فِى شَبَكٍ مِنَ الظَّلامِ يَنْتَزِى)

التبريزى : ينتزى : يفتعل من النَّزْو[1] ، أى الوثب . أى كأنَّها تطلب الخلاص من الشبكة، وهى لا تقدر على ذلك .

البطليوسى : السِّرب : الجماعة . وينتزى : يفتعل من نزا ينزو، إذا وثب . شبه الكواكب لثبوتها وقلّة حركتها نحو[2] المغيب بإفراط طوله ، بحَمامٍ وقعتْ فى شبكةٍ ، فهى تنتفض وتُكثِر النَّزوان ، رجاءً فى التخلص منها ، وهى لا تقدر على ذلك . وهو نحو قوله :

أَبَلَّ به الدُّجَى من كلِّ سُقْمٍ فكوكبُهُ مريضٌ ما يُعادُ
ولو طلَع الصَّباحُ لفُكَّ عنه من الظَّلماءِ غُلٌّ أو صِفادُ

أوّل مَن نبَّه على هذه المعانى امرؤُ القيس بقوله :

كأنَّ الثريَّا عُلِّقتْ فى مَصامِها بأمراسِ كتَّانٍ إلى صُمِّ جَنْدلِ

الخوارزمى : الضمير فى « كأنها » للكواكب . انتزى : أى وثب ؛ عن الغورى . إذا كثُر تصاعُدُ البخار إلى الجوِّ رأيتَ النجوم ليلاً كأنَّها تضطرب، وعند ذلك تُشَبَّه بالطيور المحلِّقة أو النَّازيَة . قال ذو الرُّمَّة :

(١) فى الأصل : « بطليا » . (٢) فى الأصل : « من » .

وردتْ اعتسافًا والثُّريَّا كأنّها على قِمّةِ الرأسِ ابنُ ماءٍ مُحَلِّقُ (١)

فإنْ لم تتصاعد اليه الأبخرةُ رُئيت على حالها المعهودة غيرَ مضطربة ، فشُبِّهت بالطيور الواقعة . ومنه بيت السقط (٢) :

وتَبتسِم الأشراطُ فجراً كأنّها ثلاثُ حماماتٍ سَدِكْنَ بموقعِ

٥ وهذا تشبيهٌ مليح، وفيه إيماءٌ إلى طول الليل .

٦ (جَدَّدَتِ الحيَاتُ فِيهَا لِبْسَهَا وَطَرَّحَتْ للرِّيحِ كُلَّ مِعْوَزِ) (٣)

التبريزى : المِعوز : الثَّوب الخَلَق . والمراد أنّ فيها حيّاتٍ قد سلخت جلودَها، لمّا مرّت عليها السنة .

البطليوسى : سياق .

١٠ الخوارزمى : طرّح الأشياء تطريحا . المِعوز : خِرقةٌ يُلَفُّ فيها الصبيّ حين يُولَد .

٧ (إنْ نَفَخَتْ فِيهِ الصَّبَا رَأَيْتَهُ مِثْلَ عَمُودِ الذَّهَبِ المُحَزَّزِ) (٤)

التبريزى : ويروى : «مثل عمود الفضة» . يقول : إذا نَفَخت [الصبا] فى سلوخ الحيّات ترى الواحد منها (٥) [كأنه عمود من الذهب محزوز] .

١٥ البطليوسى : وصف أنّ هذه البلدة التى قَدّم ذكرها ليست من البلاد التى سلَكها النّاس، أو يُكثرون المرورَ عليها ؛ فالحيات تعمرها وتستوطِنُها وتنسلخ فيها

(١) البيت من قصيدة له فى ديوانه ٣٨٩ — ٤٠٣ . وأولها :

أدارا بحزوى هجت للعين عبرة فماء الهوى يرفض أو يترقرق

ابن ماء : طير من الطيور : اعتسافا : على غير اهتداء .

٢٠ (٢) من القصيدة ٦٥ . - (٣) البطليوسى والتنوير : «جردت» .

(٤) البطليوسى والخوارزمى : «مثل عمود الفضة» .

(٥) فى الأصل : «أرى الواحد منها الماء» وإصلاحه والتتمة بعده من التنوير .

عن جلودها، وتطرحها عن أنفسها . وشبّه جلودَها التى تَنسلخ عنها بالمَعَاوِز، وهى الثِّياب البالية الخَلَقة التى يَرمِى بها الإنسان ، واحدها مِعْوَز . قال الشَّمّاخ يذكر فرسًا كريمة[1] :

إذا سقَط الأنداءُ صِينَتْ وأُشعِرَتْ حَبِيرًا ولم تُدرَجْ عليها المَعَاوِزُ[2]

وشبّه سَلْخَ الحيّة، إذا نفخت فيه الصَّبا فملأته بالرِّيح، بعمود من فِضّة فيه تحزيز. وهذا التشبيه لا أحفظه لغيره . وقد شبّه ابن المعتزّ سلخ الحيّة بكُمّ دِرْعٍ قُطِع، فقال :

تُلقِى إذا انسلخت فى الأرض جِلدتَها كأنّه كُمُّ دِرعٍ قَدَّهُ بطلُ

الخوارزمى : الضمير فى « فيه » لكلّ معوز . يصف سَلْخ الحية . وهذا تشبيهٌ بديع .

٨ ﴿وَعَدْتَنِي يَابَدْرَهَا شَمْسَ الضُّحَى وَالْوَعْدُ لَا يُشْكَرُ إِنْ لَمْ يُنْجَزِ﴾

التبريزى : كأنه يستطيل الليل، بدليل قوله[3] :

البطليوسى : هذا من معانيه المخترَعَة التى لم تتقدّم لغيره فيما أعلم . ومعنى استعارته للبدر الوعدَ ، ومطالبته إيّاه بإنجازه ، أنّ القمر لمّا كان تاليًا للشمس كما ذكر الله تعالى فى قوله ﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا . وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴾ صار يجرى على نِسَبٍ معتدلة من جَرْى الشمس، وبحسابٍ لا يزيد ولا ينقُص، كما قال تعالى: ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ . فلمّا طال عليه الليل قال: يأيُّها البدر ، أنتَ تجرى

(١) كذا ، والصواب أنها فى صفة قوس . وقبل البيت كما فى ديوان الشماخ ٤٩ :

هتوف إذا ما خالط الظبي سهمها وإن ريع منها أسلمته النوافز
كأن عليها زعفرانا تميره خوازن عطار يمان كوانز

(٢) أشعرت حبيرا : ألبست ثوبا ناعما جديدا ، وقيل الحبير : الثوب الموشى . وفى الأصل : « جبيرا » صوابه بالحاء، كما فى الديوان .   (٣) أى البيت التالى .

من الشمس على نسبةٍ معتدلة، والنِّصبة[1] تقتضى أنَّه لا بُدَّ من شمسٍ تعاقبك ، و أنَّ لك حدًّا إذا بلغتَه وافَى الصَّباحُ ، فأين الشَّمس ؟ فإنّ طولَ هذا الليلِ قد أوهمنى أنّ نصبةَ هذا العالِم قد استحالت عمّا كانت عليه ، وأن الشمسَ [لن تعاقبك][2] إذ لا أرى لك حَدًّا تنتهى عنده [و] إليه .

الخوارزمى : عنى بالبدر بدرَ السماء لا المحبوب . الضمير فى : « بدرها » للبلدة .

٩(مَتَى يَقُولُ صَاحِبِي لِصَاحِبِي[3] بَدَا الصَّبَاحُ مُوجِزاً فَأَوْجِز)

التبريزى : مُوجِزا : مسرعا . ويقال كلام وَجيز ووَجْز . ورجل وَجْزٌ .

البطليوسى : سيأتى .

١٠
الخوارزمى : قوله : « موجزا » أى شيئا يسيرًا قصيرا ؛ من قولهم كلام مُوجَز . قوله : « فأوجز » أى فاقصر الشّكاية . وفى البيت يشير إلى عماه[4] .

١٠(وَيَطْلُعُ الفَجْرُ وفَوْقَ جَفْنِهِ مِنَ النُّجُومِ حِلْيَةٌ لَمْ تُحْرَزِ)

التبريزى : تُحرَز ، من أحرزت الشّىء ، إذا جعلته فى حرز . ويروى «تخرز» من الخرز فى الشىء .

١٥ البطليوسى : إنّما قال : «صاحبي لصاحبي» لأنّ العادة جرت من الشُّعراء بأنْ يصف الشّاعرُ منهم أنّ له صاحبين، فيقول : يا خليلىَّ، و يا صاحبىَّ، ولأجل هذا جرى أبو الطيِّب فيه على عادة الشعراء فقال :

(١) أى الهيئة والوضع . انظر مفاتيح العلوم ١٤٤ .

(٢) موضعها بياض فى الأصل . وقد أثبتنا هذه التكملة مما يقتضيه سابق الكلام .

٢٠ (٣) فى اللسان : «وفى حديث جرير قال له عليه السلام : إذا قلت فأوجز . أى أسرع واقتصر» .

(٤) ذهب الخوارزمى إلى أن أبا العلاء جعل تمنيه ظهور الصباح كناية عن تمنيه الإبصار .

وما أنَا إلّا عاشــقٌ كلُّ عاشــقٍ أعَقُّ خليليه الصَّــفِيَّيْن لائمُــــه[1]

وجعل الظَّـلامَ مُوجِزًا لإشرافه على الذهاب ، وجعل عمودَ الصُّــبح لطلوعه فى ظَلام الليل كسيفٍ له جفنٌ من الظلام، على جَفنه حِليةٌ من النجوم[2]، ووصف حليتَه بأنّها حليةٌ غيرُ مُحْرَزة ولا محفوظة ؛ لأنّ النجومَ لا تلبثُ أنْ تغيبَ لغلبَة ضوءِ النهار . ونظيرُ تسميةِ الصَّباح بالسيف، والظلامِ بالجفن، قول البُسْتى :

قــــد نَعِمْنا بدياجيــــهِ إلى أن سُلَّ سيفُ الصُّبح من غِمْدِالظلام

وأراد أبو العلاء من ذكر الحِلية ما تَمَّم به المعنى .

الخـــوارزمى : قوله « ويطلع الفجـر » منعطف على قوله « متى يقول » . المراد بالجفن ها هنا الغمد . وحَسُن إضافة الجفن إلى الفجر ؛ لأنّ الفجر يشـبَّه بالسيف . قال أبو العلاء :

ولا يَهولَنْك سيفٌ للصّباح بدا فإنّه للهَـــوادى غيرُ قطّاع

يستطيل الليل فيقول : متى يبدو الصباح مُوجِزا ويتبلّج قليلا . وهذا لأنّ بقاءَ الكواكب فى أُفق المشرق إنّمــا يكون عند أوّلِ انبلاج الفجر ، أما إذا فشا ضوءُ الفَجر وشاع، فإنّه يضمحلُّ ما فى ذلك الأفق من الكواكب .

١١ (لَا يُدْرِكُ الحَاجَاتِ إِلّا نَافِذٌ إِنْ عَجَزَتْ قِلَاصُهُ لم يَعْجِزِ)

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : القِلاص : الفتيّة من الإبل ، واحدها قَلوص . يقول : لا يصل إلى حاجاته ومآربه ، ويدرك آماله من إراداته ومطالبه، إلّا رجلٌ نافذُ العزيمة ، شديدُ الشكيمة، إن عَجزت إبلُه عمّا يسوقها إليه، تركها وسار على قدميه . وهذا المعنى موجودٌ فى قول أبى الطيّب :

(١) انظر ديوانه (٢ : ٢٣١) . (٢) فى الأصل : «وهى على جفنه حلية من النجوم» .

وعَنْ ذَمَلانِ العِيس إنْ سامَحَتْ به وإلّا ففى أكوارهنّ عُقَابُ[1]

الخوارزمى : القلاص فى : « أعن وخد القلاص[2] » .

١٢ (يَسْتَقْصِرُ العِيسَ عَلَى بُعْدِ المَدَى وَهُنَّ أَمْثَالُ الظِّبَاءِ النُّفَّزِ[3])

التبريزى : أى ينسبها إلى التقصير . والنافز كالقافز ، غير أن النافز تقع قوائمه متفرقة ، فإذا وقعت قوائمه مجتمعة فهو القفز .

البطليوسى : المدى : الغاية . والنفّز والنقّز ، بالفاء والقاف ، وهى التى تنفز وتنقز ، أى تثب . وتسمّى القوائم نوافز ونواقز ؛ لأن الوثب بها يكون . قال الشمّاخ :

هَتوفٌ إذا ما خالطَ الظّبْىَ سهمُها وإنْ رِيعَ منها أسلمتُه النّوافزُ[4]

الخوارزمى : سيأتى .

١٣ (وَالبَدْرُ قَدْ مَدَّ عِمَادَ نُورِهِ[5] واللّيْلُ مِثْلُ الأَدْهَمِ المُقَفَّزِ)

التبريزى : المقفّز : الذى قد بلغ تحجيلُه ركبتيه .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : استقصرته ، إذا عددته قصيرا . فى أمثالهم : «أنزى من ظَبى» وهو من النّزوان . « وهنّ أمثال الظباء النُّفّز » جملة ابتدائية فى محل النصب على الحال ، والعامل فيه «يستقصر» . وكذلك قوله «والبدر قد مد عماد نوره» . وهما مترادفتان ، ويحتمل أن تكونا متداخلتين فتكونَ الثانيةُ حالًا من الضمير المستكنّ

(١) الذملان والذميل : ضرب من السير . والأكوار : جمع كور ، وهو الرحل بأداته . وانظر ديوانه (١ : ١٢١) . (٢) انظر ص ٣٧ .

(٣) البطليوسى فقط : «طول المدى» .

(٤) البيت فى صفة قوس ، كما تقدم فى الحاشية رقم ١ ص ٤١٩ . الهتوف : المصوتة . ريع : أفزع . أسلمته : خذلته . (٥) البطليوسى : «والصبح قد مد عمود نوره» .

فى النُّفَّز، أى تنفز والليل مقمر. وخصّ الظّبىَ المُقْمِر، لأنّ الظبى ينشَط فى القَمْراء. ولذلك قيل: «أنشَطُ من ظبى مُقْمر». الأَقْفَز من الخيل: الذى يكون البياض فى يديه إلى مرفقيهما دون الرِّجلين؛ كذا نقـله الغورى عن القُتَبىّ. فكأنه أُلْبِس القُفَّازين. وأما المقفَّز، فهو الذى استدار تحجيلُه بقوائمه ولم يُجاوِز الأشاعر، نحو المُنْعَل[1]. ذكره الغورى. ٥

١٤ ﴿بِاللهِ يَا دَهْرُ[2] أَذِقْ غُرَابَهَا مَوْتًا مِنَ الصُّبْحِ بِبَازٍ كُرَّزِ﴾

التبريزى: الكُرّز من الطير: الذى سقط ريشه. قال رؤبة:

لَمّا رأتْنِى قانعًا بالإِهمادْ[3] كالكُرّزِ المشدودِ بينَ الأَوتادْ

وقيل: إنّما يريدون بالكرّز الذى مضتْ له سنة، فقد جَرَّب وعَرَف.

البطليوسى: المقفَّز والأقفز من الخيل: الذى فى يديه بياض يبلغ المرفقين، كأنه شبّه بالقُفَّاز. والكُرَّز من البزاة: الذى ألقى ريشَه. قال رؤبة[4]: ١٠

* كُرَّزَ يُلْقِى رِيشَه حتّى جَثَمْ *

شبّه الليل بالغراب، والصبح بالبازى. والهاء فى قوله: «غرابها» عائدة إلى البلدة التى ذكرها قبل هذا. وهذا نحوُ قول تميم بن المُعِزّ[5]:

وَكأنَّ الصّباح فى الأُفق بازٌ والدُّجَى بين مِخْلَبَيْه غُرابُ ١٥

---

(١) المنعل، بفتح العين: الذى فى مآخير أرساغه بياض ولم يستدر.

(٢) البطليوسى والديوان المخطوط: «يادهر بالله».

(٣) الإهماد: الاقامة؛ أهمد: أقام.

(٤) حـ: «ذو الرمة». ولم نجد البيت لا فى ديوان رؤبة ولا فى ديوان ذى الرمة.

(٥) حـ: «تميم فى المعتز» صوابه فى أ. وهو أبو غالب تميم بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدى. وأبوه المعز، بانى القاهرة. وكان تميم شاعرا ماهرا ظريفا، ولم يل المملكة لأن ولاية العهد كانت لأخيه العزيز. ولد تميم سنة ٣٣٧ وتوفى سنة ٣٧٤. انظر وفيات الأعيان. ٢٠

الخــوارزمى . الباء فى: «بالله» للحلف على سبيل الاستعطاف؛ وهذا كقولهم: أسألك بحقِّ الرحم أنْ تفعل كذا . وفى شعر أبى الطيِّب :

* بِمَـا بجَفنيكِ مِنْ سِحْرٍ صِلِي دَنِفاً[1] *

قال ٱبن هَرْمة :

* بالله ربِّك إنْ دخَلْتَ فقُلْ لَهُ *

ولا يجوز أن تقوم الواو والتاء مقام الباء هاهنا . الضمير فى «غرابها» للدجى . استعار الغُراب لسَواد الدُّجَى، كما استُعير للشّباب والشَّيْب[2] ، فى قولهم : فلانٌ واقع الغراب، أى شابٌّ ؛ وطار غرابه، أى شَابَ . وفى شعر أبى الكفاءة الكرمانىّ :

أيا بومةً قد عشّشَتْ فوق هامتى   على الرّغم منِّى حين طارَ غرابُها
عَرفتِ خَرابَ العُمر منِّى فزُرتِنى   ومأواكِ من كلِّ الدِّيار خرابُها

كُزِّ النَّسر والبازى، إذا جُعِل فى كُزٍّ[3] ورُبط حتّى سقط شعره ، قال رؤبة :

رأيته كما رأيت النَّسْرَا   كُزِّ يُلَقِّ قَادِماتٍ زُعْرا[4]

وخصّ الكُزّ لأنّه أعظم وأحسَن لونا .

---

(١) البيت من قصيدة له فى ديوانه (٢ : ١٢٢ — ١٢٩) . وعجزه :

* يهوى الحياة وأما إذ بخلت فلا *

(٢) فى الأصل : « والشعر » والوجه ما أثبتنا .

(٣) الكرز، بالضم : خرج الراعى . ولم نجد تأصيل الاشتقاق فيما لدينا من المراجع .

(٤) وكذا روايته فى اللسان (٧ : ٢٦٧)، لكن روايته فى المعرب للجواليق ٢٨١ : «عشرا» .

[القصيدة الرابعة عشرة]

وقال أيضا يُجيب الشريفَ أبا إبراهيم، عن قصيدة من الخفيف والقافية متواتر أوّلها[1]:

غيرُ مُستحسَنٍ وِصالُ الغواني بَعْدَ ستّين حِجّةً وثمانِ

١ «عَلِّلَانِي فَإِنَّ بِيضَ الأَمَانِي فَنِيَتْ وَالظَّلَامُ لَيْسَ بِفَانِ»

التبريزى : «علّلانى» : أمر من التعليل، السقى كرّة بعد كرّة.[2]

البطليوسى : سيأتى.

الخوارزمى : علّلانى: أمر من علّلت الصبيّ بفاكهةٍ، إذا ألهيتَه بها، لا من علّلته سقيته مرّةً بعد أخرى؛ لأنّ أبا العلاء لم يكن مُولَعاً بشرب الخمر، ولم يعتَدْ وصْفَ ذلك فى الشعر. ألا ترى إلى قوله، وهو فى هذه النونيّة:

فاغتبقنا بيضاءَ كالفضّةِ المحـ ـضِ وعِفْنا حمراءَ كالأُرجوانِ[3]

يقول: تطاول ليلي فبِتُّ أُخادع نَفْسي بالأماني المسلّية، والأحاديث المُلْهية، حتّى فَنِيتْ أفانينُ المُنى وضروبُ الأحاديث، وظلامُ اللّيل بحاله لم يَفْنَ، فالهيانى بقيّةَ ليلتى بما أتلهّى به.

---

(١) البطليوسى : «وقال أيضا يجيب الشريف أبا إبراهيم العلوى عن قصيدة أولها» وأنشد البيت. وعند الخوارزمى : «وقال أيضا فى الخفيف الأوّل والقافية من المتواتر يجيب الشريف أبا إبراهيم رحمه الله عن قصيدة اوّلها». وأنشد البيت، ثم قال تعليقا على هذا البيت : «هذا من قول الأمير أبى فراس» :

وقوفك بالديار عليك عار وقد رُدّ الشباب المستعار

أبعد الأربعين مجرمات تَمادٍ فى الصبابة واعترار

وأحسن منها ما روى أنس بن مالك رضى الله عنه، عن النبي عليه السلام : «إن الله يبغض ابن السبعين فى طرة ابن العشرين». (٢) فى الأصل : «يسق». (٣) انظر البيت ٤٦ من هذه القصيدة.

٢ (إِنْ تَنَاسَيْتُمَا وِدَادَ أُنَاسٍ فَاجْعَلَانِي مِنْ بَعْضِ مَنْ تَذْكُرَانِ)[1]

التبريزى : يسألهما أن يجعلاه فى جملة من يذكران، لا ينسياه .

البطليوسى : قوله : «علانى» خطابٌ منه لصاحبيه، جرياً على عادة العرب فى مخاطبة الاثنين، كقولهم : يا خليلىّ ويا صاحبىّ . وإنّما فعلوا ذلك لأنّ أقلّ ما تكون الرُّفقة ثلاثةٌ ، فيخاطِبُ الواحدُ منهم صاحبيه . وهذا أمرٌ كانت عليه العربُ فى الجاهليّة ، وأقرَّهُم الإسلامُ على حاله، فقال صلى الله عليه وسلم : « الواحد شيطانٌ، والاثنان شيطانان، والثلاثة رَكْب » . ووصَفَ الأمانىَّ بالبيض، لأنّ العرب تعبِّر عن الحسن بالبياض ، وعن القُبح بالسواد . وقد ذكرنا من ذلك فيما تقدّم ما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

١٠ الخوارزمى : الرواية : « من تذكران» لا : « ما تذكران » .

٣ (رُبَّ لَيْلٍ كَأَنَّهُ الصُّبْحُ فِى الحُسْـ ـنِ وَإِنْ كَانَ أَسْوَدَ الطَّيْلَسَانِ)

التبريزى : ربَّ للتقليل، معناه أنّ ذلك قليل . وأراد أنّ الليل المظلم إذا بلغ الإنسانُ فيه ما تمنّاه فهو نهارٌ مضىء له .

البطليوسى : سيأتى .

١٥ الخوارزمى : سيأتى .

٤ (قَدْ رَكَضْنَا فِيهِ إِلَى اللَّهْوِ لَمَّا وَقَفَ النَّجْمُ وِقْفَةَ الحَيْرَانِ)

التبريزى : هذا يدلُّ على أنّه بلَغَ ما أراد وقتَ وقوفِ النّجم، وذلك يكونُ فى الظلامِ، فقد جعله لحُسْنه عندَه كالنّهار وإن لم يكن فيه ضياء . والنجم، يريد به الثريا .

٢٠ (١) الخوارزمى : «فى بعض»

البطليوسى : الطيلسان : الكساء الأخضر، ويكون أيضا الأسودَ . ويحتمل أن يريد بالنجم الثُّريّا خاصّة ، وهو اسم خاصّ لها ؛ ويحتمل أنْ يريد النجومَ كلَّها ، وإنّما قال هـذا لقوله قبله :

* فَنِيتُ والظَّلامُ ليس بِفانٍ *

يقـول : إن كنت أُشفِق من طول الليـل وغُمّته ، وأرغَب إلى صاحبيَّ أن يعينانى على ما أُكابِدُ من همّه ووحشته ، فقد مرّ علىَّ زمانٌ كانَ الليلُ عندى فيه أحسنَ من الصّباح، لمـا أنالُ فيه من اللذّة والارتياح . وهـذا نحو قول مُهَلْهِل : ٥

فإن يَكُ بالذنائب طالَ ليـلِي فقد أبكِى على اللَّيـلِ القصيرِ

وإنّما ذكر « ربّ » هاهنا وهى للتقليل ، إشارةً إلى قلّة ما ناله من السرور ووصل إليه ، وإخبارًا بأن إساءة الزّمان إلى أهله هى الغالبةُ عليه . وإنما قال : ١٠

* وقَفَ النَّجمُ وِقفةَ الحيرانِ *

لأنّ النجوم تكثُر حركتها فى الآفاق، فإذا ارتفعت فى السماء قلّت حركتُها .

الخـــوارزمى : كان ذلك الليل كالصُّبح لأنّه نال فيه أمانيـه . الطيلسان : كساءٌ يُلْبَس عند البَرْد؛ وفى أمثلة النحويّين: «جاء البردُ والطيالسةَ». وقفة النجم حيران، كناية عن طول الليل وامتداده . وفى عراقيّات الأبيوردى : ١٥

كم زُرتُها بنجادِ السّيف مشتملاً والنّجمُ فى الأُفقِ الغـربىّ حيرانُ[1]

وفى شعر أبى الطيّب :

ما بالُ هـذى النُّجومِ حائرةً كأنّهـا العُمْىُ ما لهـا قائدْ[2]

(١) قبله كما فى الديوان ص ٣٤٥ :

تهـزنى طربات من تذكرها كما ترنح نضو الراح نشـوان ٢٠

(٢) انظر ديوانه بشرح العكبرى (١ : ٢٨٢).

وقال بشّار بن بُرْد :

والنّـجم فى كَبِـدِ السّماء كأنّه أعْمَى تحـيرٌ ما لَهُ مِن قائِدِ

وفى بيت أبى العلاء هاهنا مقابلة من وجهين : أحدهما من حيث إنّهم ركَضوا والنجم قد وقف ، والثّانى من حيث إن ركضهم [كان] إلى اللهو الذى هو مجلبة للسرور ، ووقفةَ النجم كانت فى الحيرة التى هى منشأ الحزن . ٥

٥ ﴿ كَمْ أَرَدْنَا ذَاكَ الزَّمَانَ بِمَدْحٍ فَشُغِلْنَا بِـذَمِّ هَـذَا الزَّمَانِ ﴾

التبريزى : ... ...

البطليوسى : هذا البيت يبين ما قلناه ؛ لأنه استعمل «رب» فى الحال المحمودة تقليلاً لها ، واستعمل « كم » فى الحال المذمومة تكثيرًا لها . وهـذا من حذق الشاعر العارف بوجوه الكلام ، القاصد للتشاكل بين الألفاظ والالتئام . [قال][1] : ١٠

أودّعكم وأُودِ عـكم جنـانِى وأنثُرُ أدْمُعى مثـلَ الجُمـانِ

ولو أُعطَى الخيارَ لمَـا افترقْنا ولكنْ لا خيـارَ مـعَ الزّمانِ

الخوارزمى : كم أردنا ذاك الزمان بمـدح ، أى كم قصدناه به . قال عمرو ابن شأس[2] :

أرادتْ عِرارًا بالهوانِ ومَن يُرِدْ عِرارًا لَعمرِى بالهوانِ فقـد ظَلَمْ[3] ١٥

وقد لمحه شيخُنا جارالله العلامة ، فى قوله :

شِكاياتُ أيّامِى مَلَكْنَ قصائدى فلم يَبـقَ فيهـا للنَّسيب نصيبُ

(١) تكملة بها يلتئم الكلام . والبيتان التاليان ليسا فى نسخة أ من البطليوسى ، وأثبتناهما من ب والتيمورية ، وليس بينهما وبين ما سبق من الكلام مناسبة إلا أن يكون قد قصد مجرّد ما فيهما من تشاكل الألفاظ ، أو الحوم حول قسوة الزمان. (٢) انظر الحماسة (١ : ٩٩). ٢٠

(٣) عرار ، بالكسر : اسم ولده ، والضمير فى «أرادت» لامرأته ، وكانت قد أرادت بولده الهوان .

٦ ﴿ فَكَأَنِّى مَا قُلْتُ وَالْبَدْرُ طِفْلٌ وَشَبَابُ الظَّلْمَاءِ فِى العُنْفُوَانِ[1] ﴾

التـبريزى : قوله : « والبدر طفل » ، يعنى أنه فى أوّل الشهر ، ومثله قوله فى الذى يأتى بعده[2] :

* طَلَعْتُ عليهمُ واليومُ طِفلٌ *

أى أوّلَ اليوم . وعنفوان الشباب : أوّلُه . والواو فى قوله : « والبـدر طفل » واو الحال . يقول : كأنّى ما قلت فى هذه الحال : ليلتى عروس .

البطليـوسى : سيأتى .

الخـوارزمى : ... ...

٧ ﴿ لَيْلَتِى هٰذِهِ عَرُوسٌ مِنَ الزَّنْـ ـجِ عَلَيْهَا قَلَائِدٌ مِنْ جُمَـانِ ﴾

التـبريزى : يقال زِنْج وزَنْج ، وزِنْجِىٌّ وزَنْجِىٌّ .

البطليـوسى : العنفوان : أوّل كلِّ شىء ومقدَّمه . وجعل الليلَ فى هذا الموضع طفلًا لاقتباله . وقدجعله فىموضع آخر كَهلًا لمـا فيه من النُّجوم الشبيهة بالشيب . ويقال : زِنج وزَنج ، بكسر الزاى وفتحها .

الخـوارزمى : شـبّه تلك الليلةَ بعروسٍ من الزَّنج ، لأنّها شابّة سـوداء مقلّدة مُشتمِلةٌ على الطَّرب والسُّرور . والزَّنج من بين سائر الأمم مخصوصون بشدّة الطرب وحبِّ الملاهى . ووصف بعضُهم رجلًا بالطَّرب فقال : إنّه واللهِ لأَطْرَبُ من زنجىٍّ عاشقٍ سكرانَ » . قال الثعالبى رحمه الله : « ويُحكى من طيب عُرْسهم و بلوغهم فيه

(١) ب من البطليوسى : « وشباب الظلام » . وفى المتن المخطوط والتنوير : « فى عنفوان » . وسائر الروايات : « العنفوان » .

(٢) هو البيت ٤١ من القصيدة ١٧ . وعجزه :

* كأن على مشارقه جسادا *

كلّ مبلغ من الأخذ بأطراف القصف والعزف، و إثارة الزّهج فى اللّعب والرّقص، ما تمثّل به آبن طَباطَبا فى قوله :

وليلةٍ أطْرَبَنِى جُنْحُها   فخلتُنى فى عُرُس الزّنْج

ومن أبيات السقط :

أو نسوةُ الزّنج بأيمانها   للرقص قُضْبٌ ذَهَبياتُ

٨ ﴿هَرَبَ النَّوْمُ عَن جُفُونِيَ فِيهَا   هَرَبَ الأَمْنِ عَنْ فُؤَادِ الجَبَانِ﴾

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : ... ...

الخـــوارزمى : الضمير فيه لـ « ليلتى »(١) .

٩ ﴿وَكَأَنَّ الهِلَالَ يَهْوَى الثُّرَيَّا   فَهُمَا لِلْوَدَاعِ مُعْتَـــنِقَانِ﴾

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : ... ...

الخـــوارزمى : الثّريّا، مأخوذة من الثّروة، بمعنى كَثْرة العدد ، وهى سِتّة أنجم ظاهرة ، فى ظلّها نجومٌ مستترة خفيّة ، وهى أشهَرُ المنازل ، تظهر من أول الليـــل فى المشرق عند ابتداء البرد، ثم ترتفعُ فى كلّ ليـــلةٍ حتّى تتوسّط السماءَ مع غُروب الشمس — وذلك الوقت أشدّ ما يكون البرد — ثم تنحدر عن وسَط السماء فتكون كلّ ليلةٍ أقربَ من أُفق المغرب وأبعدَ من وسط السماء، إلى أن يهلّ(٢) معها الهلال لأوّل ليلة، فتمكث شيئا يسيرا ثم تغيب ، فلا تظهر نَيِّفًا وخمسين ليلةً. وهذا المغيب استسرارها . وفى ذلك يقول كثيّر :

(١) التى ورد ذكرها فى البيت السابق . وفى الأصل : « لليلة » .

(٢) يقال هل الهلال وأهل وأهل و استهل بالبناء للفعول فى الأخيرين ، إذا ظهر .

فدَعْ عنكَ سُعْدَى إنّما تُسعِفُ النّوى قِرانَ الثُّريّا مَرّةً ثم تأفُلُ (١)

قال القتبيّ : يعنى إنما تلاقيهما مرّة واحدة فى السنة، كما أن مقارنة الثريّا الهلال فى السنّة مرة . ويقال : « ما ألقاه إلا عِدّةَ الثُّرَيّا القمر » (٢) أى إلا مرة فى السنة. وقول أبى العلاء هاهنا إشارة الى تلك الليلة التى فيها يبدو الهلال، وبعد ذلك تستسرّ الثريّا . وفى هذا البيت إيهام مليح ؛ وذلك لأن « هلالًا » من أسماء الرجال، وقد جعله محبًّا، و « الثريا » من أسماء النساء وقد جعلها حبيبة . وتفسير هذا البيت على ما ذكرته من أسرار هذا الديوان .

١٠ ﴿قَالَ صَحْبِي فِي لُجَّتَيْنِ مِنَ الحِنْـ ـدِسِ وَالْبِيدِ إذْ بَدَا الفَرْقَدَانِ﴾

التبريزى : يقال: صاحب وصَحْب، كما يقال: راكب وركْب . والحندس: الليل المظلم . وثلاثُ ليالٍ من ليالى الشهر يقال لها الحنادس، لشدّة ظلمتهن . والبِيد : جمع بَيداء . والليلة المظلمة تشبَّه بالبحر، والبِيدُ تشبه به أيضا (٣) . « قال صحبى فى لجتين » : لجّة من الظلام، ولجّة من البيد . ولجة الماء : مُجْتَمَعه، وكذلك لجة الظلام .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

١١ ﴿نَحْنُ غَرْقَى فَكَيْفَ يُنْقِذُنَا نَجْـ ـمَانِ فِي حَوْمَةِ الدُّجَى غَرِقَانِ﴾

التبريزى : حومة الدجى : مُجْتَمَعه . أى قال صحبى: نحن غرقى فى البيد، فكيف نهتدى بنجمين غريقين فى الظلام . وقوله « نحن غرقى » وما اتّصل به فى موضع النصب، لأنه مفعول «قال صحبى» فى البيت الذى قبله .

(١) البيت فى ديوان كثير (٢ : ٢٩) واللسان (عدد) حيث أفاض الكلام فى قران الثريا .
(٢) ويقال أيضا : « إلا عداد الثريا القمر » و « إلا عداد الثريا من القمر » .
(٣) فى الأصل : « والبرية تشبه بهما أيضا » .

البطليوسى : يقول: كيف يخلّصنا الاهتداء بالفرقدين، وهما فى مثل حالنا من الحيرة والضلال . وهذا كقوله :

بلادٌ يَضِلُّ النجمُ فيها طريقَهُ ويَثْنِي دُجاها طيفَها عن لِمامِه

وهذا نحوُ قولِ بعض المُحْدَثين :

٥ أنت فيما ترجوه مِنّى كما قيـ ـل غريقٌ مُستمسِكٌ بغريقِ

الخوارزمى : أثبت للدُّجى لجّة لأنّها تشبّه بالبحر . ومن أبيات السقط :

قطعتُ به بحرًا يَعُبُّ عُبابُه وليس له إلا التبلُّجَ ساحلُ

وفى عراقيّات الأبيوردىّ[1] :

أُفيض عليه شِكّتى وأُخِيضُه دُجَى اللَّيلِ والأعداءُ منّى بمَرْصَدِ

١٠ وكذلك البيداء تشبَّه بالبحر، ولذلك شبِّهت الناقة بزورق البِيد[2] . خصّ الاهتداء بالفرقدين، لأنّهما لا يطلبان فى وقتٍ من الليل إلّا وُجدا؛ ولهذا خُصّا بالسؤال فى بيت السقط :

فاسأل الفرقدَينِ عمَّنْ أحسَّا مِن قَبيلٍ وآنَسَا مِن بِلادِ

لأنّهما إذا كانا طول الليل طالعَين غير غائبين كان إحساسُهما القبائلَ و إيناسُهما ١٥ البلادَ أكثر . ولهذا تعيَّنا فيما أنشده ابن دُريد :

* إليكَ هدانِى الفرقدانِ ولاحبٌ[3] *

والعمدة فى هذا الباب قول الراعى :

لا يَتّخِذْنَ إذا عَلَوْنَ مَفازةً إلّا بياضَ الفرقدَينِ دَليلَا

(١) انظر ديوانه ص ٩٣ . (٢) فى الأصل : «بزورق البلد» .

٢٠ (٣) من بيت لعلقمة بن عبدة فى المفضليات (٢ : ١٩٣)، والرواية فيها : «هدانى إليك» . وعجزه :

* له فوق أصواء المتان علوب *

وأمّا قول ابن أحمر فى صفة فلاة :

يُهِــلُّ بالفرقــدِ رُكْبَانُهـا[1]   كما يُهِــلُّ الراكبُ المعتمِــرْ

فقد حُمل على ذلك فى أحد القولين .

١٢ (وَسُهَيْلٌ كَوَجْنَةِ الحِبِّ فى اللَّوْ   نِ وَقَلْبِ المُحِبِّ فِى الخَفَقَانِ)

التـبريزى : سُهيل يضرب إلى الحمرة، وهو دائم الخفقان . والحِبّ : المحبوب . ومن شأن المحبّ إذا رأى الحبيبَ أن يخفق قلبه ، والمحبوبُ إذا رأى من يحبّه واستحيا احمرّتْ وجنته . فشُبِّه بوجنة المحبوب إذا احمرّت ، وقلبِ المحبّ إذا خفق لمكانه .

البطليوسى : سياتى .

الخوارزمى : سهيل : كوكب أحمر يمان . ومن أبيات السقط فى صفة عين الأسد بالحُمْرة :

كأنّ اللحظ يصدُر عن سُهيلٍ   وآخرَ مثلِهِ ذاكِى الضِّرامِ

وقال القاضى التّنوخىّ :

ولاحَ فى الأُفقِ سهيلٌ طالعًا   كمقلةٍ رَمْداءَ أو خَدٍّ خَجِلْ

وقال آخر :

إذا سُهيلٌ لاح كالقِنديلِ   جعلتُه على السُّرَى دليلى

وقال عمر بن أبى ربيعة، فى الثريّا التى بها كان يشبّب ، وقد تزوّجها سهيلُ ابن عبد الرحمن بن عوف :

أيُّها المنكِحُ الثريّا سُهيلًا   عَمْرَكَ اللهَ كيف يلتقيانِ

هى شاميّةٌ إذا ما استقلّتْ   وسُهيلٌ إذا استقلَّ يمانى

(١) والقول الآخر أن المراد بالفرقد ولد البقرة الوحشية . أنهم فى مفازة بعيدة ، فإذا رأوا فرقدا ، وهو ولد البقرة الوحشية ، كبروا ، لأنهم علموا أنهم قربوا من الماء . اللسان (٦ : ٢٨٣) .

وسُهيل لقربه من الأفق، يُرى كالمضطرب. وفى شعر الشريف أبى إبراهيم العلوى:

وسُهيلٌ يُخَالُ بازِىَ صَيْدٍ أشهبا غَيَّرُوه بالزَّعفرانِ
تحتَ عينِه إوزّةَ ماءٍ فهو ذُو نَبْوةٍ عن الدَّستبانِ (١)

وقال جِرانُ العَوْد:

أراقبُ لَوحًا من سُهيلٍ كأنّه إذا ما بدا من آخر الليل يَطرِفُ

ومن ثَمّةَ ترى الشّمسَ عند طلوعها مضطربة. قال: (٢)

* والشمس كالمرآة فى كفِّ الأشلّ *

١٣ (مُستَبِدًّا كأنّهُ الفَارِسُ المُعْـ ـلِمُ يَبدُو مُعَارِضَ الفُرْسَانِ)

التبريزى: مستبدًّا، أى منفردا قد استبدّ بنفسه، ومنه: فلان مستبدّ برأيه. ويقال: فلان مُعلَمٌ ومُعْلِم، للذى يُعلِم نفسَه فى الحرب.

البطليوسى: المستبدّ: المنفرد. والمعارِض: الذى يكون فى عُرْض الفُرسان، أى ناحيةً منهم. وإنّما قال ذلك لأنّ سهيلًا يُرى أبدًا مع الأُفق منفردا عن الكواكب، ولا يُرى مرتفعًا كارتفاعها. ولذلك قال الراجز: (٣)

إذا سهيلٌ لاحَ كالوُقودِ فَـرْدًا (٤) كشاةِ البقرِ المطرودِ

والشاة: الثور الوحشى. ولذلك قال جِران العود:

أراقبُ لَوْحًا من سُهيلٍ كأنّه إذا ما بَدَا من آخر الليل يَطرِفُ
يُعارِض عَنْ مَجْرَى النجومِ وينتحِى كما عارَضَ الشَّولَ البعيرُ المؤلَّفُ

فشبّهه لاعتزاله النجومَ وميله عنها، ببعيرٍ ضُمَّ إلى إبلٍ وليس منها، فهو يقف ناحيةً منها.

---

(١) الدستبان، لم تذكرها المعاجم العربية ولا كتب المعربات، وهى فيما نرى معربة عن كلمة «دستبند» الفارسية، ومعناها الجماعة من الناس والحيوان. انظر معجم استينجاس ٥٢٢. (٢) اختلف فى القائل، فقيل الشماخ، وقيل ابن أخيه، وقيل أبو النجم، وقيل ابن المعتز. انظر معاهد التنصيص ١٩١.
(٣) هو ذو الرمة من أرجوزة له فى ديوانه ١٥٠ — ١٦٣. (٤) الديوان: «فرد».

الخوارزمى : وصف سهيلًا بالاستبداد ، لانفراده عن سائر الكواكب ، لا يقطع إلى الغرب كغيره[1] . ويشهد له بيت القاضى التنوخىّ :

ولاحَ سهيلٌ فى السّماءِ معارِضًا كَوجنةِ رِيمٍ ريمَ أو عينِ أرْمَدَا

ومن ثَمّة يسمّونه فحلا ، تشبيهًا له بفحل الإبل؛ لأن الفحل إذا قرع الشّول اعتزلها .
قال ذو الرمّة :

إذا عارَضَ الشِّعْرَى سهيلٌ كأنّه قَريعُ هِجانٍ عارَضَ الشَّوْلَ جافرُ

الجافر ، هو المُكْثِرُ من الضِّراب حتى يحسر وينفرد عن النوق .

١٤ (يُسْرِعُ اللَّمْحَ فى احْمِرارٍ كَمَا تُسْـ ـرِعُ فى اللَّمْحِ مُقْلَةُ الغَضْبانِ)[2]

التبريزى : يصف شدّة خفقانه واضطرابه[3] .

البطليوسى : سياقى .

الخوارزمى : الإسراع قد يتعدّى . وفى أساس البلاغة : «أسرعَ المشْىَ» . لمحَ البرقُ والنجمُ ، أى لمع ؛ ورأيت لمحةَ البرق . شبّه لمعانَ سُهيلٍ فى سرعته وحمرته بلمعان عينِ الغضبان فى سرعتها وحُمرتها . وهذا لأن الكواكبَ تشبَّه بالعيون . وهذا من التشبيه المركّب . ولقد أحسن حيث شبّه لَمْحَه بلَمْح الغضبان ، بعد أن جعله محاربًا معارض الفرسان .

١٥ (ضَرَّجَتْهُ دَمًا سُيوفُ الأَعادى فَبَكَتْ رَحْمَةً لَهُ الشِّعْرَيانِ)

التبريزى : سُهيل يوصف بأنه أحمر . ضرّجته ، أى لطّخته . وكانت العرب تقول : الشِّعرِيانِ أُختا سُهيل . والغميصاء إحداهما ، وهى فى المجرّة ، فهى لا تنظر

(١) فى الأصل : « لغيره » . (٢) التبريزى : « كما يسرع » .
(٣) فى الأصل : « بيده » .

إليه فقد غَمِصت من البكاء، أى كثر القذى فى عينها؛ والأخرى الشعرى العَبُور، قد عبرت [إليه] المجرّةَ، فهى تنظر إليه وفى عينها عَبْرة[1]، أى دمع .

البطليوسى : اللمح : مصدر لمحته بعينى . شبّهه لاحمراره وحركته بمُقلة غضبان تطرِف أجفانها، وتَقلُّبُ حدقُها مِن شدّة الغضب . والشِّعريان : كوكبان يقال لإحداهما الشعرى العبور، والثانية الشعرى الغميصاء. وإنما قال : «فبكتْ رحمةً له الشِّعريان» لأن العربَ كانت تقول: إنّ الشِّعريين أختا سهيل. والغميصاء فى المجرة، فهى لا تنظر إليه، فقد غمِصت عينها من كثرة البكاء . ومعنى غمصت عينها : كثر عليها الغَمَص، وهو القذى؛ ولذلك سمِّيت الغميصاء؛ والعبور قد عبرت إليه المجرّةَ فهى تنظر إليه وفى عينها عَبرة، أى دمعة. وجعل سُهيلًا لاحمراره واعتزاله الكواكبَ الشاميّةَ كأنّه قتيلٌ مضرَّج بالدَّم، وجعل الكواكب الشاميّةَ كأنّها أَعادٍ للكواكب اليمانية، فلذلك ضرِّج سهيلٌ بالدم، لأنّه بعضها. وبين اليمنيّة والمضريّة أحقادٌ قديمة، وعداوة عظيمة، فاستعار ذلك للكواكب . ولِمَا بين اليمنيّة والمضريّة من الأحقاد قال أبو الطيِّب :

كأنّ رقابَ النّاس قالت لسيفه رفيقُك قيسىٌّ وأنتَ يمانِى

الخوارزمى : تقول الأعراب فى أحاديثها : إن سُهيلًا والشِّعريين كانت مجتمعةً، فانحدر سهيلٌ فصار يمانيًا، وتَبِعتْه العبورُ فعبرت المجرّةَ، وأقامت الغُميصاء فبكت لفَقْد سهيلٍ، حتّى غمِصت عينُها، فهى أقلُّ نوراً من العَبور. عنَى بتضريجه دمًا حُمرتَه، فكأنّه يشير فى هذا البيت إلى قول العرب بأنّ سهيلا خطبَ الجوزاء، فركَضَتْه برجلها، وهو قد ضربَها بالسَّيف حتى قطَع وسَطها . ومرَّ بى فى بعض الكتب أنّهم يقولون : برك على الجوزاء سُهيلٌ حتى كسَر فقَارها، فهو لذلك نحو

[1] فى الأصل : «عبرة أو دم» .

الجنوب هارب» . يقول : برك على الجوزاء كاسرًا فقارها سُهيل ، بجرى بينهما لفُّ خيلٍ بخيلٍ ، ثمَّ تكافأا وقد تلطّخ سُهيل ، من دمه بِسيل . الشِّعريان : أُختا سهيل ، وهما العبور والغميصاء . أما العبور فهى النيِّر العظيم ، وهى التى أرادها الله عزّ وجل : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى ﴾ . وأما الغُميصاء فهى أقلّ نورًا من العَبور . وسمِّيت الأولى عبورًا لوجوه : لعبورها إلى سهيلٍ فى ناحيةِ الجنوب المجرّةَ . وقال أبو سعيد : سُمِّيت بذلك لتعبيرها بالمـال[1] ، أى لمشقّتها عليه ، إذا طلعت فبِحَرّها ، وإن سقطت فَبِبَرْدها . يقال : عبَّر به كذا ، أى برَّح به وشقّ عليه . قال الهذلىّ[2] :

ما أنا والسَّيرَ فى مَتْلِفٍ يعبِّر بالذَّكَرِ الضَّابِطِ

وقال ابن دريد : بل لرؤيتها سهيلًا واستعبارها ، أى بكائها . وإلى هذا الوجه قد وقعت الإشارةُ فى كلام أبى العلاء ، لأنّه جعل العَبور باكيةً كالغُميصاء . وهذه الحكايات قد لفّقتها العرب لتبقَ صورُ الكواكب فى عين الرّأى محفوظة .

١٦ ﴿ قَدَمَاهُ وَرَاءَهُ وَهْوَ فِى العَجْـ ـزِ كَسَاعٍ لَيْسَتْ لَهُ قَدَمَانِ ﴾

التبريزى : سُهيلٌ خلفه نجمانِ يقال لهما : قَدَمَا سهيل .

البطليوسى : قدما سهيل : كوكبان تحتَه ، وخلفهما كواكب يقال لها الأعْيار ، لا تُرى بالعراق ، وتُرى بالحجاز . يقول : كان ينبغى له أن ينهض لأنّ له قدمين ، ولكنه لا يبرح فكأنّه لا قدمين له . وإنّما أشار بهذا إلى طول الليل ، فجعل كواكبه لطوله كأنّها لا تبرح .

الخوارزمى : أسفلَ من سهيل كوكبانِ يقال لهما : قدمَا سهيل .

---

(١) يريد بالمال الإبل . (٢) هو أسامة الهذلى ، كما فى الجزء الثانى من أشعار الهذليين ص ١٠٣ طبع ليبسك سنة ١٩٣٣ .

١٧ ﴿ثُمَّ شَابَ الدُّجَى وَخَافَ مِنَ الهَجْـ ـرِ فَغَطَّى المَشِيبَ بِالزَّعْفَرَانِ﴾

التبريزى : إنما يَشيب اللّيل[1] عند طلوع الفجر. وتشبّه الحمرة التى تبدو مع طلوع الفجر، بالزّعفران . ولمّا خاف الدُّجى من الهجر حين شابَ جعل خضابه الزعفرانَ . وهذا من الاستعارات الحسنة .

٥ البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : لمّا جعل تلك الليلةَ عروسًا من الزّنج حسُن أن يصف الدُّجى بعد طلوع الشمس بالشيب . عنى بالمشيب المغطّى بالزعفران، الظلامَ الوارسَ[2] . وهذا لأن أُفق المشرق بعد طلوع الفجر وقبل طلوع الشمس يشوبه[3] شىء من الحمرة . ومن أبيات السقط .

١٠ طَلَعْتُ عليهمْ واليومُ طِفلٌ كأنَّ على مَشارِقِـه جِسادَا

وفى شعر القاضى التّنوخىّ :

تَبَسَّمَ مُحمَـرًّا خِلالَ سَـوادِهِ تَبَسُّمَ وَرْدِ الخدِّ فى الصُّدُغِ الجَعْدِ

يقول : كانَ اللّيلُ يعشَق زُهْرَ الكواكب ، فلمّا شاب وخاف هجر الحبائب، دلّس شيْبَه بالكِتمان، وذلك أَنْ خَضَبه بالزّعفران .

١٥ ١٨ ﴿وَنَضَا فَجْرُهُ عَلَى نَسْرِهِ الْوَا قِعِ سَـيْفًا فَهَمَّ بِالطَّيَرَانِ﴾

التبريزى : يقال : نضا سيفَه ينضوه، وانتضاه ينتضيه، إذا سلّه . وأخْذُ هذه الكلمةِ من الخُروج والمفارقة؛ ومنه : نضا الخضابُ ينضو، إذا نصل، ونضا ثيابَه عنه ينضُوها، إذا ألقاها عن نفسه وخرَجَ عنها، ونضا الفرسُ الخيلَ ينضوها،

(١) فى الأصل : «إنما يشبه سهيل» والوجه ما أثبتنا .

٢٠ (٢) الوارس : المصفر، من أورس الرمث فهو وارس — ومورس قليل — : اصفر ورقه فصار عليه مثل الملاء الصفر . (٣) فى الأصل : «يشربه» .

إذا تقـدّمها وانسلخ منهـا . وكلُّه يرجـع إلى شيءٍ واحد . والنَّسْرُ نسران، النَّسْر الطائر، والنسر الواقع .

البطليــوسى : شبّه الظلامَ حين ظهر فيه بياضُ الصُّبح مع ما يبدو فى الآفاقِ من الحُمرةِ برجلٍ شاب رأسُه وخَشِيَ أن يهجُرَه حبيبُه لمـا يَرَى من مَشيبه، نخضَب مشيبَه بالحُمرة . وجعل النَّسْرَ الواقع لمشارفته الغروبَ حين طلع الفجرُ كأنّه قد رأى سيفًا مسلولا من عمود الصُّبح ، فهمّ بأن يطير . وعمود الصُّبح يشبَّه بالسّيف المسلول، كما قال البُستيّ :

قــد نَعِمْنا بدياجيه إلى أنْ ... سُلَّ سيفُ الصُّبحِ مِن غِمد الظّلام

الخــوارزمى : أصل الفجر هو الشـقّ ، ومنـه بخر العَين، و [هو] شقُّها بالمـاء . وسمِّى الفاجرُ فاجراً ، لأنّه شاقٌّ عصا الطاعة . ويعضُد ما ذكرنا تسميتُهم الصُّبحَ بالفَرَق والفَلَق . الفجر يُشبَّه بالسيف لبياضه واستطالته . وفى أبيات السقط :

وأغْدُو ولو أنَّ الصَّـبَاح صَوارِمٌ ... وَأَسرِى ولو أنَّ الظَّـلامَ جَحافلُ

وفى أبياته أيضا :

ولا يَهُولَنْـكَ سَيْفٌ للصَّباحِ بدا ... فإنّه للهَـــوادى غـــيرُ قطّاع

النسر الواقع : كوكب منيرٌ خلفه كوكبان أصغرُ منــه نيِّران ، فكأنّ الثلاثة أثافيّ . ولقد أوهم فى استلال الفجرِ سيفًا على النّسر، وفى إسناد الطَّيرانِ إليه بعدَ الوقوع .

١٩ (وَبِلَادٍ وَرَدْتُهَـا ذَنَبَ السِّرْ ... حَانِ بَيْنَ المَهَاةِ وَالسِّرْحَانِ)

التــبريزى : قوله : « ذنب السرحان » أى وقتَ ذنب السرحان ، وهــو الصبح الأوّل . والسِّرحان : الذئب ، و [ربّما] قالوا للذكر[1] منها السِّرحان، وربّمـا قالوه للأسد . والمهَاة : البقرة الوحشية .

(١) فى الأصل : « الذكر » .

البطليوسي : سيأتي .

الخوارزمي : ذنب السرحان، هو الفجر الكاذب، قال القُتَبِيّ رحمه الله : سُمّي بذلك لدقّته . وهو مُسْتَدِقٌّ صاعد في غير اعتراض . و « ذنبَ السرحان » منتصب على الظرفَ . وقوله : « بين المهاة والسرحان» يريد أن تلك البلاد قَفرةٌ

٥ لا يسكنها إلّا هذان النّوعان من الوحش .

٢٠ (وَعُيُونُ الرِّكَابِ تَرْمُقُ عَيْنًا حَوْلَهَا مَحْجِرٌ بِلَا أَجْفَانِ)

التبريزي : ترمق عينا، أي عين ماء . محجر، أي حول هذه العين مكان متّسع كمحجر العين إلا أنّه لا أجفان له . والرَّمْق ، هو أن ينظر نظرًا خفياً[1] ويديم النظر .

١٠ البطليوسي : أراد بالسِّرحان الأوّل الفجرَ، والعرب تسمّيه ذنبَ السرحان؛ لأنّه مُستدِقٌّ صاعدٌ في غير اعتراض ، والسِّرحان الثاني الذئب ، وهذيل تجعله الأسد . والمهاة : البقرة الوحشية . أراد أنه سلَك بلادًا مقفرة من الأنيس ليس فيها إلّا الذئابُ والوحش، وأنّه وردها بعد أنْ سَرَى اللّيلَ كلّه . وأراد بالعينِ عينَ ماءٍ أوردها ركابَه، فهي ترمُقها لشدّة عطشها. وشبّه ما حول العين بالمحجِر، وجعلها

١٥ بلا أجفانٍ إشارةً إلى أنّها ليست بعينٍ على الحقيقة ، لأن كلَّ عين حقيقيّةٍ فلا بدّ لها من محجِر وأجفان . ويحتمل أن يكون أراد أنها عينٌ منكشفة لا شيءَ يسترُها .

الخوارزمي : عينا، أي عين ماء . عنى بالمحجر، المتسعَ [المحيط] بالمكان . وهو المستعار من محجر العين . وقوله « بلا أجفان » قرينة دالّة على أنّه لم يرد بالمحجِر حقيقتَه، وهي محجِر العين .

---

٢٠ (١) في الأصل وكذا القاموس : «خفيفا» والوجه ما أثبتناه . انظر تاج العروس .

٢١ (وَعَلَى الدَّهْرِ مِنْ دِمَاءِ الشَّهِيدَيْـ ـنِ عَلِيٍّ وَنَجْلِهِ شَاهِـدَانِ)

التبريزى : يريد الحمرة التى تبدو فى أوّل اللّيل وفى آخره .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

٢٢ (فَهُمَا فِى أَوَاخِرِ اللَّيْـلِ فَجْرَا نِ وَفِى أُولَيَـاتِهِ شَفَقَانِ) ٥

التبريزى : قوله : «فهُما» يعنى الشاهدين من دمائهما .

البطليوسى : إنما قال هذا لأنه يمدح رجلًا عَلَوِيًا . وفرقةٌ من الشِّيعة تزعم أنّ الحمرةَ التى تُرى فى الآفاق فى أوّل الليل وآخره لم تكن إلا مذ قُتِل علىٌّ وابنه رضى الله عنهما . ومنهم من يرى أنّ ادّعاء مثلِ هذا محال؛ لأنّ تلك الحمرةَ لم تزلْ موجودةً قبلَ قتلِهما، فتجيب[(1)] عن ذلك بأن تقول : إنما كان ذلك إعلاماً من الله ١٠ تعالى بما سيكون من قتلهما قبلَ أن يكون . ومن غرائب أمرِ هذه الطائفة أنّها لا تأكل الكُرُنب ، ويعتلّون فى ذلك بأنه نبت على دم الحسين .

الخوارزمى : سيأتى .

٢٣ (ثَبَتَا فِى قَمِيصِهِ لِيَجِىءَ الْـ حَشْرَ مُسْتَعْدِيًا إِلَى الرَّحْمٰنِ)

التبريزى : فى قميصه، أى فى قميص الدهر . ١٥

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : الشفقان من أوّل الليل كالفجرين من آخره . أحد الشفقين، وهو الشفق [الأبيض][(2)]، على رأى أبى هريرة وأبى حنيفة رضى الله عنهما وإن لم يكن

---

(١) فتجيب ، أى الفرقة الأولى . وفى ا : « فتحسن ذلك بأن تقول » ب : « فيحس ذلك بأن تقول » : وكلمة «عن» ليست فى الأصل . (٢) بها يلتم الكلام . والشفق من الأضداد، ٢٠ يقع على الحمرة التى ترى بعد مغيب الشمس ، وبه أخذ الشافعى . وعلى البياض الباقى فى الأفق بعد الحمرة المذكورة، وبه أخذ أبو حنيفة فى تعيين مبدأ صلاة العشاء عند ذهاب الشفق .

أحمر كالدم ، لكن جعل أبو العلاء كليهما كالدّم على طريقة التغليب . ومن قَبيل ما نحن بصدده «الأسودان» على قول من فسّرهما بالليـل والنهار ، «والقمران» . الضمير فى «ليجىء» للقميص . والاستعداء — فيما يقال — : طلب إعداء العَدِىّ . والعَدِىّ : رَجّالة القاضى يَعْدُون فى إحضار الخصوم للانتصاف ، ثم كثُر حتّى عمّ فى كلِّ انتصافٍ يُستعان له الأمير ، سواء كان ذلك بإعداء العـدىّ أو لم يكن .

٥

يقال : استعدى عليه الأميرَ . قال :

ويُستعدَى الأميرُ إذا ظُلِمْنَا فَمَنْ يُعْـدِى إذا ظَلَمَ الأميرُ

وإنّمـا عُدِّى هاهنا بإلى ، لأنه أجرى مجرى التظلُّم ، يقال : تظلّمت إلى الحاكم من فلان . قيل لابن سِيرِينَ : تعلمُ هذه الحمرة التى فى الأُفق ممّ هى ؟ قال : من يوم قتل الحسين بن علىّ رضى الله عنهما . رواه أبو عيسى الترمذىّ . وعن علىّ بن مُسْهِر ، حدّثتنى جدّتى قالت : «كنت أيام قُتِـل الحسين جارية شابّة ، فكانت السماء أيامًا عَلَقةً» . وعن حماد بن زيد عن معمر ، قال : أوّل ما عرِف الزُّهرىّ تكلّم فى مجلس الوليد بن عبد الملك ، فقال الوليد : أيُّـكم يعلم ما فعلتْ أحجـار بيت المَقْـدِس يوم قُتل الحسين بن على ؟ فقال الزهرىّ : بلغنى أنه لم يُقلَب حجرٌ إلا وُجد تحته دمٌ عبيط . وهكذا تقول الروافض . وإنّما ضمَّنَ هذه الأبياتَ بعضَ كَلِم الروافض ، لأنّ المكتوب إليه بهذه النونيّة كان علويّا .

١٠

١٥

٢٤ (وجَمَالُ الأَوَانِ عقْبُ جُدُودٍ كُلُّ جَدٍّ مِنهُـمْ جَمَالُ أَوَانِ)[1]

التـبريزى : يقول : جمال هذا الأوان أولاد علىّ بن أبى طالب ، كما كان كل جدٍّ جمالَ أوانه الذى فيه .

---

(١) التبريزى فقط : « الأران » .

٢٠

البطليوسى : المستعدِى : المستنصِر المستعين . وهذا تمامُ المعنى الذى ذكر قبله ، وإخبارٌ بالعلة التى من أجلها ثبتت حمرة الآفاق . والعَقْب والعقِب بتسكين القاف وكسرها : الولد الذى يخلف أباه . يقول : أنت جمالٌ لأوانك، كما كان كلُّ أبٍ من آبائك جمالا لأوانه .

الخوارزمى : يقال : لفلان عقِب ، بكسر القاف . ألا أنّ أبا العلاء سكّنه[1] . ونظيره فَخْذ فى فخِذ .

٢٥ (يابْنَ مُستَعرِضِ الصُّفُوفِ بِبَدْرٍ   وَمُبِيدِ الجُمُوعِ مِنْ غَطَفَانِ)

التبريزى : يقال : أباده يُبيده، إذا أهلكه . وباد يبيد، إذا هلك .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : استعرض الخوارجُ الناس، إذا خرجوا لا يبالونَ من قتلوا . وهو مأخوذٌ مِن قولهم : خرجوا يضربون عن عُرْض ، أى عن أىّ ناحيةٍ كانت، كيفما عرض واتّفق . بدر : بئرٌ كانت لرجل يدعى بدرًا فسمّيت به، وكانت هناك غزوة بدر . غطفان ، هو ابن سَعد بن قيس عَيلان . وغطفان من الأعلام المرتجلة . والمراد بمستعرض الصفوف ومُبيد الجموع ، أميرُ المؤمنين علىّ رضى الله عنه ؛ لأنه قتل نيفًا وثلاثين رجلًا يومَ بدر ، وهزم غطفانَ ومن كان معهم يوم الخندق، بِقَتْل عمرو بن عبد وُدّ[2] . وقصة ذلك على سبيل التنقيح ما رُوِى مِن أنّ جميع من وَافَى الخندق من قريش وسُليم وأسدٍ وغطفان كانوا عشرةَ آلاف، وهى عساكر ثلاثة ، وعناجُ الأمر[3] إلى أبى سفيان بن حرب . فلما طافوا بالخندق طلبوا مَضيقًا ليُقْحِموا إلى النبىّ عليه السلامُ خيلَهم ، حتّى انتهَوْا إلى مكانٍ ضَيِّق قد أغفله

(١) كذا . وإنما هما لغتان صحيحتان كما ذكر البطليوسى ، وكما نصت المعاجم . (٢) ود ، بالفتح ، ويضم : صنم كان لقريش ، ومنه سمى عبد ود . (٣) عناج الأمر ، بكسر العين : ملاكه .

المسلمون، فجعلوا يُكرِهون خيلَهم ويقولون: إن هذه لَمَكِيدةٌ ما كانت العربُ تصنعها ولا تَكِيدها . قالوا : إنّ معه رجلًا فارسيًّا، فهو الذى بهذا أشار عليه — يريدون سَلْمان الفارسيَّ رضى الله عنه — فعبَرَ عِكْرِمة بن أبى جهل ، ونوفل بن عبد الله ، وهُبيرة بن أبى وَهْب المخزومى، وضِرَار بن الخطّاب، وعمرو بن عبد وُدّ، وقام مِن وراء الخندق سائرُ المشركين، فخرج علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه حتّى أخذ عليهم الثُّغرةَ التى منها أقْحَموا خيلهم، ثمّ جعل عمرو بن عبد وُدّ يدعو إلى البِراز ويقول : لقد بُحِحْتُ من النِّداء بجَمْعِكم، هل مِن مبارز؟ فقال علىّ رضى الله عنه : أنا أُبارزه يا رسـول الله — ثلاث مرات — والمسلمون كأنّ على رءوسهم الطيرَ؛ لمكان عمرٍو وشجاعته . فأعطاه رسولُ الله عليه السلامُ سيفه وعمّمه وقال : «اللهمَّ أعِنْهُ عليه» . فمشى إليه علىٌّ رضى الله عنه راجلًا وهو يقول :

لا تَعْجَلَنّ فقـد أتا ... كَ مجيبُ صوتِك غيرَ عاجزْ
ذو نيّـةٍ وبَصـيرةٍ ... والصِّدقُ مَنْجَى كلِّ فائزْ
إنِّى لأرجـو أنْ أُقِـ ... ـيمَ عليك نائحـةَ الجنائزْ
مِنْ ضَرْبةٍ نجـلاءَ يبْـ ... ـقَى ذكرُها عند الهَزاهِزْ

فقال له عمـرو : مَن أنت؟ قال : أنا علىُّ بن أبى طالب . قال : يابن أخى، إنِّى لأكرَهُ أن أقتلَ مثلَك، وقد كان أبوك لى نديمًا ، وأنت غُلامٌ حَدَثٌ، فارجِعْ، إنّما أردتُ شيخَىْ قريش أبا بكر وعمر . فقال علىٌّ : لكنى أحبُّ أن أقتلَك . فغضب عمرٌو ونزل فعقر فرسه، ودنا أحدهما من صاحبه، وثارت بينهما غُبرةٌ سوداء ما كان يَراهما أحد، فلمّا سمعوا التكبيرَ مِن تحتِ الغُبار علموا أنّ عليًّا قتله ، فانكشف أصحابُه الذين كانوا فى الخندق[١] هاربين، وطَفَرت[٢] بهم خيلهم، إلا إنّ نوفل بن عبد الله وقع

(١) أى أمام الخندق حيث كان المسلمون . (٢) طفرت : وثبت . وفى الأصل : «ظفرت» .

به فى الخندق فرسه، فرُمى بالحجارة حتى قُتل . ثم خرج فى إثرهم الزبير بن العوّام وعمر ابن الخطاب ، فناوشوهم الحربَ ساعةً ، ثم حمل الزّبيرُ على هُبَيرةَ بن أبى وهبٍ فضرب ثَفَر فرسه[1] حتّى انقطع ، وسقطت درعٌ كانت على الفرس حقيبةً فأخذها الزُّبير ، وفرّ عِكرمةُ بنُ أبى جهلٍ وألقى رمحَه . فلما كان علىٌّ هو السببَ لانهزام غَطَفان أضاف أبو العلاء انهزامَهم إلى علىٍّ رضى الله عنه . والذى يدلّ على أنّ ذلك مضافٌ إلى علىٍّ رضى الله عنه قولُ يحيى بن أكثم : ما شبَّهتُ قتل علىٍّ عَمْرًا يوم الخندق إلا بما قال تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾. ولأمرٍ فضَّل النبىُّ عليه السلام ما فعله علىٌّ رضى الله عنه يومئذٍ على أعمالِ هذه الأمّة ، فقال : « لمَبارزةُ علىِّ بنِ أبى طالبٍ لعمرو بن عبد وُدٍّ يومَ الخندق أفضلُ من عَمَل أُمّتى يومَ القيامة » .

٢٦ ﴿أَحَدُ الخَمْسَةِ الَّذِينَ هُمُ الأَغْـ ـرَاضُ فِى كُلِّ مَنْطِقٍ وَالمَعَانِى﴾

التبريزى : يعنى بأحد الخمسة، علىَّ بنَ أبى طالب . والمراد بالخمسة: هو، ومحمد صلى الله عليه وسلم ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين .

البطليوسى : أراد بـ « بمستعرض الصفوف ببدر » علياً رضى الله عنه . وأما قوله « أحد الخمسة » فيحتمل تأويلين ، أحدهما صحيح ، والآخر باطل . فأمّا الصحيح فأنْ يريد أنّ علياً أحدُ أصحاب الكِساء، وهم محمد صلى الله عليه وسلم، وعلىّ، والحسن، والحسين، وفاطمة رضى الله عنهم . وإنّما قيل لهم أصحاب الكساء لأنّ الله تبارك وتعالى لمّا أنزل : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ دعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علياً والحسنَ والحسينَ وفاطمة،

(١) الثفر ، بالتحريك وقد يسكن : مؤخر السرج . وفى الأصل : « ثفر » .

فضمّهم إلى نفسه وأمر بكساء فأُدير حولهم ، ثم قال : « اللّهم هؤلاء أهل بيتى الذين وعدتنى أن تذهب عنهم الرجس وتطهرهم تطهيرا » . وأما الباطل فأنْ يكون أشار إلى مذهب المخمِّسة من الشيعة . وسُمُّوا المخمسة؛ لأنّهم زعموا أنّ محمدا صلى الله عليه وسلم وعليًّا والحسن والحسين وفاطمة ، كالشخص الواحد ، وأنّ الروح كان مجراها فيهم واحدا[1] . ومن طرائف أمورهم أنّهم زعموا أنّ فاطمة كانت امرأةً فى الظاهر ورجلاً فى الحقيقة والباطن، وكانوا يسمّونها « فاطمًا » بغير هاء ؛ ولذلك قال بعضُ شعرائهم :

تَوَلَّيْتُ بعد الله فى الدِّين خمسةً ... نَبِيًّا وسِبْطَيْهِ وشَيْخاً وفَاطِمَا

الخوارزمى : هذه الخمسةُ أصحاب الكِساء، وهم محمد وعلىٌّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم . قال أبو عثمان الخالدى :

أَعَاذِلَ إنّ كِسَاءَ التُّقَى ... كَسانِيهِ حُبِّى لأهلِ الكِسَاءِ

وقال ديك الجنّ :

والخمسةُ الغُرُّ أصحابُ الكِساء معًا ... خيرُ البريّة من عُجْمٍ ومن عَرَبِ

ومن طريف[2] التمثيل به قول أبى علىّ الضرير لمن وعده كساءً وأخلف :

مِن غَزْلِ مَنْ هذا الكساءُ ونَسْجِ مَنْ ... بل فى عُمَانَ طِرازُه أم فى عَدَنْ

ولأىِّ وقتٍ بعد ريحٍ قَرّةٍ ... هَبَّتْ وأمطارٍ أَلَحّتْ يُختَزَنْ

هَبْهُ الكساءَ كساءَ آل محمدٍ ... هل مطلُنا هذا الطويلُ به حسَنْ

قال الثعالبى رحمه الله : ومن قصّة الكساء فيما روت الرُّواة، أنّ وفد نَجْران من النّصارى قدموا على النبىّ عليه السلام، وكان ممّا جرى بينه وبينهم أنْ قالوا له :

---

(١) ب : « كان مجراه فيهم واحد » . (٢) فى الأصل : « طريق » .

يا محمد، بم نفيتَ صاحبنا وتسمِّيه عبدا؟ فقال: «أجَلْ هو عبدُ الله ورسولُه وروحُه وكلمتُه ألقاها إلى مريم» .

قالوا : فأرنا مثلَه يُحيي الموتى ، ويُبرئ الأكمهَ والأبرصَ ، ويخلُق من الطِّين كهيئة الطير ، وبايِعْنا على أنه ابنُ الله نُبايِعْك على أنك رسول الله . فقال عليه السلام : «معاذَ اللهِ أن يكونَ له وَلَدٌ أو شَريك» . فما زالوا يحاجُّونه ويلاجُّونه ، حتى أنزل الله : ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ يعرض عليهم المباهَلة ، وهى الملاعَنة . فتداعَوا لها[1] ، وجَمع صلى الله عليه وسلم آله : عليًّا وفاطمة والحسن والحسين كرّم الله وجوهَهم ، ثم قال : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ . ويروى أنّ جبريل انضمّ إليهم واندسَّ فيهم تقرُّبا إلى الله عزّ وجل . وفيهم قيل :

أفضـلُ مَنْ تحتَ الفلَكْ خمسـةٌ رهـطٌ وملَكْ

وجاء فى الأحاديث الصِّحاح أنّ عائشة رضى الله عنها قالت : «خرج النبى صلى الله عليه وسلم غداةً وعليه مِرْطٌ مرحَّلٌ[2] من شعَر أسود ، فجاء الحسنُ بن علىٍّ فأدخله ، ثم جاء الحسين فدخل معه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلَها ، ثم جاء علىٌّ فأدخله ، ثم قال : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾» .

وقوله : «أحد الخمسة» يدلّ على أنّ المراد بمستعرض الصفوف علىٌّ ، لا النبىّ ؛ لأنّ أبا العلاء أخرج هذه الكلمةَ فى مقام التفاخُر بمستعرِض الصفوف ، وكفاه تفاخرًا [أن يكون] أحدَ خمسةٍ منهم النبىّ ، ولا ينعكس .

(١) بعد هذه الكلمة فى الأصل : «فتواعدوا» ولا وجه لها فى الكلام .

(٢) المرحل ، كمعظم : ما فيه تصاوير رحل .

٢٧ (والشُّخُوصِ الَّتِي خُلِقْنَ ضِيَاءً قَبْلَ خَلْقِ المِرِّيخِ وَالْمِيزَانِ)

٢٨ (قَبْلَ أَنْ تُخْلَقَ السَّمواتُ أو تُؤْ مَرُ أَفْلاكُهُنَّ بالدَّوَرَانِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : تحتَ هذا الكلام معنى نكره التَّصريح به والإفصاح عنه . وقد غلا فى مدح هـذا الشيعىِّ غلوًّا تجاوزَ فيه الحدود ، وذَكر من حماقات الشيعة واعتقاداتهم الفاسدة ما كان يجب له أن يُضرب عنه ، ولا يدنِّس شِعره بشىء منه. وليته اعتذَر من ذلك كما فَعل فى قصيدةٍ أُخرى سنذكرها فى موضعها ؛ فإنّ بعض الزيديّة من الشيعة خاطبَه بشِعرٍ ، فراجعه بشـعر ذكر فيه بعضَ مَذاهِب الزيديةِ والقَطْعية[1] ، ثم قال فى آخر الشعر[2] :

ولم أَثلِمْ بهـا دِينِي ولكنْ عددتُ إجابتِى إيَّاكَ دِيناَ[3]

الخوارزمى : من قول النبى عليه السلام : «كنت أنا وعلىٌّ نوراً بين يدى الله عزّ وجلّ » . وقد مضى هذا الحديث فى : « إليك تناهى »[4] .

٢٩ (لَوْ تَأَتَّى لِنَطْحِهَا حَمَـلُ الشُّهْـبِ تَرَدَّى عَنْ رَأْسِهِ الشَّرَطَانِ)

التبريزى : تردى، أى وقع . الشرطان، يقال إنهما قرْنَا الحمل .

(١) القَطْعية : فرقة من الشيعة قطعوا على وفاة موسى بن جعفر بن محمد . مفاتيح العلوم ٣٢ .

(٢) البيت من مقطوعة رواها البطليوسى وليست من شعر السقط ولا ديوان اللزوم ، وفيها لزوم ما لا يلزم . وسننشرها فى مجموع مافات السقط واللزوم من شعر أبى العلاء . وعبارة الإنشاد عند البطليوسى : « وقال يجيب رجلا من الزيدية عن شعر خاطبه به » .

(٣) أول المقطوعة :

صروف نوائب جارت علينا فقصر فعلنا عما نوينا

(٤) انظر ص ٣٥٣ .

البطليوسى : الشرطان : كوكبان يسمّيان قرنى الحمل ، ويسميان النَّطْح [1] ، يجنبهما كوكبٌ آخر ربّما ضُمّ إليهما فقيل الأشراط ، ولذلك قال ذو الرُّمّة :

أناختْ بها الأشراطُ واسْتَوْفضتْ بها حَصَى الرمل رَادَاتُ الرياح الهَوَاجِمِ [2]

الخوارزمى : الشَّرَطان : قرنا الحمل ، وهما كوكبان بينهما فى رأى العين قابُ قوس إذا توسّطا كَبِدَ السماء ، أحدهما فى ناحية الشّمال ، والآخر فى ناحية الجَنوب ، وإلى جنب الشمالىّ منهما كوكبٌ صغير يُعَدُّ معهما حينا فيقال لثلاثَتِها الأشراط . وفى أبيات السّقط :

وتبتسمُ الأشراطُ بخرًا كأنّها ثلاثُ حماماتٍ سَدِكن بمَوْقِعِ

والنسبة إليها أشراطىّ ، وإليهما شَرَطىّ ، وهى قليلة . وإذا حلّت الشمسُ بهما فقد حلّت برأس الحَمَل .

٣٠ (أوْ أَرَادَ السِّمَاكُ طَعْنًا لَهَا عَا دَ كَسِيرَ القَنَاةِ قَبْلَ الطِّعَانِ)

التبريزى : يريد السِّماك الرامح ؛ لأنّ أحدَهما أعزَلُ لا سلاح معه . وإنّما غرضُه أنّ من عادَى هؤلاء الخمسةَ وأضمَرَ لهم العداوةَ لا يُفلح ، ولو أنّه مكانَ النجوم عِزّةً وشرفا .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : السِّماك : سماكان ، أحدهما الأعزل ، وهو الذى به ينزل القمر وله نوء ، والثانى الرامح ، والقمر لا ينزل به وليس له نوء . وسمّى رامحًا لكوكب بين يديه صغير يقال له « راية السماك » صار به ذا رمح . والآخرَ أعزل لأنّه لا شىء بين يديه .

---

(١) النطح ، بالفتح ، ويقال لها الناطح أيضا . (٢) استوفضته : أخرجته وذهبت به . والرادات : التى تجىء مرة لا تستقر . انظر ديوانه ص ٦١٣ .

٣١ (أَوْ رَمَتْهَا قَوْسُ الْكَوَاكِبِ زَالَ الْـ ـعَجْسُ مِنْهَا وَخَانَهَا الأَبْهَرَانِ)

التبريزى : العجس من القوس : مَقْبِض كفِّ الرامى؛ يقال عُجْس وعَجْس [وعِجْس] ومَعْجِس. والأبهران : تثنية أبهر القوس، وهو موضع فيها، شُبِّه بالأبهر الذى يكون فى الظهر، وهو عِرْقٌ إذا انقطع أدّى إلى هلاك صاحبه. وفى الحديث : «ما زالَتْ أُكْلَةُ خَيبرَ تُعَادُّنِى فالآنَ أوانُ قَطَعَتْ أَبْهَرِى» . قوله : «تُعادُّنى» أى تعود إلىّ فى مثل الوقت الذى أصابتنى فيه . وقال ابن مُقْبِل يصف قوسًا :

وللفؤادِ وجيفٌ خَلْفَ أَبْهَرِهِ لَدْمَ الغلامِ وراءَ الغَيْبِ بالحَجَرِ

البطليوسى : ذكر كسر القناة تَتمِيمًا للصناعة، واستعارة منه للشىء مما يليق به؛ لأنّه أراد السِّماكَ الرامح؛ وإنما سُمّى الرامحَ لكوكبٍ يقدُمه، يقولون هو رُمْحه . وسمّوا الثانىَ السِّماكَ الأعزل لأنّه لا كوكب معه كما كان للآخر، فشبّهوه بالأعزل الذى لاسلاح معه . وكذلك استعار للقَوس من النُّجوم عجسًا وأبهرَين، من حيث كان ذلك من صفات القَوس التى مُثِّلت النجومُ بها . والعجْس من القوس : الموضع الذى يقبض عليه الرامى . وفيه ثلاث لغات : ضم العين وفتحها وكسرها . والأبهر من القوس : ما دون الطائف منها[1] .

الخوارزمى : العجس بحركات ، والمَعْجِس على مثال المجلس : مقبض القوس، ومنه قولهم مضَى عجس من الليل أى طائفةٌ من وسطه ؛ لأنّ مقبض القوس إنما يكون فى وسطها . الأبهران : ظهر القوس من الجانبين ، وكأنهما شُبّها بالأبهرين، وهما عرقان يخرجان من القلب ثم يتشعّب منهما سائر الشرايين. واشتقاق الأبهر بمعنى العِرق، من البُهْر بالضم وهو تتابع النَّفَس .

(١) الطائف من القوس : ما بين السية والأبهر . والسية : ما اعوج من رأسها .

٣٢ (أوعصاها حوتُ النُّجومِ سقَاهَا حَتْفَـهُ صَامِدٌ منَ الحَـدَثَانِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : وفيه إيماء إلى أن حوتَ النجوم يمتثل أوامر تلك الشخوص .

٥

٣٣ (أنتَ كالشَّمسِ فى الضِّياءِ وإن جا وَزْتَ كيوانَ فى علوِّ المكَانِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : كِيوان : زُحَل ، وهو فى الفَلَك السابع . والشَّمسُ فى الرابع .

١٠

٣٤ (وَافَق اسمُ ابنِ أحْمَدَ اسمَ رسُولِ اللّٰه لمّا تــوافَقَ الغرَضانِ)

التبريزى : يعنى أنه يُهتَدَى به ويُؤتَمّ[1] كما اهتُدِىَ بالنبى صلى الله عليه وسلم .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : سيأتى .

١٥

٣٥ (وَسَجَايَا مُحَمَّدٍ أعْجَزَتْ فى الْ وَصْفِ لُطْفَ الأفكَارِ والأذْهَانِ)

التبريزى : ... ...

البطليوسى : السجايا : الطبائع ، واحدتها سجيّة . وهذا نحوُ قول أبى الطيّب :

لِأَلْقَ ابنَ إسحاقَ الذى دقّ فهمُه فأبدَعَ حتّى جلّ عن دِقّةِ الفَهْمِ

الخوارزمى : معنى توافُق الغرضين أن يُقتَدَى به كما يقتدى بالنبى عليه السلام . وفى البيت الثانى يُعلِم أنّ اسمه ما هو .

٢٠

(١) فى الأصل : «يهتدى فانه يقوم» .

٣٦(وَجَرَتْ فى الأَنَامِ أَوْلَادُهُ السَّبْـ ـعَةُ مَجْرَى الأَرْوَاحِ فِى الأَبْدَانِ)[1]

٣٧(فَهُمُ السَّبْعَةُ الطَّوَالِعُ والأَصْـ ـغَرُ مِنْهُمْ فِى رُتْبَـةِ الزِّبْرِقَانِ)

التبريزى : الزِّبرقان : القمر . والسّبعة الطوالع هى زحل والمشترِى والمِرِّيخ والزُّهَرَة وعُطَارِد والقَمر والشّمس .

٥ البطليوسى : وقع فى نسخ السقط : «أولاده السّتة» وهو غلط . والصواب « السبعة » . ولذلك شبّههم بالكواكب السبعة . وقد ذكر ذلك فى موضع آخر من شعره فقال :

أبو السَّبعةِ الشُّهبِ الّتى قِيل إنّها مُنَفِّذَةُ الأَقدارِ فى العُرْبِ والعُجْمِ[2]

والأنام : الخلق . والزبرقان : القمر، وهو أصغر الكواكب السبعة فيما يزعمون .

١٠ الخوارزمى : لمّا أراد تشبيه الأولاد مع الوالد بالسيّارات ، أثبتَ لهم جريًا كما للسّيارات . أفعل التفضيل ممّا يلزمه التنكير عند مصاحبته « من » التفضيليّة . وأما قوله : « والأصغر منهم » فكقول الأعشى :

* ولستَ بالأكثرِ منهم حصًى *[3]

وقول الفقهاء : «الرهن مضمونٌ بالأقلّ من قيمته ومن الدَّين»، فى أنّ «مِن» فيهما

١٥ هى المبعِّضة . الزبرقان هو القمر، كأنه من زبرقت الثوب، أى صفّرته . شبّه الأصغر من بينهم بالقمر ؛ لأن القمر أصغر الكواكب السبعة وأدْوَنها منزلة .

---

(١) التبريزى والخوارزمى : « الستة » . وانظر تحقيق العدد فى شرح البطليوسى للبيت التالى . وفى رواية البطليوسى : « جرى الأرواح » .

(٢) من قصيدة له فى رثاء أبى إبراهيم العلوى ، وهى القصيدة ٤٢ .

٢٠ (٣) عجزه ، كما فى الديوان ص ١٠٦ :

* وإنما العزة للكاثر *

٣٨ (وَبِهِمْ فَضَّلَ المَلِيكُ بَنِي حَـ وَّ اءَ حَتَّى سَمَوْا عَلَى الحَيَوَانِ)

التـــبريزى : أى فضّل الله بنى آدمَ على سائر الحيوان بهؤلاء الشخوص .

البطليـــوسى : سيأتى .

الخـــوارزمى : أضاف البنينَ الذين هم جميعُ النّـاسِ إلى حوّاءَ لا إلى آدم ، مع أنّ إضافتهم إليـه لا تَكسِر البيت ، لأنه يُوهِمُ أنّ رُتبتَهم كانت نازلةً منحطّة ، مُعظَم أمرِهم أنّهم بنو حوّاء ، وقد عُلِم أنّ كونَ المرءِ ابنَ امرأة و إن عظُمت لا يكادُ يَكسِبُه شرفاً ووجاهة ، فهؤلاء السبعة قد رفعهم عن المنزلة الساقطة ، وهى كونهـم بنى امرأة ، إلى الدرجة العالية ، وهى سمُوّهم على جميع الحيوان .

٣٩ (شَرُفُوا بِالشَّرَافِ ، والسُّمْرُ عِيدَا نٌ إذَا لَمْ يُزَنَّ بِالخُرْصَانِ)

التـــبريزى : يُزَنّ ، من الزينة . يقول : هؤلاء زانُوا بنى آدم كما تَزِين الأسنّةُ الرماح . والسُّمر : الرِّماح . والخُرصان : الأسنّة ، واحدها خُرْص وخَرْص وخِرْص ، و يستعمل الخُرصان بمعنى الرماح .

البطليـــوسى : الضـــمير فى « شرفوا » يعود على بنى حَوّاء . يقول : شَرَفَ بنى حوّاءَ بالشّراف من ذرّ ية هــذا الممدوح ، كما أنّ الرماح إنّما شَرُفت بالخُرصان ، ولولا أنّها زُيِّنت بها لكانت كبعض العيدان . و يقال لشفرة الرمح خرص ، بضم الخاء وفتحها وكسرها . و يروى : « شَرُفُوا بالشّرِيف » وهو الممدوح بهذا الشعر . وهذا هو الوجهُ عندى .

الخـــوارزمى : «يزنّ» فعلُ مجهولٍ من زان يزِين .

٤٠ ﴿وإذا الأرضُ وهي غبراءُ صارتْ   منْ دمِ الطّعنِ وردةً كالدّهانِ﴾

التبريزى : اختلفوا فى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ فقيل الدهان جمع دُهْن، وقيل الدِّهان الأديم الأحمر، ويقال الدهان صِبْغٌ أحمر . والواو فى قوله « وهى » واو الحال .

٥ البطليوسى : هذا مأخوذٌ من قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ قال المفسِّرون : معنى « وَرْدة » صارت كلون الوَرْد ، وذلك فى يوم القيامة . ومعنى « كالدِّهان » أنّها تتلوَّن من الفزَع الأكبر، كما تتلوَّن الدِّهان المختلفة . وقال بعضُ أهل التفسير : الدِّهان الجلد الأحمر . والأول أثبتُ وأصحّ .

١٠ الخوارزمى : قوله « وهى غبراء » جملة اعتراضيّة لامحلَّ لها من الإعراب. وردة، أى حمراء . الدهان، فيما قيل، هو الأديم الأحمر، وقيل صِبغٌ أحمر، وقيل هو جمع دُهن ، ويعنى به الزيت .

٤١ ﴿أَقبلُوا حاملِي الجَداولِ فى الأغـ   ـمادِ مُستلئمينَ بالغُـدْرانِ[1]﴾

التبريزى : شبَّه السيوف بالجداول، وهى جمع جدول، وهو النهر الصغير،

١٥ والدروعَ بالغُدران، كما قال الشاعر[2] :

كَنِهْيِ الغَدِيرِ زَهَتْهُ الدَّبُورُ   يَجُرُّ المُدَجَّجُ مِنْهَا فُضُولَا[3]

(١) ب من البطليوسى : «فى الغدران» .

(٢) هو عبد قيس بن خفاف البرجمى . والبيت من قصيدة فى المفضليات (٢ : ١٨٦) .

(٣) زهته : ساقته . ورواية المفضليات : «زفته» وهى بمعنى ساقته أيضا . والمدجج، بكسر الجيم

٢٠ وفتحها اللابس السلاح التام . والبيت فى صفة درع .

النِّهى : موضع يجتمع فيه الماء ويكونُ له حاجزٌ يمنع أن يخرُج منه الماء، ويكون بمعنى الغدير. وإنّما أُضيف لاختلاف اللفظتين . وأصل ذلك أنْ يقال كالنِّهْى الغدير، فيكون أحد الاسمين بياناً للآخر. ويقال: استلأَم الرّجلُ، إذا لبس اللأْمة وهى الدِّرع .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : عنى بالجداول السيوف، وبالغُدران الدُّروع . وفيه إغرابٌ من حيث إنّهم جعلوا الجداولَ بمنزلة المظروف، والماءَ كالظُّروف .

٤٢ (يَضْرِبُونَ الأَقْرَانَ[1] ضَرْباً يُعِيدُ الـ ـسَّـ ـعْدَ نَحْساً فِى حُكْمِ كُلِّ قِرَانِ)

التبريزى : الأقران : جمع قِرْن ، وهو الذى يقاوِمك[2] فى بطش أو قتالٍ أو غيره . والقِران فى القافية، من قِران النُّجوم .

البطليوسى : شبّهَ السيوفَ بالجداول لاستطالتها ، وشبّهَ الدُّروعَ بالغُدران لأنّها أعظم من الجداول وأوسعُ وأعمق، فتشبيهُ الدروع بها أليَق . والمستلئم : الذى يلبس اللأْمة، وهى الدِّرع؛ سمِّيت بذلك لالتئام حَلَقِها وتداخُلِها . والقِران : قِران الكواكب . يقول : قِران الكواكب يحكُم بأنّ كلَّ مَن عادَى هؤلاء الممدوحين فإنَّ سعدَه يعودُ نَحْسا .

الخوارزمى : القِران : اجتماعُ كوكبين من السيّارات السبع فى برجٍ واحد فى درجةٍ واحدة فى دقيقةٍ واحدة . والأقران مع القران تجنيس .

(١) البطليوسى : « يضربون الأبطال » .

(٢) فى اللسان : « وقرنك المقاوم لك فى أى شىء كان ، وقيل هو المقاوم لك فى شدة البأس فقط » .

٤٣ ﴿ وَجَلَوْا غَمْـرَةَ الوَغَى بِوُجُـوهٍ ... حَسُنَتْ فَهْىَ مَعْدِنُ الإِحْسَانِ ﴾

التبريزى : يقال: جلا الشىءَ يجلُوه، إذا كشفه . وغَمْرة الشىء : مُعظَمه ومُجتمعه، وأصله الكثير، يقال ماء غَمْرٌ، أى كثير .

البطليوسى : جلَوْا : كشفوا . وغمرة الوغى : شدّته ومُعظَمه ، شُبِّهت بغَمْرة الماء . وأصل الوغى : الأصوات المختلطة فى الحرب، ثم سمِّيت الحرب وغًى لما فيها من الأصوات. ويقال «وعًى» بالعين غير معجمة (١) . وقوله : «حسنت فهى معدن الإحسان» منظومٌ من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطلبوا الخير عند حِسان الوُجُوه » .

الخوارزمى : الباء فى قوله : « بوجوه » للملابسة . يقول: كشفوا الحرب والوجوهُ منهم طلقةٌ غير عابسة .

٤٤ ﴿ قَدْ أَجَبْنَا قَوْلَ الشَّرِيفِ بِقَوْلٍ ... وأَبَنَّا الحَصَى عَنِ المَرْجَانِ ﴾

التبريزى : جعل قصيدةَ الشريف إليه كالمرجان، وجوابَها كالحصى الذى ما له قَدْر . ويَستعمل هو هذا المعنى فى شعره، منه قوله :

* فَغيرُ خَفِىٍّ أَثْلُه مِن ثُمَامِه (٢) *

جعل شعرَ الشاعر الذى مدحه كالأَثْل، وجوابَه عنه كالثُّمام .

البطليوسى : سيأتى .

---

(١) يقال بالفتح و بفتحتين ؛ ومن الثانى قول الهذلى :

كأن وعى الخموش بجانبيه ... وعى ركب، أميم، ذوى زياط

(٢) هذا البيت هو الثالث من القصيدة ١٥ . وصدره .

* وإن يك واديا من الشعر نبته *

الخـوارزمى : يقال: أثاب الرجلَ عن كذا، ولا يقال أثاب السلعةَ عن كذا، لكنّها عوملت فيما نحن بصدده معاملةَ التعويض . وفى الحديث : «الواهب أحقُّ بهبته ما لم يُثَبْ منها» .

٤٥ (أطربَتْنا ألفاظُه طرَبَ العا شِقِ للمُسْمِعَاتِ بالألْحَانِ)(١)

٤٦ (فاغْتبقْنا بيضاءَ كالفضةِ المَحْ ضِ وعِفنا حمراءَ كالأُرْجُوانِ)(٢)

التـبريزى : يقال عِفْت الشىء، إذا كرهته . والأُرْجُوان: صبغٌ أحمر يشبَّه به الخمر . واغتبقنا من الغُبوق، وهو شرب العَشِىّ . يقول : لما أطربَتْنا ألفاظُه جعلنا الماءَ بدلَ الخمر غَبُوقا . وإنّما جعلَ الماءَ غبوقا لما يذكره بعد البيت وهو قوله :

البطليـوسى : المرجان : صِغار الجوهر . والمسمعات : المغنّيات . والألحان: الأغانى . والاغتباق : شرب العشىّ، وقد يكون بالليل؛ ويدلّ على ذلك قول زُهير :

كأنّ رِيقَتَها بعدَ الكَرَى اغتبقَتْ مِن طيِّبِ الرّاحِ لما يَعْدُ أن عَتقا(٣)

وأراد بالبيضاء الماء، وبالحمراء الخمر، وأنّث صفة الماء لأنه يقال ماء وماءة .

الخـوارزمى : هـذا لحن مَعْبَد وألحانُه وملاحنُه، أى أغانيه . ومدار هذا التركيب على المَيْل . عنى ببيضاء كالفضة مياهًا صافية، وبحمراء خَمْرًا . الأرجوان، فى : « معانٍ مِن أحبّتنا »(٤) . ومعنى البيت من قول أبى الطيِّب :

هجرتُ الخمرَ كالذّهبِ المصفّى فخمرى ماءُ مُزْنٍ كالُّلجينِ

(١) البطليوسى والخوارزمى : «طرب العشاق» . (٢) ا من البطليوسى : «واغتبقنا» .

(٣) اغتبقت ، تُروى بالبناء للفاعل ، كأن الريقة شربت من الراح فطابت بذلك . ويروى : « اغتبقت » بالبناء للفعول ، فتكون الجملة حالا من « ريقتها » . انظر ديوان زهير ص ٣٥ طبع دار الكتب المصرية . (٤) انظر ص ٢٠١ .

٤٧ (ولَو أنّا جُزنا إلى شُربِها النّهْـ ـىَ عُنِينا بِكُلِّ أصْهَبَ عَانِى)

التبريزى : يقال : عُنيت بكذا وكذا أُعْنَى به، وأنا معنيٌّ بالشيء . والعانى : الأسير، يقال[1] : عنا يعنو فهو عانٍ، أى أسير . وإنّما أراد أنّها قد عُتِّقَتْ وطال حبْسُها فى الدّنِّ ، فجعلَها كالأسيرِ المحبوس . ويقال للخمر عانيَةٌ ، لطول حَبْسها فى الدنّ ، والأسيرُ عانٍ . فإذا قالوا عانيّة بتشديد الياء، فهى منسوبة إلى عانَة ، وقد نسبوا الخمرَ إليها قديما . قال الشّاعر[2] :

* عانيةٌ شُجَّتْ بماءِ يرَاعِ[3] *

والأصهب : الذى فى لونه صُهْبة ، وهى حُمرة يعلوها بياض . والأصهب، من صفات الخمر ، وهى تُعتصَر من العنب الأبيض . يقول : لولا النّهْيُ الذى ورد فى شُرب الخمر لشربنا على ألفاظه ، ولم نجعل الماءَ بدلًا منها .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : سيأتى .

٤٨ (وَهَجَرْنا شُرْبَ الكُؤُوسِ احتِقَارًا وَشَرِبْنا مَسَرّةً بالدِّنَانِ)

التبريزى : دِنان : جمع دَنّ . وإنما أراد المبالغة فى الشُّرب . وأشدّ مبالغةً منه قول الآخر :

* سُدَّ البلوغة واسقِنِي بدِنانٍ[4] *

جعل شربه بالدّنّ .

---

(١) فى الأصل : « يقول » . (٢) هو المسيب بن علس من قصيدة له فى المفضليات (١ : ٥٨ — ٦١) . (٣) شجت : مزجت وخلطت بالماء . واليراع : القصب، أى بماء جدول فى حافتيه القصب . وفى الأصل : « سحت بها يراع » تحريف . وصدر البيت :

* ومها يرف كأنه إذ ذقته *

(٤) كلمة « واسقنى » ليست فى الأصل ، وإثباتها من التنوير . وفى الأصل : « بالدان » تصحيحه من التنوير . ولم نجد للبلوغة وجها ، ولكن هكذا وردت فى الأصل والتنوير . ولعلها مخفف « البلوعة » بتشديد اللام ، خففها للشعر ، وا[illegible] والبالوعة : بئر تحفر فى وسط الدار ويضيق رأسها يجرى فيها المطر .

البطليوسى : أراد بالأصهب ما فيه حمرةٌ وبياض من الخمر . والخمر تذكّر وتؤنّث، فلذلك قال « أصهب » ولم يقل صهباء . وقد يجوز أن يريد بكلّ شرابٍ أصهب، فذكّر على معنى شَراب . والعانىُّ : منسوب إلى عانَة،وهى قرية تُنسَب إليها الخمر العتيقة، وقد ذكرها امرؤُ القيس بن حُجْر فى قوله :

* مِنْ خَمْـر عانةَ أو كُروم شِبامِ (١) *

ويجـوز أن يكون أراد بالعانِى الذى طال مُقامه فى الدّنّ، شُـبِّه بالعانى وهو الأسير . والدنان : الخوابى، واحدها دَنّ .

الخـوارزمى : العانىّ، بالتشديد، هى الخمرةُ المنسوبة إلى عانة، وهى قرية على الفُـرات ، خفّفه هاهنا لضرورة القافية . ولقـد أوهم حيثُ عدّى العِناية إلى «أصهب عانٍ» ،لأن العانى هوالأسير، وأكثر أُسَراءِ العرب من الرُّوم وفيهم صُهوبة . والعناية ممّـا يناسب الأسير . يقـول : لولا النّهىُ عن شُرب الخمـر لشربنا على ألفاظ الشريف . « وعُنينا » إلى « عانٍ » تجنيس . والبيت الثانى تقريرٌ للبيت المتقـدِّم .

٤٩ ﴿أيُّهَا الدُّرُّ إنَّمَا فِضْتَ مِنْ بَحْـ ـرٍ مُخَـلَّى الطَّرِيقِ للجَرَيَانِ﴾

التـبريزى : يقال : فاض المـاء وغيره يفيض فيضًا فهو فائِضٌ ، إذا اندفع بكثرة، ومنه رجل فيّاض : كثير العطاء، ونهر فيّاض (٢) : كثير المـاء .

البطليـوسى : ... ...

---

(١) شبام، بالكسر : موضع باليمن . وفى شرح الديوان لوزير أبى بكر : « وعانة وشِبام موضعان يطيب فيهما الخمر » . وصدر البيت :

* أنف كلون دم الغزال معتق *

(٢) فى الأصل : « وهو » .

الخـــوارزمى : استعار الفيض للدّرّ تنبيهاً على أن ذلك الشّعرَ لسلاسته بمنزلة الماء . ومن قبيل هذه الاستعارة : فلانٌ عالم يغترف منه الناس .

٥٠ ﴿مَا امْرُؤُ القَيْسِ بِالمُصَلِّى إِذَا جَا ... رَاهُ فِى النَّظْمِ بَلْ سُكَيْتُ الرِّهَانِ﴾

التـــبريزى : المصلِّ : الذى يتلو السابق فى الحَلْبة ، وإنّما قيل له المصلِّى لأن رأسه يكون عند صَلَوَىِ السّابق . والصّلَوان : الفجوتان اللتان يمينَ الذنب وشِمالَه . والسُّكيت(١) : الذى فى آخر الحلبة .

البطليـــوسى : ... ...

الخـــوارزمى : امرؤ القيس هو ابن حُجْرٍ الشاعر، وهو من أهل نجد فى الطبقة الأولى ، والديار الموصوفة فى شعره لبنى أسـد ، وقد ابتدع ما اتّبعه عليه الشُّعراء من استيقاف صحبـه فى الدِّيار ، ورقّـة النسيب ، وقرب المأخذ ، وتشبيه النِّساء بالبَيْض والظباء ، والخيل بالعِقبان ، وقيد الأوابد . وقيل للبيد : مَن أشعرُ الناس؟ فقال : الملك الضِّلِّيل ، يعنى امرأ القيس . فقيل : ثم مَنْ؟ قال : الغلام القتيل ، يعنى طرفَة . فقيل : ثم مَنْ ؟ قال : صاحب العكّازة أبو العقيل(٢) ، يعنى نفسه . ومن ثمة : قيـل بدئ الشعر بأمير، وختم بأمير، أى بامرئ القيس وأبى فراس . المصلِّ : تالى السابق، لأن رأسه عند صلوى المتلو .

٥١ ﴿فَاقْتَنِـعْ بِالرَّوِىِّ وَالْوَزْنِ مِنِّى ... فَهُمُومِى ثَقِيلَةَ الأَوْزَانِ﴾

التـــبريزى : الروىُّ : الحرف الذى تُبْنَى عليه القصيدةُ . والهموم: جمع همّ .

البطليـــوسى : ... ...

(١) يقال بتخفيف الكاف وتشديدها . (٢) المعروف « أبو عقيل » ومنه قول ابنة لبيد :

إذا هبت رياح أبى عقيل ... دعونا عنـد هبّتها الوليدا

الخـــوارزمى : الروىّ ، هو الحرف الذى تبنى القصيدة عليه، وتنسب إليه، فيقال قصيدة لاميّة أو نونيّة؛ سمى بذلك لأنه يجمع بين الأبيات، من رَوَيت الحبل، إذا فتلته ؛ وهـذا لأنّ الفتل يجمع بين قُوَى الحبل . أو من رَوَيت على البعير ، إذا شددت عليه الرِّواء، وهو الحبل الذى به يجمع بين الأحمال؛ ولذلك يقال: القصيدتان على قَرِىٍّ واحد وقَرْوٍ واحد ، أى على روىٍّ واحد ، من قروت بمعنى قريت، أى جمعت . ويجوز أن يكون اشـتقاق الروىّ من الرىّ ؛ لأن البيت يُرْتَوَى عنـده فينقطع، كما عند الارتواء ينقطع الشرب . ثم جميع الحروف [تقـع] رويًّا إلّا هاء التأنيث وهاء الإضمار ، والحروف اللاحقة للضمير فى به وله ، و [نون] التنوين، والألف المبدلة منها فى الوقف ، والنون الخفيفة فى نحو اضربَنْ وقُولَن . والثقيلة مع الوزن إيهام .

٥٢ ﴿مِنْ صُرُوفٍ مَلَكْنَ فِكْرِى وَنُطْقِى فَهْىَ قَيْدُ الْفُؤادِ قَيْدُ اللِّسَانِ﴾

التـــبريزى : يعنى أنّ الصروف قيّدت فؤادَه عن التفكُّر، ولسانَه عن النُّطق.

البطليـــوسى : ... ...

الخـــوارزمى : يريد أن هموى نقلت من صُروفٍ .

٥٣ ﴿يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ قَصَّرَ عَنْكَ الـ شِّـعْرُ لَمَّا وُصِفْتَ بِالْقُرْآنِ﴾

التـــبريزى : ... ...

البطليـــوسى : هذا كقول محمد بن هانئ الأندلسىّ يمدح المُعِزّ :

أَغيرَ الّذِى قد خُطّ فى اللّوح أبْتَغِى مديحًـــا له إنّى إذًا لَعَنُـــودُ
وما يسـتوى وَحْىٌ من اللهِ مُنْزَلٌ وقافيــةٌ فى الغابرين شَـــرُودُ

الخـــوارزمى : سيأتى .

٥٤ ﴿أُشْرِبَ الْعَالَمُونَ حُبَّكَ طَبْعًا   فَهْوَ فَرْضٌ فِى سَائِرِ الأَدْيَانِ﴾

التبريزى : يقول : بالطبع أحبَّك الناس ، لأن حبَّك فى سائر الأديان فرض .

البطليوسى : ... ...

الخوارزمى : هذه إشارة الى قوله تعالى : ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى﴾ ، لأنَّ من الناس من يفسِّر القربى بأقارب النبىّ عليه السلام . وعليه بيت الكُمَيْت : [1]

وجدنا لكم فى آى حَم آيةً   تأوَّلها منّا تَقِىٌّ ومُعْرِبُ

التقىّ : من التَّقِيَّة ، وهى شِبه التعريض إلّا أنها أعمُّ منه .

٥٥ ﴿بَانَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْكَ اعْتِقَادٌ   ظَفِرُوا مِنْهُ بِالْهُدَى وَالْبَيَانِ﴾ [2]

التبريزى : بان ، أى ظهر ؛ يقال : بانَ الشىءُ يَبِينُ ، وأبان يُبِينُ ، واستبانَ يَستَبِينُ ، وتبيَّنَ يَتَبَيَّنُ بمعنًى . وبِنْتُ الشىءَ وأبنتُه واستبنته وتبيَّنته تكون بمعنًى لازمًا ومتعدِّيًا . يقول : لما ظهر اعتقادُك للمسلمين ظفِروا بالهُدى والبيان ، فاهتدَوا به واتَّبعوه .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : « من » الأولى لابتداء الغاية ، وأمّا الثانية فالأَوْلَى أن تكون للتجريد .

٥٦ ﴿وَحُدُودُ الإِيمَانِ يَقْبِسُهَا مِنْـ   ـكَ وَيَمْتَاحُهَا أُولُو الإِيمَانِ﴾

التبريزى : يقبسها : يستفيدها . ويمتاحها : يأخذها ، وأصله من المائح ، وهو الذى يأخذ الدَّلو على رأس البئر . والماتح ، بالتاء : الذى يكون فى أسفل البئر يملأ الدلو . وأولو الإيمان : ذوو الايمان . وواحد « أولو » « ذو » .

[1] الرواية السائرة : « فى آل حم » . وانظر اللسان (١٥ : ٤٠) . والكميت يشير الى الآية السابقة وهى الآية ٢٣ من سورة الشورى .

[2] التبريزى فقط : « فيك » .

البطليوسى : يمتاحها : يأخذ منها ويستخرجها، مستعار من قولهم ماح يميح وٱمتاح يمتاح، إذا نزل فى البئر فملأ الدلو . ثم ضَرب ذلك مثلًا للإعطاء والإفضال .

الخوارزمى : فى هذا البيت هُجْنَةٌ إعرابيّة ، وذلك أنه قد وجّه الفعلين، وهما «يقبس» و«يمتاح» إلى فاعل واحد، فيستند أحدهما إلى ظاهره والآخر إلى ضميره . وضمير الجماعة إذا استند إليه الفعل وجب إبراز الضمير . وهذه مسألة مجمعٌ عليها . وكذلك إذا توجّه الفعلان إلى مؤنّث لزم فى أحدهما إظهار علامة التأنيث . ويشهد لها قولُ شيخنا جار الله :

أعباءُ وَجْدِى لو أقلّ أقلّها ... تمشى الرِّكابُ الهُوجُ وهى زَواحِفُ

ألا ترى كيف عدل عن الفعل الماضى المصدّر باللام إلى المضارع . ومما يواخى بيتَ أبى العلاء بيتُ العراقيّات :

ومُدَّ عنانَ الدّهرِ إن شاء أو أبى ... إلى نَيْلِ ما أمّلْتَه المَلَوانِ

ومن قال بأنّ الضمير فى « شاء » ينصرف إلى الدهر فقد سها .

٥٧ ﴿وَمُحَيّاكَ لِلّذِى يَعبُدُ الدّهْـ ... ـرَ وإهْباءُ طِرْفِكَ القَتَيانِ﴾

التبريزى : يقال : أهبى يُهْبِى إهباءً، إذا أثار الهَباء، وهو الغبار . يريد أن محيّاه، وهو وجهه، كالنهار ، وإهباءُ طِرْفه ، وهو فرسه ، مثل الليل . والقَتَيانِ : الليل والنهار .

البطليوسى : المحيّا : الوجه ، سمّى بذلك لقولهم : « حيّاك الله وجهك » . والإهباء، بكسر الهمزة : مصدر أهبى الفرسُ يُهْبِى، إذا أثار الغُبارَ. والهبوة : الغبرة.[1] والأهباء، بفتح الهمزة : جمع هَباء، وهو الغبار، وجمعه على حذف الزيادة، وكان

(١) الغبرة، محركة : الغبار، كالغبرة بالضم . ب : « الغبار » .

القياس أن يقال أَهْبِيَـة، كما يقال قَذَالٌ وأَقْذِلَةٌ . وقيل : هى الزَّوبعـة التى ترتفع فى الجو ؛ قال الحارث بن حِلِّزَةَ :

فترى خَلْفَها من الرَّجْع والوَقْـ ـع مَنيناً كأنّه أهبـاء

والفتيان : الليل والنهار . يقول : إذا رأى الذى يعبُد الدهرَ و يعظِّمه إشراقَ وجهك والغبارَ الذى يُثيره فرسُك، اعتقد أنّهما الليل والنهار .

الخــوارزمى : هَبَا يهبو هُبُوًّا، إذا ارتفع الهباء ، وأهبيته أنا . الفتيان : هما الليل والنهار ؛ لأنهما يُوصفان بالجِدّة والشباب . ألا ترى إلى قول أبى الطيّب :

* وشِبتُ وما شاب الزمانُ الغُرَانِقُ *

شبّه وجهَه بالنهار ، وغُبَارَ فرسه بالليل .

٥٨ ﴿ وإلٰهُ المَجُوس سَيفُكَ إنْ لَمْ يَرْغَبُوا عَنْ عِبادَةِ النِّيرَانِ ﴾

التـبريزى : السيف يشبَّه بالنار تارةً، وبالماء أخرى ، ويشبَّه بهما معا؛ وقد مرَّ مثله[1] .

البطليـوسى : سيأتى .

الخــوارزمى : السيف يشبّه بالنار . وفى شعر الأبْلَه البغدادىّ :

أعدُّوا للحفيظة مُرْهَفَـاتٍ كأنّ شُعاعَها شُعَلُ الحريقِ

٥٩ ﴿ حَلَبًا حَجَّتِ المَطِىُّ ولَوْ أنْ جَمْتَ عَنْهَا مَالَتْ إلَى حَرَّانِ[2] ﴾

التـبريزى : يقول : المطىّ تحجّ حلبًا، أى تقصدها لكونك بها،ولو رحَلْتَ عَنْها إلى غيرها صار الحجّ إلى ذلك الموضع . وأنجم الشىء، إذا أقلع . وأثجم، بالثا بمعنى دام .

(١) انظر البيت ٦٦ من القصيدة الأولى :

تبين فوقـه ضحضاح ماء وتبصر فيه للنار اشتعالا

(٢) الخوارزمى : «منها مالت» .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : حلب، فى «ابق فى نعمة»[1]. فلان يحجه الرفاق أى يقصده. أنجم، إذا أقلع . حرّان : بلد بالجزيرة . وجّه الفعلين، وهما أنجمت ومالتْ، إلى مفعول واحد، وهو حرّان . يقول : لو ارتحلتَ عن حلَب إلى حَرّان لمالتْ إليها المطى

٦٠ (صَلِيَتْ جَمْرَةَ الْهَجِيرِ نَهَارًا ثُمَّ بَاتَتْ تَغَصُّ بِالصِّلِّيَانِ)

التبريزى : صَلِيتُ النارَ وصَلِيتُ بها، واصطليتُها واصطليتُ بها . قال الشاعر:

فلاقتها نفاضــة[2] فاصطلتْهـا بكلّ سميدع حَسَنِ الشَّبَابِ
يَزِيدُ الرُّمْحَ طُولًا مَنْكِبَاهُ ويُوثَب سَلْهَبًا[3] مثل العُقَابِ

والصِّلِّيان : نبت .

البطليوسى : يقول : سيفك يُشْبِه النار فى لمعانه، فالمجوس تعبده إذا رأته، تتوهم أنه نار . ومعنى أنجمتَ : نأيتَ وذهبت . يقال : أنجم البَرْدُ، وأنجم المطرُ، قال الشاعر :

أنجمتْ قِرَّةُ الشّتاء وكانت قـد أقامتْ بكُلْبَةٍ[4] وقِطارِ

والضمير فى : «صليت» يعود إلى المطى . والهجير : الحرّ الشديد . والصِّلِّيان : نبت ترعاه الإبل وتحبه ، فتقول العرب : « الصِّلِّيان خُبزة الإبل » . ويروى أنّ الأحوص بن جعفر كان بنوه يقودونه وقد عَمِى بصره، فوطئت الإبل بلدًا فجعلت ترعى فيـه ، فقال الأحوص : أىّ شىءٍ ترعى ؟ فقالوا نَصِيًّا وصِلِّيانا . فقـال : « مَكْفَتَةٌ[5] لرُغاها، مطوّلة لذُراها » . أى إنّهما يقلّلان الرغوة فى ألبانها، ويطوّلان

(١) انظر البيت ٢٤ من القصيدة الرابعة ص ٢٣٥ (٢) لعلها : «نفاثة» وهى قبيلة من تغلب.
(٣) السلهب : الفرس الطويل العظيم . وفى الأصل : «سهلبا» . (٤) الكلبة بالضم : شدة البرد : والقطار : جمع قطر . (٥) الكفت ، الحبس والقبض .

أسْنِمَتها . ومن أمثال العرب : « حول الصلِّيان الزمزمة »[(١)] . يراد أنّ الشيء المرغوب فيه يكثر التراحُم عليه . وإنما تَغَصّ به الإبلُ إذا كان يابسًا لأنه يلتوى فى حلاقيمها ليُبْسه . وإنّما أراد أنّ المطىّ تتكلّف السيرَ فى الهواجر على صعوبة السَّير فيها ، وتسلك الفلوات التى لا تجد فيها إلا الصِّلِّيان اليابسَ الذى تَغَصُّ به ، حرصًا على لقاء هذا الممدوح .

الخوارزمى : الصِّلِّيان ، بكسر الصاد واللام المشدّدة : نبتٌ تسمِّيه العرب خُبزَة الإبل ، واشتقاقه من الصِّلَّة ، وهى القطعة من المطر . وهو فِعْلِيَان ؛ لأن الألف والنون اطّردت زيادتهما آخرًا إذا حصلت معهما ثلاثة أُصول . ونحوه بِلِّيَان[(٢)] لبلد ، وهِذْرِيان للمِهْذَار . يقول : هذه الإبل لاتنتفع بالارتعاء ، لأنّها مُختَلَسة بين عُقَب الإسراء . وصلِيَتْ مع الصِّلِّيان ، من التجنيس الذى يشبه المشتق وليس به .

٦١ ﴿أرزَمَتْ نَاقَتَاىَ شَوْقًا فَظَنَّ الـ ـرَّكْبُ أنِّى سَرَى بِىَ المِرْزَمَانِ﴾

التبريزى : الإرزام : صوت الناقة . والمِرزَمان : نجمان معروفان . والمعنى أنها حنَّتْ فأسرعت .

البطليوسى : سيأتى .

الخوارزمى : « لا أفعل ذلك ما أرزمتْ أُمّ حائل » : ما حنّت . المرزمان : مِرْزَم الذِّراع ، وقد ينزل به القمر ، ومرزم العَبور ، وليس من المنازل . شبّه الناقتين فى سُرعة السير بالمِرزمين ؛ لأنّ حركتهما الطبيعيّة وإن كانت لكونهما من الثّوابت بطيئة ، لكنّ القَسْريّة سريعة . أو اعتبر إطلاق المثل : « أسْرَى من النَّجم » .

(١) فى أمثال الميدانى : « يضرب للرجل يخدم لثروته . ويروى : حول الصليان الزمزمة » ، جمع صليب . (٢) يقال أيضا « بليان » بضم الباء وتشديد اللام المفتوحة ، كما فى معجم البلدان .

٦٢ ﴿ عِشْ فِدَاءٌ لِوَجْهِكَ القَمَرانِ   فَهُمَا فِى سَنَاهُ مُسْتَصْغَرانِ ﴾

التبريزى : يقال فداءً لك وفداءٌ لك ؛ فالنصب على المصدر، والرفع على الابتداء والخبر . والكسر على البناء والتنكير[1]، تشبيها بإيهٍ وصهٍ[2] . ويجوز القصر مع كسر الفاء. فأما إذا فتحت[3] الفاء فالقصر لاغير. والسنا، مقصور: الضوء. والسناء، ممدود: الرفعة.

البطليوسى : يقال: أرزمت الناقة، إذا حنَّت. والمرزمان : كوكبان يسميان مِرزمَىِ الشِّعْرَيين . وذكر أبو حنيفة أنّ العرب تسمِّى منكب الجوزاء مِرزما، ورِجْلَها اليسرى مِرزمًا. وإنّما خصّ المِرزمين بالذِّكر لما ذكره من إرزام الناقتين، كأنّه ذهب إلى أنّ المِرزمين مشتقّان من الإرزام . وحكى بعضُ منَ تكلّم فى النجوم أنّ فى هذا الموضع نجومًا تسمَّى الناقة، وليس ذلك معروفا، فلعلّه قد خصّهما بالذّكر لذلك. والمعروف أنّ الناقة هى الشّكل الذى يسمَّى «ذات الكرشين»، وهى من الأشكال الشمالية. وأما المِرزمان فإنّهما من الأشكال الجنوبية، أحدهما فى الشكل الذى يسمَّى الكلب الأكبر، والثانى فى الشكل الذى يسمَّى الكلب الأصغر . والقمران : الشمس والقمر .

الخوارزمى : الرواية المشهورة «فداءً» بالنصب على المصدر . والقمران، مرفوع على أنّه فاعله . ويروى «فِداءٌ» بالرفع . وقبل أن أُقرر هذا الوجهَ أسوقُ إليك فصلًا من الكلام فأقول: الجملة الابتدائية إذا وقعتْ موقعَ الحال فعلى ضربين، أحدهما أن تكون مصدّرة بالواو كقولك : جئتك والشمسُ طالعة، وهذا ظاهرٌ. والثانى ألا تكون مصدّرة بالواو، وهى حينئذ على طريقين: أحدهما أن يكون الخبر جارًّا ومجرورا مقدَّما على المبتدأ، كقوله[4] :

---

(١) فى الأصل : « والتكبير » . (٢) فى الأصل : « وقصة » .

(٣) فى الأصل : « كسرت » . وفى اللسان : « وإذا فتح فهو مقصور » .

(٤) هو أمية بن أبى الصلت يمدح سيف بن ذى يزن . انظر الشعراء ٢٨٢ ليدن .

* فَاشْرَبْ هَنِيئًا عليكَ التّاجُ مُرْتَفِقًا[(١)] *

فقوله : « عليك التاج » جملة ابتدائية والخبر فيها جارّ ومجرور مقدّم على المبتدأ . ومثل هذه الجملة ممّا يكثر بدون الواو وقوعها حالا . ثم هذه الجملة إذا وقعت حالًا هل تبقى ابتدائيةً أم لا؟ فيه كلام . والثانى أن يكون الخبر فيها غيرَ جارٍّ ومجرور، وذلك مثل قول امرئ القيس :

* يَجِىءُ عليها الظِّلُّ عَرْمَضُها طَامِى[(٢)] *

فقوله : « عَرْمَضُها طامى » جملة ابتدائية فى محل النصب على الحال، وليس الخبر فيها جارًّا ومجرورا. وكذلك ما أنشده الإمام المحقِّق عبدالقاهر الجُرجانى رحمه الله، فى صفة غوّاص :

* نَصَفَ النَّهَارُ المَاءُ غَامِرُهُ[(٣)] *

يريد انتصف النهارُ والماء غامرُه . وفى أمثلة النحويين على ما حكاه السِّيرافى رحمه الله : من أنت زيدٌ ؟ معناه : من أنت ذكرك زيد . فقولنا : ذكرك زيد جملة ابتدائية فى محل النّصب على الحال من أنت، لأنّ المراد بذلك من أنت ذاكرا زيد . فالقمران مرفوع على الابتداء ، وفداءٌ خبره، وهذه الجملة فى محلِّ النصب على الحال . ووقوعُ مثلِ هذه الجملة بدون الواو حالًا قليل . ١٥

(١) تمامه : * فى رأس غمدان دارا منك محلالا *

(٢) صدره كما فى اللسان (عرمض) : * تيممت العين التى عند ضارج *

(٣) البيت للمسيب بن علس، كما فى اللسان (نصف) . وتمامه : * ورفيقه بالغيب لا يدرى *

[انتهى القسم الأوّل من شروح سقط الزند]

فهرس قصائد هذا القسم

